

العدد ٢٨٠ ـ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ ـ مارس ١٩٨٢م

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

جزء خاص عن قطر: بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير



- قضية الشهر: الثقافات خريطة المثقفين العرب

بقلم د. محمد جابر الأنصاري

- الأزهر: سيرة وتحية

بقلم خالد محمد خالد

- جمال عبد الناصر والألمان

بقلم د. السيد فهمي الشناوي

في خطى السندباد، رحلة السفينة صحار من عمان إلى الصين

الآباء والأبناء

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

كلما جئت المدينة الكبيرة زائرا وجدت فيها صديقي غ . غارقا في هم جديد . إنه ممن فطروا على ان يروا الحياة دوما من جانبها القاتم ، وان يلتمسوا في كل ما يسمعون نذر الشر . جلست منذ ايام إليه في مقهانا المعتاد فرأيته يطيل التفكير ساهما . ولما سألته عما يشغل باله هذه المرة قال :

ـ إنه هم الأولاد : صبيان اكبرهما يتم دراسته الثانوية في العام القادم ، وبينهما بنت .

قلت : واي هم لهم تشكو انت منه ؟ حالك والحمد لله ميسورة . وهم في ميعة الصبا وتمام الصحة ، هانئون بحياتهم .

فزفر وقال : كانك لا ترى الدنيا حولنا .. غابة والناس فيها ذئاب مفترسة . كيف امن على ابنائي في هذه الغابة ؟

قلت له : هون عليك . ليس ابناؤك اعوادا هشة ، ولا الدنيا بالسوء الذي تتصوره .

قال : انت امرؤ مطبوع على التفاؤل . ومع ذلك لا اظنك تخالفني في اننا نعيش في ايام ليس اسوا منها ايام . تطلع حولك تر المجتمع في تفكك والاخلاق في تدن . اي حياة هذه اذا كان البائع يغشك ، واينما توجهت وجدت ان حوائجك لا تقضى عند من بيده الامر إلا إذا دفعت ، طوعا او كرها الهبة التي تفرض عليك ؟ .. فقدت الثقة بين الناس وعم الكذب . في ايامنا السالفة كانت الكلمة الملفوظة تقيد صاحبها ، واليوم يتحايل المتعاقدون على المواثيق والعهود المكتوبة ليكسبوا فلسا زائدا . كيف يستطيع اولادي ان يشقوا طريقهم في هذا العالم الموحل ؟

ابتسمت لمرارة غ في تعابيره وقلت له :

ـ اسمع يا صاحبي . حتى اذا وافقتك على ما تصف به هذا العالم من سوء ، فان سوءه يقع عليك انت لا على ابنائك .

قال : كيف ؟ إني لا افهم .

قلت : انا وانت يا اخي نشانا وعشنا زهوة حياتنا في الأيام التي وصفتها بان الكلمة الملفوظة كانت فيها عهدا موثوقا على صاحبها . صلب عودنا وتيبس هيكلنا في المشي في دروبها الجديدة . أما جيل هذا الزمان ، ابنائي وابناؤك ، فما تراه انت شاذا من امور الدنيا يرونه هم عاديا .. ذلك لانهم فتحوا اعينهم على رؤية هذا الشاذ سائدا ومقبولا .

قال : ولكن الحلال بين والحرام بين . الأمور في هذه الأيام حائدة عن الطريق المستقيم . وانا اخشى على ابنائي منها .

قلت : لا تخش عليهم من شيء . نفوسهم وضمائرهم لا تزال عجينة لينة ، وهم قادرون على التكييف مع الظروف التي تحيط بهم .

قال باستنكار : تعني بهذا ان يكونوا مثل غيرهم ... يخادعون وينافقون ، ويعملون بغير ما يعتقدون لكي يكسبوا عيشهم او ترف حياتهم . انا لا اقبل بهذا . لقد ربيتهم على الصدق والاستقامة ، وسأحول دون فسادهم .

ضحكت للهجة غ . المتعنتة وقلت له :

إذن تتعب نفسك وتكون كما قال الأول :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها ، واوهى قرنه الوعل

● ●

كنت في الواقع اقول ما اقوله لصاحبي لا إيمانا مني بما اعارضه فيه ، بل محاولا إخراجه من وساوسه التي اراه غارقا فيها بسبب او دون سبب كلما لقيته . إلا ان كلماتي لم تفد في تعديل مزاجه ، اذ زاد سهوما على سهومه كانما تاكدت بها سوداويته او انها حققت تشاؤمه . قلت له :

ـ انت مخطيء في إصرارك على ان تلزم ابناءك بعقليتك انت . بل انك في هذا تخالف ذوي الألباب والصالحين من الأولين . تذكر ولاشك كلمة علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه ، المشهورة : لا تقسروا أولادكم على اخلاقكم ، فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم ...

قال : وهل تعتقد ان سيدنا عليا يعني بذلك ان يجاري الأبناء الزمان في فساده ، لا سيما إذا بلغ المرحلة التي بلغها في هذه الأيام ؟

قلت : اسمح لي . إذا كنت تعتقد بان فساد الزمان مقتصر على ايامنا فانك واهم . الشكوى من الزمان يا عزيزي قديمة قدم الانسان . انت على ما اعرف جيد الاطلاع على شعر الأوائل ، وتعلم انه ما من ديوان من دواوين الشعر القديمة يخلو من باب عنوانه : شكوى الزمان . خذ مثلا إليك ابا العلاء . إن له بيتا كانه يخاطبك فيه محذرا من تطلبك للاستقامة في كل الأمور وإلا انتهيت نهاية من سماهم هو بالحكماء .

قال : اي بيت تعني ؟

اجبته : أعني بيته المشهور :

غلب المين منذ كان على الخلق
ومـاتت بغيظها الحكماء ..

وتتخوف انت من ان يقول ابناؤك ، وأن يعملوا بغير ما يعتقدون ... اطمئن ، لقد فعلها معاصرو ابي العلاء ايضا ، منذ الف عام . ماذا تصنع الرعية المسكينة اذا كان الأمر كما قال رحمه الله .

جلوا صارما وتلوا باطلا
وقالوا صدقنا ، فقلنا نعم !

وهنا قال غ . محاولا ان يجد ثغرة في ما أحاججه فيه :




أبو العلاء المعري




أبو نواس



المتنبي

ـ ألم تجد غير صاحب اللزوميات تستشهد به ؟ انه رجل موتور ، ونقمته على أولي الامر نقمة بسيكوباتية مردها إلى عماه ولزومه محبسه ...

اجبته : ما قولك اذن بالمتنبي الذي وصف من بيدهم الحل والربط فى ايامه بقوله :

فى كل أرض وطئتها أمم
ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه
وكان يبرى بظفره القلم

خذ مثلا ذلك العابث الماجن ابا نواس حتى هو شكا دنياه فى أشعار كثيرة خلاصتها قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق .

ما عليك إذن يا صاحبى إلا ان تقر معي بان دنياك اليوم ، اذا لم تكن احسن من دنيا الذين سبقونا ، فانها ليست اسوأ . امح هذا العبوس من وجهك اذن ، وابتسم للحياة ابتسامتي انا لها .

● ●

ولم تفلح كل شواهدى الشعرية هذه فى اقناع صديقي غ . او فى تهوين قلقه . فتحولت ، فى محاولتى التسرية عنه ، إلى اسلوب اخر . قلت :

ـ تريد الصحيح ؟ معرفتى بمفاسد هذه الأيام ، وبسيئات أهلها ، لاتقل عن معرفتك ولكن أعيننا إذا كانت بها بصيرة فان ايدينا عن اصلاحها قصيرة . وعبثا نقسر اولادنا على مخالفة تيار الواقع . أولى لنا ان نقنع انا وانت وابناء جيلنا ، بما يكشفه واقعهم عن سعادتنا التى كنا عنها غافلين .

قال غ . فى شبه احتجاج : سعادتنا ؟ اى سعادة تعنى ؟

فاجبته بقولي : احلم عليّ قليلا ، ارجوك كنت منذ أيام فى نقاش مع بعض فتياننا . فى ندوة دعيت الى التحدث فيها . هؤلاء الشباب ، ممن هم فى عمر اولادى واولادك ، ثقتهم بانفسهم كبيرة ، وعندهم ان لا صواب إلا فى ما يرتاونه . تطرقنا فى حديثنا إلى السياسة والى حاضر امتنا المؤسي فيها . ومن نقاش إلى نقاش ، وجدتني اقول بانى من جيل يجد نفسه من أسعد الأجيال العائشة حاليا على ارضنا .

ولما سئلت عن هذا القول اجبت بان جيلنا من الناحية القومية ، عاصر حركات النضال ضد الأجنبى المحتل والمستعمر وجاهد لاجلائه عن أرض الوطن ، فى مصر والعراق وسوريا . فى سوريا ، مثلا ، كنا نحارب فرنسا . ومن هى فرنسا انذاك ؟ إنها إحدى أكبر دولتين فى العالم ، جيوشها جرارة ومكانتها السياسية لاتدانيها مكانة بعد خروجها ظافرة من الحرب العالمية الأولى . ومع ذلك كنا ، نحن صبيان المدارس ، نتحداها ونهاجم دباباتها بالحجارة بينما كان مجاهدونا يصاولون جيوشها فى كل بقعة من بقاع البلاد . كانت انتصاراتنا مهما كانت من الضآلة ، تملأنا فخاراً . ولكنا ، حتى فى خسائرنا ، كنا نظل مرفوعى الرؤوس كبرياء واعتزازاً . فما كان عار علينا ونحن الضعاف العزل أن نخسر المعارك امام تلك الدولة الجبارة ..

وهنا قاطعنى غ . قائلا ، بصوت عال ولهجة حارة :

ـ وانتصرنا فى النهاية ، نحن الضعاف العزل . الم تقل هذا لأولئك الفتيان ؟

سرنى من صاحبى هذا الحماس المفاجىء ، فاجبته :

ـ لم يكن هذا كل ما قلته لهم ، كما انى لم احدثهم عن السياسة وحدها . لقد عددت لهم ماذكرته انت من صور السلوك التى سادت ايامنا ، حين كانت الثقة قائمة بين الناس والامانة سائدة ، وحين كان المواطن يخشى على سمعته من الوصمة المشينة التي تلحقها اذا اتهم بالبعد عن الاستقامة او بتقبل الرشوة او الوساطة . وقلت لهم : كنا نرثي لانفسنا لما عشناه من ايام سود تحملنا فيه المشاق والتضحيات وعسف المحتل الطاغى ، فلما رأيناكم يا ابناء هذا الجيل تَبَيَّنَّا كَمْ كُنَّا سعداء . فانتم منذ عشرات السنين تنحدرون من خسارة إلى هزيمة ، وتتسابقون فى مهادنة العدو والاستسلام اليه . ومن هو هذا العدو ؟ ليس عدوكم واحدة من عظام الدول التى كنا نقارعها فى ايامنا ، بل شراذم نبذتها سائر الامم فى مختلف عهود التاريخ واحتقرتها ، وشردتها وذبحتها . اتنكرون انكم تقفون هذه المواقف امام الدولة المسخ التى اسمها اسرائيل ؟

قاطعني غ . مرة اخرى قائلا : كلامك صحيح مائة بالمائة . كل الحق معك .

نطق بهذه الكلمات فى اندفاع وبلهجة تفيض بالثقة . ابتسمت وحدثت نفسي ، راضيا عنها ، باني استطعت فى النهاية ان اخرج صاحبي من سوداويته . واضفت اقول :

ـ هذه هى سعادتنا التى سالتني عنها والتى يجدر بنا ان نقنع بها تاركين ابناءنا لزمانهم بعجره وبجره . الست معى فى هذا ؟

فاجابنى بقوله : انا معك ، ومع سيدنا علي فى نصيحته : لا تقسروا أولادكم ... ولكن ...

فقاطعته انا فى هذه المرة قائلا : ارجوك ... اترك « ولكن » هذه الى لقاء اخر ، فانا على موعد فى هذه الساعة ... والى اللقاء .

وفارقت صاحبي معجلا ، خوفا من أن تقودنا « ولكن » الاستثنائية هذه الى استعراض هموم جديدة . فقد كنت اعرف هشاشة حججي التى اقنعته بها ، والتى كنت انا اغضى على الاقتناع بصوابها من صديقي غ . على الرغم من طبعي المتفائل ومن تشاؤمه هو وكثرة وساوسه .



الأزهر في عيده الألفي

سيرة وتحية

بقلم: خالد محمد خالد

في جلال المشيب ، وروعة الخطيب ، يقف الأزهر المعمور شامخا كالزمن ، عبقا كالتاريخ تصغى الدنيا لمنابره ، وتتضمخ بمآثره ..

عظيما والله كان .. وسيظل عظيما كما كان !!

بالروعة تاريخه .. أكثر من الف عام وطلاب العلم والمعرفة من كل صقع يغدون إليه جياعاً ، ويروحون عنه شباعاً .. يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

حقب تتلوها حقب . وابو الجامعات واولها غير مزاحم ، ينشر النور .. وحول اعمدته الذكية الشاهقة تنبث حلق العلم ، وهو يضم إلى صدره الحنون جميع الذين ولوا وجوههم شطره يسئلونه المعرفة ، فيعطى بغير مَنّ ، وبلا حساب !!

ما اراده احد بسوء إلا كبه الله على وجهه ، واطاش سهمه وخيب فاله .

لكان الله قد اصطنعه لنفسه ، ورعى حرمته ، وبارك دوحته ، وقال له : عش وعلم ولا تخف ، فانك باعيننا !! .

وإذا كان المسجد الاقصى ثانى القبلتين ، فالأزهر المعمور ثالث القبلات .

فزهاء الف عام وأكثر ، وهو قبلة طالبى العلم ، ومنبت حفظة الدين ، وحارس الثقافة الاسلامية عبر القرون .

هذه الثقافة التى تنقلت بين قرطبة وغرناطة وبغداد ، ثم القت عصاها واستوت على الجودى بالقاهرة التى لبثت منذ العهد البعيد والى اليوم عاصمة الثقافة الاسلامية ، لا لشيء إلا لأن الأزهر فيها يروى الظّماء ويغذى الخماص ، ويقف حارسا يقظان لثقافة الاسلام وشريعته وتقاليده .

● ●

وإذا كانت السيرة هى المسيرة ، فلنطالع سيرة الأزهر من خلال مسيرته عبر القرون .

فى ١٨ سبتمبر ١٩٤٢ ، كان قد مر على إنشاء الجامع الأزهر الف عام .. وفى عام ١٩٤٦ ، كان قد مر على افتتاح الدراسة فيه الف عام . اى ان التوقيت المناسب للاحتفال بعيده الألفى قد مضى منذ اربعين عاما .

والأزهر من غرس الدولة الفاطمية . ولقد سبقه الى الوجود ، ثلاثة جوامع كبيرة كان لكل منها دوره التاريخى : جامع عمرو ... وجامع العسكر ... وجامع ابن طولون ..

وقد آل امرها جميعا الى مجرد مساجد للعبادة ، وشواهد على المعمار الاسلامى والآثار الاسلامية . بينما بقى الأزهر الذى شيد بعدها شمسا فى سماء الاسلام : حضارته ، وعلومه ، وامجاده ..

كان الفاطميون قد دخلوا مصر الفسطاط فى ٧ يوليه عام ٩٦٩ ، واسموا المدينة الجديدة التى انشاوها «القاهرة» وردوا بفتحهم هذا خطر القرامطة عن مصر كلها ، وانشاوا المسجد الجامع واسموه «جامع القاهرة» الذى سمى فيما بعد بالجامع الأزهر . ربما تيمنا باسم بنت رسول الله السيدة فاطمة الزهراء التى كانوا يحملون اسمها .

واصطُبِغ الأزهر فى بدايات ايامه ليدرس المذهب الشيعى ويصون تراثه . وكان الله قد اختاره لأكثر من هذا ، فما فتىء حتى فتح ابوابه لعلوم القرآن والسنة والفقه وللمذاهب السنية .

ورُصِدَتْ له الأوقاف الكثيرة يستظل بمظلتها طلابه ، فيتعلمون ، ويطعمون ، ويكتسون ، وانشئت به الاروقة لسكناهم ، كما اقيمت حوله مساكن للاساتذة والعلماء.

وعلى الرغم من انه انشىء ليكون مظهر سلطان الفاطميين الدينى والمذهبى إلا انه سرعان ما تخطى هذا الوضع وبدأ دوره كجامعة سيكتب لها الخلود فى تاريخ العلم والفكر .

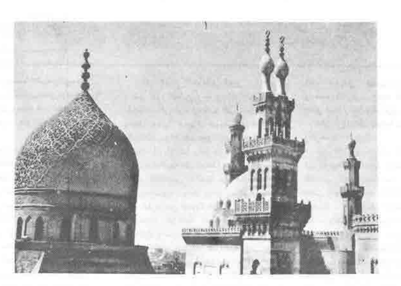
وإنا لنتطلع الى ما وراء الف واربعين عاما مرسلين تحيتنا الى اول حلقة علمية شهدها الأزهر العظيم حيث جلس قاضى القضاة ابو الحسن علي بن النعمان القيروانى يقرا مؤلفاته فى فقه الشيعة .. وحيث كان «يعقوب بن كلس» وزير المعز فالعزيز يحاضر فى الأزهر جموعا كبيرة من الادباء والعلماء والفقهاء والقضاة وخاصة الناس وعامتهم ، وحيث كان بنو النعمان يقومون بدورهم فى تعليم الطلاب والوافدة.

وفى العيد الألفى للأزهر نزجى تحية خاصة الى الوزير «يعقوب بن كلس» الذى كان يهوديا واسلم .. فقد كان وراء كل خطوة خطاها الأزهر الى الأمام ليكون جامعة تنشد العلم والنور ، وكان يحاضر طلابه ــ كما اسلفنا ــ ويدرس لهم مؤلفاته فى القراءات والفقه والسنة وفقه الشيعة .

● ●

فى عهد الحاكم بامر الله ظهر للأزهر منافس قوى تمثل فى «دار الحكمة» التى لم يبخل عليها الخلفاء بمال ، وجعلوا منها جامعة كاملة ، وسارت سمعتها مسرى الريح فامها طلاب العلم من كل واد . وكانت جامعة حرة تدرس فيها النظريات الفلسفية الى جانب المبادىء المذهبية ، واعدت لتخريج الدعاة ، وصار لها مناهج سرية . وكان من بين تلامذتها ناصرى خسرو الشاعر الفارسى ، والحسن بن الصباح مؤسس طائفة الاسماعيلية الباطنية .

بيد ان ظهور هذا المنافس القوى



الأزهر الشريف ـ قصده طلاب العلم والمعرفة من كل مكان لاكثر من الف عام .

للأزهر كان نعمة ساقها الله اليه .. فحين بدأت دار الحكمة تتخصص فى المذهب الشيعى ، وفى خلق الدعاة له ، وفى التعاليم السرية للمذهب وللدولة ، كان الأزهر يتحول من بقايا هذا الالتزام ليتحول الى جامعة اسلامية خالصة للاسلام كله بعيدا عن الالتزام المذهبى والتعصب السياسى متفرغا لعلوم القرآن والسنة والفقه واللغة وتخريج علماء على مستوى الثقافة الاسلامية جميعها .

ولم يطل العمر بدار الحكمة التى عاشت قرنا واحدا من الزمان ، ثم اغلقت واندثرت بينما مضى الأزهر يستكمل اصالته وشموخه حيث ظل وسيظل الى ما شاء الله عظيما فى عطائه مستمرا فى نمائه .

● ●

فى أوائل القرن السادس الهجرى ، وبعد اغلاق دار الحكمة تالق دور الأزهر وانداحت فيه طرائق العلم ، وإذ ترك لاطلال دار الحكمة نشاطها السرى ، اخذ ما كانت تدرسه من فلك ومنطق ولغة ورياضة وطب وفلسفة وادب وتاريخ ..

وإنا لنرسل تحيتنا خالصة ومخلصة للشيوخ والأساتذة الذين سهروا على تثقيف الطلاب والوافدين من مشارق الارض ومغاربها .. ومن هؤلاء الشيوخ العلامة ابو الحسن علي بن ابراهيم الحوفى إمام العربية وصاحب كتاب إعراب القرآن ، وابن بابشاذ النحوى ، وابو محمد عبد الله بن برى إمام اللغة فى عصره ، وابو العباس احمد بن هاشم المحدث وابو القاسم الشاطبى إمام القراءات ، وفقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاق ، والفقيه العلامة الحسن بن الخطير الفارقى استاذ الفقه الحنفى والتفسير والرياضة وعلوم اللغة والتاريخ .. نحيى هؤلاء الرواد من الرعيل الاول الذى نهض بعبء التعليم فى الازهر ، واسهم بدوره فى جعله جامعة لم يكن يضارعها يومذاك جامعة اخرى فى الأرض .

● ●

لبث الجامع الأزهر زهاء قرنين فى رعاية الدولة الفاطمية ، ونشاطه العلمي ينمو ويندداح حتى افل نجم الفاطميين في مصر ، وكان آخر خلفائهم العاضد لدين اللــه .

وجاء صلاح الدين يقود الايوبيين إلى حكم مصر ، وعز على الحكام الجدد ان يبقى في مصر ما يذكر اهلها بالفاطميين ، لا سيما إذا كان هذا المذكّر هو الأزهر بسمعته الواسعة وعظمته وسموقه .

هنالك منعوا صلاة الجمعة فى الأزهر انتقاصا من هيبته . وظل كذلك حتى عصر الظاهر بيبرس الذي رد إليه خطبة الجمعة وصلاتها .

وعلى الرغم من صنيع الايوبيين ، فقد بقى الأزهر المعلم .. الأزهر الجامعة .. هادرا كالمحيط يكتسح من طريقه كل عائق ونكير !!

ومرة اخرى نتلفت إلى وراء لنحيي بعض اساتذته الأجلاء مثل « عبد اللطيف البغدادي » استاذ علم الكلام والبيان والمنطق ، والعلامة الطبيب اليهــودي « موسى بن ميمون » الذي كان يلقى في الأزهر دروس الرياضة والفلك والطب . واعجبوا لسماحة الاسلام وسماحة الأزهر الذى ضــم بين اساتذته يهوديا .. !!! والشاعر الصوفى « عمر بن الفارض » استاذ التصوف بالجامع الأزهر في تلك الحين ، وشمس الدين بن خلكان صاحب وفيات الاعيان ، ومثلهم معهم من افاضل الشيوخ .

● ●

في العصر الايوبي شرعت الدولة في بناء المدارس والمعاهد ، وكان ظهورها وانتشارها إحدى بركات الأزهر ، وكانا اثرا حميدا من اثاره المجيدة إذ ظل طوال القرون السالفة يحبب العلم الى الناس .. ولكن مرة اخرى شكلت هذه المدارس التى رَبَتْ ونَمت منافسا جديدا للازهر .. بيد انه بثقله التاريخي وبجلالة رسالته لم ير في تلك المدارس والمعاهد سوى بنين له وحفدة .. وكان بشمول مناهجه ، وبرصيده العلمي ثابتا كالرواسي . ولبث طلاب العلم من مصـــر ومن شتى اقطار العالم الاسلامي يجدون فيه الأب الحاني ،والوطن الثاني ..

وسيبرز في هذه الفترة وما يتلوها علماء اجلاء نرسل إليهم تحيتنا العطرة منهم

الامام «علي بن يوسف الشنطوفي» وقوام الدين الكرماني » و « شـــمس الديـــن الأصبهاني » الذي وصفه ابن بطوطة بانه « إمام الدنيا فى المعقولات» وتقي الدين المقريزي .

ثم يجيء الامام ابن حجر العسقلاني ، وأبو العباس القلقشندي ، وابن تغريبردي ، وبـدر الدين العيني ، وشرف الديـــن المناوي ، وشمس الدين السخاوي ، وجلال الدين السيوطي ، وابن خلدون .. لقد صار للأزهر الزعامة الفكرية والثقافية في طول العالم الاسلامي وعرضه .. وينقل لنا الاستاذ المؤرخ « محمد عبد الله عنان » في كتابه « تاريخ الجامع الأزهر » تفسير المستشرق « فولرز » لهذه الزعامة فيقول :

« ومنذ عدة قرون يتفوق الأزهر على جميع معاهد العالم الاسلامي . ومن اسباب هذا التفوق عبث المغول وتخريبهم في البلاد الخارجة عن مصر .. والقضاء على الحضارة الأندلسية .. ويجب ان نضيف إلى ذلك موقع الجامع المتوسط وقربه من الحجاز ، وصبغته العربية المحضة ، وأهمية البلاد الاقتصادية ، والقارة الأفريقية العظمى التى تمتد فيما وراء مصـــر .. واخيرا،وهو اعتبار له خطره — الازدهار العقلي القديم الذي ترك في وادي النيل كثيرا من البذر الصالح لتقدم العلوم والآداب » .

● ●

كان الأزهر في القرن التاسع الهجري قد جعل من القاهرة مهوى الأفئدة . وقبلة الوافدين .. كان هو الجامعة الأم ، وكان يقود نهضة فكرية عالية المستوى .. وكان التدريس فيه شرفا لا يعلوه شرف .. وكان الأساتذة يعينون بمراسيم خاصة ، وكان يختار لهم من الالقاب ارفعها واعلاها مثل « الجناب الشريف » و « الجناب الكريم » و «جمال الاسلام والمسلمين» و «شرف العلماء العاملين» و «اوحد الفضلاء» و «قدوة البلغاء» الخ .. وعرف الأزهر أيامئذ نظام المعيدين . فكان لكبار الشيوخ معيدون يقومون بتلخيص الدرس بعد فراغ الأستاذ من إلقائه ، أو يقومون مقام الأستاذ فى إلقاء بعض الدروس والمحاضرات .

● ●

وجاء الفتح العثماني لمصر ، فاحدث الكثير من التخريب .. وجمع الكتب من المكتبات الزاخرة وحملها الى استانبول ، وحمل معها جمهرة كبيرة من الشيوخ والعلماء ، وأخذهم عنوة إلى عاصمة ملكه .. بيد ان الأزهر رغم ما اصابه من هذه الغزوة المخربة ظل شامخا مهيبا ، وغشيت قلوب الفاتحين غاشية من جلاله ، فلم يقربوه بسوء ، وظل يؤدي رسالته ويحمي لغة القرآن من صولة الفاتح المغـير .

وكانت الزعامة السياسية فضلا عن الثقافية والدينية قد انعقد لواؤها للأزهر حين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة « نابليون بونابارت » ولم يجد الغزاة مناصا من ان يتملقوا الشعب بوضع اموره بين ايدي علماء الأزهر الذين لم يفلحوا فى تهنئة الطامع الدخيل ، فتولى الأزهر كله علماؤه وطلابه قيادة الثورة بعد إشعالها في أفئدة الجماهير . وصار الأزهر بصحنه الرحب الفسيح ملتقى الشعب الثائر . واستفز الأزهر نابليون ، فامر بان تنصب المدافع فوق جبل المقطم ثم تطلق نيرانها مع مدافع القلعة على الجامع الأزهر .

وتدافعت جموع الشعب من القرى والنجوع مسرعين لنصرة أهل القاهرة . وأمام الجامع الأزهر دارت معركة طاحنة بين الثوار والجيش الفرنسي بينما كانت مدافع المقطم والقلعة تدك حي الأزهر دكا .. وانتصر الثوار وقتلوا قائد الجيش المهاجم « سلكوسكي» وكان من كبار قـواد نابليون .. واضطرمت مغايظ «بونابرت» فقرر احتلال الأزهر بفرسانه ومشاته وعاثوا في الشيوخ والطلاب والثوار قتلا وتنكيلا ، وقبض الغزاة المهزومون على طائفة من شيوخ الأزهر وطلابه ثم جردوهم من ملابسهم واعدموهم — عراة — رميا بالرصاص .. !!

نذكر من هؤلاء الشهداء بكل تجِلّةٍ وترضٍّ واحترام الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان .. والشيخ أحمد الشرقاوي .. والشيخ عبد الوهاب الشبراوي .. والشيخ يوسف المصيلحي .. والشيخ اسماعيل البراوي .. هؤلاء الذين نحيي فيهم ومعهم الوف الشهداء من الذين قادهم الأزهر إلى الثورة الحرة الجليلة .

كما نحيي الشهداء الذين اتهموا بقتل «كليبر» خليفة «بونابرت» في حكم مصر وهم : سليمان الحلبي ، وعبد القادر الغزي ومحمد الغزي ، وعبد الله الغزي الذين حكم عليهم بالاعدام فوق الخازوق .

فالى أرواحهم الغالية نرسل كل التحيات والرحمات المباركات .

ترى هل كف الغزاة عن مطاردة الأزهر في شيوخه وشبابه وطلابه وفي جموع الشعب التى استجابت لصيحة الثورة التى انبعثت منه كدقات الطبول وهدير المحيط .. ؟ وهل كف الأزهر عن مقاومتهم ؟. كلا .. ولقد خلف كليبر بعد مصرعه القائد الفرنسي الجنرال « منو » الذي بهرته صلابة الثوار فاعتنق الاسلام ، واسمى نفسه « عبد الله جاك منو» ، واعاد فتح الجامع الأزهر ليستانف رسالته ، ثم طرد الفرنسيون من مصر خزايا نادمين ..

ويذكر لنا الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الذي طلب العلم بالأزهر الشريف ثم صار من هيئة التدريس فيه .. يذكر لنا فريقا من العلماء الكبار الذين قاموا بتبعاتهم الجسيمة ضد الاحتلال الفرنسي ، وقد كان الجبرتي من علماء الأزهر النابهين . وهو مؤلف التحفة النادرة « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » وكتاب « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » .

● ●

كان لشيوخ الأزهر مكانتهم .. وكانوا ذوي شخصيات باهرة وقوية لا تخاف فى الله لومة لائم .

ويقص علينا الأستاذ محمد عبد الله عنان نقلا عن كتاب ذخيرة الاعلام عن احد الشيوخ الأزهريين وهو الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطي قابل داود باشا أول مجيئه إلى القاهرة ، وكان السلطان التركي قد ولاه على مصر .. استقبل الشيخ الوالي وحوله جنوده المدججون بالسلاح وصاح فى وجهه : « أنت رقيق لا يجوز لك ان تتولى الأحكام ، وإن احكامك باطلة حتى تحصل على عتقك» ومن عجب ان حرس الوالي انحازوا للشيخ الجليل ، وارسل الباشا الوالي نبأ هذه الواقعة إلى السلطان ،فانعم عليه بالعتق، وامره ان يبلغ شكره الى الشيخ .. وسعى الوالي إلى الشيخ طالبا رضاءه وقبل قدميه ورفض الشيخ ما حمله الوالي إليه من أموال وهدايا .. وكان هذا الشيخ الجليل

اول من لقب من شيوخ الأزهر بـ « شيخ الاسلام الامام » .. !!!

● ●

ونمت مكانة الأزهر فى الحياة العامة ، وكانت كبريات وظائف الدولة يتقلدها شيوخ من الأزهر لم يتخلوا بمناصبهم الرفيعة عن شرف الاستمرار فى التدريس بالأزهر .

كان القضاة الأربعة وقاضي القضاة من الأزهر . كذلك مناصب نواب القضاة ومنصب المحتسب .. وكان لكبار شيوخ الأزهر وأساتذته نفوذهم الكبير الذي يصل في بعض الاحيان إلى التأثير فى تعيين الولاة وعزلهم .

وكان الأزهر موئلا وملاذاً ومسجداً حراماً يلوذ به المضطهدون السياسيون في بلادهم وكانت جماهير الشعب تستجير بعلمائه من كل حيف يقع عليهم من الولاة والحكام .

وعلماء الأزهر وشيوخه هم الذين ولوا « محمد علي » حكم مصر ومكنوه من عرشها بقيادة السيد « عمر مكرم » .

وعلى الرغم من ان « محمد علي » تنكر للازهر وانتزع اوقافه واوقاف المساجد ومواردها ، فقد بقي الأزهر كعادته صامداً يؤدي دوره الحضاري والثقافي والديني .. ولعب ابن الأزهر البار الشيخ «محمد عبده» مع استاذه السيد «جمال الدين الافغاني» دورا مجيداً فى مقاومة الاستعمار وترشيد الفكر الديني .. ومن قلب باريس كانت مجلة «العروة الوثقى» تشعل النار ضد الاستعمار والتخلف والاستبداد وتهيب بالشرق المستعبد ان يستيقظ وينهض .

ويوم قامت الثورة العرابية كان فى طليعة رجالها علماء الأزهر وطلابه ، بل ان « احمد عرابي » نفسه كان ممن تلقوا العلم فى الأزهر المعمور .. وفي ختـــام القرن التاســـع عشر وبداية القرن العشرين تخرج الكثيرون من نوابغ الفكر والصحافة والأدب ـ منهم الشيخ حسن المرصفي ، والشيخ حسن الطويل ،والشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، والشيخ علي يوسف ، والسيد توفيق البكري ، والشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي ، ثم جاء طه حسين ، وأحمد امين ، واحمد حسن الزيات ، وعبد العزيز البشري ، ومصطفى عبد الرازق ، وعلى عبد الرازق ، والشيخ محمد مصطفى المراغي ، وكثيرون من قادة الفكر الاسلامي في المشرق العربي والمغرب العربي والهند .

● ●

وجاءت ثورة ١٩ ، فانتفض الأزهر كعادته سيف الثورة ، وكان المحرض الاكبر عليها .. وكان ملتقى الثوار كل يوم . ومنه كانت تخرج المظاهرات الطامية لتلاقي جنود الاستعمار البريطاني بصدور مفتوحة للرصاص ، وافئدة مشتاقة للشهادة .. !!

وعلى منبره التقى الشيخ والقسيس ، وكان الالوف من طلابه يتقدمون صفوف الثوار ، ويشعلون نار الثورة المقدسة فى القرى والمدن والنجوع .

وحاول الانجليز ان يصنعوا بالأزهر ما صنعه الفرنسيون من قبل ، لكنهم كانوا قد حذقوا الدرس الذي لقنه الأزهر والشعب للغزاة السابقين ، واكتفوا بمحاصرته ومنع الاجتماع فيه ثم ذهبوا إلى شيخه يومذاك الشيخ «ابو الفضل الجيزاوي» وطلبوا منه إغلاقه وتعطيل الدراسة فيه فرفض فى إباء .

● ●

ومضت السنون والأزهر يحتضن بين ذراعيه العلم ، والحرية .. وادخلت عليه التنظيمات الجديدة ليساير موكب التقدم الهادر ، وليظل متمكنا من اداء دوره الحضاري في بث العلم والحفاظ على الدين . حتى جاءت ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ ، فادخلت عليه تطويرا كبيرا وعميما .

وهنا يحق لنا ان نتساءل : هل هذا الذي حدث كان تطويرا ، ام تغييرا .. ؟؟

إن الفارق بين الامرين ، أن التطوير هو إنماء الشيء داخل خصائصه ومكوناته ..

اما التغيير فهو خروج الشيء عن خصائصه ومكوناته .

ونحن إذا اخذنا بالمفهوم المحدود لكلمة الثقافة والعلم قلنا : إن ما حدث كان تغييرا لا تطويرا ، لان الأزهر إنما اعد وهيىء ليصون التراث الاسلامي من عقيدة وشريعة ولغة . وكان هذا يتفق مع تقسيم نشاطه العلمي إلى ثلاث كليات ـ كلية اصول الدين ـ وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربيـــة .

اما إذا اخذنا بالمفهوم الواسع للثقافة والعلم قلنا : إن ما حدث هو تطوير لا تغيير ، لان الأزهر في قديم ايامه نبغ في تدريس كل مجالات الثقافة والعلوم ، ولقد رأينا كيف كانت كل العلوم تدرس فيه من منطق وفلسفة وتاريخ وطب وفلك ـ

فاذا بسط اليوم جناحيه محلقا في آفاق المعرفة كلها . فذلك خير لا ريب فيه .

كل ما ينبغي تحقيقه لكي نظفر بمزايا التطوير دون الجنوح إلى التغيير ان تظل جامعة الأزهر بحيث تستقبل في جميع كلياتها ابناء الأزهر الحقيقيين الذين تلقوا دراستهم الابتدائية والاعدادية والثانوية في المعاهد الازهرية حيث يستطيعون فيما بعد وبعد تخرجهم من الجامعة أن يكونوا بحق خريجي الأزهر الشريف .. ولعل هذا ما اتجهت إليه مشيئة القائمين على الأزهر وجامعته اخيرا .

اما طالب الثانوية العامة ، فبعيد عن طاقته ان يلم بالثقافة الاسلامية والأزهرية مهما نحاول أن نملأ عقله بهذه العلوم فى سنة اعدادية يستقبل بعدها الكلية التى يكون من حظه الدخول فيها .

كما ينبغي أن تزخر جميع كليات الجامعة الأزهرية من هندسة وطب وتجارة وغيرها بالعلوم الدينية واللغوية حتى تكون امتداداً لبعض ، او لاكثر ما تلقوه في المعاهد الازهرية وبذلك يصبح التطوير خيرا وبركة على الأزهر والوطن وابنائهما .

● ●

● ●

وبعد ، فهذه السطور تحية نزجيها لابينا الكبير الأزهر الشريف واهبين كل حجر فى بنائه العريق حبنا وتكريمنا ، داعين له بطول العمر فى خدمة الدين واللغة والعلم .. هاتفين له : أن طبت ، وطاب ممشـــاك ، وتبوأت من العلى أسمى الرتب واشرف المنازل .

وسلام عليك فى الخالديـــن .

خالد محمد خالد

المراجع التاريخية للمقال :

(١) الخطط ـ للمقريزي
(٢) تاريخ الجبرتي
(٣) تاريخ الجامع الأزهر للاستاذ محمد عبد الله عنان

حـــــوار ..

الشمس : « انا امنح ضيائي للجميع ولا اطالب بثمن ، فلماذا لا يقلدني الناس ؟ » .
التراب : لانهم ياكلون ويسكنون بيوتا . وحتى اكفانهم وقبورهم باهظة الأسعار » .

البحر : « من اكبر .. انا أم السماء ؟ » .
النهر : « اسال غيري ، فالصغير يقوّم الصغير ، والكبير يقوّم الكبير » .

الشجرة : « ليتني كنت سائحة غنيـة » .
العصفور : « لو تحققت امنيتك ، فاين ابني عشي ؟ » .

الغيمة : « سـامر امطـاري بألا تهطل فتجوع وتعطـش » .
الغني : « نفذي وعيدك ، فلن اجوع ولن اعطش ، بل ستزداد ثروتي » .

الصقر : « لا احـد مثـلي يعتز بحريته » .
الحمامة : « هـذا كلام لن ينفعك يوم يصيدك مروّض » .

المدفاة : « ما امنيـتك ؟ » .
الشتاء : « ان اقابـل الصيـف » .

الغراب : « لماذا لون العشب اخضر ؟ » .
القط : « لأن اطفالا ركضوا فوقه ضاحكين » .

المطرقة : « لماذا لا تصيح حين اضربك ؟ » .
السندان : « لايحق لي الصياح مادمت وافقت على ان اكون سندانا » .

الثلج : « سئمت لوني الأبيض » .
الليل : « ولكنك لن تجد لونا اخر يليق بك » .

الدجاجة : « اتمنى ان اطير كالنسور » .
الديك : « امتلاكك للاجنحة لن ينقذك من ان تذبحي وتؤكلي » .

النار : « انا مصابة بالزكام » .
الريح : « وانا مصابة بالدوار » .

الأرنب : « ابصرت نمرا يضحك » .
الخروف : « ولماذا لا يضحك مادام واثقا بانه لن يكون فريسـة » .

الطفل : « لماذا تغرد البـلابل ؟ » .
العجوز : « لانها ليست مضطرة إلى ان تشتغل لتاكل » .

الجدار : « ماذا يقول الجـواد حيـن يصهـل ؟ » .
السقف : « يقول : من يصادق سكينا لا ينبغي له التذمر من رؤية الدماء » .

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

زلّة كاتب

فى الأونة الأخيرة ، اصدر ناقد عربي كتابا قارن فيه بين الشنفرى وبين شاعر عربي معاصر مازال حيا ، يتنقل بين العواصم العربية والغربية كانه مندوب شركة لترويج السياحة ، اكلا « الشاورما » و « الفلافل » و « البفتيك » و « الهمبرجر » و « الفول المدمس » ، محتسيا القهـوة والشاي ، منددا بالامبريالية والصهيونية بغير هوادة فى المقاهي والملاهي والمكاتب وكوكتيلات سفارات المعسكرين الشرقي والغربي .

وقد خلصت مقارنة الناقد إلى قرار حاسم صارم هو ان ذلك الشاعر المعاصر كالشنفرى تماماً .

ولما كان القراء العرب يعلمون ان الشنفرى قتل بسيفه مائة من اعدائه ، فقد تساءلوا : «هل قتل ذلك الشاعر المعاصر مائة من اعدائه كالشنفري ؟ » .

ولما كانوا واثقين بان الشاعر المعاصر لا يملك سلاحاً سوى شعره ، فقد تساءلوا ثانية : «هل اراد الناقد ان يقول إن ذلك الشاعر المعاصر قد صرع مائة من اعدائه بشعره لا بسيفه ؟ » .

ولكنهم لما كانوا متاكدين ان اعداء ذلك الشاعر المعاصر وفقا لتصريحاته يجهلون اللغة العربية ، فقد تساءلوا مرة ثالثة : «هل كانت غاية الناقد من المقارنة بين الشنفرى وذلك الشاعر المعاصر هي التنديد خلسة بشعر ذلك الشاعر المعاصر واتهامه خفية بان قراءه هم مائة قارىء فقط وهم ضحاياه التي لم تدفن بعد ؟! » .

حذاء ليلى العثمان



عرفت حكاياتنا الشعبية حذاء أبي القاسم الطنبوري ، والذي احرز شهرة عالمية ، وعرف ادبنا القصصي المعاصر حذاء ليلى العثمان .

في إحدى قصص الكاتبة الكويتية ليلى العثمان رجل يعاني مشكلة طريفة غريبة عويصة ، وهي أن حذاءه يتطاول عليه ويهاجمه وينهال عليه ضربا ، فيالها من نهاية فاجعة محزنة للانسان العربي ، وهي نهاية ليست بالمفتعلة الخيالية ، بل هي صادقة تقول الحقيقة المرة .

إن الانسان العربي الـــذي كـان في الخمسينات بطلا خارقا ، مفعما بالأمل والحماسة ، وحارب بشجاعة وتفان واخلاص ، راغباً في الحرية والتطور ، أرغم على التبدل كنتيجة لتنفيذ مخطط صارم يهدف إلى إبادة كل الصفات الايجابية لهذا الانسان .

ولقد نجح هذا المخطط نجاحا باهراً ، فاليد العزلاء لا تستطيع الانتصار على مائة سيف مشهر ، وبات الانسان العربي عاجزا ، مقيد العقل والقلب ، والواعي الواعي يكتفي بالكلام الساخط فقط ، ولكن الكلام وحده لا يهدم ولا يبني ، فاذا احتقره حذاؤه ، فلا لوم على الحذاء ، فالبيت المفتوح الابواب والنوافذ يغري اللصوص باقتحامه وامتلاكه .

وإذا كان خلاص بطل قصة ليلى العثمان يكمن في ان يمشي حافي القدمين ، فان البشائر كلها تجمع على ان يوم خلاصه قريب ات ، والاسباب قد تبدو انها اقتصادية بحتة ، ولكنها في الحقيقة ليست سوى استمرار لمخطط إبادة كل ما هو ايجابي في الانسان العربي .

الحالمون بالتكريم



اي تكريم ذاك الذي يحق للاديب العربي الأصيل ان يحلم بالظفر به إبان حياته ؟ .

ان تتبارى دور النشر على طبــع ما يكتبه : هــو تــكريم .

ان يقبل القراء على شراء كتبه فلا تدفن في المكتبات : هو تكريم .

ان يعــامله الناس بوصفه صــوتهم ويحظى بحبهم واحترامهم : هو تكريم .

ان يظفر باهتمام النقاد ، فينصف قبل مماته : هو تكريــم .

ولكن التكريم الحقيقي الأروع للكاتب هو ان يتاح له العيش في وطنه حراً ، متحرراً ، لا تكبله اي اصفاد مرئية او خفية فيكتب ما يحلو له وما يشاء ، ولا يضطر إلى ان يصبح في وقت واحد كاتبا يكتب وشرطيا يراقب ما كتبه الكاتب ، فيتحول انذاك الرعد إلى نقيق ضفدع .



بقلم: فتحي رضوان

كانت حركة مصطفى كامل الذى ولد فى ١٤ من اغسطس سنة ١٨٧٤ والذى توفى فى العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ ، والذى أسس الحزب الوطنى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٠٧ ، واصدر جريدة اللواء فى الأسبوع الاول من يناير سنة ١٩٠٠ ، ثم اصدر بعده اللواءين الانجليزى والفرنسى ، واللواء الأسبوعى والشهرى .. كانت هذه الحركة اغنى حركات التحرير والتجديد والنضال خلال القرن العشرين فى مصر بالرجال ذوى المواهب ، فقد ولدت افواجا وراء افواج ، فى عهود بعد عهود من الزعماء والكتاب والشعراء والفقهاء والمترعين والمحامين والثوار .

فمن ابناء هذه الحركة محمد فريد ، خليفة مصطفى كامل ، والقاضي والمحامي والزعيم والصحفي ومؤلف الكتب والمنفي والمشرد المتوفي خارج بلاده فريدا وحيدا مريضا ، ليلهم الاجيال التالية باسمى معاني المقاومة والفداء والعناد .

وولدت بعد ذلك كتابا وصحفيين امثال احمد حلمي ، فامين الرافعي ثم عبد العزيز جاويش .

ولم يكن عبد العزيز جاويش صحفيا ، ولا رئيس تحرير للواء ، بعد وفاة مصطفى كامل فحسب ، بل كان بما كتب ، مثيرا ، يحرض الجماهير على ان تتالب ضد السلطة الغازية والدخيلة التى احتلت مصر في ١٤ من سبتمبر عام ١٨٨٢ ، وقد ادى رسالة التحريض كاحسن ما يفعل قواد الثورات ، ومشعلي نارها ، ومؤججي لهيبها بعبارة مثيرة تتدفق لها الدماء في العروق ، حتى تصعد إلى الرءوس ، فتنزع منها دواعي الخوف والتردد ، فينطلق الناس فى غضب لا يقاوم ، واصرار لا ينثني .

ولكن هذا الكاتب الذي خلف مصطفى كامل ، فرفع لواء الحركة الوطنية إلى اعلى مستوى تصل إليه السواعد الفتية ، كان مصلحا اجتماعيا ، وإماما في الدين ، ومربيا للاجيال ، ومنظما للصفوف ، يهدا فكانه طفل ، يفكر ويدبر فكانه لم يثر احدا ، ولم يحرض على شيء ، فاذا رايته وتاملت تقاطيع وجهه ، راعك جمال هذا الوجه ، وحلاوة قسماته ، وسماحة تعبيره حتى تتشكك في ان لصاحبه صلة بالعراك ، ودورا في الكفاح ، ومساهمة فى مدافعة اعداء الوطن ، المجترئين على مصر ، والعابثين باقدارها ، والمستعدين بالسلاح. وستعرف بعد حين كيف هش عبد العزيز جاويش بعصاه على عدد غير قليل من افذاذ المصريين من الكتاب والمفكرين ، فاخرجهم إلى الناس من المبدعين الباقين ، حسبك ان من ابنائه : طه حسين ، الكاتب ، وعلى الغاياتي ، الشاعر ، وامين الرافعي وعبد الرحمن الرافعى ، الصحفي والمؤرخ .

ومن ثم فنحن نستطيع ان نقول إن الشيخ عبد العزيز جاويش ، راح بين رجالات مصر المؤثرين والمثيرين والرواد ، باكبر نصيب من الظلم والاجحاف . فقد بقي عمرا ، لا يكاد يذكر اسمه حتى تتداعى فى الحال ، ذكريات مقلوبة على وجهها ، ينسب بها الى الشيخ العظيم ، انه المسئول عن الفتنة بين المسلمين والاقباط فى مصر ، وهو من هذا كله براء . ثم ينسب إليه انه لا يحسن إلا الاثارة التى لا تنتج شيئا ، والدعوة التي تهدم ولا تبني ، مع ان الرجل وضع بيده اساس اعمال كثيرة صالحة ، ومهد لدعوات عديدة نافعة .

فقد بقيت عمرا وانا اسمع اسم (عبد العزيز جاويش) وافضل ان انطق لقبه (شاويش) لا (جاويش) بتعطيش الجيم في اول لقبه حتى اصبح شيئا ، وكانت صورته فى ذهني ، صورة رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، جهوري الصوت ، واسع الخطوة ، كثير الحركة ، عريض الاشارة ، لا يكلمك حتى تنتقل إليك منه عدوى قلق يفور داخله ، ولا يهدا قط .

وبقيت هذه الصورة تلازم اسمه عندي ، حتى رايته راى العين في مدينة بني سويف ، حينما دعاه مدير الاقليم ليخطب او يحاضر فى قاعة البلدية ، التى اعدت للخطابة والمحاضرة ، وكان يوم رايته واقفا على باب المبنى ، ومعه الشـاعر علي الجارم ، وكان انذاك مفتشا اول للغة العربية ، ولم يكن قد ذاع له من شعره الغنائي سوى قصيدته (الكافية) التى



غنتها مطربة شابة في مطلع شهرتها ، شغلت عرش الغناء بعد ذلك ، وحفظت الأذهان اسمها (ام كلثوم) ، واقتربت على استحياء من الرجلين ، ووقفت بينهما ، وتاملت طويلا في وجه الشيخ عبد العزيز ، وعدت ادقق في وجهه ، والرجل مشغول عني ، لا يجرحه ولا يضايقه تحديقي فيه ، وخيل إلي انني اخطات إذ حسبت هذا الرجل الهادىء الوسيم السمح ، الأنيق ، الربعة ، هو البطل الذي سنسمعه بعد قليل ، لولا انه كان لجاويش سمت وزي تميز بهما ، وكانت له عمامة ، هي العمامة التركية ، التى كان يلبسها علماء الأتراك في ذلك العهد ، مع (كاكولة) او معطف ، فوق (بنطلونات) او سراويل افرنجية .

واطلت السمع لعلي اظفر بكلمة او عبارة تنحدر من بين شفاه هذا الذي عاش يشعل النار بقلمه ولسانه في كل مكان حل به الاستعمار فى مصر ، وتبادل الرجل مع صاحبه الشاعر كلمات ، بسيطة وهادئة ، خفت بعدها ان يكون الزمن قد اطفا نار هذا الثائر واحاله رمادا . فلما صعدنا إلى حيث قاعة الخطابة ، وقف الثائر القديم وراء منضدة ، واخذ يحدثنا في صوت خافت ، لا نكاد نلتقط منه العاطفة إلا باكبر المشقة ، وقد ادار حديثه يومذاك حول الدعوة إلى الاصلاح ، وما يلاقي فى سبيلها المصلحون من افتراء الخصوم ، خصوم الاصلاح ، لا خصومهم ، وقد تردد اسم الشيخ محمد عبده في هذه المحاضرة كثيرا ، غير ان المحاضر قد اثر ان يسميه (الشيخ عبده) .

وخرجنا من هذا الاجتماع ، ونحن أقرب إلى الشعور بخيبة الأمل ، فلم نظفر برؤية رجل خارج من التاريخ ، شهد المعارك وادارها ، ودخل السجون وكابد اهوالها ، ثم نفى نفسه ، ثم علا مكانه فى عهد الثورة الكمالية ، قبل ان يتحول (كمال) إلى (اتاتورك) ، ثم توالت الشائعات مع الشيخ وحوله ، حتى قيل لنا إن الانجليز حملوا الشيخ فى غواصة من غواصاتهم ، والقوا به عند نقطة من شاطىء الاسكندرية سنة ١٩٢٣ ، لانهم في حاجة إليه ، وإلى قلمه ولسانه ، وصدق بعض المصريين هذا الهراء السخيف ، لأن الدول دالت ، واصبح سعد زغلول زعيم الشعب المصرى ، وقائده ، وملك حبه القلوب ، وكان الشيخ جاويش فى يوم من الأيام ، وعلى وجه التحديد سنة ١٩٠٦ ، من الد اعداء هذا الزعيم الكبير ، فقد اصلاه بنار قلمه ـ وسعد وزير للمعارف ـ فى سلسلة من المقالات عنونت (ظلموك ياسعد) ، فاصبح هذا العنوان مثلا يستعمل في حق كل من ظلم نفسه .

وقبض على الشيخ جاويش في مصر ، بعد ان اجهضت ثورة ١٩١٩ المجيدة ، بسبب النزاع الداخلي ، الذي أحسن الانجليز تدبيره وإحكامه . وكان من حقه بعد طول الجهاد والتشرد والفقر ان يستريح .

قبض عليه بتهمة التامر على الملك فؤاد، متعاونا في هذه المؤامرة مع الخديو عباس حلمي الذي عزل ، وعاش في المنفى فى اوروبا ، لا تنتهي اشواقه إلى عرش مصر ، ولا تنتهي حبائله ومكائده للانجليز ولصنيعتهم السلطان احمد فؤاد ، الذي وضعوه على العرش ، ثم جعلوه بعد تصريح فبراير الذي صدر في ٢٨ من هذا الشهر سنة ١٩٢٢ ، ثم قبض عليه ثانية لما شرع عبد الخالق عبد اللطيف ـ وهو طالب طب ، يلتمس العلم في المانيا ـ في قتل سعد زغلول باشا رئيس الوزراء فى صيف سنة ١٩٢٤ بمحطة مصر ، وهو ذاهب إلى لندن ليفاوض مستر ماكدونالد رئيس

الوزراء . وكان اساس الشبهة ان الشيخ كان يتردد على برلين طوال مدة الحرب العالمية الأولى التى استمرت اربع سنوات من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٨ . وكان للحزب الوطني الذي ينتمي إليه الشيخ ، لجان عديدة في المانيا تضم عددا غير قليل من الشبان المصريين الذين كانوايتعلمون هناك . وقد تبين من التحقيق ان الشبهة لاتقوم على اساس .

ولد الشيخ عبد العزيز جاويش فى بنغازي في ليبيا سنة ١٨٧٢ ، فهو يكبر زعيمه مصطفى كامل بسنتين ، ويصغر خليفة هذا الزعيم ــ أي محمد فريد ــ باربع سنوات ، وقد كان الذائع بيننا ان الشيخ ، تونسي . ولم نعرف انه ليبي إلا حينما ارخ له المؤرخون اخيرا . وقد كانت الصلة بين الاسكندرية وبين اهل المغرب من ليبيين ، وتونسيين ، وجزائريين ، ومراكشيين ، وثيقة . فقد كانت الاسكندرية الميناء العربي الرائج والناجح على طول شاطىء البحر الأبيض ، اي الشاطىء المغربي لهذا البحر ، وقد استوطن الاسكندرية عدد ضخم من المغاربة ، وكونوا عائلات اثرت وساهمت فى التجارة ، ثم بعد ذلك فى مختلف دروب النشاط ، ومن هذه العائلات : القباني ، والتونسي ، وجرانه ، وحدايه ، وغاربو . وقد هاجر والد الشيخ ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إلى الاسكندرية ، واتخذ له فيها متجراً للواردات الليبية . ولما بلغ الصبي عبد العزيز سن الرابعة عشرة ، وكان قد حفظ القران فى احد المكاتب ، بدأ يطلب العلم في جامع الشيخ ابراهيم باشا بالاسكندرية ، وكان التعليم فيه ، ككل التعليم في جميع مساجد مصر الكبرى كمسجد طنطا ، ودسوق ، يجري على نسق التعليم في مصر ، فلما اتم دراسته الابتدائية ، ذهب إلى القاهرة ليجاور في الأزهر ، ولكنه سمع ان مدرسة دار العلوم التي أنشاها علي باشا مبارك ناظر المعارف في عهد الخديو اسماعيل ، تجري امتحاناً لطلبة الأزهر ليطلبوا العلم على نهج اكثر انطباقاً على مقتضيات العصر ، ودخل عبد العزيز هذا الامتحان ونجح فيه مع ستة عشر طالبا كان اكثرهم من النابهين الذين تركوا اثارا عظيمة فى مجال اللغة العربية ، والنهوض بها والمساهمة فى ترويج الحركة الأدبية والارتفاع بمستواها . وقد كان من زملاء الشاب عبد العزيز في هذه المرحلة الشاعر محمد عبد المطلب فوصفه بقوله :

« لم يمض نحو شهر على هذا الفتى حتى اصبح روح اخوانه وريحانهم ، وقرة كل عين ، وانس كل نفس ، وقرارة كل فضيلة وخلق كريم ، وكان يزيد عظمة فى انفسهم ، انه كان جامعا لكثير من الكفايات التى نعدها كالصفات المتقابلة . بينما هو معدود بيننا من النابغين فى العلوم الكونية كالطبيعة والفلك ، او تراه من خير الاكفاء فى علوم الدين كلها ، ومع هذه الكفايات الكثيرة ، كان كوكب اضواء إخوانه فى الناحية الأدبية ، فهو شاعر الفرقة المطبوع ، وكاتبها الضليع ، ومن عادة المدرسة ان يكون لكل فرقة زعيم فى الأدب له الصدارة عنها فى مواقف القول ، ومحافل البيان ، فكان الاستاذ عبد العزيز زعيم إخوانه فى هذا الميدان » .

وهذه الشهادة المبكرة تدل على ان المستقبل الذي كان ينتظر الشاب عبد العزيز ، متعدد الدروب والسبل ، ومن ثم فان محنة الاختيار ، وهي ليست بالمحنة الصغيرة ، كانت اول ما واجهه ، وهو يفكر في كيف يصوغ مستقبله . فالشاب الذي لا تكون له إلا شعبة واحدة من المواهب ، يسلك السبيل الذي تؤدي إليه هذه الشعبة ، فيكون مهندسا او طبيبا او مدرساً او خطيبا . اما إذا كان في وسعه ان يبرز فى اكثر من مجال كان يكون مربيا ، او مفكرا او زعيما لاخوانه او مدير اعمال ، فان اختياره هو الذي يحدد مستقبله . وقد يحمله هذا المستقبل العناء ، او يكبده المشقة والحرمان ، وقد يدفع به إلى مراقي النجاح السريع او الثروة العظيمة او الجاه العريض .

وقد بدأ عبد العزيزبدور المربي والمفكر ، إذ لم يكد يتخرج في دار العلوم سنة ١٨٩٧ حتى عين مدرساً للغة العربية بمدرسة الزراعة ، ولكن عمله لم يطل ، إذ ما لبث حتى وقع عليه اختيار الوزارة ليكون مبعوثها إلى جامعة (برورود) في لندن وهي جامعة اعدت لتخريج رجال التربية ، فدرس فيها الآداب والتربية ، وبهذا كان الشاب عبد العزيز واحداً من الأزهريين القلائل الذين طلبوا العلم فى أوربا ، فاتقنوا لغة اجنبية اعانتهم على الاتصال بالأدب الغربي ، وتذوق اثاره ، والتعرف على مناهجه والوقوف على دنيا جديدة من الفكر. والحق ان هذا الاختيار ، أهله ليقوم بالدور الضخم الذي اداه بعد ذلك ، كاتبا تقرؤه



الالوف كل يوم وتتاثر به ، وتهتدي بخطاه ، وزعيما يقود ابناء شعبه ، إلى ميادين الكفاح والنضال ، وإماما يرفض الجمود فى دينه ، ويطور اساليب تجديده . وقد اصدر فى هذه المرحلة كتابين هما « غنيـــــة المؤذنين» ، وثانيهما «مرشد المترجم» ، وهذا التاليف المبكر ، يشير إلى صفات نمت في الشيخ الشاب بعد ذلك ، ونفخت على نار التجارب . فقد الف في الفرعين الذين اتقنهما في لندن ، وهما أصول التربية الحديثة ، وثانيهما قواعد الترجمة الى العربيــــة . وكان الفـــرعان عظيمي الخطر في هذه المرحلة من حياة مصر . فقد كانت في أشد الحاجة الى مئات المعاهد التى تخرج المربين ، إذ كان يعوزها الجيش اللازم لاعداد الالوف من ابنائها إعدادا صحيحا ، وكانت في أشد الحاجة ايضا إلى تخريج جيش اخر من المترجمين الذين ينقلون إلى العربية الاف الكتب فى الأدب والتاريخ والقانون والطبيعة والجغرافيا ، وكان المطلوب ان تجرى ترجمة هذه المصادر على الوجه السليم ، الذي يحيط النص الاجنبي ، وفي الوقت نفسه ينقله واضحا إلى لغة العرب .

وكان التاليف نفسه ، بواعز من عقل الشاب وقلبه ، دليلا على حيويته وصحته ، وشعوره العميق بما تحتاجه البلاد ، ورغبته فى الاخذ بيدها ، بلا اهمال ولا إبطاء . وهذه استجابة لا تكون إلا لمن طبع على حب بلده من جهة ، والمبادرة بتنفيذ ما يجيش في صدره من امـــال .

وعبد العزيز جاويش في هذه المرحلة كان امتدادا لرواد الثقافة والتعليم والتربية امثال على مبارك ، ورفاعة الطهطاوي ، وعبد الله فكري .

وقد اعانه على ان يؤدي هذا الدور ، انه عرف من انظمة التعليم ومناهجه ، وهو بعد فى مقتبل العمر ، عددا غير قليل ، لكل منها طابعــه المميز . عرف الكتاب ، ومعهد المسجد ، والأسلوب الأزهري القديم بقدمه ، والاسلوب الازهرى المطعم باساليب جديدة ، فى دار العلوم ، ثم عرف اساليب التربية الحديثة فى عاصمة الغرب ، لندن ، ومن ثم فان عقلية عبد العزيز جاويش ، ومحصوله الثقافى ، تنوع ، وكان يزيد فى ترامي افاقه ، وبعد اعماقه ، اتقاد وجدانه، وقوة شخصيته ، واتساع طموحه ، ثم توج هذا كله باختيار جامعة كمبردج في لندن ، للشيخ عبد العزيز جاويش ، ليكون مدرسا للغة العربية بها ، وكان هذا التعيين بتوصية من المستشرق الكبير ، مرجليرت ، الذي لابد ان يكون قد عرفه إبان تحصيله للعلم فى جامعة (برورود) .

وبالعمل في جامعة كمبردج . الشيخ الذي كان لا يزال شابا ، عرف امورا غاية في الاهمية والخطر ، اولها جانب اخر من الحياة الجامعية ، التي هي ركن ركين من الحياة الاوربية . فالجامعة فى الدول الغربية هي مصنع العقول والنفوس ، وهي تؤثر في شئون السياسة والحرب ، وفي شئون الصناعة والاقتصاد ، وقد عرف جاويش الجامعة طالبا ، وهو بهذه المعرفة، ازداد اتصالا بالحياة الغربية ، وباساليب الأوربيين فى البحث والمناقشة ، وتصنيف المعرفة عن الصـــلات بين الاساتذة والتلاميذ ، واهمية المكتبة ، إلى اخر هذا العالم الزاخر . والان عرف الشيخ الشاب دنيا الجامعات فى جانب اخر منها ، هو جانب الاستاذية ، فجالس الأساتذة ، وسمعهم وناقشهم ورد عليهم وقرا كتبهم ،

وابدى رايه فيما يقولون ، وسالوه عن الاسلام وتاريخه ، وعما يشكو منه المسلمون ، وعما يطمحون إليه ، ويفكرون

به ، فكانما يصنع جاويش من جديد ، ويزود باسلحة جديدة ، وتكشف له عوالم لا عهد له بها .

وزاد اتصال الشيخ بالحياة السياسية تماما ، كما حدث لشيخ اخر سبقه إلى السفر إلى اوروبا ، وهو الشيخ رفاعة الطهطاوي ، ولو اتيح للشيخ ان يؤلف كتابا عن مشاهداته فى بريطانيا بعامة وفي لندن بخاصة لنافس كتابه كتاب سلفه الشيخ رفاعه ، فقد كان له قلم معبر ، ولديه عقل يحفظ الوقائع والذكريات ، ويستخلص العبر والعظات ، ويقارن بين انظمة اهل الغرب وانظمة اهل الشرق ، ولكن السياسة استغرقت الشيخ جاويش ، والكفاح السياسى استبد بنشاطه ، ووقته وحيويته ،

فخسرنا كتابا ككتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ، وإن عوضنا عن هذه الخسارة ، بقائد سياسي وكاتب مقاتل من الطراز الاول .

واستمر دور المفكر والعالم ، يستاثر بنشاط الشيخ عبد العزيز جاويش ، حتى عقد مؤتمر المستشرقين فى الجزائر سنة ١٩٠٥ ، وقد حضر هذا المؤتمر محمد فريد ،

ساعد مصطفى كامل الايمن ، وكان حضوره فيه سمة حزب مصطفى كامل الوطني . فلم يكن مالوفا بين المستظلين بالسياسة

الحزبية فى مصر ، ان يجدوا من الوقت ،

ومن الجهد ، ما يصرفونه للشئون الثقافية ،

إلا مصطفى كامل وانصاره واعوانه ، فقد كانوا شديدي الاهتمام بكل ما تصدره المطابع فى مصر وفى اوربا من كتب وصحف ودوريات . وكانوا يؤلفون الكتب ويترجمونها ويعلقون عليها ، ولذلك سافر محمد فريد إلى مؤتمر المستشرقين في الجزائر ، وهناك لقي الشيخ عبد العزيز ،

وكان انذاك موظفا من موظفي وزارة المعارف وقد لفت نظر محمد فريد إليه انه وقف يرد على المستشرق الالماني (دلفروسى) الذي القى بحثا قال فيه إن القران كان اول كتاب عربي وضع باللغة العامية لعرب ما قبل الاسلام . فكان رد الشيخ قائما على العلم بتاريخ اللغة وبتاريخ الدين معا ، وكان فوق ذلك متمكنا إلى اقصى الغاية باللغة الانجليزية ، وكان شديد الغيرة على لغة قومه ودينهم . فعرض محمد فريد على الشيخ جاويش ان يعرفه بالزعيم مصطفى كامل ، وكان انذاك فى رحلة عمل إلى لندن ، فقبل الشيخ هذا العرض وسافر الى لندن ، وتعرف على الزعيم الشاب مصطفى كامل ، فكان هذا اللقاء بداية دور جديد فى حياة الشيخ .

نتحدث عنه في الحلقة التالية من هذا الحديث باذن اللـــه .

فتحي رضوان

الإنسان رقم ١٤٧٠ !

بقلم : عبد الله الجفري

لابد أن يعيد الانسان النظر فى كثير من السباب والشتائم التى اخترعها ، وركبها على صفات مشابهة للحيوانات ، ورمى بها كل واحد لايروقه . او يضايقه .

مطلوب ان يصغى الانسان جيدا . وباهتمام إلى أصواته الداخلية التى تتجمع نتيجة احتكاك الشرارات الحارقة فى نفسيته ، وان يكون هذا الاصغاء من اجل تحسين اسلوب « التربية » فى السلوك الاجتماعى ، وللتصرف الاخلاقى مع الآخرين ، وحتى مع نفسه ايضا !!

وهذا المطلوب ياتى اليوم ملحا بعد مرور سنوات طويلة جدا على انتشار نظرية « داروين » التى زعم فيها : ان الانسان والقرد من سلالة واحدة ، وان هناك حلقة مفقودة او غير معروفة ، وجعل علماء « الانثروبولوجيا » ـ علم الانسان ـ يكتشفون الاسئلة المدببة ضد الانسان .. هذا المخلوق الذى كرمه الله بنعمة العقل ، والمنطق والفهم !!

ويأتى هذا المطلوب أيضا ... فى أعقاب اكتشاف اعلنت عنه الصحف البريطانية ، قبل أعوام واسمه : (الانسان رقم ١٤٧٠) وقد أعلن عن هذا الاكتشاف عالم يسمى « دكتور ليكى » مدير المتحف الوطنى فى كينيا الذى يتكلم اللغة المحلية للقبائل هناك . ويقول التلخيص الذى نشر يومها :

● « ان هذا الدكتور استمر فى اعماله الحفرية مدة تقارب ٢٨ عاما قبل أن يصل الى أكتشافه الهام ... وقد أثار به خلافا علميا حادا لم يحسم حتى اليوم ، وكان الاكتشاف عبارة عن جمجمة الانسان اسماه ـ هو موهابليس ـ اى الرجل اليدوي . اما الرقم الذى وضعه الدكتور على الاكتشاف فهو الذى اعطى للجمجمة والعظام فى المتحف الوطنى الكينى . ومن اهم ما يميز الانسان (١٤٧٠) ان شكل الجمجمة والأسنان وعظام الساق يشير إشارة واضحة إلى ملامحه وكيفية سيره .. لأن زاوية ارتباط العمود الفقرى بقاع الجمجمة يؤكد انه كان قادرا على المشى مثلنا . وأهم من ذلك انه لا يوجد اي دليل على ان هذا المخلوق كانت له صفات الوحش المعتدي مما يثبت خطأ النظريات الاجتماعية التى بنيت على آراء داروين من أن الصفات العدائية فى الانسان ترجع الى أجداده القرود » !!

وهذه المقدمة الطويلة ... وضعتها مدخلا لنقاش اعرف انه ربما كان قديما جدا ، وانه « سفسطائى » فى اعتبار آخر . ولكن محاولات ، او « مناورات » العلماء مع الانسان ، واصله ، وحقيقته ... لم تتوقف لو انها سوف لن تتوقف ... بحثا عن « موضوع » يطرحونه بين الفينة والاخرى ليضاف الى الضجة الكبرى الملموسة فى العالم ، والى الهرطقات التى يستغلها المشككون فى الخليقة ، وفى بناء الكون ، ويأخذون الفكر الانسانى الى مزيد من المتاهات والاضطرابات الذهنية !

ولقد استمزجت ان اجعل خبر هذا الاكتشاف بمثابة « جرس » كما الجرس المستخدم فى المدارس يعلن انتهاء « حصة » دراسية ، او بدء اخرى ، . وان اربط هذا الخبر ايضا بالآراء والشواهد التى طرحها « انيس منصور » فى كتابه « الخبز والقبلات » وقد قال المؤلف فى مقدمة الكتاب هذه الكلمات :

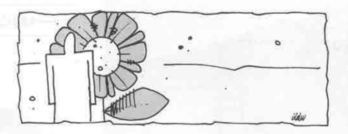
ـ « هذا الكتاب يغريك بان تنظر باحترام الى كثير من الحيوانات فليست هذه الحيوانات الا بشرا بلا حياء ، وبلا كذب ، ولذلك يخجل الانسان ان يراها او يحن الى رؤيتها ، ولكنه لايستطيع ان يغمض عينيه عنها ، وكلنا حيوانات عند الخبز والقبلات » !!

ولابد أن نستحضر عبارة اخرى نجعلها جسرا لانطلاق حوار عن حكاية الانسان وحيوانيته ، والحيوان ، وتشبيه الانسان به .. والعبارة تقول : « الناس يقولون أن الانسان القوى يأكل الضعيف . إنها غلبة .. الوحش الكبير يبتلع الوحش الصغير » !

والانسان غلب مع نفسه . ومع تصرفاته .. فاصابه القلق ، والفزع ، والملل ايضا .. فهو تارة ينتقد تصرفاته ، وتارة اخرى يمتدح سلوك الحيوانات ليجعل هذا المديح لها صدمة كهربائية لسلوكه .. فانت تسمع حكايات الوفاء عن الكلب ، وحكايات « الجنتلمان » عن الأسد ، وحكايات الغدر والمقت عن الذئب !

وانيس منصور فى كتابه الاخير يقول لك :

« بعض العلماء يرى انه لاداعى لان نبحث عن اصل الانسان ، وانما أن نتجه اليه هو ، فهو عقدة العقد ، وان نستعين بالحيوانات الاخرى على فهمه ، ففى داخل الانسان كل ما حوله من حيوانات اخرى . فهو ثعلب عند اللزوم ، وهو ذئب ، وهو



ثعبان ، وهو حمامة سلام » !

فالانسان مرتهن في حياته بحاجتين ضروريتين : الخبز والقبلات ، فهو يبحث عن الطعام دائما ليشبع ، وهو يتزوج ليترك بعده ذرية تحيي اسمه .

ولكن .. لم يكن هذا هو « كل » الانسان فهناك عبر التاريخ : المبادىء والقيم ، والكفاح ، والموت فى سبيل العقيدة ، والهدف ، والشرف ، والكرامة .. بمعنى ان الانسان قد وعى حقيقته فى الوجود ، وان الله سبحانه وتعالى قد اختصه بميزات فريدة تشرفه ، وتعلو به عن مستوى الحيوانية ، وان النظريات التى جاءت بعد ذلك ، والتى تربط الانسان بالقرد ، او بالحيوان لاتقوى على الصمود ، وعلى اثبات نفسها .

واذكر اننى طرحت سؤالا على « انيس منصور » فى إحدى زياراته التى قام بها الى بلادنا عام ١٣٩٠ ، وكان السؤال يقول : كتبت عن الحضارات المندثرة ، فاى حضارة فى نظرك عاشت لتمد الحضارات بعدها ؟!

وقد اجاب يومها بتفصيل ، وبخلفيات عديدة ، ومما قاله فى سياق شواهده وحديثه عن الانسان هذه الفقرة :

ـ « لا استبعد أن يكون قد تم فى عصور سحيقة هجرات من كوكب الى كواكب اخرى ، فهذه النظرية ، او هذا التفسير الذى اهتديت اليه ، واحاول ان اجد له سندا من التاريخ ، ومن الاثار ، ومن الاديان ايضا .. ليس إلا محاولة هنا لتاكيد الكثير من المعانى الدينية التى وردت فى الكتب المقدسة ، وانفى بذلك ما يقال عن ان الانسان اصله قرد ... هذا التفسير الجديد الذى احاول ان انشره يؤكد ان الانسان اصله انسان وليس قردا ، وان هناك كائنات اخرى اكثر عقلا فى ملايين الملايين من الكواكب التى تصلح للحياة » !!

ثم اصدر « انيس منصور » بعد ذلك كتابه المشهور « الذين هبطوا من السماء » واثبت فيه اصالة الانسان !

اما ان الانسان اصله قرد .. واما ان الانسان ما زال اصله ، ونشوءه من الحقائق المجهولة ، والتى يجرى وراءها العلماء والباحثون ... فكل ذلك ينطوي تحت معنى التجديف ، والتشكيك ، والضياع التاريخى والنفسى ، والروحى » .. انتهى .

ولو عاد الباحثون ، والعلماء الى القران الكريم ... لوجدوا المعرفة الكاملة عن قصة الانسان ، وخلقه ، واصله ، ومعدنه ... توضيحا ، وتفسيرا ، وعلما لايتعارض مطلقا مع « العلم الحديث » ، وانما هو يحسنه ويضيف اليه رؤية صادقة تزرع الايمان فى النفس الانسانية .

ومن القران الكريم ... هذه الآية الجامعة المعلمة ... فى سورة « المؤمنون » ... فى قوله تعالى :

● (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر ، فتبارك الله احسن الخالقين) صدق الله العظيم .

فى هذه الآية ... استعراض للمراحل التى يبدأ منها الانسان ، ويتكون ، ويتجسد وينشا على هذه الصورة الآدمية ، وهذه المراحل لاتتعارض مع العلم .. فهى غنية بالاقناع ، وحافلة بالأدلة التى تدحض كل تخريف ، وتجديف !!

أما ان الانسان اصله قرد .. فهذه اهانة لكرامة الانسان ، ودوره فى الحياة ، فليس فى القران الكريم ما يشير الى ان الانسان فى اصله كان قردا وتطور الى إنسان ، والقران الكريم عز الانسان ، وشرفه ، ورفعه الى مستوى الانسانية والكرامة ، ففى سورة الاسراء ـ اية ٧٠ ـ قال جل جلاله :

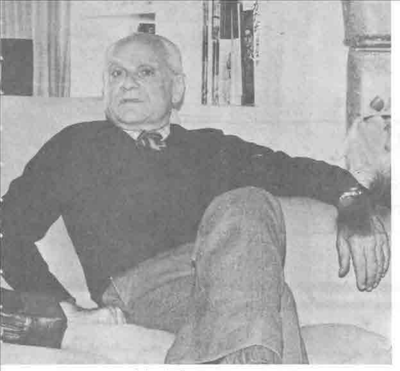
● « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » صدق الله العظيم .

والشيء المضحك ، والسادر فى السخرية ، والاستهانة بكرامة الانسان ... لن يكون هذا المخلوق الكريم « المفضل » على سائر المخلوقات رقما من الأرقام ... فى تجربة ، او محاولة لاكتشاف عقيم ، ودجلى

وحقا ... لقد خلص الانسان من الضحك على كل شيء في حياته .. وبقى الآن ان يسخر من نفسه ، ويضحك منها وعليها ، ويبالغ فى الوقاحه ... فيسخر العلم ، ويسخر المنطق ، ويسخر مقوماته الانسانية ... فيضطهد بذلك قيمه ، ومبادئه ، وروحه وكرامتـــــه !!

ولابد ـ فى النهاية ـ ان التفت الى الخواجة « ليكى » فاقول له : تعازينا !!

عبد الله الجفري ـ جـــدة



أديب إيطاليا المرموق ألبرتو مورافيا .

مفيد فوزي

يكتب من روما



مفيد فوزي



مع أديب إيطاليا المرموق : ألبرتو مورافيا

- لا يوجد إنسان سيء .. هنالك مواقف سيئة
- السينما لم تصنع شهرتي ، كتبي وحدها صنعتني
- المرأة عندي قيمة ، إنها التواصل والترابط
- قرأت لتوفيق الحكيم «يوميات نائب في الأرياف»
- الفاشية من أقسى تجارب حياتي

ولد فى روما ، واحبها كبطلات رواياته . وعندما قيل له فى السنوات الاخيرة « لقد اصبحت روما (مسرح العنف والمافيا والالوية الحمراء) فلماذا تتمسك بالبقاء فيها ؟ » قال البرتو بينكرلى ، وشـــهرته « البرتو مورافيا » :

ـ « الذى ينفصل عن جذوره يصبح هشا ، واقل نسمه ريح تقتلعه من ارضه . لقد ولدت فى العاصمة الايطالية عام ١٩٠٧ ، واظن انى ساموت فى روما .. وسوف ادفن تحت تراب روما . وروما مدينة صديقة حميمة لها عندى موقع اثير . وعندمـــا اسافر خارج ايطاليا ، اشتاق لكل تمثال من تماثيلها التى يخيل للرائى انها تماثيل لها سواعد وأذرع تصافح البشر وتعانقهم ! » .

●

حين احاور فنانا كبيرا او اديبا مرموقا ، تعودت أن اعرف عنه الكثير قبل ان التقى به . ذهبت الى مورافيا ومعى « مفاتيح » الحوار !

مثلا : عرفت انه مولـــــود من اسرة متواضعة ميسورة الحال !

مثلا : عرفت انه اصيب بمرض درن العظام وعمره ٩ سنوات واضطر الى وقف نشاطه حتى بلوغه سن السابعة عشرة .. واخذ يواصل العلاج بصفة مستمرة ودون انقطاع . ودخل الصبى مورافيا عدة مصحات !

مثلا : عرفت انه كتب من داخل احـــدى المستشفيات ـ اثناء العلاج ـ قصـــــتة « اللامبالون » !

مثلا : عرفت انه اديب ، اعطته السينما الايطالية نجاحا ساحقا ، ولولا السينما لظل اديبا ايطاليا تمتد شهرته عبر المدن الايطالية فقط !

مثلا : عرفت أن أول اسفاره كانت فى الولايات المتحدة ، ومنها سافر الى الصين .

مثلا : عرفت انه اضـــــطر خـــلال فترة الاحتلال الالمانى الى الهروب الى بلدة « فوندى » فى ايطاليا ، وبعد الحرب ذاعت شهرته وبرزت اهميته وقيمته فى مجـــال الكتابة على المستوى الدولى .

مثلا : عرفت انه مدير تحرير مجـــلة « نوفى ارجومنتى » اى « الموضــــوعات الجديدة » .

●

البرتو مورافيا ، كاتب ايطالى له سمعة عالمية .

●

مورافيا ـ حين رأيته ـ احسست باكثر من انطباع ! الأول انه مازال نشيطا وقادرا على وقف « زحف السنين » ! الانطباع الثانى ، انه يهتم بالحوار مع اى كاتب عربى لانـــه يعرف أنه واحد من الادباء العالميين المرموقين فى .. الوطن العربى . الانطباع الثالث انه يعتز بايطاليته ، لدرجة انى صحبت معى « مترجمة » تعمل فى سفارة مصر بروما كانت تتولى الترجمة إلى الانجليزية ! الانطباع الرابع ، ان مورافيـــا يتقلص فى اجاباته إلى درجة الصمت اذا شعر ان محدثه لم يقرا له شيئا ولا يعرف كنه ادبه ، بل ويرفض الحديث اذا احس ان محاوره لا يعرف عن مورافيا سوى افلام السينما التى جسدت رواياته بالصورة !!

ومورافيا ـ للعلم ـ يحب الحوار . ويستمتع بالصدمة فى النقاش ، ويكره الفتور ! ربما كان هذا « المفتاح » لشخصية مورافيا هو الذى اغرانى أن اقول له :

ـ لقد كنت فى زيارة لأديب ايطالى ناقد هو « روندى » . وسمعته يقول لى ان الفكر الايطالى الآن ، يمثله مخرجو السينما وعلى راسهم فيلليني . وانا لا اعرف هل هذه حقيقة أم انه راى بولغ فى تقديره من جانب ناقد ؟!

صمت مورافيا ، وهذه عادته حين يستعد للاجابة عن سؤال لم يتوقعه . وقال

ـ اعترف لك اننى قد فوجئت برأى السيد روندى ، واعترف لك ايضا ان هذا الراى هو اجتهاد شخصى ، ولكنى ارى ان الفكر الادبى فى ايدى القراء . اما المخرجون فتعبيرهم بالصور والمشاهد !

قلت للأديب الايطالى : ولكنك لم تحدد من يمثل « الفكر الأدبى الايطالى » ؟

قال بسرعة : الصفوة الايطالية هم كتابها وادباؤها فقط . اما المخرجون فهم يترجمون ما نكتبه الى صور . ولست اقلل ـ بالمناسبة ـ من شـــــان المخرجين والسينمائيين فلاشك انهم وجه من وجوه الفكر الايطالى ولكنهم ليسوا بالضرورة : الفكر الايطالى !

سالت مورافيا ، قبل ان انتقل إلى نقطة حوار اخرى عن المخـــرج الذى كان له فضل نقل الحياة من رواياته الى الشاشة بنفس عذوبة السرد بالكلمة ؟!

قال مورافيا : انه ليس مخرجـــــا ايطاليا (!) وصمت ..

فلما صمت مورافيا .. عدت اســـــاله « لا يهمنى هويته . يهمنى من هو ، ولم ؟! »

قال : إنه المخرج الاسبانى « لويس بنويل » وهو أهم مخرجى اسبانيا بل اوربا ويأتى بعده ولاشك فيلليني ثم انطونيونى وجاك لوك مخرج روايتى « الاحتقـــار » و « الملل » . ولا انسى فيتوريو دى سيكا مخرج « امراة من روما » . وهنـــــاك «اللامبالون» التى اخرجها مازيلى .. ولكل واحد من هؤلاء طعم خاص ومذاق فكرى خاص ، ولكن كما قلت لك ، يقف على راسهم الاسبانى بنويل !



بيت مورافيا .. فى روما، إنــه يعيش فوق ربــــوة !

قلت لمورافيا : لقد صنعت السينما شهرتك يا سيدى ؟!

قال بسرعة وبغضب : لقد صنعت للسينما مذاقا ايطاليا ، وجوا ايطاليا .. واخرجت سينما ايطاليا للعالم برواياتى . لا يوجد أديب صنعت السينما شهرته . لا يصنع شهرة الاديب سوى كتبه ومؤلفاته .. وأعماله .

مورافيا والسينما ، موضوع شيق ، يغرى باكثر من سؤال !

قلت لمورافيا :

ـ هناك خلاف دائم بين « الـــــروائى » و « المخرج » حين ينقل له احد اعماله الأدبية الى الشاشة . الروائى يقول انه صاحب الكلمة فى العمل . والمخرج يقول انه مدير « العرض » ما موقفك وقد شبعت السينما من مائدتك الادبية ؟!

قال مورافيا : المخرج ، صاحب رؤية والا ما الداعى إلى وجوده . انا لا اطلب الصدق الحرفى . لكنى أطلب المستوى العالى فى التقديم .

قلت لمورافيا : عندى إحساس ، أريد أن اصاوحك به . إن السينما تاخذ من جهدك الكثير هل فقدت الثقة بالقارىء ، وصرت

مع أديب إيطاليا المرموق :



تعتمد على « المشاهد » ، مع انهم يقولون ان السينما من ثقافة الاستهلاك ؟

قال مورافيا : السينما ليست عدوا للثقافة . السينما الرخيصة تعادى الثقافة لقد كتبت مرة مقالا قلت فيه ان السينما فن فيه القليل من الاصالة الفنية . انني أرى الثقافة فى السينما ربما اكثر مما اراها فى المسرح مثلا .

قلت لمورافيا : قرات لك مرة قولا ترى فيه ان « احاديث الكاتب الصحفية جزء مكمل لشخصيته » . هل هذا صحيح أم نسب إليك ؟ .

قال الكاتب الايطالى : هذا صحيح . انا اعتقد ان احاديثى هى « صوتى » وهى جزء مكمل لفنى وعطائى . ولن يفهمنى بالطبع سوى قارىء رواياتى !

●

قلت لمورافيا : ما قصة المراة معك ؟ لقد رايت كتابك الذى خصصت فيه حوارا طويلا مذهلا مع كلوديا كاردينالى . إنك معجب بالمراة الايطالية . اليس كذلك ؟

قال أديب ايطاليا الكبير : المراة تشكل جزءا هاما فى اى مجتمع . ليس فى ايطاليا فقط بل فى العالم اجمع . ورغم ذلك فالمراة ـ لأسباب تاريخية ـ فى موقف أقل من موقف الرجل . ولقد اختلف العالم الآن تماما . إن المراة « تعمل مع » الرجل وربما لاتتساوى معه فى الاجر والفرص . لقد كانت اخر رواياتى « حياة اخرى » صرخة احتجاج على لسان امراة معاصرة .

سالت مورافيا : وزواجك ...

قال قبل أن استطرد : تزوجت مرتين . الأولى من الكاتبة الايطاليــــة المعــروفة « الزا مورانتى » من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٦١ ، والثانية زوجتى الحالية الكاتبة « داتشا مارابينى » منذ عام ١٩٦١ .

قلت : هل تؤمن بزواج المهنة الواحدة . هل تؤمن بنجاحه ؟

قال مورافيا : اؤمن بزواج العقول والقلوب ، ولا دخل للمهنة . فالزواج تجربة انسانية بين رجل وامراة . وبقدر اقترابهما العاطفى والعقلى ، ينجحان . وبقدر بعد المسافة بينهما ، يفشلان !

سالته بالمناسبة كيف تعرفت على زوجتك داتشا ؟

قال : هذه أمور خاصة . ولكن منذ متى يكف الصحفى عن الدخول فى قناة الامور الخاصة ؟ لقد تعرفت على زوجتى بعد طلاقى من الكاتبة « الزا مورانتى » . إن داتشا اديبة وشاعرة وصحفية مرموقة بجانب أنها مخرجة سينمائية ، وقد أعجبنى من افلامها « الحب عن طريق الزوجة » ولها مسلسل تليفزيونى هام بعنوان « المراة الافريقية » .

قلت لمورافيا : وانا قادم لأراك ، عرفت من « صديقة صحفية ايطالية » زارت مصر ، أن زوجتك لها نشاط نسائى .

قال مورافيا : داتشا مارابينى من رائدات الحركة النسائية الايطالية ..

قلت لمورافيا : ما الذى صنع مورافيا ؟

ضحك وقال : صنعنى عاملان ! أولهما : جهدى . وثانيهما الجمهور الذى تذوق جهدى وانا مدين بنجاحى لاثنين : مدين لجهدى ، ومدين لجمهور عريض اعطى جهدى اهتماما بلا حدود . منذ سن الثالثة عشرة قررت القراءة المستمرة . إن الروائى الذى يكتب هو قارىء جيد متامل . إن الآداب هى « بنت الذاكرة » كما يقول اليونانيون . اننى اكتب فى الصباح وأمارس حياتى بعد الظهر ، وفى المساء ، اتامل الدنيا والبشر والكائنات . هذا تقليد سرت عليه ، فيما عدا أيام مرضى !

قلت لمورافيا : لمن قرات من الكتاب العرب ؟

قال : قرات لتوفيق الحكيم (يوميات نائب فى الأرياف) .

سالته : بم شعرت وانت تقرا الحكيم ؟

قال : شعرت بصدق العمل الفنى ..

قلت : يا سيدى ، يقولون فى ايطاليا انك كاتب متناقض مع نفسك ، وانك لا تعبر عن ايدلوجية معينة او تيـــــار فكرى ما .. ما قولك ؟

قال مورافيا : ربما كان هذا حقيقيا ، ولكن لماذا لا يجب أن أكون متناقضا مع نفسى !

قلت لمورافيا : موقفك من السياسة ، لا أعرفه . هل للأديب موقف سياسى ؟

قال أديب ايطاليا : لقد اطلقت على

● أطلقت على كتاباتي السياسية : عمل بلا رغبة

● أخاف من الملل ولا أحلم بشيء .. وأصبحت عجوزًا

● الكاتب يكتب ماحدث وليس ماسوف يحدث

● أنا لا أطلب الصدق الحرفي في نقل أعمالي للشاشة

كتاباتي السياسية عنوان « عمل بلا رغبة » فهل هذا واضح لك ؟!!

قلت : مم تخاف ؟

قال : اخاف من الملل . انا لا احلم بشيء محدد . لقد أصبحت عجوزا بالفعل !

قلت : هل تشعر وانت فى مرحلة الشيخوخة ، ان هناك جيلا أدبيا ثانيا فى ايطاليا ؟

قال مورافيا باختصار : من ينكر الشمس ؟!

قلت : هل تعانى من الفراغ ؟

قال : ليس عندى وقت فراغ . اننى دائما مع كتاب جيد او فيلم جيد او مسرحية اخذتنى ، أو فكرة تطاردنى !

قلت : حدثنى عن عالمك الذى تكتب منه ينابيعك . ارضك الفكرية ؟

قال مورافيا : ليست هناك ينابيع الا ايطاليا . كل حصاة على ارض ايطاليا ، ينبوع لي . يجب أن تعرف الأشياء لتكتب فلا يأتى فكرنا من فراغ ! القصاصون جميعا يبدأون من تجربة عميقة ، ولكنهم يصارعون الاوضاع ويخترعون الشخصيات . لقد ادهشتنى ترجمة « امرأة من روما » الى العربية ، لأن فيها خاصية تجربتى مع الحرب . أنا الذى اخترعت المرأة ، واخترعت الأوضاع ! هناك احيانا بعض الاستثناءات من هذه القاعدة . « بروست » مثلا يحكى الحكاية دون اضافة لأنه يريد أن يعطيك مدلولا تدركه كقارىء . و « ستاندال » على سبيل المثال ، يتحدث عن تجربة الحرب وعن الصالونات ولكنه يخترع كل الشخصيات ، اما انا فاننى اعكس من نفسى على النساء . على كل الشخصيات النسائية ، لأنى اعتقد أن كل الرجال هم نساء قليلا . وكل النساء هن رجال قليلا . اننى هنا اعكس جانبى الأنثوى !!

●

سألت مورافيا : متى يكتب الكاتب « يومياته » ؟ بمعنى أدق ، متى يدون هذه اليوميات فى قصة طويلة مثل «الاحتقار» ؟!

قال مورافيا : اذا عدت للرواية ، سوف تدرك أن ما يدفع الكاتب لتسجيل يومياته انه ببساطة قد يكون راغبا فى تسجيل وقائع يعتبرها هامة أو راغبا فى المناجاة والاعتراف او راغبا فى تلبية نداء غريزة الاقتصاد التى توحى احيانا باستغلال تفاصيل احداث حياتهم ، أقصد حياة الكتاب ! وهناك حوافز أخرى منها الغرور والاعجاب بالذات !!

●

ويبقى فى نهاية الحوار مع أديب ايطاليا الكبير ، عدد من الأسئلة ، اجاب عليها بعبارة « لا أعرف » !



وافق السيد المصور « اومبرتو بيترى » على نشر الصورة ، وكان البرتو مورافيا قد طلب منى ضرورة الحصول على موافقة المصور قبل نشر الصورة .. والصورة هنا لأديب ايطاليا فى صومعته البسيطة المتواضعة التى تخرج منها كل أعماله .

قلت له : قالوا لي فى روما ، انك كاتب « الرجل المرفه » و « الحياة الخاصة اللذيذة » .. ما قولك ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت له : اين تقضي ايام اجازتك ؟ مع صديق ؟ مع زوجتك ؟ من هو رفيق هذه العطلة ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت له : هل تذوق العالم أدبك .. هل تعرف رأى كتاب اوربا ونقادها فى فكرك ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : هل تحلم بأن تكون روايتك القادمة ، مسرحها ، أرض عربية ؟!

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : هل لك رأى محدد فى الذكاء ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : أى فصول السنة ، تحب ؟!

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : أريد أن أسألك ، لماذا تكتب ؟

قال مورافيا : لماذا أكتب ؟! .. لا أعرف !

قلت لمورافيا : ماذا تقصد بعبارة « لا أعرف » ؟

قال أديب ايطاليا : أقصد ، انه ليست لدى القدرة على اطلاق احكام على أشياء لم تحسم !

قلت : ماذا تقول لأديب ناشىء يا سيدى؟

قال مورافيا بحماس ، أقول : لابد من الرؤية .. ومن الحذر ، ومن عدم المخاطرة بنشر ما يكتب الا بعد النضج فى الحياة . فالكاتب ـ فى نظرى ـ يجب أن يكتب ما حدث وليس ما يعتقد انه سوف يحدث ! حين يكون الانسان صغيرا ، يشعر أن راسه فارغ .. ومشاعره فقيرة .. وراسه شحيح العطاء !

قلت لمورافيا : اننى اشعر حين ارى راسك ، أن تجارب العمر ، قد قامت بعملية « غزو » عليك !

قال الاديب الايطالى بعد تنهيدة : هذا صحيح ! خذ عندك ..

١ ـ تجربة مرض ، اقعدتنى فى السرير ٥ سنوات متصلة . شىء لا يمكن وصفه الا بالتجربة !

٢ ـ تجربة الفاشية ، لقد كنت وقتها فى السابعة والثلاثين وعشت أجمل سنوات عمرى تحت وطاتها القاسية . اننى من اعداء الفاشية ، ومازلت !

٣ ـ رحلاتى ، من أهم تجاربى . عرفت العالم ، وعرفت الناس من كل القارات على اختلاف اجناسهم .

٤ ـ لا يوجد انسان سيىء ، توجد مواقف سيئة !

واخذ مورافيا يردد .. « نعم لا يوجد انسان سيىء ، توجد ـ فقط ـ مواقف سيئة » !

ولذنا ... بالصمت !

« روما ـ من مفيد فوزى »

قصة مخطّط صهيوني فاشل لإنشاء مستعمرة يهودية في استراليا

بقلم : محمد يوسف عدس

قرات دراسة الدكتور عاصم الدسوقي التى نشرت بمجلة الدوحة فى عدة حلقات تحت عنوان « وثيقة تاريخية .. فى المسالة الصهيونية الفلسطينية ٤٣ ـ ١٩٤٥ » وهي دراسة تكشف عن حقائق هامة فى تاريخ الحركة الصهيونية ودورها فى التمكين لليهود بالولايات المتحدة الأمريكية . هذا الدور الذي ـ وإن كان قد اتخذ صورة محاولة لتحريك الراي العام الأمريكي نحو تفهم قضية يهود اوربا ومساعدتهم للخروج منها هرباً من مذابح هتلر ـ ، إلا ان ذلك كان مجرد مرحلة فى مخطط صهيوني يسعى إلى تسخير قوة الولايات المتحدة واستخدام نفوذها فى تحقيق أهداف الصهيونية العالمية فى فلسطين .

الذي أود أن اسجله هنا هو ان هذه الجهود التى جرت فى الولايات المتحدة لم تكن شيئا فريداً فى تاريخ الحركة الصهيونية . بل إننا نجد لها نماذج اخرى مشابهة . وقد تبدو هذه الجهود وكانها مبادرات افراد او جماعات متفرقة هنا وهناك . إلا ان سماتها المشتركة واساليبها فى العمل على تحقيق اغراضها تؤكد وحدة مصادرها كانما هي حلقات متكاملة فى مخطط عالمي ياخذ من فلسطين المحتلة مركز انطلاق لتحقيق حلم الصهيونية الكبير فى السيطرة على العالم .

موضوع هذا المقال يدور حول واحدة من هذه المحاولات جرت فى استراليا . الاطار الموضوعي واحد وهو انقاذ اليهود فى اوربا وروسيا ، والفترة الزمنية متقاربة ، اما الهدف فقد كان يتجه إلى إنشاء مستعمرة صهيونية فى قلب استراليا على غرار المستعمرة اليهودية فى فلسطين ، تكون قاصرة على اليهود وحدهم مستبعدة ماعداهم من العناصر والديانات الاخرى . وكان اليهود فى سعيهم لحل مشكلاتهم



غلاف الكتاب الذي ألفه ارثر كالويل كشاهد عيان على محاولة الصهيونية إنشاء مستعمرة يهودية فى استراليا !

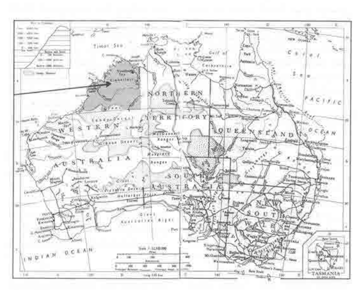
وتحقيق ذواتهم لا يستطيعون ان يعيشوا إلا كمجموعات متميزة فى «الجيتو» صغر هذا الجيتو بحيث يكون مجرد حارة في مدينة ، او كبر ليملا حدود دولة باثرها .

لقد اخفقت المحاولات الصهيونية فى إنشاء مستعمرة لليهود فى استراليا واصبحت هذه المحاولات تاريخاً منسياً لا يحاول احد ان يذكره او يتذكره ، فكتب التاريخ لا تتعرض لهذه المحاولات من قريب او بعيد ، فيما عدا كتاب واحد ظهر على شكل سيرة ذاتية اصر صاحبها على ان يكشف عن ابعاد هذه المحاولات وان يتحدث عنها كشاهد عيان .

لم يكن صاحب الكتاب مؤلفا عادياً بل كان مفكرا طليعياً ووزيرا بارزا فى الحكومة الاسترالية ، وكان زعيما لحزب العمال فى فترة من فترات حياته السياسية الحافلة . كان شخصية مثيرة فذه ، وجاء عنوان كتابه مثيراً كشخصيته فقد اختار له هذا العنوان : كن عادلا ولا تخش شيئاً

(Be just and fear not)

أما المؤلف فانه ارثر ا. كالويل CALWELL



منطقة كمبرلايز - المشار إليها بالسهم - حيث حاول - شتينبرج - إقامة مستعمرة يهودية فيها

كان ارثر كالويل من معارضى الحرب الفيتنامية ، استنكر تورط استراليا فى تلك الحرب الشائنة وقاوم تدخل الكنيسة الكاثوليكية فى السياسة وتعرض - بسبب مواقفه الحادة - لحملات صحفية عنيفة كادت تطيح بمنصبه وتقضى على مستقبله السياسى اكثر من مرة ، بل إنه تعرض للاغتيال فى يونية سنة ١٩٦٦ وهو يقود الجماهير الثائرة فى سيدنى ضد الحرب الفيتنامية ، وكانت تلك هى حادثة الاغتيال السياسى الوحيدة فى تاريخ استراليا .

المسألة الصهيونية .. بالصدفة

عندما شرع «كالويل» يدون مذكراته نصحه بعض الاصدقاء ان يتغاضى عن بعض الامور التى قد تسىء الى حزب العمال الذى ينتمى اليه ، او تسىء الى الكنيسة الكاثوليكية او بعض الفئات الاخرى من كبار الشخصيات فى المجتمع .

كان كالويل قد بلغ السابعة والسبعين من عمره حين شرع يؤلف كتابه ولكنه رغم شيخوخته لم يفقد صلابته فى قول الحق ولا قوة المنطق واستقامة الفكر ، وهى خصال ظل يتمتع بها طوال حياته . كان رد كالويل على ناصحيه : «اننى لا اعتقد ان شيئا مما اكتب سوف يلحق الاذى باحد من هؤلاء الناس الذين يشغلون مراكز مرموقة فى هذا المجتمع ، فانا افترض فيهم من القوة ما يكفى لان يواجهوا انفسهم بعيوبهم ونقائصهم ، وانا عندما اكشف عن جوانب الضعف فى اولئك الذين شابت اعمالهم بعض مظاهر الطغيان او الظلم فاننى اشعر باننى محق فيما قلته عنهم» ثم يضيف «كالويل» قائلا :

«انه ليس من حق احد ان يموت دون ان يترك شيئا ، فنحن ملتزمون بان ننقل الى الاجيال التى تاتى من بعدنا حقيقة ما عانيناه ، ومهما تكن ردود الافعال التى تترتب على ذلك فانا لازلت مستعدا للرد عليها ، ولست انوى الاعتذار لاحد» .

بمثل هذه الصراحة والشجاعة فى الرأى تناول «كالويل» مسألة الاستعمار الصهيونى فى استراليا .

جاء اول احتكاك لكالويل بالمسألة الصهيونية عن طريق الصدفة المحضة ، وفى هذا يقول :

«بعد ظهر احد الايام خلال النصف الثانى من عام ١٩٤٠ كنت اتحدث الى جون كيرتن John Curtin (رئيس الوزراء فى ذلك الوقت) فى شارع كولينز بملبورن عندما مر امامنا رجل عجوز ضئيل الجسم له لحية دب فيها المشيب . تفرس فيه كيرتن مليا ثم قال : اتعرف من هذا الرجل ؟ فاجبت : لا فعقب كيرتن قائلا «ان اسم هذا الرجل شتينبرج Steinberg كان وزيرا فى حكومة لينين وقد وقع عددا من احكام الاعدام اكثر من اى رجل اخر فى روسيا» . وقد بدا لى كل هذا غريبا فلم اكن قد سمعت من قبل عن شتينبرج هذا ولا ان احدا من وزراء لينين قد جاء الى استراليا ، ولكنى علمت فيما بعد ان وزيرا اخر من وزراء لينين ذهب الى سيدنى ومات هناك» .

ويمضى كالويل قائلا : «لم اتحدث مع كيرتن عن هذا الموضوع مرة اخرى ولا هو ذكره فى لقاءاتنا التالية ، غير اننى شعرت ان هذا الرجل الضئيل المسمى دكتور اى . ن شتينبرج Dr. I. N. Steinberg يسبب له كثيرا من الازعاج» .

فى سنة ١٩٣٨ وقعت الحكومة الاسترالية اتفاقية إيفيان بفرنسا والتى بمقتضاها تقبل استراليا ١٥ الف لاجىء سياسى من يهود المانيا والنمسا وذلك خلال السنوات الثلاث التالية (١٩٣٩ - ١٩٤١). والذى حدث ان استراليا استقبلت ٦٤٥٧ مهاجرا فقط فيما بين سنة ١٩٣٨ و ١٩٤٥ . وذلك لانه عندما نشبت الحرب فى سنة ١٩٣٩ اصبح الطريق مغلقا امام اليهود للخروج من المانيا .

وقد جاء شتينبرج الى استراليا فى منتصف عام ١٩٣٩ لمحاولة إقامة مستعمرة يهودية فى منطقة (كمبرلايز Kimberleys الواقعة فى الشمال الغربى لولاية «غرب استراليا» يقول كالويل : «كان (شتينبرج) يتصور منطقة مثل دولة اسرائيل تقام على ما وصفه بانه سبعة ملايين فدان من الارض البكر . ومن الاحداث التى تلت ذلك وكذلك من خلال محادثاتى مع قادة اليهود فى لندن علمت ان شتينبرج حاول ان يكسب تاييد اسرة روتشيلد وغيرهم من اليهود الاثرياء فى اوربا لمشروعه ولكنهم لم يوافقوا على مقترحاته» .

ومع ذلك فقد كان شتينبرج من النوع الذى لا يعرف الياس او الاستسلام ، رجل ذو مقدرة وعناد شديدين ، ففى خلال بضعة ايام من وصوله الى استراليا استطاع ان يناقش مشروعه مع (جون كولينجز ويلكوك) رئيس وزراء ولاية غرب استراليا .

جاء شتينبرج من لندن الى بيرث Berth عاصمة ولاية غرب استراليا مندوبا عن «عصبة الارض الحرة للاستيطان اليهودى» Freeland League for Jewish Territorial Colonization وقد ادعى شتينبرج فيما بعد ان ويلكوك وافق على مشروعه . وقد علق ويلكوك على ذاك قائلا «بطبيعة الحال لابد لنا من ضمان ان ابناء قومك (اليهود) سوف يستقرون فى المستعمرة ويعملون على تنميتها وانهم لن يهجروها الى المدن ويصبحون بذلك عبئا على الحكومة الاسترالية» .

ويقول كالويل : «لقد كانت هذه ملاحظة حكيمة من ويلكوك ، وهى فى الواقع نفس المشكلة التى كانت تقلق بال «كيرتن» (رئيس الوزراء الفيدرالى) حيث كان يتساءل فى حالة إقامة مستعمرة يهودية

فى كمبرلايز كيف يمكن ان نجعل اى فرد جاء تحت رعاية (عصبة الأرض الحرة) يستقر فى المنطقة اذا اراد ان يغادرها ؟» .

وكان كيرتن على يقين بانه لن يمر وقت طويل حتى يتململ بعض المستوطنين ويصبحون غير راضين عن الاقامة فى المستعمرة وسوف يتحولون الى سيدنى او ملبورن او غيرهما من عواصم الولايات الاسترالية الأخرى.

وبالرغم من مقاومة كيرتن للفكرة استطاع شتينبرج أن يحصل على مساندة مجلس اتحاد نقابات العمال الاسترالى وعدد من قادة الكنائس المسيحية وقطاع كبير من الصحافة الاسترالية .

يقول كالويل فى مذكراته : عندما افكر فى هذا الموضوع الآن اجد انه كان مشروعا سخيفا فقد كان مطلوبا من الاستراليين مراعاة لاعتبارات انسانية وتعاطفا مع مشكلات فئة من الناس ان يوافقوا على اقتراح لم يكن تحقيقه ممكنا باى حال ، فبالدرجة الأولى لم يكن هناك ضمان ان الناس الذين سوف يستوطنون (المستعمرة) يمكن ان يبقوا فيها ، ولم يكن من الممكن ان نسلم جزءا من أرض استراليا ليصبح قاصرا على جنس من البشر او دين ما لانشاء كيان منفصل تماما عن بقية الامة.

كان كالويل يعرف حقيقة النوايا الصهيونية من مشروعها الاستيطانى فى غرب استراليا وكان مدركا للنتائج الرهيبة التى يمكن ان تترتب على تنفيذ مثل هذا المشروع وكان يعرف انه بموقفه يمثل رأى الغالبية العظمى من الشعب الاسترالى الذى قد يتعاطف مع الويلات التى صبها هتلر على يهود أوربا وقد يمنحهم مكانا بينه مساعدة منه فى تخفيف ويلاتهم ، ولكنه لم يكن ليقبل ان يمنح اليهود مستعمرة يقيمون عليها دولة داخل الدولة . ولذلك وقف كالويل بصلابة ضد مشروع شتينبرج . صحيح أن الكثيرين من يهود أوربا تيسر لهم الدخول الى استراليا للالتحاق باقاربهم وأسرهم المقيمة هناك ، وذلك خلال فترة شغله لمنصب وزير الهجرة غير انه فى نفس الوقت عمل على إحباط مساعى شتينبرج وتصدى لحملات اتحاد نقابات العمـــــال الاسترالية وحمـلات الصحافة ورجال الكنيسة .

إن اتحاد نقابات العمال الاسترالي مؤسسة بالغة القوة والنفوذ فى السياسة الاسترالية وقوام حزب العمال الذي ينتمي إليه كالويل ــ في غالبيته ــ من العمال ونقاباتهم . وزعيم اتحادات العمال له نفوذ قد لا يقل عن نفوذ رئيس الوزراء الاسترالي إن لم يكن يزيد عليه احيانا . وقد استطاعت الحركة الصهيونية ان تنفذ إلى قلب هذا الاتحاد . هذه الحركة تتخير من الأشخاص اللامعين من تتوسم فيهم مواهب خاصة تؤهلهم لان يصبحوا فى مراكز قيادية بارزة ومؤثرة . وهي لا تكتفي بالاستحواذ على عقولهم وأفكارهم بل تعمد إلى قلوبهم أيضا فتحيطهم بشبكة من العلاقات الشخصية الحميمة تجعلهم يقاتلون معاركها وكانهم يدافعون عن مبادئهم الخاصة .

وأكبر مثل على ذلك (بوب هوك Bob Hawk) الذي كان زعيما لاتحادات العمال حتى عهد قريب ، فهو صديق لجولدا مائير ولعدد كبير من قادة حزب العمل الاسرائيلي وتربطه بهم صلات اسرية حميمة . وبوب هوك يمثل في استراليا جبهة الدفاع الاسرائيلي امام اية محاولة عربية لاختراق السياسة الاسترالية حتى ولو رغبت الحكومة الاسترالية نفسها فى ذلك .

لقد تخلى (بوب هوك) عن رئيس وزراء استراليا وزعيم الحزب الذي ينتمي إليه بوب هوك فى اسوا ازمة سياسية مر بها الحزب وذلك عندما اراد (جوف ويتلام Gough Whitlam) رئيس الوزراء الاسترالي السابق ان يقترب من العرب ويسمح لهم باستثمار اربعة الاف مليون دولار فى استراليا رغبة منه فى ان يخفف من قبضة الولايات المتحدة على الاقتصاد الاسترالي .

لقد كان ويتلام شخصية عالمية وسياسية ، ولكنه لسوء حظه اقترب من المحظور : صداقة العرب ومقاومة النفوذ الأمريكي .

لقد سقطت حكومة ويتلام نتيجة مؤامرة أمريكية صهيونية اشترك فيها الحاكم العام الذي استخدم بعض حقوقه الدستورية الغامضة فى طرد الحكومة التى انتخبها الشعب على غير سابقة في تاريخ استراليا.

وكان موقف بوب هوك سلبيا من اول الصراع حتى نهايته ، فقد حجب بموقفه المساندة العمالية الفعالة التى كان يتوقعها « جوف ويتلام » فى محنته السياسية .

وإذا كان هذا هو موقف اتحاد العمال الاسترالي من الحركة الصهيونية فانه ليس بالأمر الجديد ، وإنما هو وضع قائم منذ عهد بعيد ولم يكن اقل وضوحا في عهد « كالويل » وهو يتصدى لمشروع شتينبرج .

فقد كان الاتحاد متحمسا لمشروع شتينبرج حيث كتب (ب . ج . كلاري) وهو سكرتير الاتحاد إلى كيرتن (رئيس الوزراء) يقول : « لقد كلفتنى اللجنة التنفيذية للاتحاد ان انقل إليك موافقتها على مشروع المستعمرة اليهودية المقترح إقامتها فى كمبرلايز . لقد حظى هذا الموضوع بدراسة جادة من جانب الاتحاد خلال السنتين الماضيتين ، وقد سبق ان ابلغ الاتحاد موافقته ومساندته على المستعمرة المقترحة».

ويعلق كالويل على ذلك بقوله : « انه من المثير حقا ان نلاحظ ان هذا الخطاب كتب فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٤١ عندما كنا فى معمعة الحرب ، وبعد ١٧ يوما فقط من تولى كيرتن لرئاسة الحكومة » .

كان كيرتن قد صمم على ان مثل هذه المستعمرة الصهيونية لن تقوم لها قائمة فى استراليا ولكن هذا التصميم لم يمنع اتحاد العمال من مواصلة الضغط على حكومته لقبول المشروع .

فى ٣١ مارس ١٩٤٣ كتب ادوارد جيمس هولواى Edward James Holloway وكان نائبا لرئيس الوزراء كتب الى « ارنست بيفن » بصفة شخصية قائلا : « ان بعثة دكتور شتينبرج الى استراليا كانت معنية بانشاء مستعمرة يهودية فى المنطقة غير الماهولة فى شمال غربى استراليا ، وكان التصور ان تسير المستعمرة على نفس الخطوط التى اتبعت فى المستعمرة الزراعية الشهيرة فى فلسطين . ولقد اعطت الحكومة الفيدرالية اولوية للنظر فى المشروع المقترح . ولكن نشوب الحرب وضع كل مشروع اخر غير الحرب جانبا . ولست متاكدا ما إذا كانت كل من حكومتى منزيس وفـادن قد منحت هذا المشروع اهتماما خاصا من قبل » .

ويبدو ان « هولواى » اراد ان يستعين بالوزير البريطانى إرنست بيفن فى اقناع « عصبة الأرض الحرة » بالاقلاع عن مشروعها الاستيطانى فى غرب استراليا ، ولكن هذا لم يثن شتينبرج عن محاولاته ، فقد غادر استراليا الى تورنتو بكندا ، ومن هناك كتب إلى كيرتن فى اغسطس ١٩٤٣ يحثه على اتخاذ مبادرة شخصية للاسراع باتخاذ قرار فى المشروع .

واجاب كيرتن على رسالة شتينبرج قائلا «ان حكومة الكومنولث تتعاطف مع المازق الخطير الذى يعانيه شعبك فى أوربا ، وانا واثق من تقديرك ان مسالة الهجرة الى استراليا ــ وعلى الأخص بالنظر الى مشاعر العداء التى قد تترتب عليها ــ ينبغى ان تبحث من جميع وجوهها . واننا بسبيل انشاء لجنة لدراسة المشكلة فى ابعادها المختلفة ، وحتى تصدر توصيات هذه اللجنة فان الحكومة ليست فى وضع يسمح لها بتشكيل سياسة نهائيـــة فى الموضوع » .

وانشا كيرتن لجنة تمثل الوزارات المختلفة حضر اجتماعاتها كالويل بصفته وزيرا للاعلام ، وذلك لدراسة مشكلات الهجرة الى استراليا وكانت توصية اللجنة

بشان مشروع شتينبرج هى الرفض التام .

وعلى اثر ذلك كتب كيرتن الى شتينبرج : « بعد بحث دقيق لجميع الظروف المحيطة بالمشروع فان الحكومة لا تستطيع ان تتخلى عن سياستها الراسخة فيما يتعلق بالمستعمرات الاجنبية فى استراليا . ولذلك فان الحكومة لا ترحب باى اقتراح يتعلق بانشاء مستعمرة جماعية من ذلك النوع المقصور على فئة معينة كالذى تفكر فيه « عصبة الارض الحرة » . وبرغم هذا الرفض الصريح والموقف الواضح من جانب حكومة العمال فان اتحاد العمال وقادة الكنائس ظلوا يساندون المشروع بلا فتور ، ولم تضعف همة شتينبرج او بياس من المحاولة فقد ظهر فى اول مؤتمر للامم المتحدة بسان فرانسيسكو فى مايو ١٩٤٥ وانتهز الفرصة ليثير ـ امام الرأى العام العالمى ـ المشكلة الملحة لليهود الذين لا ماوى لهم ، ووزع مذكرة على جميع وفود الدول فى المؤتمر ، ولكنه اختص رئيس الوفد الاسترالى بمزيد من الاتصالات الشخصية . كان رئيس الوفد هو فرانك فورد (Frank Forde) نائب رئيس الوزراء الاسترالى ، وقد اكد لشتينبرج انه سوف يناقش الموضوع مع كيرتن مناقشة إيجابية مفصلة عندما يعود الى استراليا . وبعد شهرين توفى كيرتن وخلفه فورد رئيسا للوزارة . ورغم ان فورد لم يستمر فى الوزارة اكثر من سبعة ايام فقط ، إلا انه انتهز هذه الفرصة وكتب إلى «شتينبرج» قائلا : « بالاشارة إلى استعراضك الشخصي لي فى سان فرانسيسكو بشان إعادة النظر في قرار الحكومة ضد انشاء مستعمرة يهودية فى منطقة كمبرلايز او في منطقة اخرى فى استراليا تكون ماهولة .. اود ان افيدك علما بانه قد اعيد النظر فى الموضوع بعناية . وقد تقرر الالتزام بالقرار الذي سبق إعلانه إليكم من قبل » .

انتخب (تشيفلي Chiefly) رئيسا للوزراء خلفا لفورد ، وتابع شتينبرج حملاته غير المجدية بالكتابة إلى «تشيفلي» عندما كان فى زيارة إلى لندن سنة ١٩٤٦ وقد اجل «تشيفلي» إجابته حتى عاد إلى استراليا ، ومن هناك كتب إليه : « إن ملتمسك قد حظى بعناية كاملة من البحث وان حكومة الكومنولث لا تستطيع ان تغير موقفها بشان هذا الموضوع .. واريد ان اضيف انه مساهمة منا فى إيجاد حلول لمشكلات ما بعد الحرب فان حكومة الكومنولث قد اصدرت تصريحات بالدخول لصالح اقرباء اليهود الذين يعيشون بالفعل فى استراليا » .

ويقول كالويل معلقا : « كوزير للهجرة ساعدت تشيفلي فى إعداد هذا الخطاب ، وواقع الامر اننا قدمنا الكثير للشعب اليهودي الذين نجوا من المحن والمحاكمات الرهيبة التى عانوا منها فى اوربا ، ربما اكثر من اية دولة اخرى ، وقد تبين فيما بعد ان مشروعنا كان افضل من المشروع الذي اقترحته « عصبة الارض الحرة » واعتقد اننا يجب ان نكون جميعا سعداء لان مشروع هذه العصبة لم يكتب له ان يرى النور » .

الارض غير الموعودة

فى كتاب بعنوان « استراليا : الارض غير الموعودة » نشر سنة ١٩٤٨ كتب شتينبرج : « هذا هو ما استقر عليه الامر بعد سبع سنوات من الكفاح المستميت والمفاوضات ، وكما اشار مستر تشيفلي فى خطابه ان استراليا مستعدة للاسهام فى تخفيف ويلات اليهود بالسماح لعدد منهم الدخول الى استراليا بصفتهم مهاجرين افراد ، ولكنها غير مستعدة لتطبيق مفهوم اوسع لمستعمرة يهودية .

وللاسف فان الشعب اليهودي لا يستطيع الانتظار ، ومن ثم فان (عصبة الارض الحرة) قد اضطرت لتحويل نظرها إلى اراض اخرى لاعادة توطين اليهود .

ويرد كالويل معلقا على ذلك : « انا لا اعرف ارضا اخرى استطاعت « عصبة الارض الحرة » ان تطبق مشروع المستعمرة اليهودية فيها . والآن بعد ٢٦ عاما مضت على خطاب تشيفلي إلى شتينبرج لا ارى سببا واحدا يجعل الاستراليين غير سعداء او يجعلهم يشعرون بالخجل مما فعلوه لمساعدة اليهود المشردين والتخفيف عن ويلاتهم . ولم يستطع د. شتينبرج او غيره من الناس ان يوضح لي حقيقة الاهداف التى سعوا إليها بانشاء «عصبة الارض الحرة» ، ولكني عندما اصبحت وزيرا للهجرة ، استطعت من بعض الملابسات والشواهد ، ان استنتج ان دكتور شتينبرج ومؤيديه كانوا يؤمنون بامور ثلاثة :

- انه لا مستقبل للملايين الثلاثة من اليهود الذين يعيشون فى روسيا او اليهود الذين يعيشون فى اوربا واسيا وافريقيا .
- وانه لا يوجد متسع كاف لهم فى ارض اسرائيل .
- وان الوضع الامثل هو إنشاء دولة اخرى قاصرة على الديانة اليهودية بدلا من هجرة اليهود واندماجهم فى شعوب اخرى وفقدانهم لهويتهم .

ويعقب كالويل مستنكرا : « إن الشعب اليهودي يمثل جنسا ودينا معا ، وهذا شيء لم تقبله الشعوب غير اليهودية فى الدول الاوربية بما فيها روسيا » .

لقد تمزق اليهود عبر الوف السنين وانقسموا على انفسهم وظهرت بينهم طوائف متنافرة حتى انهم يعتبرون المسيحية مجرد طائفة منشقة عن اليهودية . ولا شك في ان اليهود قد عذبوا كثيرا وتفرقوا فى افاق الارض ، وحبسوا انفسهم فى حارات اليهود ، وتعرضوا للمذابح ، ولكنهم ظلوا متشبثين فى عناد باعتقادهم الذي حملوه خمسة الاف عام بانهم « شعب الله المختار » حتى ان الروس وصموا اليهود بانهم (مفارقة تاريخية بائدة Vestigial anachronism)

استقبل اليهود ثورة ١٩١٧ بترحاب شديد ، فقد خلفت المذابح القيصرية عندهم ذكريات مريرة ومن ثم اقبلوا على مساعدة لينين فى ثورة اكتوبر ، وكان « ليون تروتسكي» و «جريجوري زينوفيو» و «ليف كامنييف» من ابرز القادة اليهود الذين عملوا مع لينين فى تحقيق الثورة ، فلما قبضت الثورة على زمام الحكم ، كان من بين المشكلات التى واجهتها فى الادارة تخلي اعداد كبيرة من موظفي الدولة عن اعمالهم ، حتى ان وزارة الخارجية الروسية خلت تقريبا من جميع موظفيها بما فى ذلك عاملات النظافة . فجاء اليهود رجالا ونساء ليشغلوا جميع هذه الوظائف الشاغرة .

ولكن سرعان ما انفصمت عرى هذا الزواج غير الشرعي ، فقد عاد اليهود إلى ولائهم القديم يتقوقعون داخل عقائدهم البائدة وجاءت دكتاتورية ستالين تحصد رءوسا كثيرة من بينها عدد من قادة اليهود .

اتيح لبعض اليهود الخروج من الاتحاد السوفييتي فى اوائل الثلاثينات ، وذلك قبل محاكمات سنة ١٩٣٧ الشهيرة ، وهاجر كثير منهم إلى استراليا ، وكانوا موجودين اثناء محاولات شتينبرج اقامة مستعمرة استرالية لتوطين اليهود ، ولكنهم فيما يبدو لم يهتموا كثيرا بهذا المشروع . وفي ذلك يقول كالويل : « اعرف ان كثيرا من هؤلاء كانوا اعضاء فى حركة الشباب الشيوعي Komosmol وقد اصبحوا فى استراليا اثرياء ، ومقدار علمي ان احدا منهم لم يعط خطة شينبرخ اية مساندة مادية او معنوية » .

ويبرر كالويل ذلك بقوله : « لقد كان يهود روسيا يشعرون شعورا غريزيا بانهم اسرى بابل ومشرديها ، وكان ولاؤهم الحقيقي لصهيون او اسرائيل وليس لكمبرلايز الاسترالية التى لا يمكن ان تكون بديلا لصهيون » .

محمد يوسف عدس



« سلمى التاجي الفاروقي » الفلسطينية المسلمة التي تزوجت من الفيلسوف الكبير جارودي بعد ان اشهر إسلامه .. اصبح اسمها الآن : سلمى جارودي .



جارودي في الدوحة

حوار : وضاح طهبوب

- تبليغ الشعلة هو الوفاء للأجداد وليس الحفاظ على رفاتهم فحسب
- صداقتي للشيخ الإبراهيمي في الجزائر كانت البداية لفهم حقيقة الدين الإسلامي
- كتابي عن إسرائيل وأكاذيب الصهيونية رفضته دور النشر الفرنسية الكبرى
- جارودي يسلط الضوء على الدور الكبير المنتظر لأجهزة الإعلام العربية

على مشارف القرن الحادى والعشرين ، يقف روجيه جارودى ، امام مجلد الحضارة الغربية ، ملخصا تلك الحضارة ذات القرون الخمسة الماضية ، ليعلن ان الطريق مسدود ، وان الاستمرار فيه سوف يؤدى إلى انتحار الكون باكمله ! فقد طغى العنف على علاقات الافراد ، والطبقات ، والأمم ، ونزعت تلك العلاقات إلى القوة والهيمنة ، وفقدت ثقافة الغرب معناها وغايتها ، اما العقيدة فقد ضاع منها مفهوم التسامي والعلو .. ذلك البعد الانساني الحقيقي للبشر .

روجيه جارودى اورجا جارودى ، واحد من قلائل الفلاسفة المؤرخين للحضارات بمجملها ممن استطاعوا هضم حضارات سالفة ، واحاطوا تجاربها بشمولية وتشريح ، وهذا ما يفعله جارودى الآن على وجه التحديد .. انه ابن الحضارة الغربية ، ومعتنق عقائدها وداعية لها ومفسر لها ، وناقد لها ، ومنقلب عليها ، وملغ انسانيتها ، ثم الباحث والمهتدي إلى الخلاص .. خلاص الانسانية باكملها وسعادة الانسانية باكملها ..

رجا جارودى ، اعتنق اخيرا الاسلام ، ووجد فيه ضالته ، نطق بالشهادتين واسلم منذ شهر «رمضان» الذى مضى ، وتزوج «على سنة الله ورسوله» من سيدة مسلمة فاضلة ، ولدت فى فلسطين ونشات وتعلمت فى مصر ، وارتحلت الى السعودية ، واستقر بها المطاف فى جنيف منذ عشر سنوات .. وهناك التقى «جارودى» بها .

يومان قضاهما «جارودى» فى مدينة «الدوحة» ، وبالرغم من الأعوام السبعين التى يحملها «جارودى» على كتفيه وجبهته فقد كان يشع حيوية وتالقا وذكاء .

التقيته بعد محادثة بالهاتف مع قرينته السيدة سلمى التاجي الفاروقى . قالت لي ان زوجها سيعقد مؤتمراً صحفيا فى الرابعة عصر الغد . قلت لها إننى ارغب فى رؤية المفكر الكبير على انفراد .. فردت : بعد المؤتمر نتقابل وسنرى ماذا يمكننا عمله .

المؤتمر الصحفى كان خليطا من الاسئلة والاجوبة بالانجليزية ، والفرنسية ، والعربية .. تناولت اراء «جارودى» فى غزو لبنان ، وفى ستالين ، وفيما كتبه الماوردى وجلال الرومى ، والصهيونية ، ووعود الاسلام ، وكتابه الاخير «احلام واكاذيب الصهيونية» او «ملف اسرائيل» الذى سيصدر فى مارس الحالي

كانت الاسئلة كلها تدور حول «موضوعات» سبق لجارودى ان اجاب عليها فى كتبه ومقابلاته .. وقد نشرت «الدوحة» حوارا مع «جارودى» ، واستعراضا لآخر كتبه «وعود الاسلام» فى عددين من اعدادها قبل شهور قليلة .

وقد يتصور المرء ان من السهل الولوج الى عالم «جارودى» المتشعب الرحب ، الغنى بالتجارب ، وعصارات المعرفة ، وخلاصة الحضارات .. إلا ان الأمر يبدو شديد الصعوبة عندما تحاول البدء فى السؤال : ماذا تسال جارودى ؟ وهل من السهل استفزازه او استدراجه ؟ بل ، هل من الضروري استفزازه ؟ وهل هناك ما يخفيه لكى تستدرجه اليه ؟ ..

البعد الروحى والأخلاقى للاسلام

اردت فى البداية ان افتش عن تلك «الشرارة» التى اضاءت فى قلبه وعقله .. وجعلت من الاسلام شاغلا له . كيف بدا .. ومتى .. وكيف كانت ظروف تلك الاضاءة التى بدا منها رحلته مع الاسلام الى ان بدات مرة ثانية رحلته فى الاسلام مفكرا ، مؤمنا ، داعية ، إنسانا مسلماً ؟

قال لي بالفرنسية ـ وترجمت زوجته الى العربية ـ ان حكايته مع الاسلام لم تبدا بلمحة بارقة ، فقد قرا كثيرا عن الدين الاسلامي فى مختلف مراحل تجربته مع الفكر والنظريات ، منذ اوائل الأربعينات وهو يقرا عن الاسلام ، وعن غيره من العقائد والفلسفات ..إلا ان تجربته فى الجزائر عندما كان جنديا فى صفوف المحتل الفرنسى لذلك البلد المسلم قدمت له وعيا اضافيا للبعد الروحى والاخلاقى الذى يرتكز عليه الاسلام ..

فقد وقع ذات مرة اسيرا فى يد الثوار الجزائريين المسلمين ، واعتقد تماما ان مصيره وزملاءه من الأسرى الفرنسيين سيكون على يد اولئك المحاربين «المسلمين المتعصبين» ولكنه فوجىء بالابقاء على حياته .. هو وزملاؤه .. وفوجىء بالمعاملة الانسانية الكريمة من قبل الثوار .. وهو يعلم فى قرارة نفسه إنه فرنسي غربى يغزوهم ويستعمرهم ويحارب عقيدتهم ووجودهم .. وعندما تساءل عن سر المعاملة الطيبة فهم ان الدين الاسلامى يمنع قتل الأسير ، ويدعو الى معاملته معاملة كريمة .

ومن تجاربه فى الجزائر ايضا ... اثناء الاحتلال الفرنسى للجزائر ، انه كان على صلة بالشيخ البشير الابراهيمى ـ وهو والد السيد احمد طالب الابراهيمى ـ وزير خارجية الجزائر الحقى ـ وكان الشيخ الابراهيمى رجلا عالما وزاهدا وشاعراً ومتصوفا .. ويتذكر «جارودى» انه فوجىء عند زيارته للشيخ اول مرة بصورة كبيرة للأمير عبد القادر تتصدر مجلس الشيخ .. فاستغرب الامر .. لان معلوماته عن الامير عبد القادر انه رجل حرب ، وزعيم جماعات من الثوار الجزائريين .. وانه بعيد كل البعد عن ان يكون فى هذا الوضع من الاجلال والتكريم من قبل شيخ شاعر زاهد متصوف .. وهنا بدا «جارودى» يقارن بين الصورتين ويربط بينهما .. ودعاه التفكير الى التساؤل الى فهم جديد للاسلام هو انه دين عقيدة وعمل .. وان الجهاد فى الاسلام له مفهوم غير الذى يعرفه الغرب ، والذى اشاعه الغربيون الحاقدون خاصة اثناء وبعد الحروب الصليبية .. وعلم ساعتها .. ان الامير عبد القادر لم يكن رجل عصابات ومقاتلين يتحصنون بالجبال والمغاور .. بل انه مجاهد اسلامى ، ومؤمن ورع ، ومتصوف وشاعر واديب .. وهو يحارب الفرنسيين دفاعا عن عقيدته التى تدعو الى إعلاء كلمة الله وتدعو الى التحرر ليس من المستعمر العدو فحسب ، وإنما الى التحرر من قيود النفس وشهواتها .. وذلك هو الجهاد الأكبر ..

«لقد اثر فى نفسى الامير عبد القادر الجزائرى .. ومؤخرا قمت بترجمة بعض كتابات الأمير عبد القادر فى التصوف الى الفرنسية وفاء لذلك الرجل» .

نور على نور

يقول المفكر المسلم رجا جارودى عن تجربته التى عبرت اكثر من محطة فكرية :

«لقد كان شغلى الشاغل طيلة حياتى ينصب فى البحث عن النقطة التى يلتقى فيها الابداع الفنى والشعرى بالعمل السياسى والايمان . وقد مكننى الاسلام بحمد الله من بلوغ نقطة التوحيد بينهما ـ ففى حين أن الأحداث فى عالمنا القائم على التنافس والنمو الكمى والعنف . وفى حين ان نسيان الله يجعل منا عبادا «هامشيين» خاضعين «لضرورات وصدف خارجية» ، فان ذكر الله فى الصلاة يكسبنا وعيا بمركزنا ، وبموردنا الذى هو اصل كل وجود . ويعودنا القران على ان نكتشف فى كل شيء وفى كل حدث «إشارة للخالق» ورمزا عن واقع يعلو النظام الفريد الذى يسوس الطبيعة والمجتمع ويسوسنا نحن انفسنا ، ففطرة الدين الأساسية هى فطرة التناسق والوحدة ، الصادرة عن الله والراجعة اليه » .

والذى قرا «جارودى» او استمع اليه يدرك على الفور ان جارودى يعرف عن الدين الاسلامى اضعاف ما يعرفه عن الامة الاسلامية .. بل إن معلوماته عن المسلمين فى حاضرهم وما يكتنفهم من اختلافات ومذاهب لا يعدو العموميات ، ولكنه يعرف ان التخلف والفرقة والضعف هى الوبال الذى جرته الحضارة الغربية على شعوب العالم الثالث ، لانها حضارة المادية الفردية وحضارة النمو التراكمى الأعمى فى الانتاج والاستهلاك ، وحضارة العلاقة الجائرة بين الانسان والانسان ، بل إنه يمعن فى احتقاره لحضارة الغرب ناعتا إياها

جارودي في الدوحة

جارودي ، المفكر الفرنسي المسلم ، اتجه إلى الاسلام والعروبة منذ اكثر من خمسة عشرة عاما ، وهذه هي صورة جارودي في لقاء له مع جمال عبد الناصر في أواخر الستينات

بالحيوانية ، لأن بعد التسامى والعلو مفقود فيها ، ولانها لا تخدم فى الانسان إلا حاجاته الغريزية ، وما التقدم التكنولوجى للغرب إلا تقدم فى الوسائل الهادفة لخدمة الغرائز .. غرائز الاستهلاك والتملك والتكاثر .. وهو يعتبر احدث وسائل العلم الغربية المعاصرة مجرد امتداد لانياب الحيوان ـ وسيلته للحياة ـ حياته المجردة من هبة التساؤل عن معنى الحياة والموت . تلك الهبة التى تميز الانسان عن الحيوان ، والتى تدفع بالانسان الذى يتساءل عن معناها الى التحلى بنعمة الايمان ونعمة العقل ، وفى هذا يميز «جارودى» الاسلام كحضارة عالمية لكل البشر بانه جمع بين الايمان والعقل وضرورة لقائهما لتحقيق الخلاص المنشود للبشرية والسعادة للانسان . فالعقل لا يتعارض مع الوحى بل يستنير به : الوحى ينير العقل ، وهذا كما جاء فى القران الكريم «نور على نور» .

جارودى والمشروع الكبير

وقد اولت وزارة الاعلام القطرية اهتماما ملحوظا بالمفكر والفيلسوف المسلم جارودى بناء عن اقتراح لسعادة السيد حمد الكوارى السفير القطرى فى باريس ، الذى تربطـــه علاقات وثيقة بالأوساط المثقفة فى فرنسا واوربا ، والذى يعد الآن رسالة جامعية عن «أثر الفكر الفرنسى فى الثقافة العربية» . وقد تبنت الدعوة وزارة الاعلام القطرية وارسلت إلى وزارات الاعـــلام بدول الخليج العربية لذات الغاية .

كما القى جارودى محاضرة فى جامعة قطر لخص فيها اراءه واظهر الفارق الكبير بين اسس الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، وفند كذلك دعاوى الصهيونية فى فلسطين ، وافتراءاتها لتشويه صورة العرب والمسلمين .

وتهدف زيارة جارودى للمنطقة الى التعريف بالمعهد الدولى للحوار بين الحضارات ، الذى انشاه فى جنيف ، بهدف اساسى هو الرد على الدعاية الصهيونية المنظمة والمحكمة : حيث تعتبر إحدى العوائق الأساسية أمام تفهم العالم الغربى للدين الاسلامى .

ويعد كتابه «وعود الاسلام» ثمرة اولى لمشروعه ، اما الكتاب الثانى الذى يستعد جارودى لاصداره فهو «ملف اسرائيل بين احلام واكاذيب الصهيونية» .

وعندما كان «جارودى» فى الدوحة اتصل من مكان اقامته بمساعديه فى باريس ليخبروه ان ثلاثا من دور النشر الكبرى الفرنسية رفضت نشر الكتاب ، وينوه هنا الى ان خمسا وثمانين بالمائة من دور النشر ومختلف وسائل الاعلام والصحافة تقع تحت طائلة النفوذ الصهيونى ، ولهذا فهو يتعرض لحملة من المضايقة والتشهير والتعتيم بسبب دفاعه عن الاسلام وهجومه على الصهيونية .

وعلى هذا الأسس فسوف يضطر جارودى الى نشر كتابه بواسطة احدى دور النشر من الدرجة الثانية أو الثالثة مما يضطره الى تقديم عبء إضافى لمصلحة كتابه يتمثل فى تغطية جزء كبير من الدعاية لدار النشر نفسها ، ولسواها ، بهدف ايجاد نوع من التوازن المنافس للسيطرة الصهيونية على دور النشر ، وهذه مهمة تستدعى وقوف اجهزة الاعلام والسفارات والمنظمات العربية الى جانب جارودى . سواء بتحمل تكاليف الطباعة ، أو تكاليف الحملات الدعائيةالمنظمة ، او توزيع الكتاب . لأن مشروع جارودى كبير ، ويهدف اصدار المزيد من الكتب والدراسات ونشرها وترجمتها الى عدة لغات .

ويتحدث جارودى عن الخطوط الرئيسية لهذا المشروع الذى يتمثل فيما يلى :

ا ـ ان الدعاية الصهيونية تلاقى اليوم خيبة عميقة فى العالم الغربى تمكنت من تقديم الادعاءات الأسطورية على انها حقيقة واقعة .. مثل اضفاء الدعامة التوراتية والتاريخية على عملية استيلاء الصهاينة على أرض ليست لهم .. وهذه هى مسالة «الوعد» ، ومثل ترويج مقولة «شعب الله المختار» والخلط بين هذا المفهوم التوراتى الكنسى المتوارث وبين «دولة اسرائيل العصرية» .

ب ـ يجب أن نظهر للغربيين ان الاسلام هو الوحيد اليوم القادر على فتح طريق امام المستقبل ، خارج النمطين الامريكى الراسمالى والاشتراكى السوفياتى اللذين وصلا الى طريق مسدود مدمر .

ويوضح «جارودى» انه لوضع المشروع

موضع التنفيذ فان المعهد الدولى لحوار الحضارات قد بدأ اولا بالاعداد النظرى باكتساب التجربة والخبرة وإقامة اوثق العلاقات مع اكبر المؤسسات الثقافية وخاصة «اليونسكو» و «الالكسو» ومع افضل الباحثين فى العالم .

أما فى إطار التوثيق .. فان المواد المجمعة لدى المعهد تعد من اهم ما تحويه مؤسسات مرموقة مثل مركز الدراسات الفلسطينية ، ورابطة العالم الاسلامى ، ومنظمة المؤتمر الاسلامى وجامعة الدول العربيـــة ، وعديد من المنظمات العامة والخاصة ، خاصة فى لاهاى ، وجنيف ، ولندن ، وباريس .

ويرى جارودى ان هناك ثلاث نقاط مهمة لم يتم حتى الآن العناية بها كما ينبغى وهى :

١) تجزئة البحث النظرى الأساسى وتناوله بالشرح اليومى حتى يكون الضوء الذى سنلقيه على الصهيونية لا يتعلق فقط بجرائمها على المدى القصير ولكن باطماعها على المدى الطويل وبايديولوجيتها واسطورتها ، وان نستغل هذا العمل لزيادة تفهم العالم الغربى للاسلام ولتقوية اشعاعه هنالك .

٢) تنسيق المبادرات لتعديد وسائل النشر الضخمة لهذه الاعمال (حضور مستمر فى الصحافة والاذاعة والتلفزيون فى بلدان العالم الغربى ــ نشر الكتب المبسطة التى تكون فى متناول الجميع أو عن طريق تعليم اللغة العربية وتنظيم معارض ومهرجانات وغيرها وذلك كله سيساهم فى انتشار الايمان وثقافة الاسلام) .

هناك ثلاثة امثلة للعمل العاجل إزاء نشر العقيدة الاسلامية والثقافة العربية والاسلامية فى الغرب . انه من الممكن ان نتشىء حالا فى الأحياء الباريسية مثل «سان كوتان» او «الفيلى» مركزا اسلاميا ، أو مسجدا فى منطقة توجد فيها بعد مجموعة من السكان المسلمين يقرب عددهم من ٨,٠٠٠ نسمة وحيث يمكن لنا الحصول على موافقة السلطة المحلية .

ومن الممكن فورا إعطاء دفعة جديدة ونشاطا مشعا «للجمعية الاسلامية بجنيف» حيث يوجد مسجد تقصده لصلاة الجمعة مئات المسلمين .

ويكاد ان يكون اشعاعه الدينى والثقافى معدوما .

وعلى صعيد اخر يمكن فى احدى البلدان النفطية بالخليج القيام بانشاء وحدة او وحدات لانتاج بروتينات لتربية الماشية انطلاقا من صناعة البترول تسمح لها خاصة فى أوروبا باحتلال مكان مرموق فى مجال صناعة الاغذية الحيوانية خاصة للابقار مع العلم ان انتاج اللحوم يعتمد اليوم اساسا فى اوروبا على الصويا الذى يمكن ان تكون هذه البروتينات بديلا له .

فان تعتمد اوروبا بقدر كبير على البلدان النفطية ليس فقط فى مجال الطاقة بل ايضا فى مجال التموين يشكل حدثا من شانه ان يغير العلاقات بين اوروبا والبلدان العربية جذريا فى كل الميادين .

٣) التعجيل بنشر المؤلف الأول : (ملف اسرائيل : احلام واكاذيب الصهيونية (وفقا لروح إعلاننا فى جريدة لوموند بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٨٢) ليكون اول سلسلة من المؤلفات الخفيفة من صنف «ماذا اعلم ؟») واسعة الرواج ، وبالنسبة للمرحلة التالية وفى إطار سلسلة حول التعبير الفنى للمقدسات ، نحن بصدد إعداد كتاب عنوانه : «فى الاسلام كل الفنون تؤدى الى المسجد ، وكل المساجد تؤدى الى الصلاة» ، وفى هذا الكتاب ــ انطلاقا من العلاقة الاساسية مع الاله ، والتى تمثلها الصلاة ، نحاول أن نبين عن طريق زيارة الى كبريات المساجد فى العالم معنى هذه الصلوات .

وعن طريق تنوع الثقافات والفنون التى استوعبها الاسلام نحاول ابراز معانى وحدة وشمولية الايمان واعتقد ان هذا يمثل بالنسبة لمسلمى الغرب ــ الذين اعد واحدا منهم ــ عمل لابد من انجازه .

وسوف نؤدى هذه المهمة باذن الله شريطة ان لا ننسى ابدا ان الوفاء للاجداد لا يتمثل فى الحفاظ على رفاتهم ، ولكن فى العمل على تبليغ الشعلة .

السيدة/ سلمى جارودي
«سلمى التاجي الفاروقي»

سيدة فلسطينية مسلمة ، ترافق زوجها الفيلسوف الفرنسي الكبير رجا جارودى فى زيارته لدولة قطر .

ولدت فى فلسطين ــ قضاء الرملة ــ وانتقلت مع ذويها إلى القاهرة .

تلقت دراستها الاولية فى إحدى المدارس الاجنبية التبشيرية فى القاهرة وكان اسمها مدرســـة « ميردو ديو » ، مما كان لتلك الفترة من عمرها اثر بالغ فى سعيها نحو معرفة وفهم دينهـــا الاسلامي بعد ذلك ، ثم انتقلت أسرتها إلى السعودية حيث يعمل والدها .

استقرت فى « جنيف » منذ عشر سنوات ، وركزت نشاطاتها فى خدمة الجالية الإسلامية هناك . وفى مركز الدعـــوة الإســـلامية ، والجمعيـــة الإسلامية بجنيف ، تدرس اللغة العربية لابناء المسلمين المقيمين فى « جنيف » ، وتعمل على توثيق اواصر المسلمين وإشاعة الروح الاسلامية بينهم فى بلد الاغتراب ، وتحظى باحترام العديد من المثقفين والمفكرين ، واستطاعت بنشاطاتها كسب صداقات هامة فى الأوساط الأوروبية ، وظفتها لخدمة الدعوة الإسلامية ، ولخدمة القضية العربية .

التقت بجارودى فى جنيف ، فى ندوة عامة ، وحاورته فى كثير من ارائه حول الحضارة الغربية والدين الاسلامي ، وبعدما أعلن جارودى إسلامه طلبها للزواج منه ، فارسلت إلى والدهـــا تستشيره وتستأذنه ، فوافق دون تردد لثقته فى ابنته سلمى ، وكان زواجها من جارودى فى نهاية شهر رمضان الماضي .

قبل زيارتهما للدوحة ، كانا فى زيارة للمملكة العربية السعودية حيث اديا « العمرة » .

قصص من واقعنا

بقلم: درويش مصطفى الفار

هذه بضع قصص من واقعنا العربي المعاصر، لا اسوقها للتفكه والتسلية، وإنما للتامل، عل في التامل عبرة تدعونا لنعرف انفسنا حق المعرفة، ولنشخص بعض عللنا تشخيصا صحيحا، مقترحا على قراء الدوحة الكرام، ان يمدوا المجلة بكل ما لديهم مما يشبه هذه القصص لتقوم بدورها بتبويب انواعها، ولتجعل منها بحثا علميا تتناوله مجموعة من المفكرين العرب، لاستخلاص العبرة، ومحاولة العمل على ان نتخلص من بعض ما نحن فيه من عناء وشقاء ...

● الحاج على قدم

● عندما قررت الدولة المصرية في الثلاثينات، إعادة تشغيل مناجم الذهب بالصحراء الشرقية بين النيل والبحر الاحمر، انشات مركزا لاستخلاص الذهب في مكان يسمى (مرسى علم) قبالة مدينة إدفو، على ساحل البحر الاحمر. وكان الوصول من إدفو إلى مرسى علم تلك، مشقة عبر مائتين وخمسين كيلومترا من الصحراء الوعرة المليئة بكل ما يعوق السيارات في ذلك الزمان، واحجم عشرات من السائقين عن العمل، ولم يصبر عليه إلاالحاج علي قدم المنحدر من قبيلة العبابدة، وظل علي قدم رائدا يشار إليه بالبنان كبطل لا يبالي بوعثاء طريق إدفو مرسى علم الصحراوي. ولما حان الوقت قبيل واثناء الحرب العالمية الثانية لانشاء طريق اسفلتي بدل الطريق القديم، انبرى الحاج علي قدم يرفع لواء المعارضة، ويرسل برقيات الاحتجاج لكل مسئول في الدولة ليمنع انشاء طريق مسفلت. فلما ساله الناس في ذلك قال الحاج علي قدم البدوي القح:

إن إنشاء طريق اسفلتي معناه ضياع صيت (علي قدم) لأن الطريق بين ادفو ومرسى علم بعد انشاء الأسفلت سوف يكون اختراقه هينا حتى على الأطفال والنساء !!!

● المحافظ جارفس

● كان جارفس بك ضابطا من فلول الجيش البريطاني الذي احتل فلسطين سنة ١٩١٦ تحت قيادة اللنبي، وعين لكفاءته محافظا لشبه جزيرة سيناء المصرية فيما بين ١٩٢٣ و ١٩٣٦. وكان يهتم بشبه الجزيرة باعتبارها جزءاً من الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس. قرر جارفس ذات يوم ان يجدد طلاء ابواب ونوافذ الاستراحات المنتشرة في الحسنة، ونخل، والثمد، والقصيمة، والكونتلا، وطابا، والنويبعة، فارسل اشارة تليفونية لكل رؤساء الشرطة في تلك النقاط، تقول بانه سيرسل لكل منهم طلاء وفراجين وورق (صنفرة)، وتنص الاشارة على أن (يصنفر) الخشب جيداً، ثم يطلى مرة، وفي اليوم التالي يطلى مرة اخرى، وفي اليوم الثالث يطلى للمرة الثالثة، وعند جفاف الطلاء تعاد الأبواب والنوافذ إلى اماكنها ... وبعد شهر قام جارفس بالمرور فشاهد عجبا ... الأخشاب تلمع بلا لون، فسال في ذلك فكانت الاجابة بان تعليمات (سعادتك) قد نفذت بحذافيرها طبقا للاشارة الهاتفية ... فسال: ألم تحركوا الطلاء قبل استعماله، ليظهر اللون المطلوب، فكانت الاجابة: إن الاشارة لا تنص على - ولا تشير إلى - عملية التحريك قبل الطلاء !!!

● فليعاد .. فليعاد

● إثر صدور قرار تقسيم فلسطين ، في نوفمبر ١٩٤٧ ، هاج الشارع العربي وماج ، وصال الشعراء وجال الخطباء ، واختلط الجد بالهزل والعلم بالجهل ، وقرر جماعة من الناس إقامة (ندوة شعرية) لالغاء قرار الأمم المتحدة ، في إحدى البلاد العربية التي كانت بها جالية يهودية ، وكانت الندوة الشعرية المذكورة بالغة الحماس ، وكانت لهجة ذلك البلد العربي ، تقتضي عند الاستحسان أن يقول السامعون للشاعر المجيد : فليعاد .. فليعاد ... وطالت السهرة إلى منتصف الليل ، وانطلق الحاضرون بعد أن كلت أكفهم من التصفيق كل الى قريته ... والتقى اثنان وراء جدار متهدم بامرأة مسنة شمطاء من اليهود يعرفانها بحكم الجوار ... وكانت المرأة تحمل بندقية من طراز (لي انفيلد ٣٠٣) وتلهث ... فتوقفا عندها ... وسألاها الخبر ... فقالت اللهم العن بن جوريون ، فقد فرض التدريب العسكري الشاق حتى على أمثالي من العجائز ... وانصرف الرجلان وهما إلى اليوم في الأحياء من العرب ، ترن في أذانهما صيحات : فليعاد ... فليعاد ...

● عاشور والعقباوي



● كان عاشور بن محمد (جاويشا) في سلاح الحدود مشهورا بدقة إصابة الهدف في ضرب النار بحكم انحداره من سلالة بدوية تنتمي لقبيلة الحويطات الشهيرة ... نقل عاشور بن محمد ذات عام إلى (نقطة) راس النقب المشرفة على بير طابا ... وبينما كان ينقل الماء من بير طابا ، عرضت له أرنب برية تسابق الريح ، فارخى العنان لهجينه وأطلق النار عليها فأصاب منها مقتلا ... وذاعت القصة في البادية حتى وصلت الى العقبة ... وكان فيها اسماعيل العقباوي راميا مشهورا ذاع صيته ... فلما سمع بعاشور بن محمد آلى على نفسه أن يلتقي به ... قطع اسماعيل الطريق الوعر بين العقبة وراس النقب مشيا على قدميه ، حتى إذا ما أشرف على نقطة سلاح الحدود صاح ينادي عاشور بن محمد الذي برز له من خيمة متداعية ، فبادره بقوله انا اسماعيل العقباوي ، أشهر الرماة في هذه المنطقة ، وقد سمعت بقصتك مع الأرنب فجئت لأمتحنك . فرحب به عاشور ودعاه لشرب القهوة فأبى وأقسم الا يذوق له طعاما ولا شرابا حتى يباريه في الرماية ...

واستل اسماعيل عظمة ضلع بعير من كنانة على كتفه ورفعها بيمناه أمام عاشور بن محمد قائلا : انا أصيب هذه على بعد مائة خطوة ، فقال عاشور بن محمد دعنا نرى، فانتحى اسماعيل بعيداً وغرس عظمة البعير في كومة صغيرة من الرمل والحصى واقعى مرتكزاً على قيد مائة خطوة منها ، واطلق النار فطار نصفها وبقى النصف الآخر ... وهنا ودون تردد طلب عاشور بن محمد من ضيفه أن يناوله بندقيته وطلقة واحدة ، فأشار اسماعيل مستحسنا أن يعطيه طلقتين ليعرف بواحدة طبيعة بندقية لم يسبق له استعمالها ويصوب الأخرى نحو العظمة ، فأبى عاشور بن محمد وقال لا أريد إلا طلقة واحدة ، وأمسك بالبندقية واقفا ، وابتعد عن النصف المتبقي من العظمة عشر خطوات زيادة إلى الوراء عن موقف اسماعيل ، وأطلق النار فطار النصف المتبقي في الهواء ، فأخذ اسماعيل بندقيته وقد احمر وجهه غيظاً وأقفل راجعاً إلى العقبة دون أن يسلم على مضيفه ، ودون أن يتناول عنده ولا جرعة من ماء !!!

● نادي الضباط

● قررت دولة عربية صميمة ، أن تنشيء ناديا فخما للضباط ... واضطلع بالمهمة تصميما ومتابعة وتنفيذا مهندس كفء شاب ، ظل يعمل ليل نهار بكل ما أتاه الله من العزم والهمة ، حتى حانت ساعة افتتاح النادي ، ولما قص رئيس الدولة الشريط ، قدم إليه رئيس هيئة الاركان ، احد الضباط الكبار ، من أصدقائه الحميمين ، على أنه الرجل الذي انجز هذا العمل الفخم ، ولم يشر من قريب او بعيد ، الى ذلك الضابط المهندس الشاب الذي احبطه الغيظ ، فاصيب بشلل نصفي بعد ان خر مغشيا عليه ، وهو يلمس بحواسه الخمس ذلك النكران العجيب ...

● ثائر مجاهد



● وقع نفر من الثوار المجاهدين فى قبضة جند الاحتلال ، واودعوا السجن تمهيداً للمحاكمة ، وتصادف أن وصل إليهم عن طريق مجاهدين يعملون كطابور خامس وسط العدو ، ما استطاعوا به أن يفتحوا ثغرة فى سقف السجن ، خرجوا منها فى غفلة الحراسة وتعلقوا بأنابيب المجاري حتى وصلوا الى الأرض ، وتهامسوا بالاسراع في النجاة قبل ان ينتبه الحراس ، فابى واحد منهم ان يتحرك لأنه قد اضاع غطاء رأسه اثناء النزول ، فاستحثوه أن يتبعهم فابى ، قائلا كيف افلت ويراني أهل القرية حاسر الرأس ؟ ، فتركوه ولاذوا بالفرار ، وأعاده الحراس الى السجن مرة أخرى !!!

● الميجر بل



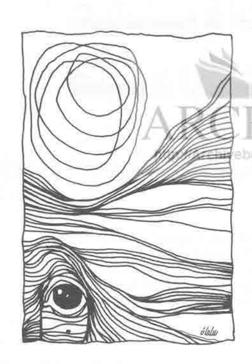
● اشتهر الميجر بـل فى منطقة ما بالشرق الأوسط فيما بين الحربين العالميتين ، وكانت مهمته أن يصادق الناس ويتقرب إليهم ، وكان من عبقريته أن تبارى كبار العشائر فى إكرامه ودعوته وبطانته إلى الولائم والأفراح فى عرض الصحراء الواسعة ... وأراد أحد كبار العشائر أن يتفوق بالحظوة لدى (حكومة) الميجر بـل ، فذبح عدة جمال وخراف ، وجلب الفاكهة والحلوى ، واولم للميجر بوليمة لم يسبقه في فخامتها أحد قبله .. وشاء سوء طالعه ، أن اشترى من أقرب مدينة إلى نجعه عدداً من زجاجات الشراب المعتق ، ووزعها على السماط الممدود ... وكانت العادة لدى الناس هناك ، أن يتناول الضيف القهوة العربية الأصيلة قبل الغداء ... فلما اقبل الميجر على الخيمة التي مد فيها الطعام تحيط به بطانته من الضباط والمدنيين ، لمح على التو زجاجات الشراب ، فرطن لجماعته ورهطه الا يجلس إلى الطعام منهم احد ، وظل واقفاً ، ونادى المضيف يسأله عن تلك الزجاجات ، ولم يترك له فرصة للرد ... وقال له وهو يغادر المكان ، يافلان إنني احترم تقاليدكم وتراثكم ، وما كنت أتصور أنك ، لأي سبب ، سوف تقدم على مثل هذا الصنيع الذي هو ليس من شيمة العرب ، وذلك بأن تحضر «خمراً» إلى بيتك لضيف كائنا من كان ، والله لا أذوق طعامك أبداً ، وأسرع الميجر ومن معه الى سياراتهم تاركين طعام كبير العشيرة نهباً لذئاب الصحراء ، وظلت هذه القصة حية يرددها الناس منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان ...

تلك الأقاصيص مجرد عينات ، في جعبة الذاكرة وددت أن أضعها للتحليل والدراسة ، هي ومثيلاتها التى لا أشك أنها كثيرة ، وكثيرة جداً ، فيما بين المحيط والخليج .

درويش مصطفى الفار

نهاية الرحلة ..

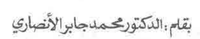
شعر : حسن شكري فلفل



عيناك ياحبيبتي .. كانتا الأمل
وكانتا الضياء
تبحثان في ملل
وتسألان والمنى تائهة الدروب
في لهفة دؤوب :
«أما أرى رؤى ، أم انها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل
تبكين يا حبيبتي .. بدمعة هتون
واسال النهار : هل عادت الحياة
بخيطها الرهيف ؟
ويستبد ليلنا الطويل
سواده يخيف
لكنها الحياة .. رموزها القدر
والبعد يا حبيبتي ليل بلا سمر
وتسالين : بالصمت تسالين :
« أما ارى رؤى ام انها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل
والفارس البلا قلاده
تؤلمه الوساده
قد استراح الفارس الغريب
وتسالين : اهذه النهايه
امس بلا بدايه
اما ارى رؤى ، ام انها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل .



قضيــة الشــهر



ضـــوء جـــديـــد على أزمـــة مزمنـــة :

عشـــرة اتهامـــات ضـــد المثـــقـــفين

ونداء عاجل لمشاركتهم في الحوار ومعاناة البناء

مجلة « اليمامـــة » السعوديـــة نشرت قبل اســابيع قليلة تحقيقا مطـولا عن وضـــع المثقفيــن (خريجي الجامعات بالذات) في المجتمع السعودي تحت عنوان : « المثقف السعودي .. شاهــد ما شفــش حاجـــة !» (١) .

ونرى أن نشر هذا التحقيق ، بالمستوى الذي نشر به ، وبنوعيــة توجهــاته ، وبالصراحة التى عولج بها الموضــوع ، يمثل مؤشرا متعدد المعاني والرموز يمكن إيجازها فى الأمــور الثلاثة التالية :

اولا : ان التحقيق يمثل تطورا نوعيا في فكر الصحافة السعودية وفي مضمونها ومحتواها ، بما يتجاوز التغيير فى الشكل والمظهــــر .

ثانيا : ان هذا التطور النوعي يعكس مناخا اجتماعيا عاما ، او توجها جديا نحو خلق هذا المناخ القائم على انفتاح الفكر وتقبل الحوار وتبادل الاراء وتسليط الضوء على الحقائق والوقائع الاجتماعية بروح علمية وموضوعية يحكمها الالتزام بخدمة الوطن ومجتمعه والرغبة البناءة فى تطويره .

ثالثا : ان ساعة محاسبة المجتمع والوطن للمثقفين والخريجين قد دقت ، وأن ساعة محاسبتهم الذاتية لأنفسهم ، بالاحرى ، قد بدأت ، او يجب ان تبدأ ، قبل ان يشتد عليهم الحساب الذي لابد منه من جانب الوطن والمجتمع ... فلقد اعطاهم الوطن (خريجى الجامعـــــات وحمـلة الشهادات العليا بالذات من التكنوقراط والبيروقراط) ـ اعطاهم مختلف الامتيازات والمناصب والحقوق .. فماذا اعطوه بالمقابل من فكر مفيد لتطوره وحل مشكلاته ورسم مستقبله ؟ وما مدى استعدادهم اليوم



د . انور جبرتي

د . احمد الضبيب



د . عزيز ضياء



د . منصور الحازمي



د . عبد الله الغذامي

د . عبد الله حمد القرعاوي

للمشاركة فى عملية الشورى والحوار واللحاق بعملية البناء ؟ .

والمستوى الشمولي الذي طرحت بـــه «اليمامة» هذه القضية جعلها طرحاً لقضية المثقفين والثقافة في المجتمع العربي كله ، في هذه الفترة العصيبة من حياته ، لا تقتصر على المجتمع السعودي وحده ، وإن كانت تتخذ منه ومن مثقفيه ساحة ميدانية للدراسة والتقييم .

ومن هذه الزاوية نرى ان هذه المعالجة تمثل حدثاً ثقافياً خليجياً وعربياً يستحق التوقف والنظر والتقييم . ومن خلالها وعلى ضوئها نتوقف امامه بالعرض والتقديم والمشاركة ليتسنى لقراء «الدوحة» في مختلف ارجاء الوطن العربي متابعة هذه المعالجة الثقافية الرصينة .

ونعتقد انها شهادة ناطقة لا تحتاج إلى بيان أن يتحول موضوع في مجلة اسبوعية إلى حدث ثقافي يفرض نفسه على المجلات الثقافية المتخصصة ، ولكن هذا ما حققته الزميلة «اليمامة» بالفعل ، وهو ليس إنجازها الوحيد ، فالتقليد الذي سنته بافتتاح كل عدد بقضية من قضايا المجتمع والفكر ، ومعالجتها بشمولية ومن وجهات

عشرة اتهامات ضد المثقفين

نظر متعددة ، يجعل منها ظاهرة أبعد مدى من الصحافة السيارة .

و «الدوحة» بمشاركتها «اليمامة» فى طرح هذا الموضوع فانما تود التأكيد على وحدة المعاناة الفكرية فى خليجنا وجزيرتنا العربية ووطننا العربي الكبير ، باديء ذي بدء ، تقرر «اليمامة» أن «هذه القضية إن لم تكن ضد المثقف السعودي فهي ليست معه» ذلك : «إن هذا المثقف متهم بالقصور والتقصير معا . وهو منكفيء داخل نفسه يحدق داخل عالم محدود ، مع أن المطلوب منه أن يحلق الى طموحات هذه البلاد ... ومع أننا نعلم أن هذا المثقف يملك أن يمنح وطنه الكثير ، فهو يمنع نفسه لأسباب حقيقية أو مفتعلة عن القيام بهذا الدور ، ومن هذا أصبح هناك إحساس حقيقي بأن مثقفينا إن لم يكونوا معزولين عن حركة الحياة والبناء ، فهم على الأقل غير مشاركين فيها . لا بالكم ولا بالكيف المطلوب .

وهذه معاينة قد تحمل صدمة للبعض ، لكن ليس فيها جور كثير كما قد نظن لأول وهلة . ولهذا يمكن القول بغير تجن أو ظلم إن «الحدث الثقافي» فى المملكة يلهث وراء الحدث الاجتماعي بما لا يقاس . ولا نعتقد أنه يمكن الحديث فى هذه المرحلة التاريخية عن دور «تتبعي» للمثقف السعودى فما بالك بالدور التنبؤى أو التبصيرى فى تحديد المسارات الجديدة أو تعيين محاذير المستقبل وبشائره ، فالمثقفون لم يشاركوا فى صياغة الهياكل الفكرية للمجتمع على نحو ما قام أولو الأمر فيه بصياغة هياكله الحضارية . ومن ثم نشأت تلك المقولة التى ترى أن للمملكة قامة سياسية واقتصادية ودينية لا تطاولها قامتها الفكرية بحال» .

وقبل عرض هذه العريضة ، نود ايراد التحفظ الذى أوردته اليمامة وهو أن : «هذه القسوة على النفس تطمح الى العلاج ولا تطمع فى العقاب» .

وان الهدف من هذا التحقيق كله هو : «إقامة حوار أشمل بين المثقفين ومظاهر النمو والحركة فى وطنهم ، وهذا هو المعنى الأعمق لفكرة الحوار كما نريد ترسيخها ... وإذا كانت القضية على هذا المستوى من الأهمية فانها تستاهل الحوار والنقاش وربما الخصومة الفكرية أيضاً» .

تسير لائحة الاتهام ضد المثقفين على النحو التالى :

أولا : المثقف فى برج عاجى ، يعتصم بعلمه وينأى به عن الآخرين ، ويرى : «عن حق أو عن باطل أنه نموذج الصفوة الفكرية التى ينبغى عليها أن تحتمى بشرنقة العلم حتى لا يهبط من عليائه الى تفاهات الحياة اليومية» وهذه فكرة بالية سقطت من واقع المجتمعات الحية المتقدمة منذ زمن بعيد ، فالعلم للمجتمع ، والفن للحياة . والرسول الأعظم بشر عالما لا ينتفع الناس بعلمه ، بعذاب مقيم .

ثانيا : ان مهمة المثقف الحقيقية هى استشراف المستقبل ... وهذا يلقى على كاهل المثقف تبعة رصد وتوجيه مختلف الظواهر الاجتماعية التى تدور حوله ... لكن الملاحظ فى مجتمعنا أن هناك الكثير من المتغيرات التى تمر على المواطن ويتخذ منها موقفا غامضا فى أكثر الأحيان لغياب الترشيد والرصد من جانب المثقفين .

ثالثا : المثقف : «يعيش حالة تناقض غريبة بين التقليد والمعاصرة بمعناهما النظرى .. ولهذا نجد أننا بإزاء ثنائية حادة لا يمكن أن تضيف جديدا الى مسارنا الحقيقى نحو طموحاتنا الكبيرة .

وبالتالى فان هذا المثقف : لا «يضع قدما تمضى فى الحداثة الى نهايتها ، وقدما أخرى تغوص فى التقليد الى منتهاه» .

وهكذا ينعكس على النتاج الفكرى لهؤلاء المثقفين : «فلو راجعت ما يصدر وما ينشر لدينا لوجدت أن الحديث يخلو عن حركات «الهيبز» و «البانك» ولا سكتولوجيا فى الشعر ... وعلى الطرف الآخر ربما وجدت الحديث يخلو أيضا عن الأسباب التى جعلت «جريرا» اليربوعى مناهضا ومشاكسا لزميله وأخيه فى الأروقة «الفرزدق» المجاشعى ، وكلاهما تميميان ... ولا شيء أبدا عن «كل» ما اعترى مجتمعنا الحاضر من تحولات .. هى كبيرة ومهمة ويرتكز عليها تحديد منطلقات المستقبل» .

رابعا : «ان الآف الآلاف من المواطنين الذين يحتاجون هاديا وموجها لازالوا على مواقفهم الغامضة من جميع الرموز الحضارية والثقافية التى يعيشونها ... ومن حسن حظنا ، وربما بعامل الصدفة البحتة أن الكارثة لم تحدث بعد .. وإلا فانه فى مثل هذه العزلة التى يعيشها المثقف عن واقعه كان لابد أن تحل الكارثة .. وقد تبدو كلمة «كارثة» هنا كلمة كبيرة ولكنها كلمة حقيقية وعلى حجم المعنى الذى نقصده بالضبط ، لأن المجتمع بغير قيادة من عقله الواعى يشبه سيارة تنطلق وهى مطفأة الأنوار .. وتلك هى المهمة الملقاة على عاتق مثقفينا ...» .

خامسا : إذا طرحت مشكلة على المثقف ليقول فيها رأيه فانه يساهم فى علاجها إسهاما محدودا للغاية ، ناهيك عن مدى إسهامه فى تطوير المجتمع ككل . وتراه يقول أشياء جميلة جدا عن المشكلة موضع البحث ، لينساها فى الغد ، ويعيش بمعزل عنها ، ويسير سيرته الأولى فى الحديث عن «الهيبيز» أو عن الفرزدق وجرير !

سادسا : «إننا نشعر أن المثقف مثقف لنفسه لا للمجتمع . حتى المتخصصون فى علوم الادارة والاقتصاد أو علم النفس والتربية والاجتماع ، نكاد نشعر أن النظريات التى حفظوها ظلت مخزونة فى الذاكرة ، دون محاولة أن يفيدوا مما يمكن تطبيقه من هذه النظريات لتحديد معايير جديدة للقياسات النفسية والاجتماعية والحضارية فى مجتمع ينمو نموا يختلف تماما عن غيره من المجتمعات» .

سابعا : ان المثقفين حولوا انفسهم الى أكاديميين وراء أسوار الجامعة . ودفعوا باتجاه فصل الجامعة عن المجتمع والحياة. فغاب الحوار المنتج بين الجامعة كمؤسسة قومية والكيان الاجتماعى العام . وكادت الجامعات أن تكون «معامل لتفريخ الموظفين فقط» بدل خلق : «الكوادر البشرية التى تحتاجها خطط التنمية» .

ثامنا : عندما يمارس المثقف دورا فانه يمارس هذا الدور بشكل «فردى ضمن إطاره الخاص وليس ضمن حركة فكرية شاملة . ومن هنا يضيع الجهد مثل «قطرات قليلة فى صحراء عطشى» ونحن : «لا نحتاج الى مبادرات فردية من هذا المثقف أو ذاك ، ولكنا نحتاج الى حركة كاملة فى حركات التنوير الفكرى» .

تاسعا : يظل المثقف «نظريا» بشكل عام ولا عيب فى التنظير . ولكن العيب فى ظاهرة «الأيدى الناعمة» التى لا تساهم فى عملية البناء : «ان هذا الوطن يشهد الآن إعادة بناء الحضارة العربية كاملة بعد قرون من الركود . وهذا البناء يتم فى ظل الاكتشاف الذى قلب موازين القوى العالمية ونعنى به ظهور النفط .. وتلك حركة هادرة تحتاج أن يشارك المثقف فى صنعها وخلق أطرها الصحيحة لا أن «يتفرج» عليها من



غلاف مجلة اليمامة : العدد الذى نشر فى صدره التحقيق الهـــام المطول عن موقف المثقفين فى المجتمع الســـعودى

بعيد وكانها لا تحدث فوق ارضه وفى داخله .

عاشرا : ان هذا المثقف : «يلتمس لنفسه مجموعة من المبررات التى يغطى بها هذا القصور أو التقصير» واهم هذه المبررات وأكثرها تردادا على السنة المثقفين فى تبرير هذه السلبية القول : ـ

«بان المناخ الاجتماعى بشكل عام غير ملائم للحوار ، وغير مشجع على النقاش ، ونحن نعتقد ان ذلك لا يمثل اكثر من مشجب يعلق عليه البعض غيابهم عما يدور حولهم ، إذ اننا لا نستطيع ان نفهم ما المقصود بهذا «المناخ» الذى يهيىء جوا للحوار والنقاش فلم نجد فى يوم ما ان هناك قائمة بالمحظورات التى يجب على المثقفين عدم الحديث فيها من الافكار والتحولات التى تحدث كل يوم ...

فما علاقة المناخ بالحديث عن الانسان الجديد وما يتعلق بشئون تعليمه وتطلعاته وتطوره .. وما علاقة المناخ بالحديث عن مستوى التعليم ، وإقبال الناس على التجارة ، وهروب الشباب من معاهد التدريب ، وأثر الظاهرة الصناعية على اتجاهات الجيل القادم ... ؟» .

● ● ●

بعد ان مثلت «اليمامة» الادعاء العام الفكرى فى هذه القضية ، توجهت الى عدد من اهل الرأى والكلمة تستفتيهم فى القضية ، لا كمتهمين فى القضية ولا كمحامين فى جانب الدفاع ، وإنما بالدرجة الأولى كشهود قدموا شهاداتهم التى الحقتها بملف الدعوى .

وهذه الشهادات تتفاوت فى قيمتها .. والانطباع العام الذى خرجنا به من قراءتها ان «مرافعة» اليمامة فى عريضة الاتهام كانت أكثر تكاملا وشمولا وتراصا . بينما جاءت «الشهادات» الفردية لأهل الرأى متفاوتة وموزعة ومنحصرة فى عدد من الأسئلة التى وجهت اليهم ، وهى أسئلة أساسية وفى صلب الموضوع ولكنها لم تكن مرفقة فيما يبدو بعريضة الاتهام التى لابد أن يقرأها كل «شاهد» من اهل الرأى فى سياقها التفصيلى قبل الاجابة على اى سؤال يتفرع عن موضوعها ، وذلك لتأتى الاجابات فى شمولية الأفق العام للقضية برمتها .

ولكن هذا لا يقلل من قيمة بعض الآراء التى تضمنتها تلك «الشهادات» ، والتى سنتوقف امام ما نعتبره إسهاما حقيقيا منها فى إغناء وتعميق القضية المثارة .

ينبه الأستاذ عزيز ضياء ـ وهو شخصية ثقافية معروفة ـ الى أن الشخص القادر على الوفاء بالتزام التوجيه والتعبير والتنبؤ بالنسبة لحركة المجتمع وتطويره هو «المفكر» وليس مجرد المثقف أو عالم الاختصاص فى علم من العلوم . وان الفنان والعالم والسياسى يحتـــاجون لرؤية المفكر وعطائه المتميز لينير لهم الطريق ، الذى قد لا يكون الأسهل ، لكنه الأصح .

ويضيف : «ان عطاء المفكر ليس عطاء عبقرية أو وحيا غيبيا أو إلهاما ... وإنما هو عطاء اختيار يعتمد على حساب متان أو معايير خاصة به ، ولذلك فما أكثر ما يصطدم عطاء المفكر بردود فعل من الشك والحذر ، بل وربما الرفض ايضا يستمر لفترة تطول أو تقصر ، ليجد فى النهاية من قد يستوعبه ويؤمن به» .

ويلاحظ الأستاذ عزيز ضياء باسف فى النهاية ان المجتمعات العربية : «شحيحة إن لم تكن عقيمة فى مخاض من يوصف بانه (المفكر) فيها ، وربما كان السبب هو معاناة هذه المجتمعات واضطراب الحياة فيها بطبيعة الصراع المتلاحق بينها وبين «طوارىء والأحـــداث التى تعصـف باستقرارها» .

وهذه الملاحظة الصائبة بشأن التمييز بين المثقف والمفكر تطرح فى رأينا ضرورة التمييز بين مستويات ثلاثة عند بحث وظيفة المثقفين ودورهم :

فهناك على المستوى الأول الخريج الجامعى أو رجل الاختصاص الذى يؤدى دورا مهنيا اختصاصيا كالطب أو الهندسة أو الادارة ، وتنتهى وظيفته ويتوقف دوره عند حدود ممارسته لهذا الاختصاص الوظيفى ، وذلك ، فى حد ذاته ، لا يرقى به باى شكل الى مستوى المثقف ، ناهيك بمستوى المفكر ، إلا إذا قدم عطاءات تتجاوز عمله الاختصاصى .

أما المستوى الثانى فهو مستوى المثقف العام ، خريجا كان أم مواطنا متعلما ، «وهو الشخص الذى استطاع ـ حسب تعبير الدكتور أحمد محمد الضبيب ـ من خلال علمه واطلاعه ومشاركاته وممارساته ومن خلال اختلاطه ببيئته الثقافية والبيئات الأخرى ، أن يجمع لنفسه حصيلة ثقافية تمكنه من إدراك العلاقات بين الأشياء ، كما تمكنه من الحكم عليها بمنظار خاص» .

ثم يبقى المستوى الثالث وهو مستوى «المفكر» حسب تعريف عزيز ضياء له ، وهذا النوع لا يولد ، فى رأينا ، إلا إذا ازدحم المجتمع بنوع المستوى الثانى ، اى مستوى المثقف العام ، بحيث يأتى المفكرون ذروة وقمة لوجود أعداد هائلة من المثقفين المبدعين والمنتجين الذين يصبح المتفوقون منهم مفكرين . ومن هؤلاء عندما يتفوقون يخرج مستوى رابع هو مستوى الفلاسفة ، وذلك ما لا نطمح اليه فى المرحلة الحاضرة من تطورنا وما يفصلنا عنه مسار طويل . فالنهضة العربية الحديثة كلها ، وفى الوطن العربى كله ، لم تنتج بعد فيلسوفا واحدا حسب المعايير العالمية الموضوعية لهذا النوع من رجال الابداع الثقافى .

يبقى طموحنا الواقعى ـ إذن ـ ان نأمل فى تحويل الخريج والمتعلم ورجل الاختصاص الى مثقف ، ثم فى تحويل المثقف الى مفكر .

والمثقف الحقيقى لا يتحول من متعلم الى مثقف بمجرد توسيع دائرة اهتماماته واطلاعه ، وإنما باتخاذ «موقف» معين محدد من حركة المجتمع . وهذا يقرب من مفهوم «الالتزام» فى الادب والفن .

هذا المعنى يتضح من خلال هذه الاشارة الهامة التى يطرحها الدكتور عبد الله الغذامى عندما يقول : «إن دور المثقف فى مجتمعه هو دور الرائد الذى لا يكذب اهله ... فعليه مسئولية كشف الحقيقة لامته ودعوتهم الى الاخذ بها ، وهو بذلك يدخل فى معركة ضد التاريخ . إذ ان الماضى عادة يرخى سدوله على الحاضر ويترك رواسب أخذت صفة الثبات . والتمكن من نفوس الناس ، ودائما ما تكون مغلوطة ، ويختلط الزائف منها بالحقيقى . ودور المثقف هو التمييز بين الاثنين وتبصير الناس بهما وكمثال على ما اقول نلاحظ كثيرا من الزيف دخل الى جوهر الدين فاختلطت البدعة بالسنة حتى اصبحت شيئا واحدا عند كثير من المسلمين ، وصار للبدعة صفة القداسة حتى اصبح امر إزالتها عملا عسيرا . وهنا تأتى مسئولية المثقف الانسانية ....» .

وهذا التحديد لدور المثقف كموقف والتزام ونضال فكرى ضد مختلف انواع الزيف يلغى ضمنا دور مثقفى «المعلوماتية» لو صح التعبير ، اى المتعـــلمين الموسوعيين الذين يكتفون بحفظ وتخزين مختلف انواع المعلومات ونقلها نقلا غير مبدع دون غربلة وتحليل ودون استخراج ما تتضمنه من نتائج عملية وخلاصات تطبيقيه ، او تنويرية ضد الزيف والخطا .

هذه المسالة يضع الدكتور انور عبدالمجيد الجبرتى يده على مفتاحها عندما يقول : «إن المثقف الذى لا دور له فى مجتمعه ، او فى عصره ، لا يعتبر مثقفا . فالموسوعيون السلبيون مكانهم ارفف المكتبات وأرشيف المتاحف ، ويغنى عنهم فى العصر الحاضر ، بل ويفوقهم ، جهاز كومبيوتر صغير له ذاكرة متواضعة . ولذلك لا نحس بهؤلاء حولنا ، .. وننساهم سريعا إذا ما غادرونا ، اما المثقف الحقيقى فهو شاهد عصره ، وضميره ، ووقوده ... ودوره شمولى ومتعدد الجوانب» .

• • •

وبعد أن يأخذ هذا السياق الانتقادى للمثقفين مداه ، ويكتمل الوجه الاول للقضية والحقيقة ، يأخذ فى التشكل شيئا فشيئا ملامح «الوجه الآخر» ، ولكن دون أن يكتسب الدرجة ذاتها من الوضوح ..

فمهما كان تقصير المثقفين فادحا ، فليس من المعقول ان ينصب كله على اسباب ذاتية تتعلق بعجز المثقفين انفسهم . لابد أن هناك اسبابا حضارية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وبيئية ذات طبيعة موضوعية وذات اثر لا ينكر فى تسبيب ذلك التقصير وزيادته وابقائه مستمرا ، فالمثقف على اهميته جزء من كل ولا يمكن الحكم على الجزء سلبا او إيجابا ، إلا بالنظر الى «الكل» الاجتماعى التاريخى الحضارى فى شموليته . وهذا المنحى من النظر لا يتضح بالشكل الذى اتضح به المنحى الاول ، اى انتقاد المثقفين ، فى سياق التحقيق ، مع ان التحقيق يطالب المثقفين انفسهم بمقاربة العوامل الاجتماعية الشاملة التى تحيط بهم ودراستها وتقديم الترشيد بشأنها . ومن المؤكد ان المعالجة ستكون اشمل واكمل واجدى اذا اتبعنا انتقادنا لظاهرة المثقفين ، وهى الظاهرة ـ الجزء ، بتحليلنا وتقويمنا للظاهرة الكل التى تشملهم وتشمل الوجه العربى كله وتتفرع عنها جميع قضايانا وأزماتنا ، ونعنى بها موضوع المجتمع ـ التاريخ ـ الحضارة فى المنطقة العربية .. فهذه هى الظاهرة الام التى لابد ان يصل اليها اى بحث شمولى المنحى فى التحليل النهائى .

غير انه من الانصاف الاشارة الى ان إجابات بعض المثقفين الذين شملهم التحقيق تطرقت بشكل جيد الى جوانب غير قليلة الأثر والاهمية فى رسم وتحديد ملامح «الوجه الآخر» فى القضية ، وهو دور العوامل المجتمعية الموضوعية فى تسبيب الظاهرة موضع البحث .

فالدكتور الضبيب ـ مثلا ـ يرى أن المثقف فى اى مجتمع عربى هو فرد من المثقفين العرب الذين تظلهم ظروف عامة واحدة ، وتؤثر عليهم عوائق عامة متعددة ، منها : ـ

اولا : «حالة الانهزام النفسى التى يمر بها الانسان العربى هذه الايام والتى تمس كبرياءه ومقدساته ، مما يجعل المثقف يقف موقفا يتأرجح فيه بين القنوط اليائس والأمل البعيد ، مما اصاب بعض المثقفين بما يشبه اللامبالاة ، والانكفاء النفسى» .

ثانيا : «حالة الانبهار التى يعيشها المثقف فى هذه المنطقة من العالم امام التقدم الهائل والنشاط العقلى الكبير وتدفق المعلومات ... بينما يظل الانسان العربى الى حد كبير خارج هذه الحلقة .. حتى كأنه فى الحقيقة لا يعاصر تلك المجتمعات بل يتخلف عنها مئات السنين» .

وليس المقصود بذلك : «المعاصرة الحسية المتمثلة فى استيراد الالات ... وإنما اقصد المعاصرة العقلية والفكرية المعتمدة على المشاركة فى الاختراع والاكتشاف وتطويع المواد الخام» .

ثالثا : «المثقف العربى جزء من مجتمعه .. يتأثر بالظروف الاجتماعية التى تسيطر على هذا المجتمع وتشيع فيه . كما انه يجرى كما يجرى الآخرون وراء لقمة العيش والمستوى الاجتماعي المعقول الذى يود ان يحققه له ولأسرته . وهذا يستغرق الكثير من وقته وجهده . ولعل من الخطأ ان نحمل المثقف العربى اكثر مما يحتمل فنفترض فيه مثالية تعزله عن الناس فى ابراج عاجية ، ونفترض فيه الزهد الشديد وابعد عما يضطرب فيه الناس من امور الحياة المختلفة» .

ويلقى الدكتور منصور الحازمي ضوءا مختلفا على ما يسمى بسلبية المثقف وبرج

ـ عاجيته عندما يقول : « هذه العزلة رغم سلبيتها وعقمها لا تنفي ارتباط المثقف بمجتمعه ، اذ ان موقفه المتعالي انما هو علامة احيانا على الاحتجـــــاج على مجتمعه » .. نعم احيانا .. وليس دائما ، فذلك قد يكون صحيحا من حيث المبدأ ، لكن يجب التمييز بوضوح بين مثقف مخلص حقا ، ومنتج حقا ، ولديه ما يقوله ولكنه مضطر الى الصمت ، وبين اكاديمي سلبي يغطي سلبيته بـ « التظاهـــر » بالاحتجاج .. ولا يخلو الامر من نماذج كثيرة للصنف الثاني في مجتمعاتنا لان المواقف الثقافية تتفاوت بتفاوت نوعية المســـائل الاجتماعيـــة المطروحة وليس صحيحـــا ان جميـــع هـــذه المســـائل الاجتماعية لا يمكن مقارنتها ومعالجتهـــا فكريا بدرجة او باخرى . ولا توجد اوضاع مثالية للمثقفين فى معظم دول العالم الثالث وحتى بعض العالم المتقدم . واذا كانت الثقافة مسئولية ورسالة فلابد من بعض التضحية وتحمل قدر من المصاعب .. تنقص او تزيد .

ويطرح الدكتور عبد الله العثيمين في اجابته نظرات تحمل المثقف جانبا من المسئولية وتحمل المجتمع الجانب الآخـــر ـ وذلك المنهج الاسلم ـ حيث يقول : « ان كثيرا من الامور التى تمثل مشاكل وظواهر اجتماعية مهمة تحاط بسياج من السرية والكتمان وتوحيد الابواب امام ايضاح ابعادها . ولعل ما تمر به البلاد من ظروف اجتماعية واقتصادية قد اثرت فى بعض المثقفين تاثيرا سلبيا . فهناك من ادرك الظروف الاجتماعية وادرك ابعاد المشكلات التى قد يؤدى التعرض لها ، فابتعد عن تناولها احساسا منه بعجزه عن ذلك التناول . وهناك من لم يستطع ان يقاوم اغراء الثروة المادية التى نتجت عن الانفجار الاقتصادي ، واصبحت لقمة سائغة لمن يستحقها ، ولذلك انطلق مع من انطلق من فئات المجتمع الاخرى ليحصل على ما يمكن الحصول عليه من تلك الثروة قبل ان تفوت الفرصة » .

فهنا نحن امام عـــامل « الانفجـــار الاقتصادى » وكيفية تاثيره سلبيا فى بعض الجوانب على المجتمع . فلماذا يلام المثقف وحده ولا تلام القطاعات الاجتماعية الاخرى التى تكون مجمل الظاهـــرة ، وبعضها اقوى اثرا من المثقفين كالتجار وكبار المتمولين وكبار رجال الاعمال ؟

أما الدكتور جبرتى ، فيرى اننا يجب الا نبالغ فى تصور حجم العامل الاقتصادى او الانفجار الاقتصادى إذ : « ليس التقاعس الثقافى لدينا ظاهرة نفطية بحتة ولا نستطيع ان نصندق كل مشاكلنا فى تابوت نفطى » ذلك ان : « الابداعـــات الثقافية الجادة ـ كما يرى ـ لا يعطلهـــا الفقر ولا يلغيها الثراء » .

وهى مقولة نرى فيها قدرا لا يستهان به من الصحة فلا الفقر فى الهند عطل ابداعها الروحى والفكرى والادبى .. ولا الثراء فى اوربا الغربية عطل ابداعاتها الحضارية على اختلافها وتنوعها وثرائها المستمر .. فما بال فقراء العرب واغنيائهم يردون عقمهم الفكرى الحـــاضر الى سببين متناقضين .. الفقر لدى الفقراء .. والغنى لدى الاغنياء ؟

وذلك ما يدفعنا الى الترجيح بان المسئول الاول عن ذلك فى الحالتين هو الانسان ـ فقيرا ام غنيا ـ وهو معدن الامة ككل ونظامها الاجتماعى فى حالتيهـــا النقيضتين .. فهذا ما يحتاج الى اصلاح وانقاذ : نوعية الانسان ومعدن الامة .. ودعونا من مقولة الاستعمار ومؤمراته واسرائيل ومن هم وراءها !

ويرد الدكتور جبرتى فى النهاية سبب العقم الثقافى لدى المثقفين الى ثلاثة اسباب نراها جديرة بان تضاف الى «ملف» القضية ، وهى :

اولا : « الخلفيات الاجتماعية والنفسية والسياسية والتى بدا يعيشها عالمنـــا العربى منذ الستينات ، والتى جعلت المثقفين جمهورا وطلائع ، يفقدون اهتمامهم ـ وربما ايمانهم ـ بكل ما هو جاد ورصين ومبدع ، ويعتقدون ان الكل باطل وقبض الريح » .

ثانيا : « تكنولوجيا الثقافة السمعية والبصرية التى غمرت حياتنا بحشو اغلبه هزلى وعبثى وضحل ، وقللت من اعتمادنا على وسائط الثقافة الاخرى التى تتطلب جهدا فكريا وذهنيا اكبر » .

وهذا يعني باختصار نوعية برامج التليفزيون والاذاعة واثرها السلبى على الثقافة وعلى الكتاب والمكتبات وشئون الابداع الفكرى الجاد الرصين .

ثالثا : انتماء المثقف الى : « فئـــة بيروقراطية ـ تكنوقراطية اصبحت تجتذبه وتتنافس على وقته وذهنه واهتماماتـــه استعمالات اخرى لاستعداداته الثقافية وملكاته الابداعية ، خاصة وان « الذوق » الثقافى اصبح ذوقا مخمليا ينصب فى اغلبه على عادات وانماط استهلاكيـــة وسفرية (يقصد سياحية) تتطلب تمويلا يقذف بالمثقف ، شانه شان غيره ، الى اتون « المظهرية » والترفيه وما تستتبعه من تهالك على انشطة مادية » .

وتحتل ظاهرة الازدواجية فى حياة المثقف جانبا هاما فى هذا التحليل لظاهرة عقمه وقصـــــوره ، ويعبر عن ذلك د . العثيمين بقوله : « فهو ـ اي المثقف ـ فى كثير من مظاهر حياته العامة يحاول ان يتحلى بما يتفق مع رغبات اكثرية المجتمع او مع رغبات من يؤثر فى مسيرة ذلك المجتمع ، لكنه فى واقعه الخاص يمارس حياة بعيدة كل البعد عما يتظاهر به ، حياة تقدر قيما وعادات اجنبية ، وتنعم بها اكثر مما تحترم قيمه وعاداته الوطنية ، وتحفل بها » .

هذه الازدواجية الخطيرة فى واقع المثقف على الصعيد الاجتماعى السلوكي ، تكمن وراءها ازدواجية اخطر فى حياة المثقفين والمجتمع والامة ككل . يحللهـــا د . الغذامي من ناحيته بهذه الرؤيـــة المتقدمة التى لا نشك ان غالبية المفكرين العرب المدركين لجوهر الازمة يوافقونه عليها حيث يقول : « اكاد اقول ان لدينا هجرة ثقافية معنوية للعقول . وهى هجرة إما الى الماضى (التراث) وإما الى العصر (الحداثة) . وهذا ادى الى حالة اغتراب يعيشها المثقف بعيدا عن واقعه (الحاضر) .. ولم نتمكن بعد من عقد وفاق ثقافي بين التراث والعصر وذلك لتباين الثقافتين واختلافهما وحيرة العقول فى المزج بينهما وهذه حالة معقدة واجهها طه حسين مواجهة سلبية بان جعل العصر خصما للتراث وراح يحاكم الماضي . والمفروض هو محاولة قراءة التراث قراءة عصرية كى نفهم الماضى فهما عصريا . واظن العقاد قد افلح فى ذلك مما مكنه من التعايش السلمى مع الماضي والحاضر » .

عشــرة اتـهامـات ضــد المثـقــفـين

ويخلص الى القول : « هذه اشكاليـة حادة وخطيرة وحلها ليس مستحيلا ولكن المشكل فيها اننا لم نحاول طرحها طرحا حضاريا جماعيا ـ ويبدو اننا لا نريد ـ وتركناها للحلول الفردية الاجتهادية .. وهذا هو العائق الرئيسى فى وجه تفاعلنا تفاعلا حضاريا كاملا مع مجتمعنـــــا وعصرنا » .

وتبقى إضاءة اخيرة من اضاءات هذا البحث المكثف وهى ان المثقفين ينقسمون حاليا ، من حيث ادوارهم ومدى التزامهم وعطائهم ، الى عدة فئات ، كما يرى الدكتور الغذامى :

١) فالجامعيون لهم عطاؤهم العلمى الاختصاصي ، لكنهم مقصرون بوضوح فى عطاء الفكر الاجتماعى الموجه والمرشد والملتزم بقضايا الحياة والتقدم .

٢) اما الادباء والشعراء فهم مخلصون فى التعبير عن حالة القلق الذاتية التي يمرون بها فى علاقتهم مع المجتمع والعصر وهم بهذا المعنى شهود على عصرهم ، لكنهم مقصرون فى اداء رسالتهم الثقافية بمعناها الانسانى : « ولم يتمكن شاعر واحد من شعرائنا من التعبير عن واقعنا الانساني » فهناك : « انصراف كامل الى الداخل وهو تعبير عن حالة خاصة بالشاعر نفسه وليس تعبيرا عن الحالة الانسانية لمجتمعه » .

وادباؤنا : « يتلاشى ابداعهم عندمـــا يكون الموضوع اجتماعيا ، ويتحول التعبير عندهم الى صياغة تقريرية وصـــفية قاصرة » .

ويلاحظ صاحب التحليل ان البترول على عمق اثره الاجتماعى والاقتصــادى والسياسى لم يتحول الى معادل ادبي وفنى فى حياتنا وهذا من دلائل القصور والعزلة ، وذلك ما عالجناه مرارا فى مجلة «الدوحة» من جانبنا ، ويسرنا انه اصبح الآن دعوة عامة يحملها مثقفون جادون كثيرون .

وفيما يخص الأدباء والشعراء ، فربما كان من عوائق تواصلهم مع المجتمـــع ما أشار إليه د . الحازمى من ناحيته من : « ضعف التوصيل بالاغراق فى الرمز ، وتمتمات الاحلام ، واللاوعي » وهـــذه مسالة لابد ان تحسمها فى النهاية هذه الفئة من المثقفين نفسها لانها تشكل اهم اسباب عزلتها .

٣) ثم تبقى اخيرا فئة الكتـــاب الصحفيين ، وهذه الفئة كما يرى د . الغذامى قد حملت لواء المسئوليـــة الإجتماعية فى مجتمعها السعودي وسخرت نفسها لخدمة الجماعة : « وهؤلاء هم الكتاب الصحفيون شبابا وشيوخا ونساء . وصحفنا وما ينشر فيها من نقد اجتماعى لسعوديين وسعوديات تؤكد صدق التزامهم بواجبهم الانساني نحو مجتمعهم ، وهؤلاء يقومون بوظيفة اصلاحية مؤقتة ، ولكنها مفيدة وضرورية »

ومن واقع المتابعة للصحافة السعودية فى تطورها الحاضر ، نرى ان هذا الدور هو بالفعل كما يصفه صاحب الكلمة وان الصحفيين الســـــعوديين والصحفيات السعوديات قد حققوا مستويات مهنيـــة وتوجيهية تلفت النظر وتبشر بعهد جديد للصحافة فى الجزيرة العربية والخليج والوطن العربى بعامة ، خاصة اذا علمنا انها صحافة منغرسة ومتجذرة فى ارضها ، وان كتابها وكاتباتها من ابناء هذه الارض ، وانهم حققوا مستواهم الحالى بالكثير من الجهد والمران والصبر والتعلم المتدرج الدؤوب . وما هذا التحقيق الثقافى الذى نعرضه من « اليمامة » إلا دليل ملموس من ثمار هذا التقدم ، بالاضافة الى قضـــايا وموضوعات اخرى كثيرة فى اليمامــــة وزميلاتها الاخريات .



مقدمة التحقيق الذى نشر بمجلة اليمامة والذى يعتبر علامة حاسمـــة بين فصلين فى كتـــاب الثقافة بمنطقة الخليج

• • •

... ولا يقف عند هذا الحد « ملف » الثقافة والمثقفين ! فتعود « اليمامة » فى العدد التالى لتقدم تعقيبا على تحقيقهـا وايضاحا لبعض جوانبـــه بعنـــوان : « الممنوع والمسموح .. ازمة المثقفين والمناخ الملائم » (٢) .

ومن أهم ما قالته فى هذا التعقيب : « لقد سئمنا التنظير فى المجالس الخاصة ، ومللنا النقاش العقيم خلف الاسوار .. ونحن بطرحنا القضية كنا نعلن الاحتجاج على الكسالى والمفصولين عن واقعهم من هؤلاء المثقفين . نريد ان ينتقل هؤلاء من الظل الى الشمس .. ومن الصمت الى الكلام المفيد ، ومن التنظير المثالى فى الجلسات الخاصة الى المساهمة فى تلوين الواقع وترشيده والى التبصر فى المستقبل الذى يتشكل ضمن إطار العديد من التحولات والتحديات » .

وتقول : « وحين قدمنا عريضة الاتهام

ضد وضعية المثقفين وعلاقتهم بحـركة البناء فى بلادهم كنا نريد ان «نستفزهم» بالتاكيد لكنا كنا نريد فوق ذلك ان نستحثهم الى « يقظة الوعي » فيفكروا ـ بشكل عملى مؤثر ـ فيما يدور حولهم من تحفز واصرار وتطلع « .

وحول مسالة المناخ الاجتماعي ومدى انفتاحه للحوار وتبادل الآراء ، ترى « اليمامة » : انه فيما عـــــدا قيمتين اساسيتين وهما الدين الاسلامى الحنيف ومبادئه واخلاقياته ، ثم السياسة العليا للدولة التى تعنى الاستقرار والاستمرار ، فان بقية قضايا المجتمع والحياة مفتوحة للحوار وتبادل الراى ، وانها من واقـــع تجربتها فى طرح هذه القضايا على الصعيد الصحفى : « كانت خلاصة تجاربنا النجاح والمباركة من الجميع « .

وفيما يتعلق بالحاجة الى مزيد من وسائل الايصال والنشر الفكري والثقـافى (كالمسرح .. والاداء السينمائى .. ورابطة الصحفيين ، ورابطة الادباء .. ودور النشر الفعالة النشطة وغير ذلك من الجمعيات والمؤسسات التى يخصب فى احضانها الحوار) ـ ترى « اليمامة » ضرورة الاستفادة من الوسائل المتاحة ، وهى ليست بالقليلة ، حتى تاتى مراحل التطور بالوسائل المتقدمة الاخرى ، كل وسيلة فى وقتها (٣) .

اما المطبوعات والمراجع الخارجية غير المتوفرة ، فان اهل البحث الثقافى يمكنهم الحصول عليها بتسهيلات خاصة بالابحاث اذا كانت تلك المطبوعات تقع بمضامينها خارج دائرة الايصال العام للجمهور ، ويتطلب الأمر وقاية العقل العام ، فى هذه المرحلة من تطوره ، مما قد تحمله تلك المضامين من مؤثرات غير ملائمة لطبيعة المرحلة .

وتنهى « اليمامة » معالجتها بالتنبيه الى ان حصر : « دور المثقف فى الصفة الاجتماعية .. خطا نود ان نبدا بتصحيحه فمن الذى قال ان دور المثقف يقوم دائما على الصراخ والعويل والاحتجاج .. نحن لا ننكر على المثقف ـ ولا ينكر عليه احد ـ ان يقول فى الخطا : « هذا خطا » او فى المعوج : « هذا معوج » .. لكنا ننكر ان يحصر رسالته فى هذا الخط السلبي .. واذا كان لابد من الاحتجاج . فليات بحجم مسئولية المثقف نفسه وبحجم مساهمته فى التشييد ، اما مادام المثقف يكتفى حتى الآن بـ « الفرجة » والتنظير المجالسي فاننا لسنا فى حاجة الى احتجاجه .. « .

وكان من الممكن ان يقف التحقيق عند هذا الحد . وهو حد متقدم كما نرى من نوعية الافكار المطروحة .. قياسا بالعمر الحضاري لبلدان هذه المنطقة ..

غير ان « رسالة » تاتى لليمامة بعـــد اسبوعين ترفع الحوار الى مستوى جديد من الحيوية والسخونة والتشويق المثير للاهتمام ..

كاتب هذه الرسالة هو الاستاذ محمد سعيد طيب احد المسئولين عن حركة النشر فى المملكة ومشرف مؤسسة تهامة للكتاب .. اما عنوانها فيقول : « نعم » المثقف السعودي شاهد ما شفش حاجة واغلب المثقفين عبء على مجتمعهم « :

ونعتقد ان هذه الرسالة قد فجرت ازمة المثقفين المزمنة من جذورها .. وقذفت بالقفازات فى وجوههم .. ولم يبق امامهم غير الرد الجاد بالفكر والعمل .. او السكوت الذى يتضمن الاعتراف الكامل بالعجز والتقصير .

وهذه الرسالة لا تحتمل اى اختصـــار او حذف . فهى « وثيقة » كاملة تصلح ملحقا او مدخلا لاي « ملف » عن ازمة الثقافة والمثقفين فى اى مجتمع عربى سواء كان عمره الحضارى سبعة الاف سنة .. او سبع سنين ..

ونرى ان هذه الصورة التى نقدمها عن ازمة المثقفين ستبقى ناقصة دون الحاقها بنص هذه الرسالة كاملة (٤) .

ومن النادر ان نجد رسالة ، فى ادبنـا القديم او الحديث ، تتحدث عن طبقة المثقفين بهذا الاسلوب الذى فيه من السخرية الرفيعة بقدر ما فيه من الحقيقة الصريحة ، على ما لها من غاية ايجابية بناءة من وراء ذلك . ولهذه الاعتبارات نرى انها تستحق إعادة النشر مع هذا الملف الحاشد .

ثم يبقى ان نقول للاخوة فى اليمامة ، ونحن نشد على ايديهم ، بان هذا الملف نعتبره علامة فاصلة بين فصلين فى كتاب الثقافة بمنطقتنا . فالوعى بازمة الثقافة والمثقفين لن يبقى كما كان بعد هذه المعاناة فى تحقيق القضية التى هى توام لقضية بناء الوطن وصيانته وحفظه .

وتحية من « الدوحة » ومن الخليج ، والى اللقاء فى محطة اخرى قريبة على درب معاناتنا الواحدة .

د . محمد جابر الانصاري

---

١ ـ مجلة اليمامة ، العدد ٧٣٣ بتاريخ ٥ ـ ١١ يناير ١٩٨٣م ، تحت باب « قضـــية الأسـبوع » الصفحات : ٣ ـ ١١ .

٢ ـ مجلة اليمامة ، العدد ٧٣٤ ، بتاريخ ١٢ ـ ١٨ يناير ١٩٨٣م ، الصفحات ١٢ ـ ١٣ .

٣ ـ كملاحظة هامشية نود ان نراجع مع الاخوة فى اليمامة إشارتهم التالية التى وردت في الموضوع المذكور اعلاه من السياق : « وإذا كانت تساق فى هذا المضمار بعض الامثلة فى الدول المجاورة على ازدهار حركة التاليف والنشر ـ مثلا ـ فاننا بكل صراحـــة لا نريد ازدهارا مثل ذلك الازدهار ولا يكون لنا فيـه غير التمويل والتسويق ورصد الخسائر والارباح ... »
هذه الاشــــارة تعنى الحركة الثقافية وانشطتها فى دول الخليج المجــــاورة ، ونحن نسلم مـــع الاخوة ان توفر العنصر البشري السعودي يعطيهم المبرر الموضوعي للمطالبة بمؤسسات ثقافية محورها الاساسي والرئيسي من الكوادر السعودية ، وهذه ظاهرة طبيعية وصحية طالما هي موضوعيا ممكنة . ولكن يجب الا يغيب عن البال ان مجتمعات الخليج الاخرى تعاني ندرة فى العنصر البشري على اصعدة كثيرة . والصعيد الثقافي هو ابرز صعيد يمكن ان يساهم فيه الاشقاء العرب الوافدون معنا بحكم وحدة اللغة والثقافة والمعاناة . وإذا كانت مصانع ومعامل وخدمات كثيرة في كل مكان في الخليج والجزيرة تشارك في تشغيلها اعداد غير قليلة من العمالة الاجنبية ، فهل كثير إذا شاركنا الاخوة العرب في إدارة المؤسسات الثقافية مع تدريب ابناء الخليج ودفعهم لمزيد من المشاركة ؟
ثم ان النتاج الثقافي ـ كما وكيفا ـ فى بلدين كالكويت وقطر لا يمكن اختصاره بالعبارة اعلاه . ولو ان الاخوة فى اليمامة راجعوا هذا النتاج باسلوبهم الموضوعي في التحقيقات لوجدوه يستاهل تحقيقا..!

٤ ـ عن اليمامة ، العدد ٧٣٧ ، بتاريخ ٢ ـ ٨ فبراير ١٩٨٣ ، ص ١٤ ـ ١٥ .

المثقفون ..
وشهادة دامغة ضدهم !



بقلم : محمد سعيد طيب

عندما .. يتصدى كاتب .. اي كاتب .. من الذين يتعلمون « الحلاقة فى رؤوس اليتامى » .. او من الذين عرفوا بتسويد الصفحات .. باى كلام .. والتقيؤ فى وجه القارىء .. دون استحياء او ادنى شعور بالمسؤولية .. أو استيعاب للقضية المطروحة .

عندما .. يكتب احد من هؤلاء وامثالهم .. مقالا طويلا او قصيرا مؤداه : ان الشهادة العليا .. مثلا .. هى مجرد جواز سفر .. او بطاقة مرور .. وان اصحابها فارغون .. تافهون .. تدرك ـ على الفور ـ ان القضية برمتها .. مجرد انفعال عابر .. او انعكاس لموقف معين .. مر به ذلك الكاتب .. قبل ايام .. نتيجة تجاهل من احد اصحاب الشهادات فى مناسبة اجتماعية .. او مجلس ما .. او نتيجة لمناقشة غير موضوعية .. احتدمت بينه وبين احد المثقفين . !

وحينئذ نكتفي بالكلام المباح .. ويكون الرد على امثال هؤلاء الكتاب .. من قبيل : يا جماعة عيب هذا لا يليق .. هؤلاء اصحاب الشهادات العليا هم رموز جيدة .. وهم واجهة حضارية مشرقة .. وان لهم دورا يؤدونه .. ولا يجوز ان نصدمهم .. وان التجريح لا يليق .. وان فى هذا إحباطا للمجتمع .. وتشكيكا فى ابنائه : الى اخر المعزوفة اياها .

اما عندما تطرح « اليمامة » القضية .. على هذا النحو الجيد والجاد .. وبهذه الدرجة من الموضوعية والصدق .. وتحشد لها هذه النخبة الممتازة من المتعلمين والمثقفين فان الايقاع ـ هنا ـ يختلف .. بلا شك ودرجات الاستجابة والتجاوب .. ينبغى .. ان تعلو وترتقى لتواكب خطورة القضية وجديتها .. وموضوعيتها .. وابعادها المختلفة .. وآثارها الايجابيــــة والسلبية .

نحن يا صديقى .. أمام قضية كبيرة وخطيرة .. بطرفيها : أزمــــة المثقفين السعوديين او الشاهد اللي ما شفش حاجة والشعب الذى لا يقرا .

فى قضية المثقفين السعوديين .. ثمة مظاهر سلبية .. ينبغى ان نواجهها بمنتهى الصدق والموضوعية والصراحة .. وان نتقبلها بكل شجاعة وواقعية وتجرد .. وان يستمر الحوار .. هادئا .. بلا صخب .. او لجاج .. أو ادعاء .. او اصرار على الباطل .

من المظاهر السلبية .. لمثقفنا السعودى « اللي ماشفش حاجة » انه يؤمن مثلا .. بقضية الحرية .. ولا يمارسها .. ويتشدق بالتقدمية .. ولا يطبقها .. ويردد مبادىء كثيرة فى « مجالس الليل » .. واذا اصبحنا .. نجد انفسنا .. ازاء انسان اخر .. يمارس سلوكا عجيبا .. ليس له ادنى صلة بحديث « الليل » من قريب او بعيد . !

● خذ مثلا :

قضية الشورى ..

كم من ذلك الطابور الطويل العريض .. من المثقفين .. واصحاب الشهادات العليا .. فى السياسة والادارة والقانون والاقتصاد والاجتماع .. الخ .. من تصدى لها .. واعان ولي الأمر .. بالراى .. فيها .. وطرح وجهة نظره ـ أيا كانت وجهة النظر هذه . !

هل ثمة امر او توجيه من ولي الامر بان لا تعالج هذه القضية فى صحافتنا .. وان المثقف السعودى .. ممنوع او محظور عليه ابداء الراي فيها ؟ !

طبعا .. لا

والا .. فلماذا ابدى عزيز ضياء .. واحمد جمجوم ومحمد سعيد العامري .. واحمد

جمال .. وغيرهم .. اراءهم .. ونشروها .. فى صحيفة المدينة .

هل ثمة ترخيص خاص .. لهذه الفئة ؟! ـ دون غيرها ـ بمناقشة هذه القضـــــية الكبرى ؟ .

● ومثلها قضية مجالس المقاطعات .

من فيهم ابدى رايا .. او قال كلمة ؟!

● ومثلها ايضا قضية المجالس البلدية

● ومثلها ايضا قضية المراة .. وتعليم البنات والمناهج .. والخطة الدراسية .. والعمالة الاجنبية .. والبلديات .. والخدمات .. والاراضى .. والبترول .. ومشكلات الشباب .. الخ .

واذ سلمنا ـ جدلا ـ بالشماعة اياها بان المناخ . بشكل عام غير ملائم للحوار وغير مشجع على النقاش . !

فمن من هذا الطابور العريض .. من رجـــال الادارة والاقتصـــاد والقانـــون والاجتماع والتربية والتعليم .. كلف نفسه بالكتابة ـ مباشرة ـ الى ولي الامر ؟!

من منهم كتب مثلا الى رئيس اللجنة العليا . المكلفة بدراسة نظام الحكم ونظام الشورى ومجالس المقاطعات .. وابدى اراء موضوعية وواقعية . قد تساعد اللجنة على اداء مهمتها .. والاضطلاع بمسؤوليتها .. وهى مسؤولية قومية كبرى .. ومشتركة .. فى ذات الوقت ؟!

ان مثقفنا السعودي ـ يا صديقي ـ لا ينقصه العلم .. ولا المعرفة .. ولا الثقافة العامة .. ولا الافق الواسع .. ولا الاحاطة الشاملة بمجريات الامور في الدنيا كلها .. واذا وضعته مع غيره (خارج الوطن) فانه يبيض الوجه .. بل ويتفوق عليه .

ولكن مثقفنا السعودي ـ ياصديقي ـ اسير لجبنه .. وسلبيته .. وانانيته .

يتوهم انه إذا كتب كلاما لوزير الداخلية في قضية الشورى .. فسيكون الجواب الفوري .. ان يبعث له بضابط امن .. لياخذه الى السجن .

وإذا كتب لرئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم .. موضحا .. الاخطاء الجسيمة فى سياسة تعليم البنات مثلا .. وفي المناهج الدراسية .. فسيكون الجواب الفوري هو فصله من وظيفته .. وطرده من جهاز الدولة .. وتشريده فى الشارع .. او على الاقل يقومون بطرد بناته من مدارسهن .

ليت بعضهم ـ ياصديقي ـ يكتفي بان يكون اسيرا لجبنه وسلبيته وانانيته .. وإنما يتجاوز ذلك إلى التخبط بين النفاق .. والرياء .. ومحاولة خداع ولي الامر .. والتفريـــط في ابســـط الواجبـــات تجاه مجتمعه .. والاستخفاف بالمصالح العليا للوطن .!

فترى نماذج عجيبة من هذه الطبقة .. تضع «المشالح» الانيقة على اكتافها .. وتسعى لدى ولاة الامر بالتملق المقيت إياه .

ـ والله يا سمو الامير .. كل شيء على مايرام .. ماشاء الله ! .

ـ والله يا معالي الوزير .. لقد عشت في امريكا واوربا اعواما طويلة .. ولم ار منجزات بهذا المستوى .. ماشاء الله .

ـ والله يا سعادة الرئيس .. انا لا اكاد اتصور الادارة بدونك .. ماشاء الله .. تبارك الله .!

ها أسرد .. عليك ـ ياصديقي .. على سبيل المثال .. ما يعانيه .. رؤساء البلديات .. من كثير من الذين ينتمون ـ حقيقة ـ إلى نخبة المثقفين .. ماذا .. وعن ماذا يتحدثون مع رؤساء البلديات ؟!

هل .. نفتح يا صـــديقي .. ملفات الاستعراض .. والبذخ .. والادعاء ومظاهر الاستهلاك الترفي وانخفاض معدلات الاداء (إذا كانت الوظيفة حكومية طبعا !) .. وظاهرة الهروب .. بالسفر إلى خارج الوطن .. واختلاق المناسبات .. وافتعال الانتدابات .. والانسياق ـ بقدر ما تسمح لهم امكاناتهم «في الوقت الحاضر» .. على الاقل لانماط السلوك البذيء .. لبعض رجال الاعمال .. الذين حرموا ـ في الواقع ـ مما وهب الله هذه النخبة المثقفة من تعليم راق وثقافة جيدة .. واطلاع واسع .. وفكر نير .. ورؤيا .. واستشراف .. ووعي وقدرة على النمو .. ومقدرة على التطوير .

لا .. ياصديقي .

لا .. ياصديقي .

هذا يكفي .. هذا يكفي .. ولو لهذه المرة فقط ! .

ولكني اخشى .. وقلبي على يدي ! ـ ياصديقي ـ ان يصحو المجتمع .. على الحقيقة القبيحة المؤلمة .. وهي : ان عددا لا يستهان به من ابنائه .. قد خذلوا اماله .. واغتالوا احلامه .. وخيبوا ظنه .. وفجعوه .. وما كانوا رموزا مضيئة .. ولا مشاعل هادية .. ولا يفرحون .!

وإنما أصبحوا .. عبئا عليه .. وليسوا اضافة جيدة .. ومطلوب منه ـ ليس ان يتقبلهم فقط ـ وإنما ان يمنحهم ثقته واحترامه .. وأن يهيىء لهم المراكز والوظائف والامتيازات .. وأن يصرف عليهم .. ويغدق لهم .. ويدللهم .. وأن يستمر في الاعجاب بهم .. والتصفيق لهم .. وتسليط الاضواء عليهم .. بدون مبرر .. ومن غير مقابل .

وهنا سنواجه «كارثة» مزدوجة .. لا قدر اللـــــه ! .

مجتمع يدير ظهره .. ولاعبون ـ إن قدر لهم ان يلعبوا ـ ولكن فى الوقت الضائع .. وبلا جمهور .!

● ● ●

وبقيت ياصديقي .. كلمة أخيرة .. اقولها بكل صدق وتجرد .. وليست «تغطية» ولا غبارا .. ولا ذرا لرماد .. ولا درءا لهجوم .. مرتقب !! .

إن هذا الشاهد «اللي ماشفش حاجة» نحبه .. ونحرص عليه .. ولم نفقد الثقة فيه .. ويظل ـ هو ـ وجماعته .. اغلى ما في هذا الوطن .. واعز ما فيه .!!

انهم دعامته الحقيقية .. مناط امله . ومقعد رجائه ومصدر عزته .

وليس البترول .. او الذهب .. او كتل الاسمنت التى تنتصب فى مدننا ، او حتى كل مليارات اوراق البنكنوت التى تملأ خزائن مؤسسة النقد .. انهم الثروة الحقيقية .. بلا ريب .!

ودونها كل كنوز الدنيا باسرها ! ولا نريد أن نراهم إلا اعلياء .. متميزون .. ومميزون ـ ولكن بالجدارة والاستحقاق .. وباحجامهم الحقيقية .. بالعلم ، والثقافة ، والمعرفة ، والفهم والحماس ، والمبادرة ، والسلوك «القدوة» ، والاسهام الحقيقي والايجابي لبناء الوطن واستشراف المستقبل .. و «انتزاع الغد من رحم اليوم .. وطرح الحلم بين يدي الناس ليتحول الى حقيقة » ، والتعبير لليمامة ـ مـــــع الاعجـــــاب .

محمد سعيد طيب
السعودية

عن اليمامة ، عدد ٧٣٧



عبد الناصر والألمان

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

يكشف هذا المقال الهام بعض المعلومات المثيرة والجديدة حول فترة دقيقة فى التاريخ العربى المعاصر، و « الدوحة » تدعو إلى مناقشة الموضوع والتعليق ـ بالموافقة أو بالتصحيح ـ على ما جاء فى هذا المقال من آراء ومعلومات، وخاصة من جانب الذين عاشوا بالقرب من الدائرة التى وقعت فيها هذه الأحداث، وهم كثيرون، ومازال عدد كبير منهم مشتركاً فى الحياة العامة، من بين الذين كانوا فى مواقع المسئولية فى عصر الزعيم العربى الراحل جمال عبد الناصر :

إذا كان لبريطانيا العظمى او لفرنسا وجود استعمارى فى الشرق الاوسط فان الدول الأوروبية الاخرى كان لها باستمرار محاولات للوجود فى الشرق الأوسط، ومحاولات لمنافسة بريطانيا وفرنسا فى هذا المجال .

وبالنسبة لالمانيا على التحديد، فان للمانيا كان لها مستعمرات افريقية فى وسط القارة قبل الحرب العالمية الاولى، وكان لها دائما محاولات فى حركة الكشف عن منابع النيل، وفى الاتصال بالساسة الوطنيين، والحكام والثوار، من كل الاتجاهات. فقد اتصل الألمان بفاروق وبحزب الوفد المصرى واتصلوا برشيد عالى الكيلانى « فى العراق » واتصلوا بالحاج امين الحسينى « فى فلسطين »، وهناك إشارات تدل على انهم اتصلوا بثورة ١٩١٩ فى مصر عن طريق قنصل المانيا فى الاسكندرية، وكانت سكرتيرة سعد زغلول باشا « زعيم ثورة ١٩١٩ فى مصر » .. كانت هذه السكرتيرة المانية واسمها « فريدا » .

وكان للالمان وجود فى مصر منذ القرن الماضى واوائل هذا القرن ايضا، فقد كان منصب مدير دار الكتب فى القاهرة متروكا



عزيز المصـــري



السلطان عبد الحميد



الحاج امين الحسيني



فرانكـــو

للالمان ، وكان هناك اتفاق حول هذا الأمر ، فكان الالمان يشغلون هذا المنصب باستمرار. وفى تلك الفترة ، فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن ، كان هناك ضباط المان فى مصر ، وعندما حوصرت مديرية خط الاستواء وتم قطع اتصالها بالعاصمة المصرية ، كان الذى يحكم هذه المديرية هو الضابط الالمانى « شفيتزر » الذى أسلم وسمى نفسه باسم « امين بك » ، وكان طبيبا بالجيش المصرى ، وقد تزوج من إحدى بنات مديرية خط الاستواء ، واسمها « فريدة » ، وأنجب منها ، وعاش فى الحصار ١٣ عاما متواصلة .

وكان من الطبيعى ان يعمل الألمان على الاتصال بجمال عبد الناصر ، بعد ان ظهر ، كشخصية سياسية مؤثرة فى المنطقة العربية وفى الشرق الأوسط وفى العالم الثالث كله .

ولقد ظهرت كتابات كثيرة فى الغرب ، وفى أمريكا بالذات عن الاتصالات بين الالمان وعبد الناصر . ولا يمكن ان نتزه أصحاب هذه الكتابات عن الغرض ، فبعض هؤلاء الكتاب متعاطف مع اسرائيل وبعضهم خاضع لها خضوعا كاملا ، وليس من المبالغة ان نطلق على هذا النوع الاخير من الكتاب اسم « عميل اسرائيلى » ، وهذا كله يؤثر فى نظرتهم إلى عبد الناصر وإلى الالمان وإلى العلاقة بين عبد الناصر والالمان . فوجهة النظر السائدة عند هؤلاء هى وجهة النظر الاسرائيلية المعادية لعبد الناصر والالمان معا . ومن هنا كان من الواجب ان نميط اللثام عما يكتبه هؤلاء الكتاب لعلنا بذلك ندفع من بقى من رجال ثورة يوليو إلى بذل الجهد فى الرد على هذه الكتابات ، وتصحيح ما قد تتضمنه من أخطاء او افتراءات ، فالهدف من الكتابة هو تفجير الموضوع وإخراجه إلى الضوء والوصول إلى وجه الحقيقة فيه .

عدو عدوك

كان العرب دائما ينظرون إلى المانيا تحت شعار « عدو عدوك هو صديقك » ، وذلك فى فترة الاحتلال البريطانى الفرنسى للبلاد العربية ، فمنذ مطلع القرن العشرين كان القيصر « غليوم » امبراطور المانيا صديقا للخليفة العثمانى « عبد الحميد » ، ولم يختلفا أبدا إلا حول موضوع واحد هو : موضوع اليهود فى فلسطين ، حيث طلب « غليوم » ان يكون وسيطا بين الخليفة العثمانى وبين اليهود ، وقوبلت وساطة « غليوم » بالرفض المطلق من العثمانيين ، وقد قام غليوم بزيارة للقدس وتصور ان هذه الزيارة سوف تتيح له النجاح فى وساطته ، ولكنه فشل فى الامر فشلا نهائيا . ثم دخلت المانيا القيصرية الحرب العالمية الأولى ، وقد وجدت بريطانيا فى ذلك فرصة لدفع تركيا إلى الدخول فى الحرب فى صف الالمان ، وبذلك تورطت تركيا فى هذه الحرب ، وكانت بريطانيا تخطط لاقتسام أملاك الدولة العثمانيـة بعد ان تنتهى الحرب بهزيمة المانيا وحلفائها وعلى راسهم تركيا . وقد قرر جمال باشا « المسمى بالسفاح » ، وهو احد كبار القادة العثمانيين ، هذه الحقيقة فى مذكراته ، فقد كانت تركيا فى الاصل أميل إلى بريطانيا ، ولكن طمع بريطانيا الواضح فى أملاك الدولة العثمانية ، دفع تركيا إلى الوقوف مع المانيا ضد بريطانيا .

وموقف « عدو عدوك هو صديقك » كان من المحركات الرئيسية للعلاقة بين عبد الناصر والالمان ، والعلاقات الناصرية ــ الالمانية هى « مرادف سياسى » لعلاقة عبد الناصر بروسيا ، وقد لجأت بريطانيا مع عبد الناصر لكى « تفك » العلاقة بينه وبين الألمان والروس معا ، إلى نفس الأسلوب الذى لجأت إليه من قبل مع الأتراك والعرب .

ففى سنة ١٩١٤ ، دفعت بريطانيا بتركيا إلى دخول الحرب العالمية الاولى لانهاء علاقة تركيا بالمانيا .

ودفعت بريطانيا بالحاج امين الحسينى إلى الوقوف فى صف المانيا فى الحرب العالمية الثانية ، لكى تستطيع بعد ذلك ضرب العلاقات الألمانية العربية .

اما عبد الناصر فقد دفعته امريكـــا « خليفة بريطانيا الأولى فى العالم » إلى حرب ١٩٦٧ ، لضرب العلاقات الالمانية الناصرية ، والعلاقات الناصرية الروسية معا .

ومن الحقائق الثابتة انه حتى فى فترة ازدهار العلاقات الناصرية ــ الروسية ، كان للالمان الشرقيين نصيب وافر من هذه العلاقة . فالالمان الشرقيون هم الذين اقاموا مصانع التكرير للبترول المصرى ومصانع الأسمنت وميناء الأسكندرية الجديد ومعظم مصانع حلوان .

وفى ٢٩ اغسطس ١٩٥٨ عقدت مصر معاهدة تجارية مع المانيا الشرقيـــــــة واستهلكت المانيا ثلث قطن مصر فى عمليات التبادل التجارى .

وفى ٤ يناير ١٩٥٩ زار رئيس وزراء المانيا الشرقية مصر رغم عدم وجود اعتراف مصرى بالمانيا الشرقية . وقد افهم عبد الناصر رئيس وزراء المانيا الشرقية انه يرفض إعلان الاعتراف بالمانيا الشرقية حتى لا « يكرس » و « يثبت » تقسيم المانيا .

وفى نفس هذا الوقت كانت الوحدة

عبدالناصر والألمان

السورية المصرية قــــد قــامت ، وكان عبد الناصر قد دخل معركة عنيفة ضد الشيوعيين ، لأسباب عديدة على راسها معارضــــتهم للوحدة ، ووقف خرشــــوف ليصف عبد الناصر بانه صغير السن واهوج ، ورد عليه عبد الناصر بعنف شديد واكد ناصر ان هناك فاصلا يراه واضحا بين روسيا كدولة وبين الشيوعية ، وانه يقبل الاولى ويرفض الثانية .. ووقفت روسيا موقفين مختلفين : فهى تســـــاعد عبد الناصر اقتصاديا وعسكريا بينما تقود ضده حربا إذاعية بواسطة بعض الشيوعيين العرب من خلال راديو صوفيا فى بلغاريا .

لم تؤثر هذا المعارك السياسية على موقف الألمان ، فحرصوا على علاقاتهم مع عبد الناصر ، وكانوا يشعرون فى مصر وكانهم بين أهليهم فى أوروبا ، وكانت مصر مفتوحة الذراعين لهم ، تحاول ان تستفيد منهم ومن خبرتهم بدون « عقد سابقة » ، وكان الألمان ـ غربيين وشرقيين ـ يعلنون إعجابهم بعبد الناصر ، ويتمنون ان يكون لهم « زعيم » من نوعه ، وهنا لابد ان نذكر ان الامــــان بعـــد ان افاقـــوا من « صدمة الهزيمة » فى الحرب العالمية الثانية فقد عاودتهم من جديد تلك الرغبة الجارفة فى التصنيع وتصدير الصناعات الألمانية وإقامة مشروعات منافسة تتميز على المشروعات الغربية الاخرى فى اتقانها واسعارها معا .والألمانى وهو يندفع نحو التصنيع والتصدير لا يخدم نفسه أو شركته ، بل يشعر أنه إنما يخدم دولته وجنسيته ، وقد كان يغذى هذه الشهية فيه تطور الدول العربية وظهور البترول والثروة فيها ، كما كان يغريه ويسهل له الأمر ان هناك « عقدا » قديمة بين العرب وسائر دول الغرب الكبرى « بريطانيا ـ فرنسا ـ ايطاليا » ولكن هذه العقد غير موجودة مع الألمان .

كان عبد الناصر فى تلك المرحلة يؤمن شيئا فشيئا بجعل الاقتصاد تحت اشراف الدولة ، وقد جاء الى مصر بعض رجال مال امريكان لاستثمار اموالهم فاذا بعبد الناصر يقول لهم فى مقابلة تمت بينه وبينهم فى ٢٦ يناير ١٩٦٠ : إنه يفضل «القروض الحكومية» لتنمية بلده عن السماح للافراد او الشركات الخاصة باستثمار اموالها فى البلاد ، وبعد أيام ، وبالتحديد فى شهر فبراير ١٩٦٠ قام عبد الناصر بتاميم بنك مصر ، ثم انشا «المؤسسة الاقتصادية» للسيطرة على راس المال والتصنيع والتجارة ، وظهر «لودفيج ارهارد» «قيصر» الاقتصاد الألمانى فى القاهرة ليخطب بفخر فى جمعية الاقتصاد المصرية بالقاهرة قائلا إن مصر يحق لها بعد كل ما عانته من الاستعمار السياسى والاقتصادى ان تحصل على قروض ومعونات دولية .

فى الفترة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٠ كانت المانيا الغربية قد قدمت الى مصر ٥٥٠ مليون مارك وانشات المدينة الصناعية فى حلوان ، واقامت الاساس لصناعة الصلب «ديماج ـ ديسبورج» ، وانشات ١١٥ مصنعا مختلفا .

اما شركة «كروب» الشهيرة فقد استخرجت الحديد الخام من «اسوان» واستخرجت شركة «هوكتيف» وهى المانية ايضا : الكهرباء من خزان أسوان ، واقامت شركة المانية ثالثة وهى شركة «باديش» مستعمرة سكنية بمستشفى وحمام سباحة فى اسوان .. وكان التخطيط المقرر هو ان تتحول مصر بمساعدة الألمان الى «رور» جديد ، مثل منطقة «الرور» الصناعية الألمانية الضخمة فى اوروبا .

كان هناك تخطيط لتوسع أكثر عن طريق الاستعانة بالخبرة الألمانية ، فكانت شركة «سيمنس» تنوى كهربة الدلتا كلها ، وكانت شركة «هنشل» تنوى تصنيع كل قاطرات السكة الحديدية . وفى يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٥٨ تاسست شركة المانية مصرية لتصنيع اول سيارة المانية فى مصر .

وكان «هينكل» صانع الطائرات الشهير قد اتفق على إنشاء صناعة طيران متطورة جدا فى مصر ، وكان «هينكل» قد أرسل بالفعل مهندسين المــانا ليحلوا محل الانجليز فى مصنع «دى هافيلاند» بالقاهرة لتجميع الطائرات الانجليزية .

ووقع الدكتــــور عزيز صـدقى وزيـــــر الصناعة فى ذلك الوقت مع وزير الصناعة الألمانى «فون شوينبرج» فى عام ١٩٦٠ اتفاقا لانشاء معهد ، أو مركز المانى مصرى للبحث عن البترول . وكان هناك تخطيط لبنــــاء بحرية المانيـــــة عربية مشـتركة واشترطت مصر ان ترفع السفن الألمانية علم مصر «الجمهورية العربية المتحدة انذاك» ، وكانت الشركة الألمانية «دوتش ورفت» قد سلمت مصر فعلا باخرتين ، وتنوى تسليم مصر أربع بواخر أخرى ، وكان مخططا لهذا المشروع ان تشترك فيه الدول العربية الاخرى ، وان يكون المشروع اسطولا عالميا ضخما .

التعليم والتدريب

كانت مصر خلال ١٩٥٦ قد دربت ١٩٥ شخصا فى «بون» ، زادوا الى ٤٠٠ شخص فى العام التالى ١٩٥٧ ، وبدات خطة واسعة للتدريب المهنى بالاستعانة بالخبرة الألمانية ، وعلق الملحق الثقافى الألمانى بالقاهرة «كرايمر» قائلا فى وضوح :«إن كل «فنتج» «اصغر عملة المانية» تصرفه المانيا على التدريب سوف يعود بفائدة ١٠٠ فنتج على المانيا ، وسوف يساعد على توسيع النشاط الاقتصادى الألمانى الى سائر انحاء المنطقة العربية» .

وبفضل نشاط «كرايمر» هذا زاد عدد المدارس التى تعلم اللغة الألمانية فى مصر من سبع مدارس سنة ١٩٥٦ الى ٥٩ مدرسة سنة ١٩٥٨ ثم تقررت الألمانية كلغة اجنبية ثانية ، وقد قام استاذ المانى هو «كلوبفر» بوضع كتاب لتدريس الألمانية لأبناء العرب فانتشر انتشارا رهيبا . وارسلت وفود المدرسين المصريين لتعلم الألمانية بنفقة ٨٥٠ الف مارك سنويا . كما بنى الألمان مدارس نموذجية لتعليم اللغة بالوسائل البصرية والسمعية الحديثة مع تعليم الطالب صناعات عصرية «ومازالت المدرسة الألمانية فى الجيزة من اكبر واهم المدارس فى مصر» .

فى سنة ١٩٥٩ كان لمصر ٥٥٣٨ مبعوثا فى الخارج منهم ٩ ٪ فقط فى جامعات روسيا ، بينما ٦٣ ٪ منهم فى جامعات المانية . وكان فى الجامعات الألمانية طلبة مصريون يدرسون عن غير طريق الحكومة عددهم ١٧٠٤ ، وكان عدد الطلبة الدارسين بالألمانية فى النمسا ١٣٣٠ طالبا ، وعددهم فى سويسرا الألمانية ٣٥١ طالبا .

كل هذا النشاط التجارى والثقافى الذى كان الغرب يرى فيه نوعا من الغزو الألمانى الباهر لم يقلق المراقبين الغربيين مثلما اقلقهم وجود بعض الخبراء الحربيين الألمان ، وكان حلم المانيا القديم دائما هو الوصول الى قناة السويس ، واعتبر المراقبون الغربيون ان الحلم الألمانى بدا يتحقق ، دون ان يحسبوا حسابا للوطنية العربية فى مصر ، والتى كانت ترفض دائما قيام استعمار جديد بدلا من الاستعمار القديم ،

والتى وكانت تستعين بالخبرات الأجنبية دون أن تفقد حساسيتها الشديدة لوطنيتها العربية الحريصة على الاستقلال . ولكن الغرب عنده عقدة قديمة ضد المانيا ، إذ يعتبرها سريعة الاختراق لجيوشه واراضيه ، وانها فى لحظة ، تستطيع تعويض سنوات طويلة ، ولقد كانت صيحة غليوم فى الحرب العالمية الاولى هى «الاتجاه نحو الشرق» وكانت هذه الصيحة هى نفسها صيحة روميل فى الحرب العالمية الثانية .. وها هم الالمان فعلا فى الشرق . فهل كسب الالمان ـ أخيراً ـ الحرب العالمية الثانية وخسرها الانجليز والامريكان ؟ ... ذلك كان هو الاطار الذى يدور فيه التفكير الغربى من خلال التعاون الالمانى ـ العربى دون أن يحسب الغرب حساباً للحقيقة التى تؤكد ان العرب بدورهم حساسون بشدة إزاء النفوذ الأجنبى ، ولا يمكن للعرب الذين ثاروا على النفوذ الغربى القديم ان يقبلوا بنفوذ جديد . ولكن التحليل الغربى للأسف كان كثيرا ما يلغى دور المشاعر الوطنية العميقة .

على ان ما كان يزيد من خوف الغرب هو ان جمال عبد الناصر كان يقول : «إننى احب المانيا . فهى لم تشترك أبداً فى استعمار مصر «ولا أى جزء من البلاد العربية» .

ضد العرب والمانيا

وكانت هناك دائما مقارنات تدور حول الوحدة العربية والوحدة الالمانية «فى كتابات ساطع الحصرى وغيره» ، وقد قيل ايضا إن الغرب يواجه الصحوة العربية بنفس العنف الذى واجه به الصحوة الالمانية ، وان العنصر الذى يغذى عداء الغرب لألمانيا والعرب معا هو اليهود .

وقد استغلت الصهيونية الموقف فى الغرب فاقامت دعايتها ضد العرب على انهم يحاولون تقليد المانيا النازية فى تفكيرهم وعدائهم لليهود ، بل اخذ الاعلام الصهيونى يثير مخاوف الغرب من صحوة العرب ، وأن هذه الصحوة سوف تنتهى بافتراس الغرب نفسه إن لم تتحرك أوروبا وامريكا ضد هذه الصحوة .

ومما زاد فى هواجس الغرب ضد العلاقات الالمانية العربية ، ما جرى فى الحرب العالمية الثانية . ففى اثناء الحرب كانت هناك مظاهرات تهتف «الى الامام يا روميل» ، كما كان فاروق يتصل بالالمان ، وكان على ماهر ، السياسى المصرى البارز ، واحد المقربين الى فاروق ينقل الخطط الحربية الى الطليان حلفاء المانيا ، وكان رشيد عالى الكيلانى فى العراق ثائراً ضد الانجليز وكان يقف فى صف المانيا ، وكان الضباط الاحرار قد بداوا الاتصال بالالمان فعلا وطار منهم طياران الى المعسكرات الالمانية ، وحاول الضباط الاحرار تهريب عزيز المصرى الى الالمان وسقطت الطائرة اثناء المحاولة .

منذ هذه المحاولات اثناء الحرب العالمية الثانية والالمان لهم مكانتهم الطيبة فى نفوس العرب . وقد بقى كثير من الأسرى الالمان فى مصر ، واستوطنوا فى الريف وتزوجـــوا فى منفـــاهم الاختيـــــاري بمصريـــــات .

خلف ابي الهول

ولم يكن عبد الناصر غريبا عن العرب فى هذا الصدد :

يقول كتاب «خلف ابي الهول المصري» :

إن عبد الناصر كان يستعين بخبير الماني كبير فى «الجيبو ليتيكا» وهو الكولونيل «اوتو سكورزني» الضابط الالماني السابق ، وزوج ابنة «شاخت» . وكان شاخت هو الذي ارسله إلى مصر سنة ١٩٥٣ . وكان «شاخت» ايضا فى ذلك الحين مديرا لبنك «دسلدورف» وقد جعل من اهم اهدافه تنشيط التجارة مع العرب .

وسكورزنى هذا هو الضـــــابط الالماني الذي اشرف على عملية انقاذ موسوليني من الأسر أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت هذه العملية إحدى المغامرات الكبرى التى تتضاءل امامها مغامرات جيمس بوند .

في ١٨ مايو سنة ١٩٥٩ كما يقول كتاب «خلف ابي الهول المصري» كان «سكورزني» هذا ذاهبا إلى ايرلندا ، فتم منعه من الدخول إلى لندن او النزول فى مطارها ، ولكنه واصل الرحلة حتى استطاع ان يصل إلى «دبلن» حيث اشترى مزرعة كبيرة خارج العاصمة الايرلندية وجعلها ـ كما يقول الكتاب السابق ايضا ـ مقرا للاتصال بين القاهرة وبون .

في القاهرة كان «سكورزني» يتستر خلف شركة تصدير واستيراد ، وكانت اول صفقة حقيقية قام بها «سكورزني» هي استيراد أسلحة من اسبانيا فى عهد «فرانكو» ، وكانت هذه الأسلحة تناسب العمليات الفدائية السريعة ، كما جلب إلى مصر عدداً من المستشارين البحريين فى مجـــــال الغواصات .

وكان هدف «سكورزني» ، كما يقول كتاب «ابي الهول» هو المساعدة فى إنشاء جيش تحرير ينطلق من مصر ضد اسرائيل . وقد مد «سكورزني» ـ من خلال مصر ـ نشاطه لمساعدة ثوار الجزائر ، وتخصص اربعة من مساعديه فى هذا الميدان واتخذ كل منهم اسما عربيا . من بينهم «بومان» الذي تسمى باسم «علي بن خاضر» و «ويلي برز» الذي تسمى باسم «بن كاشر» و «كارل لودر» المسمى «عبد القادر» .

ولهذا الكتاب : «خلف ابي الهول المصـــري » مؤلفـــان همـــا : «ســــيدار» و «جريتبرج» ، وقد امتلأ هذا الكتاب بكثير من المزاعم حول المساعدات والخبرات التى قدمها الالمان إلى مصر فى عصر عبد الناصر واهم الأسماء الأخرى التى يذكرها فى مجال المساعدات الالمانية هو « الدكتور ولهلم فوس » المدير السابق لمصانع «سكودا» الالمانية ، وقد تولى فوس ، فيما يقول الكاتبان ، الاشراف على كثير من المصانع المصرية منها مصنع الصلب «ديملج» فى «حلوان» وكانت خطته هي إنشاء تسليح لمصر ، بالاشتراك بينها وبين مصانع «الرور» الالمانية ، وقد استعان «فوس» بشخص اخر هو « ورنر نومان » الذي انشا شركة «لوخت» للتصدير والاستيراد ، وذلك لتنشيط التجارة الخارجية المصرية ، وكانت معظم المعاملات المالية لهذه الشركة ممولة من « بنك دسلدورف » الذى كان يديره «الدكتور شاخت » . وقد اعتقل «نورمان» هذا فى اوائل الخمسينات فى «بون» بتهمة تدبير انقلاب ضد حكومة المانيا الغربية .

ويزعم هذا الكتاب « وهو زعم ينبغي ان يؤخذ بحذر شـــــديد » ان « فوس » الالمـــــاني هـــو الذي وضــــع الخـــــطط المفصلة لصفقة الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ ، وذكرت مجلة «دير شبيجل» ان «فوس» هو الذي تفاوض مع المندوبين التشيك الثلاثة « برانتل ـ كوسترد ـ نوهيز » ، وكان «فوس» وكذلك «سكورزني» السابق ذكره وثيقي الصلة بالبروفسور «هالستين» المستشار الخاص «لاديناور»

عبد الناصر والألمان

الذي كان اول حاكم لالمانيا الغربية بعد الحرب الثانية ، وقد اصبح «هالستين» بعد ذلك رئيسا للسوق الأوروبية المشتركة .

وكان من بين امال هؤلاء الالمان ، وعلى راسهم «سكورزني» ان ينشئوا مع عبد الناصر ومفتي فلسطين والجامعة العربية «في أوائل الخمسينات» سوقاً اقتصادياً مستقلة للعالم الثالث تمتد من برلين إلى مدينة الكاب إلى نيودلهي مرورا بالشرق الأوسط كله ، وعلى راسه البلاد العربية .

ومن بين الالمان الذين حاولوا ان يلعبوا دورا فى مصر فى عهد عبد الناصر «الدكتور جروبــا» ، وهو شخصية لها تاريخ سابق على ظهور عبد الناصر . وكان الدكتور «جروبا» سفيراً لالمانيا فى بغداد اثناء الحرب العللية الثانية ، وهو فى الاصل مستشرق الماني لامع جداً وقد اعتنق الاسلام فعلا . وكان يعتقد ان امين الحسيني وعبد الناصر وسكورزني هم امثلة للشخصيات التي تفنى حياتها ومطامحها الشخصية في سبيل هدف هو الوطن والمصلحة الوطنية . وعندما كان سفيرا فى بغداد ساعد مساعدة كبرى فى إطلاق ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانجليز ، وعندما فشلت ثورة رشيد عالي ، خرج مع رشيد ومفتي فلسطين وعاش الثلاثة فى برلين ، وكان جروبا دائم الاتصال بالسفراء الالمان فى كل انحاء البلاد الاسلامية . وبعد هزيمة المانيا فى نهاية الحرب الثانية ، اشتغل «جروبا» رئيسا لقسم الشئون العربية فى وزارة الخارجية الروسية ، وكان له دور كبير فى التقريب بين عبد الناصر والروس كما ساهم فى محاربة الاحلاف الغربية .. ونذر حياته لاستئصال النفوذ الغربي من الشرق الاوسط .

ومن الشخصيات الالمانية الاخرى التي حاولت ان يكون لها دور فى مصر شخصية «الدكتور البرت ديجنر» ، وكان يعمل بعد الحرب رئيسا للغرفة التجارية الالمانية الامريكية فى نيويورك ، وقد طرد من امريكا، فاتجه إلى مصر واقام فيها ، وانشا غرفة تجارة وصداقة بين مصر والمانيا . وقد احضر معه إلى مصر مهندسا المانيا عبقريا هو «جورج بورج» الذي سبق ان صنع قنبلة ٧ الرهيبة التي كادت تبيد لندن فى الحرب العالمية الثانية . وكان عند «بورج» مشروع يريد تنفيذه فى مصر هو ري الصحراء الغربية وتحويلها إلى خزان مياه. وقد طور مشروعه بعد ذلك واختصره إلى مشروع «منخفض القطارة» وقدمه كمشروع مشترك بين المانيا ومصر . ولكن المشروع الاصلي له كان مؤسسا على مياه النيل ، وكان هدفه الاخير هو تخصيب وزراعة الصحراء الغربية . وقد كان هذا الالماني «بورج» مفتونا بالصحراء ، ومحاولة استغلال كنوزها ، وقد جذب معه في مجال إصلاح الصحراء الغربية واستغلال خزان اسوان العبقري الالماني الشهير «مسر شميت» الذي صنع الطائرة الالمانية الشهيرة المعروفة باسمه ، وكانت اسرع طائرة فى عصرها ، وقد استفادت معظم الطائرات الحربية التى ظهرت بعد ذلك من فكرة الطائرة « سرسميت » .

ومن هؤلاء الالمان الذين حاولوا ان يلعبوا دورا في مصر فى عهد عبد الناصر «فون ليرز» الذي اسلم واسمى نفسه باسم «عمر امين فون ليرز» ، وقد كتب فى ٢٩ مايو سنة ١٩٥٣ مقالا فى مجلة «دتشلنا دريف» يمجد فيــه تســامح العــرب والمسلمين وبعــدهم عن التعصــب واحترامهم لالمانيا والالمان . وتنبا في هذا المقال بان الالمان يوما ما سوف يعتنقون الاسلام اعتناقا جماعيا . ويذكر فى مقاله ان الوفا من الالمان الهاربين من المانيا بعد الحرب العالمية الثانية قد قوبلوا بالترحاب والاكرام والمعاملة الكريمة بين المسلمين والعرب . وقام فى مقاله بتعديد فضائل الاسلام ، وبساطته واعتماده على كلمة اساسية ومبدأ رئيسي هو « التوحيــد » ، واكد ان هذه الصيغة التوحيدية البسيطة المركزة الواضحة لابد ان تعكس ظلها على العالم كله فى يوم قريب .

نعود إلى «فون ليرز» لنقول إنه قد عمل فى مصر فى مجال الاعلام ، وتوسط فى عقد اتفاق بين مصر وشركة «مانهايم» الالمانية لانشاء اقوى محطة إذاعية في الشرق الأوسط . وكان مامولا ان تغطي هذه الاذاعة افريقيا واسيا جميعا .

وكان «فون ليرز» يعيش فى مصر فى سرية كاملة ، حتى انه فى عام ١٩٥٦ ، عندما اكتشف وجوده صحفيان غربيان هما «وليام ستيفنسون و «آن شارلي» ، قام عبد الناصر بطردهما بحجة انهما حاولا مقابلة محمد نجيب «المحددة إقامته في بيته دون إذن » .

من الناحية الفكرية يتجه كثيرون من الباحثين الغربيين إلى تاكيد الاثر الالماني في فكر عبد الناصر ، وعلى سبيل المثال فقد ادخل عبد الناصر على السياسة العربية والعالمية بعض تعبيرات لم يقبلها العالم من الالمان ، ولكنه قبلها من عبد الناصر ، ومن هذه التعبيرات قول عبد الناصر : «إن الحرب هي امتداد للسياسة » ، وهو القول نفسه الذي اعتمدت عليه نظرية الجنرال الالماني «كلوزوتز» . كذلك فان مبدا العالم الثالث ومبدا الحياد الايجابي كانا ممادعا إليه البروفسور الألماني «هوسهوفر» ، ويسمون نظريات « هوســهوفر » فى المانيا باسم المدرسة الشرقية في الفكر السياسي ، والتطبيق العملي لهذه المدرسة يعتمد على عدة خطوات حاول عبد الناصر ان يمضي على هداها ، باقتناع لا يستطيع احد ان ينفيه ، وهذه الخطوات هي :

١ ـ ان تصادق الغرب وتخطب وده ، لتحصل على معونات وتبني قوتك ، ولكن خلال هذا حاذر من إغلاق الباب فى وجه القوى العالمية الاخرى .

٢ ـ ثم بعد ذلك ينبغي التحول إلى مركز وسط بين القوى العالمية الكبرى .

٣ ـ لابد من استغلال الوقت حتى يمكن التخــلص من ايــة محــاولة لســيطرة التحالفات العالمية العظمى . ولا يمكن مواجهة هذه التحالفات إلا وانت عملاق .

كل هذا درسه عبد الناصر واستفاد منه ، ولا شك ان افكار عبد الناصر هنــا لم تكن مجرد صدى للأفكار الالمانية ، فلقد كانت له استقلاليته الفكرية ، ولكن الافكار الالمانية لعبت دوراً فى تشكيل هذا الفكر المستقل .

وليس هناك سرعة نضوج مثل سرعة نضوج افكار عبد الناصر في ذهنه . ورغم هذه السرعة فانه كثيرا ما كان يضطر إلى تقديم برنامجه عن موعده : فقد قدم موعد تاميم القناة عام ١٩٥٦ عندما اصطدم مع دلاس فحقق نصرا وطنيا خياليا بتاميم القناة . ولكنه عندما قدم موعد اصطدامه باسرائيل او سمح لهم بتقديم موعد الاصطدام تعرض لنكسة كبيرة . واغلب الظن انه لو لم يتعجل هذا الصدام او بالاحرى ، لو لم يضطر إلى التعجيل ، لحقق نصرا وطنيا خياليا اخــر .

من خلال هذا كله يبدو من الغريب ان يسارع عبد النــاصر إلى قطع علاقاته بالالمان ، في وقت كان يستطيع ان يواصل فيه طريقه فى الاستفادة القصوى من خبرتهم وكراهيتهم الكامنة للدول الغربية الاخرى « بريطانيا وفرنسا وامريكا » وما لهذه الدول من سياسات مختلفــة .

ولا شك ان عبد الناصر قد اضطر إلى هذا الموقف تحت ضغط ظروف صــعبة ، وهو ما يـحتاج إلى دراســة اخــرى .

د. السيد فهمي الشناوي



THE ARAB GULF STATES FOLKLORE CENTRE

CENTRE DE PATRIMOINE POPULAIRE DES PAYS ARABES DU GOLFE

دعوة الى كافة الفنانين العرب
للمشاركة فى مسابقة تصميم شعار للمركز

يسر مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ان يتوجه بالدعوة الى كافة المبدعين العرب فى مجال الفن التشكيلي والمشتغلين بكافة انواع الرسم والخط ، للمشاركة فى مسابقة فنية لتصميم شعار خاص بالمركز حسب المواصفات والشروط التالية :

اولا ـ مواصفات التصميم المطلوب :

١ ـ ان يعبر عن المركز ، كمؤسسة خليجية مشتركة ، تعنى بالتراث الشعبى للمنطقة المتمثل فى فنون الأدب الشعبى ، العادات والتقاليد ، الموسيقى وفنون الغناء والرقص الشعبى ، الحرف والصناعات الشعبية .

٢ ـ ان يكون دالا على هذا التراث ، ومستوحى من احد جوانبه الفنية ، خصوصا ما اعطته الثقافة المادية الشعبية المتمثلة فى كل ما انتجه الفنان الشعبى بمجالات الرسم والنحت والتصوير ، وما ابتدعه من فنون معمارية ووحدات زخرفية ، وما انتج من ادوات ومعدات استلزمتها طبيعة الحياة البسيطة على مر العصور .

٣ ـ ان تكون فكرته جديدة ، وتنفيذها مبتكر ولم يسبق طرحه او تداوله باى وسيلة من وسائل النشر على اختلاف انواعها .

٤ ـ ان يكون بسيطا . وقابلا للتنفيذ الفنى بواسطة الطبع والحفر والنحت والتجسيم الهندسي .

٥ ـ يفضل ان يكون الشعار بلونين فقط .

٦ ـ ان يستوفى جميع الاصول الفنية الحديثة المتبعة فى تصميم الشعار .

ثانيا ـ شروط الاشتراك :

١ ـ يحق لاى مشارك تقديم اكثر من تصميم واحد .

٢ ـ ينفذ التصميم على الورق المقوى الخاص بالرسم قياس ٥٠ X ٤٠ سم او ما يقارب ذلك . على الا يذكر على التصميم اسم المتسابق او ما يدل عليه ، ويكتب الاسم والعنوان البريدى ورقم التليفون على قصاصة منفصلة ترفق بالتصميم .

٣ ـ يمنح التصميم الفائز جائزة مالية قدرها ستة الاف ريال قطرى او ما يعادلها ، تدفع بعد اعلان نتيجة المسابقة .

٤ ـ التصميم الفائز يعتبر ملكا دائما للمركز يستخدمه فى كافة اغراض عمله وبالشكل الذى يراه مناسبا . وتسقط تبعا لذلك جميع حقوق الملكية الفنية ، العائدة للمصمم .

٥ ـ جميع الأعمال الفنية التى لم تفز لا ترد الى اصحابها ، ويحتفظ المركز خلال شهر واحد من تاريخ اعلان النتائج بحقه فى اولوية الاستفادة من اى منها فى اغراض فنية أخرى خاصة بمجال عمله ، وذلك مقابل مكافاة مالية يتفق بشانها مع المصمم .

٦ ـ ستشكل لجنة تحكيم خاصة بمستوى فني رفيع ، لتقييم الأعمال المشاركة .

٧ ـ تعلن نتائج المسابقة فى اواخر شهر مايو ١٩٨٣ م بواسطة النشر فى الجرائد والمجلات والاذاعة والتليفزيون .

٨ ـ اخر موعد لقبول الاشتراك هو مساء يوم السبت ٣٠ ابريل ١٩٨٣ م .

٩ ـ ترسل التصاميم المشاركة الى العنوان التالي :

مسابقة تصميم الشعار
مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية
الدوحة ـ ص . ب ٧٩٩٦
دولـة قطــر

المرقش في رحلته الأخيرة

شعر : عبدالرحيم عمر

« ولما ايقن المرقش الاكبر ان المرض قاتله ، وان مولاه الهذلي قد صمم على التخلي عنه ، كتب بالسر ابياتاً على رحل ذلول الهذلي ، تروي قصته ، وتطالب بالاقتصاص منه ، ومضى في رحلته باحثاً عن سلمى » .

ساهمٌ وجه المساء
وعواءُ الذئب يدنو ثم ينأى
ما الذى تبغيه يا أطلس ؟ ما هذا العواء ؟
مبهمٌ انت ، كما وجه الهذيليّ ، توارى العذر فيه والاخاء .
فهو يبكيني ويبغى اجَلِي
وانا أرثى له من قسوة المستقبَلِ
وكلانا مكثرٌ من ذكر حب .. وحبيبٍ .. ووفاء

• •

يا لاحزان المرقش !
ها هو اليوم الذى ما عاد فيه قِرْنُ طعنٍ او نزالٍ او دهاء
وعلى المفترق الدّامِي :
عواء الذّئب ، والغدر ، ووجه الفارس الكابي الذّليل
حائرٌ بين التباكى والبكاء

• •

ساهمٌ وجه المساء
يتوازى فيه خطّان نقيضان : بقائي والفناء
غير انّي لن اكونَ البادىءَ الغادرَ
مهما شطّ هذا العالمُ الحافلُ ،
فا ضُيِّقَ او احتُلّ
واضحى ساعةً يعدم فيها الشُّرفاء .

• •

شرف الموقف عبءٌ
دونه قد يظهر العمرُ عناءً عاقرا ،
او سطورا مبهماتٍ من رمالٍ ودماء
او كتاباتٍ على صفحة ماء
فاذا مال بنا الدرب وابعدنا عن المسرى النّبيلْ
جاز ان نصرخ فى وجه المساء
فمن الأجدر بالدرب النبيل .
ومن الأجدر أن ينقل للباقين بالدمّ ، ونبضُ
الموت ، منا ذلك العبء الثقيل ؟

• •

يا لاحلام الصبايا ، ومراثى الشعراء !
كيف تبكينا ووجه الفرح الكاذب يكسو الصّفّ
والسّعف واحلام النّخيل ؟
اى ركب نصفهُ مؤتمرٌ بالبعضِ
والحادي احاديه من البُغْضِ
وحظ الرحلة المنكود مرهونٌ باحقادِ
ذليلٍ طامعاتٍ بذليلْ ؟
ايّ شاراتٍ وثاراتٍ إذا ما هبّت الرّيح
ولا نقشٌ على صخْرٍ
ولا خطٌ على قبرٍ
ولا من يرسل الصوت ينادي : يا لثارات القتيلْ !

• •

ما الذى نملك ان نبقي
سوى وشم دماءٍ باهتات اللّون
من سيفٍ سوى سيف المروءات تسيل

• •

فليكن يا هذليّ !
إمض فى امرك ، هذا زمن الانذالِ
يستلّون عين الشمس مِنْ جَفْن الاصيلْ
غامت الدنيا فلا مَوْلَى يوالي او وليّ
كلنا السارق عينَ الشمس ، كل شُرَطِيّ
يسرق الفرحةَ ، والبسمةَ ، والفاتنةَ الحلوةَ ،
والقانونَ ، والدستورَ .. كلّ هُذَليّ
قاتلٌ ، دون قتالٍ ، وقتيلْ !

• •

منعم بالوجد والشوق وهذي الجَسْرَةُ الوجناءُ
ما اَوْهَنَها وَخْدٌ ، ولا انهكها طولُ الرّحيلْ
والمدى يُغْري
وسلمي خلف ساجي الافْقِ تُعْطينا الاشارَةْ
هو « يعقوبُ » سعيدٌ بالبشاره
يرفع الراية ، يجرى ، مثلما يجرى من الركبِ الدليلْ
فانْفَقي قبل انفجار اللحظة السوداء فى صُمّ الصّحارى
وَضَح الامر ، ودقّت ساعة الصفر ، وباحت بالقرارْ
والسويعاتُ الاخيرات اختصارٌ لمسارِ التجربَةْ
اه ما اعجبها من تجربَةْ !
تارة يركلُها المرء لتنأى
ومرارا يشتهى ضارعا ان تجذِبَهْ
ولقد يُتْرك ملهوفا ، مريضا ، للضوارى

• •

حلوة حتى متاهات البراري
حينما يستطيع أن يُبصِرَ مَنْجىً لعليلْ
غير أنّا .. آه يا ذلَّ المرقّش
مِنَ الهجرةِ فى الحبّ
ومن إشراقةِ العشقِ على دنياكَ
تغدو العودةُ العزلاءُ
لو دمُّ الهُذَيْلِيِّ بديلْ ؟

• •

يا رياح الغَدْوَةِ البكرِ ، إذا خُلّيتُ
مُسْتَنْبَحَ تيهٍ ، وتبرأتُ من السيفِ
تَهُبّينَ من المجهولِ ، تأتيني بغوثِ المستحيلْ ؟
وإذا ما صَمَتَ العالمُ ، أو عز « خويٌّ » يستثيرُ
الدمَّ والنخوةَ فى الأهلِ ، تكونين الخليل ؟

• •

قفرت يا ويلنا
خيَّم غول الصمتِ
صمتِ الموتِ
لا خيلٌ ، ولا نارٌ ، ولا فى البيدِ رجعٌ من صهيل !
فاذِ يقوه الرّدى
وارفعوا الراية فوقَهْ (١)
إنه الخائن للعيش وللمِلْحِ وللجارِ وللدارِ المُهَانَهْ
والغٌ فى الدم والعهدِ وأقداسِ الأمانهْ
فاقطعوا الرأسَ التى دبرت الأمْرَ وأغرت بالخيانهْ
واطعنوا القلبَ الذى أطلقَ للغدر عنانَهْ
وانثروا أشلاءَه عَبْرَ المدى
فلدى تبلغُ من أمرٍ سُدَى
إن رضينا أبدا
ذلك الشرَّ الوبيلْ
وعلى صحرائنا منه المثيلْ !

• •

كيفَ يجتازُ جموح العاصِفَهْ
واهنُ المنكب ، مشبوبَ الهوى
بين جنبيه تئنُّ العاطفهْ
حارقاتٌ من حنينٍ وجَوَى
طاوياً من عمره صفحة إصرارٍ أصيلْ
راضياً من زاد دُنْياهُ القليلْ
مؤمناً ، مهما دنت أيّامُهُ
أنَّ صدق العزم مفتاحُ السبيل !
فارحميه وذريه مؤمنا
ولو انَّ المنتهى صبرٌ جميلْ !

عبد الرحيم عمر ـ عمان



هامش :

(١) كان العرب يقتلون الغادر ويرفعون علما فوق جثته للتشهير بـــه .



قصة بقلم : وليــد إخلاصي

ـ ١ ـ

تلقى الرقيب الاحدب الذى يدير قسم الشرطة القائم فى قلب الأسواق القديمة ، اشارة جديدة عن مصرع واحد من المقيمين فى خان الورد . فحك الرجل راسه الذى يشبه (كلة معروف) كما يحلو لرجاله أن يحكوا عنه دوما فى غيابه ، ثم قال ببرود للشرطى الذى نقل اليه الخبر بحماسة :

« لابد انه بلاغ كاذب » .

ثم أعقب وهو ينتف شعر منخـــاره الضخم :

« ومن هو الذي سقط فى البئر هـــــذه المرة ؟ » .

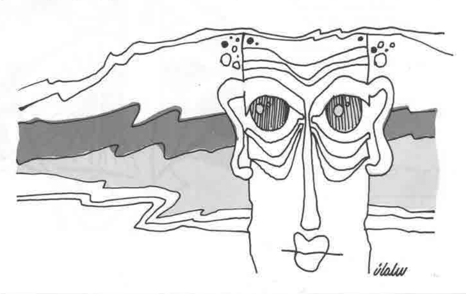
وعندما قام رجال الاطفاء بانتشال الجثة من البئر التى تبين للتحقيق انها تتصـل بسرداب لا نهاية له ، باتت لدى الشرطة القناعة الكافية بان فى الموضوع جريمة ، بعد ان تكررت مثل هذه الحادثة للمرة الثالثة خلال اقل من عام .

لم يسبق لشرطة اسواق المدينة القديمة ان واجهت جرائم مثل هذه من قبل ، كما انها لم تعرف العنف الشديد فى اى من المشاكل التى تحدث فى المنطقة . كانت معظم الاحداث التى تؤدى عادة الى مقسم الشرطة ، لها علاقة بسرقات صغيرة او بنزاعات تنتهى عادة بالصلح او بخلافات على بيع وشراء يخرج منها المتنازعان راضيين بحكم الرقيب رئيس القسم .

وعندما سقطت امرأة نصف عمياء فى البئر ، قيل ان الحادثة مجرد مصادفة ، وبخاصة انها امرأة هوى سابقة الجاها العجز والهرم فى اواخر حياتها الى الخدمة فى ورشة لتنظيف المصارين ، فكانت تقوم على كشطها بالسكين وتنظيف المكان . وكان رب العمل الذى تخصص بتوريد امعاء الحيوانات الى أسواق العالم ، يشفق عليها فسمح لها بالاقامة ليلا فى ركن داخلي من الورشة . وبالرغم من مشاعر العداء التى حامت حولها فى البداية ، فان الاشفاق مع الايام تحول إلى احترام من اهل الخان وهم يراقبون احترامها للعمل القذر الذى كانت تقوم به .

بعد اشهر قليلة ، اختفى (مجلد الكتب) العجوز الذى كان يحتل غرفة صغيرة فى الطابق الثانى من الخان . ستون عاما من عمره البطيء مرت عليه بسرعة فى الخان ، منذ دخوله اليه وحتى لحظة اختفائه . وبالرغم من ان الصوت الوحيد الذى كان يخرج عنه كان ضربة المقطع يقص الورق به ، فان سكان خان الورد افتقدوا وداعته التى كانت هسيس محبة تعبق به أروقة المكان وفسحته .

افتقد الجيران غياب العجوز ، كما ان ابنه الذى داهمه ضعف النظر مبكرا يئس من البحث عنه فى القرية ، أول وآخر مكان لهم فيه اقارب ، ولم تكتشف حقيقة الامر الا



بعد انتشار رائحة كريهة من البئر الذى تدور حوله احجار الحوش المرصوفة فى خطوط تعرجت وتكسرت مع مرور الزمن ، لتبدو كموج متحجر يحيط بالتفافة خرزة البئر الرشيقة . وقد جاء رجال الاطفائية مترجلين لاستحالة دخول سيارتهم الحمراء أسواق المدينة الضيقة ، وانتشلوا جثة الرجل من قاع البئر الذى تتجمع فيه مياه الأمطار ، تلعب فتحة السرداب دورا فى تهويتها . ودار فى راس المحقق سؤال :

« هل سقط المجلد نائما فلم تخرج عنه صرخة او اهة سمعها من ينام فى الخان ؟ »

ثم تساءل فى الضبط المكتوب :

« الايمكن للحادثة ان تكون انتحارا ؟ »

وفى المرة الأخيرة ، بلغ (الاسود) وهو الشقيق التوأم للرضي ، عن غياب اخيه المفاجيء . الا ان حرارة الجو وسكون الهواء ساعد على انتشار الرائحة من البئر ، فانتشلت الجثة مهشمة الراس ، وكانما سقوط الرضي كان طواعيا فهوت الجثة على رأسها مباشرة .

— ٢ —

وهكذا عاد الحديث من جديد عن لعنة خان الورد . فى المكان نفسه ، دار الحديث همسا ، وفى الأسواق القديمة المجاورة . وكذلك فى الاحياء المنتشرة فى غرب القلعة اتسعت دائرة الاستماع الى احاديث اللعنة تلك . واغلق تاجر مانيفاتورة دكانه ثلاثة ايام هلعا ، كما ان شيخ صناع الصرمايات فى سوق الجلد توقف عن العمل يوما كاملا وهو ينصت الى الاقاويل فيهز راسه عجبا لا يخلو من الخوف .. وعقب الضحية الثالثة ، لم يكن هناك من حديث يدور فى تلك المنطقة من المدينة الا عن لعنة خان الورد . كما ان عددا كبيرا من اهالي المدينة وجد فى حوادث الموت تلك مادة للكلام اليومي ، غطى فى كثير من الاحايين على الأحداث السياسية والعالمية .

ونشطت ذاكرة عدد من المعمرين الذين يشتهر بهم حي السفاحية القريب من الخان فقيل إن ضحايا خان الورد فى الايام الخوالي ، كانت واحدة فى العام على اقل تقدير . والمح أمام جامع اللاوندية ، الى ان تاريخ الخان الداعر ، منذ أن انشيء فى القرن العاشر الهجري ملتقى للعشاق والفاسقين من الغرباء والوافدين أو من أهل المدينة الميسورين ممن ينشدون المتعة الحرام ، هو سبب ما جرى ويجرى وما سيكون عليه الحال باذن الله . فاللعنة لا تحل على اماكن الفضيلة ، بل تختار من الأماكن مالوثها الفساد . ولن يمحو اللعنة الا هدم الخان على ماضيه .

ولم تخرج جنازة الرضى ، أخر الضحايا من خان الورد كما أراد شقيقه . لذا فقد تجمع الناس عند مدخل الزقاق الذى تتصدره الطبابة الشرعية ، والتى خرج منها النعش ملفوفا بشرشف ابيض مقلم ، غطت حزمة الورد الوحيدة جانبا من تمزقه وكان المشيعون قلة جمعت سكان الخان مع عدد ضئيل من الذين يعملون نهارا فيه ، الى جانب اولئك الفضوليين الذين يلحقون عادة بالجنازات تكسبا او قتلا للوقت .

— ٣ —

وكان خان الورد ، الذى تصدعت جدرانه الخارجية منذ عشرات السنين فلم ينذر بخطر ، يحتل مكان القلب فى منطقة الاسواق القديمة ، وكانما هو المركز الذى تتفرع عنه تلك الممرات الضيقة المغطاة بصفائح التوتياء ، فتسمح الثقوب التى فيها بدخول الضوء كنجوم هاوية . وكان خان الورد أجمل الخانات الكثيرة واوسعها وقيل انه احدثها فى المدينة القديمة .

وقد اغلق الباب الشرقى للخان منذ نصف قرن ، فما عاد يستعمل وهو الذى كان يؤدى مباشرة إلى سوق الصاغة . بينما ظل الباب القبلي هو المدخل الرئيسي والوحيد لخان الورد ، الذى مازال يغلق مع غروب الشمس من كل يوم ، إذ تتوقف الحركة فى الخان الذى تنوعت النشاطات التجارية والصناعية فيه ، فاختلطت المهن بعضها ببعض ، فتجاورت صناعة المصارين مع تجارة العملات الأجنبية ، واختلطت تجارة (البالات) مع لفائف الاقمشة الحديثة .

وظل إغلاق الباب اليومى وظيفة اقدم المقيمين فى الخان . وبعد وفاة مجلد الكتب الذى كان يطمئن بنفسه ، وبالرغم من شيخوخته المنهكة على إقفال الباب عشية كل يوم ، تناوب التوأمان الاسود والرضي على القيام بذلك العمل . والآن باتت تلك مهمة الاسود ، الذى اغلق الباب فى تلك الليلة المشؤومة والحزن يختلط بالظلمة التى خيمت على الحوش والغرف المنتشرة على طول الاضلاع الاربعة ، كما أن النور الضئيل الذى ينبعث من بعض غرف الطابق الثانى ، لم تكشف عن طبيعة وجه الأسود فى ذلك اليوم .

وفى اليوم التالى ، عادت الحياة طبيعية إلى الخان ، فازدحم الحوش بالزبائن واكتظت الاروقة بالباحثين عن ملابس قديمة ، وكانما نشاط التجارة والصناعة لا يتأثر بمقتل إنسان ، مصادفة أو جريمة .

إلا ان تلك العودة إلى الحياة ، مالبثت أن اضطربت فجاة مع تقدم الرقيب الأحدب يرافقه مدنى يرتسم الشك على وجهه ، جعلا يطوفان فى انحاء الخان ومن خلفهما شرطيان احدهما يبدو عليه الهرم المبكر وهو يقوم بتسجيل كل ما يمليه عليه رئيسه .

فى البداية ، استبعدت الشبهات عن اهل الخان من الذين يغادرونه مع غروب الشمس ، كالصيارفة واصحاب مكاتب الاستيراد والتصدير وتجار الاقمشة وبائعي الملابس المستعملة وعمال الانوار اليدوية . وسجلت قائمة باسماء المقيمين فى الخان ليل نهار . فبالاضافة إلى الأسود الذى يدير ورشة لاعداد خيوط الاغباني ، كانت هناك اسماء الأطرش مرقع الاحذية ، وابن مجلد الكتب الراحل ، وبائع الفستق السوداني وزوجته العجوزان ، وثلاثة من المتسكعين كانوا قد تسللوا فى الأشهر الأخيرة الى الخان يستخدمون اروقته للنوم المجانى .

واحتار المحقق الذى يرافق الرقيب الأحدب ، فى أن يجد سببا معقولا واحدا يدعوه للاعتقاد بأن جريمة ما قد حصلت . كما أن الرقيب نفسه ، الذى قام بمعاينة خرزة الجب الواسعة ، لم يستطع ان يتصور أن احدا يسقط فيها دون مساعدة ، ما لم يكن يطل بجذعه داخل تلك الفتحة فاختل توازنه بسبب ما وسقط فى البئر .

« سقوط من غير صوت » .

هكذا كرر المحقق تساؤله . وهكذا دار التحقيق فى سياق الشك والتساؤل

خان الورد

والافتراضات التى لم تؤد إلى نتيجة ذات فائدة .

وإذا كانت إمراة الهوى التى لا ترى جيداً ، او مجلد الكتب الذى قال إبنه إنه طالما شكا من آلام البروستات ، قد فكرا بالانتحار لتفاهة الحياة أو منغصاتها على سبيل الافتراض ، فان الرضي الذى كان ما يزال فى عز الرجولة ولم يتجاوز الثلاثين من عمره الا بقليل ، وكان قويا صبوح الوجه ، لا يمكن ان يدفع بسهولة الى الموت كما انه لا يمكن له ان يرضى بالانتحار باى حال من الأحوال .

— ٤ —

كان الرضي معروفا فى كل أسواق المدينة يمر فى كل يوم وعلى ظهره طابات خيوط الاغباني يحملها إلى اصحابها يوزعها عليهم ، ولم يؤثر عليه ثقل تلك الخيوط ، فظلت قامته مستوية تثير انتباه النسوة المترددات على السوق ، حتى بات معروفا عندهن ، وكثيرا ما سمعت ملاحظات إعجاب تصدر عن الصبايا والعجائز لها علاقة بشباب الرضي .

هو يسلم على الجميع من اصـــحاب الدكاكين ، ويتبادل معهم الأحاديث العابرة وفى وجهه ابتسامة لا تقل حلاوة عن طلعة امراة جميلة خرجت لتوها من الحمام . كانوا يقولون عنه « ابن الورد » ، ويوم يرتفع سعر الذهب أو الفضـــة يقـول صائغ :

« صباح الرضي كله خير » .

واذ يبلغهم نبأ موته ، يزداد تشاؤمهم من الخان الذى تتكاثر حوله الاقاويل يوما بعد يوم .

وعندما حل الأسود العابس محل الرضي الراحل ، كان يمر منكسا رأسه لا يعرف التحية ، كانوا فى السوق يقولون :

« هل يمكن لبطن امراة ان تحمل مثل هذا النحس جنبا إلى جنب مع الرضي؟»

وتتاكد لدى الجميع قناعة ، ان لعنة حقيقية قد حلت بخان الورد . وهكذا قيل إن زمانا كهذا ياخذ الطيب ويترك الرديء .

— ٥ —

ترعرع التوامان فى حوش الورد واروقته ومنذ ايام الطفولة الأولى ، عرفا ان دارهما فسيحة كالجامع الاموى الكبير وضيقه كالجحر . وكانت ابتسامة الرضي بحجم الحوش الذى تغمره الشمس طوال اليوم وتظلله الشمس على مدار السنة . وكان تافف الاسود كالغرفة الداخلية الضيقة التى جمعت بين جدرانها المسدودة اسرة دون أم ، فتبادل الصغيران حنانا بعيدا عن الأب الذى قيل إنه لم يجرؤ على الزواج لفقره .

ويرحل الأب ، فيرث الأبناء صنعة اعداد الخيوط المذهبة . ومنذ تلك الايام ، كان الأسود يردد :

« لو تحول خيط واحد الى ذهب حقيقى لهجرت الخان » .

بينما كان الرضي يعلق ضاحكا :

« حمدا لله اننا ورثنا صنعة باليد وغرفة بايجار رمزى » .

وكان جابى الأوقاف ، يمر عند مطلع كل سنة ميلادية يجمع الايجارات من شاغلى غرف الخان . وعندما يحصي امواله ، يقف ساخرا عند الباب الكبير الذى تاكلت اخشابه ويتمتم بصوت مسموع .

« اليس حراما ان تكون اجرة هذا الخان الذي يعادل بناؤه حيا معمورا باسره ، هذه الليرات القليلة ، ونصيبي منها لن يكون الا من اليسير المضحك ! » .

وعندما سجل خان الورد ، اثرا من اثار المدينة الهامة لا يجوز لأحد ان يمسه ، ابتسم الرضي مطمئنا الى أن احدا لن يجرؤ على التلويح بهدمه ، بعد ان عشق كل حجرة من احجاره وامتد الخراب إلى معظم مناطق المدينة القديمة ، بينما تافف الاسود بقوله :

« كتب علينا ان نعيش ونموت فى هذا الخان » .

وفى ليالى الصيف ، كان المتسكعون من الفقراء الذين يلجاون إلى الخان ليلا طلبا للراحة فى (فندق الورد المجاني) كما يحلو لهم ان يسموه ، يتضمون الى اهل الخان وهم يلتفون حول الرضي ، يشاركونه نارجيلته الطهمازية ، يستمعون الى احاديثه عن تاريخ الخان الجميل .

هنا كان الفرسان والمسافرون يربطـــون خيولهم ، وفى تلك القاعة التى باتت مقرا للتجارة ، كان المغنى يجمع حوله نزلاء الخان يسمرون حتى الصباح . وفى تلك العلية ، فى الصومعة الوحيدة التى تعلو الطابق الثانى ، كان شيخ مبارك يبتهل الى الله فيها ، فتسمع لتسابيحه نغمة فى اخر الليل ، تجتذب اهل الخان فيقومون الى الصلاة بعد سهر وشرب وغناء ، ويطلبون غفران الذنوب وهكذا خان الورد كالحياة نفسها .

ومن كان لا يدرك شيئا ما فى حديث الرضي ، يستزيده فهما فلا يبخل عليه الرجل . وفى كل صيف ، كانت حكاية الخان تكبر ، وكانما الرضي يكتشف فى ايام الشتاء جديدا عن الخان يدخره لسهرات الصيف ، حتى بات الذين يستمعون الى حكاياه يظنون انه عاش كل حياة الخان ، منذ اول حجرة وضعت فيه الى هذه الأيام التى تهدد فيها وجود الخان نفسه .

— ٦ —

سئل الأسود عن موت اخيه الرضي ، فاطرق حزينا يعطى لسكوته طعم الاستسلام للمصيبة .. وسئل إن كان يشك فى جريمة محتملة ، فرفع حاجبيه عجبا ، وقال له الرقيب الاحدب ان كان يحمل احدا ما مسؤولية موت الرضي ، فنفى صامتا ، وهكذا طوى الموضوع ، وعادت الحياة إلى الخان بعد أن انطفات ببطء جميع الاقاويل والشائعات والمخاوف حول الجرائم المتخيلة ، الا ان لعنة خان الورد التى فيض لها ان تبرد نارها . ما لبثت ان توهجت مع ظهور رجل غريب دخل الخان ذات يوم ، وقد بدا للجميع وكانه سائح اجنبى يريد أن يلتقط الصور بالته الكبيرة التى اطلت بعدستها اللامعة على كل زوايا خان الورد ، فسمع لطقتها اثر يشبه النقر على الحجر المعتق .

— ٧ —

قدم الرجل نفسه للأســــود على انه مهندس عاش معظم حياته فى أوربا . ثم هز الاسود من كتفيه بمودة وصاح :

« لابد انك نسيتني » .

وكما قال ، فإن صداقته للرضي قديمة ابتدات مع أيام الطفولة ، حين كان المهندس صبيا يلعب فى حوش الخان ويتردد مع الأولاد على دروس الشيخ المغربي الذى علمهم القران تحت الدالية فى صدر الخان .

وقد أنكره الأسود ، وقال له انه لا يعرفه من قبل ، ثم استوضحه بمرارة انه كان لا يعرف ما قد جرى للرضي ، فشهق المهندس بغضب اذ يبلغه نبا سقوط

صديقه فى البئر ، وينظر الى الاسود باستغراب لأن الموت قد طوى عنده كقدر ، فلم يتساءل عن سببه .

كان الرضي ، يراسل صديقه ويساره . ولم يكن للمهندس صديق بقي له فى هذه المدينة سوى الرضي ، وها هو يفقده فجاة دون مقدمات . هتف الرجل بحرقة :

« احسب فى الموضوع جريمة » .

كانت اخر رسالتين وصلتاه من الصديق الراحل ، تتحدثان عن شكوك الرضي التى تدور حول مصرع المراة العجوز ومجلد الكتب فى الجب . كما أن الرسالة الاخيرة ، التى كانت قبل سقوطه فى البئر ، اشارت الى أن (احدهم) قد اتصل به من واحد من مكاتب الهندسة او التعهدات ، ليقول له إنه وارث لملكية خان الورد ، وانه قرر ان يحول ملكيته الى فندق عالمى يستقبل فيه النزلاء من محبى التاريخ ، وان على الرضي ان يساعده فى إقناع سكان الخان بترك غرفهم ومكاتبهم ، وهو مستعد لدفع مبالغ معقولة تعويضا لهم . ويقول الرضي كاتبا فى رسالته :

« إننى شخصيا ارفض ان اغادر المكان الذى ولدت فيه . ولا اتصور ان واحدا من العاقلين يهجر المكان الذى ولد فيه وترعرع واحب » .

قال المهندس هاتفا من الم :

« اريد ان اعرف من هو احدهم هذا الذى اشار اليه العزيز الرضي » .

وقال الاسود ببرود يثير الغيظ :

« لم يحدثني المرحـــوم عن شيء من هذا » .

ثم اعقب :

« لو كان الرضي قبل بتعويض مناسب لكانت الامور افضل » .

ثم تساءل متوجسا :

« ولكنى لا اذكر ان لاخى صديقا مثلك منذ ايام الطفولة ، وانه يراسله . الا تعلم انه كان اخى التوام ؟ » .

فقال الرجل :

« ما كنت احسب هذا الامر حقيقة » .

— ٨ —

كان المهندس ، الذى جاء فى مهمـــة لدراسة الآثار فى المدينة لصالح معهد اوربى معروف ، قد قرر أن يتصل بالشرطة لابلاغها عن شكوكه التى باتت يقينا عنده ، ولكن الرقيب الاحدب نظر إليه باستخفاف وهو يقول :

« طويت الحادثة . ثم انك لست بقريب للمرحوم حتى تشغلنا بشكوكك واوهامك » .

وبعد أيام وصلت البعثة التليفزيونية إلى الخان ، كى تلتقي بالمهندس لاتمام المهمة ، فلم تجده . وسالت عنه اهـــل الخان ، فلم يفد احد بكلمة . واما الاسود فانكر انه راه سوى مرة واحدة اختفى من بعدها .

ولم تتح للبعثة ، التى كان المهندس قد اتفق معها على تصوير الخان وما يجاوره من اسواق قديمة ، فرصة الاستقصاء عن اخبار المهندس الذى افاد الفندق ، الذى ينزل فيه منذ قدومه ، انه خرج منذ ثلاثة ايام ولم يعد . وقد شغلت البعثة باغتنام الفرصة لتصوير حريق مفاجيء شب فى سوق الجلود فاتى عليه كوباء صاعق وبالرغم من رائحة الشواء التى تشابه رائحة حريق اجساد بشرية ، فان المصور خرج بوثيقة هامة عن تدمير واحد من اجمل الأسواق القديمة .

ولولا الصدفة المحضة ، ما عرف رجال البعثة شيئا عن جثة رجل مجهول دهمته سيارة مسرعة ، والتى لم تكن الا للمهندس المغترب ، الذى قيدت جريمة مصرعه ضد سائق هارب مجهول ، تبين انه لا يمت بصلة إلى السيارة التى تسببت فى مقتل المهندس الذى لم يعثر عنده على اوراق تدل على هويته .

واصر المصور على استكمال تصوير خفايا الخان ، لدهشة اصابته من جمال احجاره واخشابه وزواياه وهندسته البديعة ، وقد اختلطت بتلك لقطات من رحيل عدد من سكان خان الورد بعد أن تاكد لهم عبث البقاء فيه لما حل فيه من لعنات ، وبخاصة ما تواتر فى الاسواق القديمة من أن يدا عابثة هى التى تسببت فى حريق سوق الجلود ، وهى لابد لها علاقة بسقوط الناس فى البئر . وبالرغم من جهود المصور ومساعديه فى لفت نظر الجهات المسؤولة الى احتمال قيام جريمة متعمدة ضد المهندس ، الا ان احداً لم يستمع الى تلك الملاحظات .

كما ان الاسود الذى هجر الخان وصنعة الاغباني فجاة ، ليعمل موظفا فى مكتب كبير للتعهدات ، عرف عنه التخصص فى هدم الأبنية القديمة لتقام على انقاضها المشاريع الكبيرة والابنية البيتونية الهائلة لم يفعل شيئا للبحث عن احتمال جريمة متعمدة ضد اخيه ، وكان الدم بات ماء فى هذه الايام ، كما قيل .

— ٩ —

وعندما احيل الرقيب الاحدب على التقاعد قبل الستين ، هتف صارخا :

« ولكنى لم افعل شيئا يسيء إلى احد ، ولم ترتكب جريمة فى منطقة عملي طوال خدمتى ، فلم يقطعون رزقى قبل الأوان ؟ » .

إلا أنه بالرغم من الظلم الذى وقع عليه فجاة ، لم يجرؤ لحظة فى ان يقول الحقيقة التى استخلصت منه بعد ذلك دون ان يدري ما يقول ودون ان يعلم ، وهو فى إقامته الجديدة تحت شجرة اللوز فى الضيعة ، ان خان الورد يتاكل يوما بعد يوم وكانه مصاب بالجذام ...

وليد إخلاصي ـ حلب

إضاءة ٧٧
وشعراء السبعينات

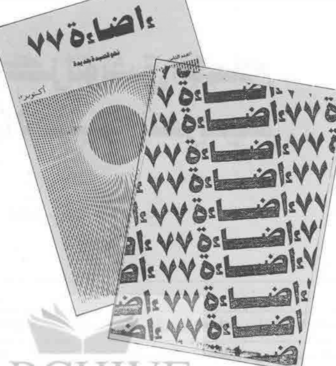
بقلم: ماجد يوسف

منذ صدر العدد الاول من (إضاءة ٧٧) مجلة الشعراء الشبان بالقاهرة (حلمي سالم ـ رفعت سلام ـ حسن طلب ـ جمال القصاص ـ ماجد يوسف ـ امجد ريان ـ محمد خلاف ـ محمود نسيم) .. فى ذات يوم من شهر يوليو سنة ١٩٧٧ .. وحتى صدور عددها الثامن فى اكتوبر ١٩٨٢ الماضي ، وهي عرضة لكثير من الاخذ والرد، والقبـــول والرفـــض ، والاستحســان والاستهجان من الجبهة العريضة للحياة الثقافية المصرية .. حتى بدت ـ فى نهاية الامر ـ وكانها مرآة صادقة تنعكس عليها مواقف واتجاهات وقناعات هذه الحياة الثقافية برمتها فى تراوحها من النقيض إلى النقيض ، خلال الحقبة الفائتة خصوصا ، وفى مجال الشعر بوجه اخص .

وإن بدا من الواضح بعد ذلك ـ مع توالي صدور الاضاءة ـ انها تقترب ، مع كل عدد جديد ، اكثر فاكثر ، من التحديد التقريبي لانصــارها ومؤيديها ـ وهم غالبا بين الشباب المثقف ـ ومعارضيها ومناوئيها ، وهم ليسوا دائما بين الشيوخ والكبار .. وبغض النظر عن هذا التقسيم السني الذي قد يفتقر إلى الدليل .. فان جبهة المناوئين تحددت بدون شك ـ وفى اعرض قطاعاتها ـ في معسكر التقليديين والمحافظين فى الثقافة المصرية بشكل عام .. كما تحددت ساحة المؤيدين ـ فى اوسع دوائرها ـ لدى أصحاب التجديد فى الفكر والفن ، وبشكل عام ايضا .. لأن الصورة لا تخلو من ظلال بينية هنا وهناك .

ولا يخفى ان المسالة ـ ونتيجة لكل ذلك ـ اصبح لها بعدها السياسي أيضاً ـ برغم المنطلق الشعري ـ حتى ولو لم يرد اصحابها من شباب الشعراء ذلك بشكل مباشر .. ولم يكن هناك مندوحة عن ذلك على اية حال .. فالموقف التجديدي فى فهم الفن وإبداعه ، هو بالضرورة موقف متقدم في فهم الواقع ، وفى حل اشكالياته وفى التعامل مع الحياة .. يقف على النقيض ـ بالحتم ـ من الموقف المحافظ فى فهم العملية الفنية والابداعية ، الذي يعبر بدوره عن فهم كلاسيكي للواقع ، وتقليدي من ثم في حل اشكاليات هذا الواقع ، ونمطي ـ اخيراً ـ فى وعي الحياة بالضرورة . فبينما ينحو الموقف الاول ـ موقف المجددين الشبان على مستوى الشعر ـ إلى الصدام مع المالوف ، ونفي الوصفي لحساب التركيبي ، وإعلاء الدرامى فى مقابل دحض الغنائي فى فهمهم للقصيدة .. يقاتل الموقف الثاني (موقف المحافظين في الشعر) إلى تثبيت وترسيخ وتكريس المالوف والوصفي والغنائي فى فهمهم المقابل للقصيدة .

ولأن المعركة ـ على الأقل على المستوى الرسمي ـ حسمت فى الحقبة الفائته لصالح اصحاب التقليد ـ ودعاة (ان ليس فى الامكان ابدع ولا أبعد مما كان) .. بدا ان الصورة مختلفة تماما على الجانب الآخر من النهر .. فثمة تيارات شعرية وفنية شابه تمور بافكار جديدة ، ورؤى طموحه ، وتصورات مناوئة تماما .. واخذ هؤلاء الشباب يتعرفون ـ بعضهم البعض ـ على أصواتهم المتناثرة هنا وهناك بطول الوادي وعرضه .. ويلتقون ويتراتبون كما تتراتب وتتراصف برادة الحديد في مجال مغناطيسي معين ـ هو هنــــا واقع تاريخي وظرف اجتماعي معين ـ حتى بدا من المحتم لهذا التراصف وذاك التلاقي من شكل يعبر عنه بعيداً عن اجهزة الثقافة الرسمية .. ومن ثم ولدت (الاضاءة) معبرة عن هذا التجمع للشعراء الشبان الجدد فى مصر ، محققة لتمايزها عن الاتجاهات الرسمية السائدة فى الشعر ، ومبلورة لاستقلالها عن مؤسسات ومنظمات وهيئات وإدارات الثقافة فى مصر .. صانعة بذلك حلقة جديدة فى سلسلة المحاولات السابقة المماثلة .. (جاليري ٦٨) ، (سنابل) و(كتاب الغد) .. وأعلن الشعراء الشبان فى أعدادهم الأولى من (إضاءة) : إنهم برغم تقارب ملامحهم الفنية ، ووعيهم الفكري



والجمالي ، إلا انهم لا يدعون اكتمال النضج الفني والفكري والجمالي بعد ، وإنما هذه مسالة منوطة بالتراكم ، وتنامي الخبرة ، وجدل الحركة المفترض لها الاندفاع إلى الأمام باستمرار .. وبرغم ما اعلنوه من تقاربهم ، إلا انهم اكدوا بنفس القدر على التمايز فيما بينهم ، وانفتاحهم على كل جهد شاب جاد وحقيقي .. وحددوا مهمتهم في تاكيد وترسيخ تجربة شعرية جديدة تنبثق فى جسد الابداع المصري ، مبرزين لملامحها ، ومنضجين لفؤادها الفتي ومبلورين ودافعين لصفوفها الشعريـــــة الطالعة صعوداً إلى الشعر وباتجاه الوطن .. واختاروا أسلوبا لهم يتمثل فى الاعتداد بكافة الاجتهادات الفنية من موقع التمايز لا الامتياز ، تكريسا لسمات وخصائص التجربة الشعرية الشابة إبداعا ونقدا ، متواصلين فى ذلك لا مع الساحة الشعرية الشابة فى مصر وحدها ، وإنما مع الساحة الشعرية الشابة باتساع الوطن العربي كله .. ولم يفتهم أن يؤكدوا انهم حلقة أصيلة فى تطور الشعر الجديد تدين بالفضل ـ بل وبالوجود ـ إلى ما سبقها من حلقات فى السياق التاريخي للشعر المصري الجديد ، بل وللشعر الجديد على مستوى العالم العربي .. طامحين إلى أن يبتعثوا مواكباتهم النقدية لقصيدتهم الجديدة ، من واقع إدراكهم لقصور الحركة النقدية ـ خصوصا في مصر ـ عن متابعة تطور القصيدة الجديدة ، حتى أصبحت الغربة كاملة وتامة بين شعرهم والنقد السائد ، املين بذلك إلى تهيئة الظروف لتخلق مناخ نقدي ـ شعري يتفاعل مع حركة قصيدتهم الجديدة ، معلنين اعتدادهم بالقصيدة العربية كموروث ثقافي ، وايضا امتداد ساحتهم المحدودة بحجم الانسان .. (فانه بما نحن بشر ، فلا أرض تحد إرثنا ولا سماء) ..

كما أعلنوا أن لهم تعاملهم الخاص مع اللغة .. تعامل تخرج به الكلمة عن أن تكون معادلة ومساوية لمعنى متداول ومبتذل وميت .. فاللغة اداة فنية خاصة (وعملنا أن نعمد إلى تفجير الامكانـــــات اللانهائية لها) .. في توق لا يني للخروج بها من تخومها المنطقية المالوفة السائدة التى حصرتها طويلا فى حدود (المحاكاة) الكلاسيكية ، أو (التعبير) الرومانسى .. والسعي بها الى ما وراء تخومها المنطقية .. ذلك (الماوراء) الواعد بكنوز من الجدة والاكتناز والبكارة ، حيث تصبح الكلمـــة ـ فى اى لحظة من لحظات عمـــــارة القصيدة ـ موسيقى ، ودلالـــة اجتماعية ، وتشكيل ، وتركيب فى أن معاً .. وتصير القصيدة ـ فى هذا المنظور ـ نسيجا من العلاقات الجمالية الراقية بين ابعاضها وابعادها المختلفة لا يقتطع منها شكلا من مضمون ، ولا يتمايز فيها مضمون عن شكل .. وبذلك لا يكون المضمون الا مستوى واحداً داخلا فى نسيج من العـــــلاقات الجمالية حيث لا وجود لمضمون مستقل عن علاقاته الجمالية وقيمه التشكيلية . واكدت (الاضـــاءة) على سعيها اللاعج ـ من خلال تجاربها الشعرية ـ الى تخطى مفهوم الشعر ـ إبداعا ونقداً ـ لدى الاجيال السابقة من شعراء الحداثة .. استشرافا للقصيدة المتحررة من كمال الأجوبة المنتهية .. فهذا هو (فعلنا الحى كشعراء) وهم يتوجهون للجماهير محاولين اقلاق وقلقلة منطق رؤيتها الاستاتيكى للشعر ، واستجابتها الساكنة للقصيدة ، نافين ثبوتية هذا المنطق على الاطلاق ومهما كانت مساحات الاختلاف والاتفاق مع (اضاءة ٧٧) فهذه قضية الحكم النهائى فيها غير وارد ـ على الأقل الآن ـ فلا زالت التجربة مستمرة .. ولا زالت تكتسب فى كل يوم ارضا جديدة .. وها هم الشعراء الشبان من كافة انحاء الوطن العربى يدفعون بقصائدهم الجديدة إلى اضاءة متواصلين معها ومترين لها .

ولكن المسالة التى لا جدال فيهـــا ان (اضاءة ٧٧) فتحت الطريق فى مصر على مصراعيه لطوفان من الاصدارات الشبابية الخاصة البعيدة عن المؤسسات الثقافية الرسمية ، فتوالت على اثرها الجماعات والمجلات التى صنعت فى نهاية الأمـــر ـ وحتى الآن ـ ظاهرة فريدة وجديرة بالبحث والدرس والتامل لمن اراد ان يقف بازائها وقفة موضوعية امينة .. فهاهم فتية لا يتجاوز عددهم اصابع اليــــدين بلا إمكانيات مادية تذكر ، يصدرون مجلة شعرية مناوئة لكل المجلات .. بل ويضمنون الاعداد الثمانية التى صدرت من مجلتهم حتى الآن ما يربو على الخمسين قصيدة لاربعين شاعرا غير عدد لا باس به من الدراسات النقدية والمتابعات النظرية لما يجرى فى ساحة الشعر بالاضــــافة إلى الترجمات الشعرية .. بل ويصلون بنسخهم المحدودة الفقيرة الى كل مكان من وطنهم العربى الكبير صانعين هذا التاثير الملموس والذى قد يتبلور فى السنوات القليلة القادمة عن تيار جديد يضاف إلى نهر الشعر العربى الحديث .

أول مركز لتوثيق الإعلام لدول الخليج العربية

تحقيق: مريم آل سعد

أهم أهداف مركز التوثيق :

● **جمع وتنظيم أكبر قدر ممكن من الانتاج الفكري والاعلامي لمنطقة الخليج العربي في مختلف أشكاله وأوعيته**

● **مركز التوثيق يكتب إلى ١٨٠ باحثاً من مختلف اقطار الخليج العربي للمساهمة بما له صلة بقضايا الخليج واقطاره .**

● **البدء بعمل كشاف تجميعي لعدة مجلات تقرأ بحوثها على مدى سنين طويلة مثل مجلة « الدوحة » القطرية ومجلة عالم الفكر (الكويتية)**

أهم نشاطات مركز التوثيق الاعلامي :

● **إصدار المجلة الفصلية «التوثيق الاعلامي» .** ● **إصدار « دليل الدوريات الخليجية » .**

● **الإستعداد لإخراج مطبوع « شخصيات عربية خليجية » .**

استكمالا لمشاريع الاعلام والاتصال بين دول الخليج العربى ، وفى سبيل المزيد من الترابط والسعى نحو تكوين نواة الوحدة المؤملة بين الاقطار العربية ، واضافة الى حلقة المؤسسات الخليجية المشتركة مثل « وكالة أنباء الخليج » فى البحرين ، و « مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك » فى الكويت ، و« جهاز تليفزيون الخليج » فى السعودية ، و « مركز التراث الشعبى » فى قطر ، قام « مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى » فى بغداد ، بمباشرة أعماله التى ترتكز على حاجة مؤسسات الاعلام الماسة الى المعلومات المقننة والمنظمة للارتقاء بالانتاج الاعلامى بما يواكب تقدم المنطقة ونشاط الباحثين والدارسين فيها .

وقد عبر السادة وزراء اعلام دول الخليج العربى عن اهمية دور المعلومات وتوثيقها منذ مؤتمرهم الأول الذى عقد فى « أبو ظبي » عام (١٩٧٦ م / ١٣٩٦ هـ) بالتاكيد على ضرورة انشاء مركز للتوثيق الاعلامى كمؤسسة علمية تعنى بشؤون التعامل مع المعلومات بالوسائل المقننة والحديثة . وليكون اداة فعالة لدعم وانجاح المشاريع والدراسات الاعلامية الخليجية الأخرى .

بعنوان « الصحافة في منطقة الخليج » .

بغداد .. لماذا ؟

واللقاء مع مدير مركز التوثيق الاعلامي عامر ابراهيم قنديلجي . يوضح حقيقة الدور الهام الذي يرتاده مركز التوثيق وخصوصا في هذه الحقبة – المتحفزة للتطور والتنمية – من عمر منطقتنا العربية الخليجية .

● لماذا بغداد المقر الرئيسي ؟

قال عامر قنديلجي :

– الذي اعرفه هو تميز بغداد باحتوائها على كادر متخصص في مجال التوثيق والاعلام . ولوجود مراكز توثيقية لا باس بتقدمها ، فضلا عن وصول كلياتها إلى مستوى تخصص الدراسات العليا والدكتوراه في التوثيق .

ولقد صمم المشروع في بدايته على اساس ان يقام في مدينة «ابو ظبي» ، ولكن بعد انتهاء الدراسات التى اكملها خبراء اليونسكو مع بداية ١٩٧٧ ظهرت مشكلة قلة إعداد الكادر المتخصص مما دعا العراق إلى اقتراح استضافة المشروع . وقد رحب الاخوة في دولة الامارات ، وكذلك الاخوة بالاقطار الخليجية الشقيقة بهذه الفكرة .

اهداف المركز

● ما هي اهداف المركز كما يراها المدير العام ؟

– جمع وتنظيم اكبر قدر ممكن من الانتاج الفكري والاعلامي لمنطقة الخليج العربي في مختلف اشكاله واوعيته . اي كل ما يصدر من المنطقة أو يصدر عنها كالمطبوعات والمواد السمعية والبصرية والوثائق الحكومية والبحوث والدراسات وغيرها .

تزويد المخططين والباحثين والعاملين في مجال الاعلام والمؤسسات الاعلامية (الاذاعة – التليفزيون – الصحافة) بالبيانات الصحيحة فى القضايا والمشروعات والأنشطة الخليجية المختلفة . وتمكينهم من متابعة احدث التطورات والاتجاهات في مختلف فروع العلم والمعرفة .



عامر ابراهيم قنديلجي المدير عام لمركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي

وقد كان لمنظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) دور إيجابي في الاهتمام بانشاء « مركز التوثيق الاعلامي » إذ ساهم خبراؤها في وضع الدراسة التى شهدت بجدوى إقامته واهمية دوره العلمي والاعلامي للمنطقة .

وقد وقعت اتفاقية مركز التوثيق عام ١٩٨٠ ، ولكنه باشر اعماله في عام ١٩٨١ .

وقد خصص له مبنى مناسب يتسع للمعدات والأجهزة وللكادر الوظيفي للطلوب لمتابعة وانجاز وتحقيق اهدافه .

ويعتمد المركز على نوعين من الكادر الوظيفي .

المجموعة الأولى : هم الموظفون الدائمون الذين يتولون الأقسام الفنية والادارية وقد انضم إليهم اوائل قسمي التوثيق والاعلام – جامعة بغداد . بالاضافة إلى مجموعة المتخصصين بالتوثيق والاعلام .

المجموعة الثانية : هم الخبراء واساتذة الجامعة ومن يستعان بهم في مشاريع ضمن خطة معينة . لأن قضية الاستفادة من الخبرات الأكاديمية او الاستعانة بالخبراء حسب نوعية ومرحلة كل مشروع توجه – كما يراه القائمون على مركز التوثيق – مفيد وفعال يقوي من العمل ويدعم جهود المركز الذاتية في شخوص اقسامه .

كما يوجد هناك كادر اخر مكون من تخصصات مختلفة لسد احتياجات المركز في المراحل القادمة . وقد واجهت عملية استقطاب العناصر الخليجية للعمل في مركز التوثيق الاعلامي عقبتين . أولاهما : حاجة هذه الدول الخليجية – نفسها – إلى جهود العناصر الفعالة من ابنائها للمشاركة فى خطة التنمية الواسعة التى تشهدها اقطارها .

وثانيهما : عدم وجود الاغراءات الكافية التى يمكن ان تجذب هذه الكوادر .

وقد وجد مركز التوثيق فى قدرات الأخوة العرب القاطنين في هذه الاقطار الخليجية لا تقل عن خمس سنوات مدخلا جيدا للاستعانة بخبراتهم وجهودهم .

وقد اكد مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي – الذي يعتبر اول مركز لتوثيق الاعلام فى الوطن العربي – على التعاون مع الباحثين والدارسين سواء اكان ذلك بفتح المجال امامهم للاطلاع والاستفادة ، أو بمساهمته في نشر او طبع ما يراه يساير توجهات المركز من نتاجهم او دراساتهم . كما ينوي الآن طبع أطروحة استاذة فى جامعة الامارات العربية

أول مركز لتوثيق الإعلام لدول الخليج العربية



ارشيف المعلومات الذي يتكون من مجموعة من الملفات المصنفة جغرافيا حسب قطار الخليج العربي والدول والمناطق الاخرى

تدريب وتأهيل كادر فني متخصص في مجال التوثيق الاعلامي .

استخدام كافة انواع التقنيات الحديثة مثل (الميكروفيلم ـ الكمبيوتر) في التعامل مع المعلومات وخزنها واسترجاعها حتى تتكون شبكة قوية من المعلومات ، تزود المنطقة بالبيانات التي تحتاجها .

تكوين جسر يربط المنطقة وحركتها الاجتماعية والاقتصادية بالعالم ، اي توثيق العلاقة بين الخليج والعالم .. والعالم والخليج .

.. وبين المؤسسات الأخرى

● هل هذا يعني .. بان هناك علاقة تعاون بين مركز التوثيق والمؤسسات والمنظمات العالمية او الأجنبية ؟ .

ـ لنا علاقات مع المؤسسات المنتمية للوطن العربي ..مثلا .. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجامعاتها .. ومؤسسات اخرى .

وبعض خطوات التعاون مع اليونسكو ، ومنظمات دولية ، بهدف اكتساب معلومات أكثر ولخبرتهم الطويلة في هذا الحقل .

التخصص مطلوب

● مركز التوثيق الاعلامي .. هل نشاطاته مقصورة على احتياج جهات محددة فقط ؟

ـ التخصص في عصرنا مهم جدا ، وهو توجيه الجهود وتركيزها لانتاج مشروع خاص متطور جدا لأننا لو نشرنا اي شيء يرد إلينا دون وضع اطار لتحديد خصوصية عملنا فسيكون هناك ضياع وتشتت .

التخصص هنا ضروري واستعمالنا لبعض التعابير والموضوعات الصعبة او المتعمقة في تخصص مـا ، يكون بغية النجاح فيه وخدمته بالصور التي تضيف له أبعاده الواضحة .

● هناك ما يقرب من ٧٥ مؤسسة إعلامية في منطقة الخليج يمكن ان تستفيد من نشاطات المركز .. كيف تكون هذه الفائدة .. وكيف توصل لها المعلومات المطلوبة ؟ .

أجاب المدير العام لمركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي :

ـ هناك طرق متعددة الحالية منها في الوقت الراهن تواكب اول مراحل المركـز (التليفون ـ البريد ـ التلكس ـ وفي بدايات الاعتماد على الكمبيوتر) .

في المستقبل يمكن ان يكون الاتصال مباشراً عن طريق جهاز كشاشات التليفزيون يزود ـ بالمعلومات والبيانات المطلوبة ـ كل الأقطار والمؤسسات الاعلامية الخليجية .

● ما هي نشاطاتكم .. ؟؟

ـ النشاطات التي تحققت في فترة السنة ونصف السنة الأخيرة يمكن تلخيصها فيما يأتي :

إصدار « دليل الدوريات الخليجيـة » ويشتمل على تعريف بكافة الصحف والمجلات التي تصدر في أقطار الخليج السبعة ، ومعلومات وافية عنها . وكنا قد احسسنا بحاجة المؤسسات الاعلامية الماسة إلى مثل هذا التعريف الشامل لكل المطبوعات التي صدرت بالعربية او الأجنبية .

أصدرنا ثلاثة أعداد من المجلة الفصلية « التوثيق الاعلامي » وهي مجلة متخصصة في موضوعات إعلامية وخليجية وقضايا متنوعة وبما له صلة بقضايا الخليج واقطاره .

بدأنا مرحلة عمل كشافات فهــارس موضوعية لبعض الصحف والمجلات .

ويقوم المركز باعداد كشافات تحليلية تكون بمثابة فهارس موضوعية لعدد من الصحف والمجلات الصادرة في اقطار الخليج العربي .

وقد ابتدأنا بعمل كشاف تجميعي لخمس أو ست سنوات من عمر مجلة تصدر في العراق ككشاف تجريبي .

والآن سوف نبدأ بعمل كشاف تجميعي أيضا لعدة مجلات تقرا بحوثها ومقالاتها والدراسات التي تنشرها على مدى سنين طويلة ، ويحتاجها الباحثون مثـل مجلة « الدوحة » القطرية ، ومجلة « عالم الفكر » الكويتية .

وهذه الكشافات عبارة عن رؤوس أقلام للمواضيع المنشورة في كل عدد .. توضح للقارىء أن الموضوع الفلاني الذي يحتاج للرجوع اليه موجود في عدد معين وبأرقام محددة .

تصوير جميع المطبوعات الصادرة في المنطقة « بالميكرو فيلم » . وتعتبر هذه الخطوة هي المرحلة الأولى من استخدام الكمبيوتر وتوظيف الحاسب الالكتروني لخزن واسترجاع المعلومات .

ومن الموضوعات التي ابتدأنا في خزن معلوماتها لاخراجها في مطبوع وتنظيمها وتحديثها بشكل مستمر . موضـــوع « شخصيات عربية خليجية » وهو مبدأ

حيوي يهدف الى التعريف بشرائح المجتمع المؤثر الموجود فى الاقطار الخليجية السبعة ويكون مرجعا اساسيا لضبط كتابة اسماء الشخصيات فى اقطارها الخليجية ، ومعرفة تاريخ حياتها وترجمة سيرها .

ومن مشاريعنا ايضا اقامة دورة تدريبية لتاهيل الكوادر الوظيفية المتخصصة والمطلوبة فى التوثيق الاعلامى بنسبة ثلاثة عناصر من كل دولة خليجية ، تعطى فيها الدروس النظرية والتطبيقات العملية ويستعان بالخبراء المحليين والعرب والاجانب للتدريس فيها .

وهناك مشاريع قادمة للسنة المقبلة والتى تليها .

قضايا خليجية

● هل يوجد تعاون بينكم كمؤسسة مشتركة وبين المؤسسات الخليجية المشتركة الأخرى .

ـ نعم هناك تعاون بدانا نضع خطوطه الأولى مع مؤسسة الانتاج البرامجي فى الكويت ، كما نسقنا مع جهاز تليفزيون الخليج فى الرياض ، وكانت لنا مداولات مع مركز التراث الشعبي ـ هنا ـ فى قطر للقيام بمشاريع مشتركة تفيد الطرفين .

● من خلال ـ انشطة مركز التوثيق الاعلامى ـ هل تطرقتم الى بعض القضايا الخليجية وحاولتم طرح الحلول لها ؟

ـ محور دراسات مجلة « التوثيق الاعلامى » هى التركيز على تشجيع الباحثين فى مختلف الأنشطة الخليجية . مثلا نشرنا بحثا عن « النشاطات الآثارية فى المنطقة » . ومهمتنا هى الحصول على البحث فاذا كان يعالج قضية هامة بروح ايجابية ومفيدة فاننا ننشره وخصوصا اذا كان يمس الموضوعات التى نهتم بها مثل تطوير المؤسسات الاعلامية وكل ماله صلة بالاعلام .

وقد كتبنا فعلا الى ١٨٠ باحثا من مختلف اقطار الخليج ليشاركونا الكتابة فى المجلة بما يطرحونه من دراسات وبحوث ومقالات ذات مستوى علمي له صلة بقضايا الخليج واقطاره .

● الحركة الاعلامية والثقافية فى الدول الخليجية .. هل ترونها ثرية بالقدر الذى تستحق معه توثيقها ؟

يقول المدير العـــام لمركز التـــوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى : المنطقة كلها بدون استثناء تعيش فى تحرك وتطور سريعين ، هذا التغير يواكبه تقدم اعلامى وثقافى .

والحركة الثقافية والاعلامية فى المنطقة لا باس بها ولقد حققت قفزات كبيرة ونستطيع القول بانها تسير فى الطريق الجيد رغم اننا لازلنا نعتبر من الدول النامية .

على سبيل المثال وجود الجامعات ـ المؤسسات الاعلامية ـ المجلات العلمية لمختلف التخصصات ـ اهتمام وزارات الاعلام ـ نفسها ـ باصدار مجلات علمية تعالج موضوعات معينة .. الخ ..

صعوبات فى البداية

● هل واجهتكم صعوبات ؟

ـ لاننا دول نامية فان قضية توثيق المعلومات تعتبر دعوة جديدة لم يتعود جمهورنا عليها بعد .

فمثلا عندما تجري عملية استبيان ليس من السهولة ان يفهم كل المواطنين معناها وظروفها لذلك فنحن نعالج هذا الوضع بارسال احد الاخوة لاجراء هذه العملية او نتدارك الموضوع بالحاق رسالة توضيحية اخرى بالبيانات المرسلة لكشف ما قد يغمض على البعض .

وعلى العموم .. فان الصعوبات عامل طبيعى لابد من مواجهته . والانسان الذى يعمل بشكل جاد لابد ان تواجهه المعوقات . لكن هذه المشاكل التى نحسها طبيعية .. والتغلب عليها ليس بالشيء الذى نعجز عنه .

● ما مدى تعاون مراسليكم او « مدراء المكاتب » فى اقطار الخليج العربي ؟

ـ مدراء هذه المكاتب يعتبرون هم الوسيلة الناجحة والاساسية فى انجاح عمل المركز فى الدول الخليجية التى ينتمون اليها ويمارسون عملهم منها . ومن خلال نشاطهم ومتابعتهم يستطيعون نقل الصورة الحقيقية لنهضة هذه الدول ، ويصبحون الجسر الذى يربط بيننا .

وفى الحقيقة نحن نعاني ـ هذه الاشهر ـ من وجود ـ بعض التباعد ـ الذى يحد دون ارتباط العلاقة وتوضيحها اكثر ، والى الآن لم توضع اسس شبكة الاتصال التى تصل بين اجزاء العمل فى هذه المناطق . وكذلك لم تتحدد بعد وسيلة الاتصال المناسبة .

لكننا .. نتوقع ـ خلال الأشهر القادمة ـ ان تكتمل هذه الصورة ويتم التحكم فى هذه العلاقة . ونحن نفكر جديا فى دعوة مدراء المكاتب إلى بغداد للاطلاع على المقر والتعرف على اسلوب العمل المتبع .

التوثيق عملية حضارية

● وعن ماهية التوثيق ودوره يقول : عامر ابراهيم قنديلجي :

ـ نحن فى المؤسسات الاعلامية او اغلب المؤسسات الانتاجية الاخرى فى حاجة ماسة الى شيء اسمه توثيق . إنها عملية حضارية تعكس درجات التطور العلمي للأمم والشعوب المختلفة ، وتدفع إلى تكوين كمية من المعلومات الوافية عن المشروع المراد تنفيذه قبل المباشرة فيه .

وخصوصا بعد زيادة حجم المعلومات وظهور موضوعات جديدة ووسائل وتقنيات حديثة تتطلب معرفتها والوصول الى قدرة محاكاتها .

إن الاعلامي والصحفي يجب ان تكون لديهما معلومات متجددة على الدوام ، ويجب أن يستندا على كمية وافية من المعلومات والبيانات لضمان النجاح فى عملها .

ويضيف / عامر قنديلجي :

ومن هذه الاهمية التفت السادة الوزراء فى وزارات الاعلام الى اهمية ايجاد مركز للتوثيق الاعلامى . ويعتبر المركز الأول فى المنطقة . وحتى على المستوى العربى يفكرون فى إنشاء مركز توثيق عربى ، وفعلا بدأوا بعدة مؤسسات ـ ولا ادرى ـ الى اى مرحلة وصل المشروع الآن .

ونحن مستعدون للتعارف مع هذه المؤسسة فى هذا المجال .

وقد اكتشفنا خلال فترة عملنا القليلة ـ العام والنصف العام ـ بأن هناك قسما للاعلام فى أحد الاقطار العربية لديه الكثير من الأطروحات والبحوث الهائلة جداً .. لكن دون الاستفادة منها بالقدر الذى يحتاج اليها فعلا .. !! مهمتنا فى هذا المجال التعريف بهم .. والاعلان عن وجود هذه الدراسات والبحوث حتى تحقق الفائدة المرجوه منها .

مريم آل سعد

بمناسبة مرور ٤٧ عاماً على غروبه .. توفي في ٢٣ فبراير "شباط" سنة ١٩٣٦م

جميل صدقي الزهاوي

بين همومه وهموم الوطن

بقلم: حارث طه الراوي

الحديث عن الزهاوى كالحديث عن البحر : سهل وملذ وممتع اذا وصفت زرقته واتساعه وأمواجه المتلاطمة بقلم الشاعر ويراع الاديب . وصعب ومتعب اذا توغلت الى اعماقه لتصف ما فيه من احياء ودرر واصداف وعجائب وغرائب باستقراء الباحث ويراع العالم . فقد كان الزهاوى ـ رحمه الله ـ شاعرا وكان فيلسوفا وكان عالما متضلعاً باكثر من علم . وكانت له ريادات واهتمامات فى مجالات لا تخطر على بال من يعرفه شاعراً وفيلسوفاً وعالما وحسب ..

وكما يتطير من ركوب البحر الجبناء او الذين كانوا يعومون عليه بالسفن الشراعية فى الأزمنة الغابرة فى اول عهدهم بركوبه ، اولئك الذين سئل احدهم بعد ركوبه البحر لأول مرة : ما أعجب ما رأيت ؟ قال : سلامتى .. فكذلك يتطير من الزهاوى الكثيرون ويحكمون عليه بظواهره لانهم يتهيبون الغوص الى اعماقه على اعتبار أن هذه الاعماق لا تضم إلا الأصداف الجوفاء والحيوانات الميتة ! وما هو إلا العجز والخوف من المتاعب ...

وحقيقة الزهاوى تكاد ان تكون ضائعة بين معجبين بالظواهر ومناوئين وساخرين ليسوا بعاجزين عن ايراد مؤشرات هبوط الرجل فى هذا الموقف او ذاك او فى هذه القصيدة او تلك او فى هذا الراى او ذاك ، ولكنهم ليسوا بقادرين على التجرد من اهوائهم وانصاف هذا الشاعر الوجدانى المبدع والمفكر الثائر على الجمود والتحجر وعلى كل ما يضعف العقل ويخذل العلم . هذا الانسان النظيف الذى عاش نقياً وزاهداً ومات نقياً وزاهداً ورفع ، بما انتج فى الشعر والنثر اسم العراق والامة العربية ، ذلك لأن الانصاف يفتقر الى احاطة وفهم ، والفهم يقود الى المحبة والحاقد لا يريد ان يفهم لأن الفهم يشعره بالمحبة وهو عدوها اللدود . ورحم الله شاعرنا الزهاوى الذى قال عن هؤلاء فى قصيدته الخالدة «حقد ام نقد»(١) :

ملاوا صدور الصحف حقداً
والحقد قد سموه نقداً
أنّى التفتُّ ارى اَمَا
مِي من رجال السوء ضداً
لقيت قوماً يحقدو
نَ على الذى للفضلِ ابدى
ورايت ناساً يحسدو
نَ النَّجْمَ ان يزداد وَقْداً
ووجدت حداً للولاءِ
ولم اجدْ للبغض حدًّا
قالوا دخيل فى القريض
فما اجادَ ولا اجَدَّا
قالوا صغيرٌ لا يُعَدُّ
من الفحولِ ولن يُعَدَّا
قالوا الى الاحسان منه
غيره فى الشعر اهدى
كذَبوا فانى شاعرٌ
وادينُ بالإسلامِ جداً
يلغو اللسان بباطلٍ
والوجه صلب ليس يَنْدَى
كلم عنتنى غير انى
لا احاولُ ان اردَّا
لم اشكُ وخْزَتَها وإن
كانت سِهاماً او اشَدَّا
لو ساعَدَتْنى صحتى
لاخترت عن بغدادَ بُعداً
من ذا يصدِّق اننى



صورة نادرة للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي في آخـــر أيامـــه .

في جنـب دجلة صرت اصْدَى
مالـــي أقيـــم ببقعـــةٍ
كانـــت بهـــا الاعـــداء لـدّا

وكان من المؤمل ان يقدر الزهاوى فى العهد الفيصلى فى العراق ، فهو الزميل القديم للملك فيصل الاول فى مجلس المبعوثان العثمانى ، ولم يكن الملك فيصل ليجهل المواهب المتسعة للزهاوى ، ولم يكن بين رجال العشرينات فى وادى الرافدين من هو اكفا من الزهاوى لاشغال منصب وزير المعارف . ولكن الفيصل بدلا من ان يقدم على هذه الخطوة المحمودة فانه اراد من الزهاوى ان يكون شاعراً لبلاطه ! فكان من الطبيعى ان يرفض الزهاوى بادب جم هذا الطلب الذى يتنافى مع مكانته وشيخوخته . ولم يكن فيصل بالمرتاح لاعتذار الزهاوى ، ولهذا لم يصدر عنه ما يحول بين القوى الرجعية وبين اضطهادها للزهاوى بمختلف الاساليب . ولما تصاعد هذا الاضطهاد واحكم الحصار على الزهاوى وجد شاعرنا الاعزل نفسه مرغما على الرحيل عن بيئة هذا شانها معه ، ولكن الى اين يرحل ؟

كانت «مصر» ملاذ الاحرار ، ولهذا صمم على الرحيل اليها سنة ١٩٢٤ وقد دعاها فى قصيدته الوجدانية الرائعة «عند الفراق» (٢) بـ «اخت العراق» وقال قبل يومين من هجرته :

ليس لي من بعد العـــراق مقـرٌ
غير مصرٍ ومصرُ اختُ العـــراقِ

ورغم حبه لمصر والمصريين الكرام فلم يكن من السهل عليه ان يفارق وطنه العراق رغم ما لقى فيه من جور وتشهير وانتقاص. فقد كان يحمل فى صدره قلباً كقلب «الشريف الرضي» يتلفت بعد ان تخفى الديار عن العين ويتلهف .. ، ولشدة تعلقه بالعراق فقد كان يرمز اليه بـ «ليلى» ويترنم بشوقه اليه كما كان مجنون بنى عامر يتغنى باشواقه الى ليلاه ، والزهاوى يستشهد بموقفه المؤثر هذا بالدموع وهى اصـــدق شاهد :

لي على حبى للعـــراق شهودُ
من دموعـــى وقلبـىَ الخفّـاقِ
ربطتنـــى اواصرٌ محكمـــاتٌ
ببلادى ولـن احـلّ وَثاقِـــى
ليس بـي ما يريـــبُ عند بكائى
غيـر انـى مفـــارقٌ لرفاقِـــى
إن حبّـــى لمـن افـارق منهـا
يتجلّـى فى دمعـــىَ المهـراقِ

إلى ان يقول عن مناوئيه الذين ازهقوا روح الحق :

ساُوَلّي ربـوعَ بغـداد ظهْرى
تاركـا خيرَهَـا لاهـل النفـاقِ
ازهقـوا روح الحق فيما اتـوْه
اى نفـعٍ لهـمْ مـن الإزهَـاقِ
ومن الصعـب ان اداري اناسًـا
قد تنافـي اخلاقهـم اخلاقِـى

ولم يكن الزهاوى بالخاسر فى هجرته عن وطنه ، لانه لم يكن متكسبا بشعره او متاجراً بنثره ، وان ابيا زاهداً مثله يستطيع ان يعيش فى كل مكان عيشاً بسيطاً لا يلجئه الى ما يعكر صفو قناعته وزهده وشموخه الروحى :

لست بالشعر ابتغى ليَ كسـبا
او اداوى يومـــا به إملاقـــى
ايها الشعرُ انت لســتَ متاعا
يُشترى او يُبَـاع فـــى الاسـواق

رحل الزهاوى الى الشام اولا فى طريقه الى مصر فاقام له «المجمع العلمى العربى» بدمشق - وكان يومئذ رئيسه العلامة الكبير المرحوم محمد كرد علي - حفلة كبرى انشد فيها شاعرنا قصيدة بعنوان «ما اغنى» (٣) حيث قال :

يريدون منى ان اغنى باسـمهم
واى هضيـم باسم اعدائه غنى

ولم ينس انصاره من الشباب المتجدد الناهض فى بغداد الذين وقفوا الى جانبه ايام محنته حيث قال :

على ان فى بغدادَ لي من شـبَابها
إذا ضقت انصاراً ومن حولهم حِصْنَا
وان بها صحبـا عن الحـــق ذادة
ابوا ان يهدّ الحيف من شرَفِى ركنـا

ورغم ما لقيه فى بغداد من حيف ونكران جميل فان حنينه الى بغداد الحبيبة بدأ يتصاعد بالشكل الذى يتجلى فى هذين البيتين الوجدانيين الصادقين الرائعين :

وهـل انـا إلا ابن لبغـدادَ نـازحٌ
إذا ذكـروا بغدادَ يوما له حنّـــا
كما ليس يصبو الطفـــلُ إلاّ لأمّـه
وليس بمختـــار على حِضْنِها حِضْنَا

ويغادر شاعرنا الشام الى بيروت فى طريقه الى مصر فتفتح له بيروت ذراعيها وتعانقه وتقبله فى اكثر من حفلة تكريم فيبادلها وداً بود ومحبة بمحبة والحنين يعصف بضلوعه الى ليلاه : «العراق» والى «بغداد» التى ارضعته الآداب :

كلفتُ بليلى وحـــدها دون غيرهـــا
وليلـــى شهابٌ غاب من بعـــد ما بدا
وإنى اذا اهـــدى لي الليـــلُ طيفَهَـا
جعلتُ ظـلامَ الليـل للعيـن أثْمَـــدا
وإنـــى امـرؤ بغـــداد اول بقعــةٍ
رضعت بها الآدابَ اصْفَى من النّدى «٤»

وفى طريقه الى مصر يعصف به الشوق الى ارض الكنانة الحبيبة فينظم قصيدة دالية رائعة مؤثرة عنوانها «الى مصر» يستهلها بالابيات التالية التى تفصح عن محبته لمصر والمصريين :

جميل صدقي الزهاوي

بين همومه وهموم الوطن

لقد سرت من بغداد يدفعني الوَجْدُ
الى حيث وكر الشعر طائره سعدُ
الى مصر ، اما مصر فهي كانها
كعاب ووادي النيل في جيدها عِقْدُ
الى حيث يلقى الحر للحق ذادة
كراما فلا ضيمٌ هناك ولا حقدُ
الى بلد للعلم في ارضه هدى
وللشعر مثل النجم في جوه وقْدُ

وتتدفق شاعريةالزهاوي في وادي النيل ويفيض قلبه الكبير باعذب الشعر ، ويصل شعره في وصف مصر والمصريين الكرام الى مستوى الوله والهيام ، وليس ادل على ذلك من قصيدته «يا مصر» (٦) التي استهلها بالبيت الجميل التالي :

احييك يا مصر الجميلة يا مصرُ
بشعر يزكيه شعوريَ والفكرُ

ووصف في هذه القصيدة الطويلة عراق سنة ١٩٢٤ وما لقي فيه من حيف بقوله :

وإن العراق اليوم كالبحر مائجٌ
به تعبث الانواءُ والمدُّ والجزرُ
طغى ثم غاضَ البحرُ من بعد ما طغَى
وليس بما في نفسِهِ يعلَمُ البحرُ
وكابدت في تلك الربوع تعاسةً
وليلا تثير الشجو انجمُهُ الزُهْرُ
فيا لك من ليل كان نجومَهُ
عيون الى وجهي لها نظر شزرُ
لقد طال حتى خلته غير منقضٍ
وحتى كان الليل ليس له فجرُ
ولله ما كابدتُه من تعصُّبٍ
يقبحه من راض اخلاقه العصرُ
يلومون من يابى سوى العقل هاديا
ويرمون بالكفر امرأً ما به كفرُ

والظاهر ان الملك فيصل قد شعر بخطئه نحو الزهاوي بعد ان عاد الزهاوي من مصر الى العراق فاصدر ارادة ملكية بتاريخ ٧ تموز (يوليو) ١٩٢٥ بتعيين الزهاوي عضوا في مجلس الاعيان فشعر الزهاوي براحة نفسية خلال السنوات الاربع التي قضاها في عضوية هذا المجلس . ولكن فيصلا لم يجدد عضوية الزهاوي في مجلس الاعيان سنة ١٩٢٩ فعادت جراح الزهاوي النفسية الى النزف ونظم قصيدة وجدانية ملتهبة مؤثرة كانت بعنوان «دمعتي» (٧) يصح ان تتخذ مثالا للرقة في نظم الشعر :

انت ما إن تخففين عني مصابي
دمعتي فارجعي الى الاعقابِ
انت لا تدرئين عنّيَ دائي
انت لا تُصلحين منه خرابي
انت لا تنجدينني في شقائي
انت لا تنقذينني من عذابي
انت لا تدفعين وطاة شيبي
انت لا ترجعين عهد شبابي
انت لا تقدرين ان تهبيني
راحةً او تسكني اعصابي

والقصيدة طويلة ، ولعل بيت القصيد فيها الذي ارتفع به الزهاوي الى قمة شاهقة من الابداع هو البيت التالي :

يا ابنةَ الهمّ إن غرفتَكِ القلبُ
فلا تخرجي إلى الابوابِ

ومنذ بداية الثلاثينات وحتى وفاة الزهاوي في ٢٣ شباط ١٩٣٦ يشعرنا شعر الزهاوي بالامه النفسية المريرة وبما كان يحسه من كرامة مجروحة ، ويعود الى التفكير بالهجرة كما هو واضح في قصيدته المؤلمة «تمثال ليلى» (٨) التي جاء فيها :

اريد رحيلا عن بلاد تهينُني
ولكن أفدْني اين انزل احمالي
يريدون بالإذلال جرح كرامتي
ويابى جراحات المذلّةِ امثالي

ومنذ بداية الثلاثينات تتصاعد شكوى الزهاوي لا من اوضاعه الخاصة وحسب بل من اوضاع عراق الثلاثينات . ففي قصيدة «انة جريح» (٩) التي نظمها في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣١ يقول :

إن الذين تسيطروا بخداعهم
ثبتوا بصدر الحكم كالاوتادِ
اما حقوق الابرياء فانما
عصفت بهن زوابع الاحقادِ

وبعد عشرة ايام من نظم هذه القصيدة تتصاعد ثورة الزهاوي وتتاجج في قصيدة «لاجل الحق» (١٠) التي يدعو فيها الى الثورة على الاوضاع الشاذة في عراق الثلاثينات ، وهو في هذه القصيدة الثائرة يعبر بصدق وصراحة عن هموم الوطن الذي جرح الاحتلال كرامته واشاع فيه المسيطرون من اذناب المحتلين الاستغلال والارهاب :

صُبُّوا على الاسماع نارًا
واحْشُوا فم الغضبى حجارًا
بُثُّوا باوجه من يريدون
الشرورَ لكم شرارًا
سنُّوا بمعترك الحياةِ
لساعةِ الذّودِ الشّفارَا
كونوا كما يبْغي الإباءُ
على كرامتكم غيَارَى
هُبُّوا كزوبعةٍ تثيرُ
بكل ناحيةٍ غُبَارَا
احكوا البراكين التي
تاتي من الضغط انفجارًا

الى ان يقول محرضا على الثورة ضد الاستعمار :

يا قوم فكُّوا عنكُمُ
الاصفادَ إنكمُ اسَارَى

وعندما يودع اساتذة جامعة مصر الكرام قبيل مغادرتهم بغداد الى القاهرة يبدأ قصيدته «ويل الى ويل» (١١) التي نظمها في ١٥ شباط (فبراير) ١٩٣١ بالاشارة الى الاوضاع الشاذة في عراق الثلاثينات حيث يقول :

ويل لمملكةٍ قضَى إهمالُها
من اهلها انّ يفشلَ استقلالُها
ولبلدةٍ منكوسةٍ قد انكدَتْ
علماؤها وتنعمت جهالُها
ولامةٍ بعد الوفاقِ تخالفت
فتقطعت لخلافِهَا اوصالُها

وبعد فما اكثر هموم الوطن في شعر الزهاوي في الثلاثينات وما قبلها ، وفي هذا القرن واواخر القرن الذي قبله ، مما يدل على أن الزهاوي لا يقل وطنية وحرصا على تقدم البلد وتقدمه في مضمار الحضارة عن زميله «الرصافي» بل لا يقل عنه حتى في قوة الشاعرية وان كان لكل منهما اسلوبه الخاص في الشعر . فالرصافي ، في اقصى ضميره ، يؤثر الشعر المجاد لفظا على الشعر المجاد معنى ، في حين ان الزهاوي يؤثر الشعر المجاد معنى على الشعر المجاد لفظا من غير خلل باللفظ يهبط به الى الركة .

وقد ان لنا بعد ٤٧ عاما من رحيل الزهاوي ان نفهم الزهاوي من خلال شعره ونثره لا من خلال آراء واقاويل النقاد والمشهرين والمتندرين ، فقد زهدتني اراؤهم قبل اكثر من ثلاثين سنة بشعره حتى اذا عدت اليه عودة الدارس المتاني المتجرد بهرتني روعته واسرني سحره وهزتني عفويته وصدقه ، ووجدت الحشو فيه كالمغاور الصغيرة في الجبل الاشم ليست بذات تاثير على جماله وارتفاعه وشموخه .

حارث طه الراوي ـ بغداد

هوامش

(١) ديوان جميل صدقي الزهاوي ، دار العودة ، بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٢١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٤٦٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٤٩ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ٥٢٤ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥٢٦ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٣ .

الرصـــــاصة

شعر: الدكتور أنــس داود

« إلى روح الشاعر خليل حاوى الذى أطلق على نفسه الرصاص ، احتجاجا على الصمت العربى المشين فى محنــة بيروت » .



أبداية الزمنِ الردىءْ
هذى الرصاصةُ أمْ نهايةْ ؟
هل صفقةُ التابوتِ ،
آخرُ طرْقةٍ فى النعْشِ ،
أم صوتُ النذيرْ ؟
بيروت
كل مدينةٍ تتكلّمُ الفُصْحَى
ستشتعلُ الحرائقُ فى البيوتْ
ويشرد الأطفالُ ،
تنكفىءُ العجائزُ فى الطريق ،
تموتُ من ظمإ ، وتنزعُ من غلائِلِها الحَرائر ،
يذبح الصدْرُ الطهورْ
ويموت فى كفِّ الحصارِ ،
وتحت هوْلِ القصْفِ ،
بين مخالبِ التِّنّين ،
عاصفة الحقود
يموت مَنْ يرنو إلى الضوءِ الطليقِ
يموت من يحنو على جُرْحِ الشقيقِ
يموت من يهفو إلى غرْسِ الحياةِ ،
ومَنْ يفيقْ
من يرفُضُ الطغيانَ ،
يرفع صوتَه ضِدَّ التتارِ ،
وضِدَّ آلاتِ الدّمارِ
وضدَّ تخطيطِ الإبادةْ
بيروت
قد كتبوا اسمَهَا فى دفترِ الموْتَى
وأصبح إسمُهَا بيروت ،
بيروت المبــادةْ

• • •

هذا الدَّوِىُّ الخاطفُ المكبوتُ ،
يا بيروتُ
صوتُ الرصَاصَةِ حين مَزَّقَت الشّغَاف
وأسكتت نبْضَ الجَسَارَهْ
أبداية الزمنِ الردىءْ
زمن التشردِ واللجوءْ
أم انه صوت البشارهْ
وقيامةُ الشعب الذى شهد القيامَةْ
ورآك يا بيروتُ
فى الزمنِ التتارىِّ المقيتِ
من السَّعير إلى السَّعيرْ
ورأى مذابِحَه أمامَهْ

رؤية المخابرات الأمريكية لمشكلة فلسطين

فبراير ١٩٤٨
صفحة مجهولة من الصراع الدولي حول فلسطين

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

عندما أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بدأت وزارة الخارجية الأمريكية فى دراسة إمكانات تنفيذ هذه التوصية بالوسائل السلمية عن طريق التراضي بين العرب واليهود ، ودراسة احتمال استخدام القوة ، وتاثير ذلك على المجتمع الدولي من حيث إيجاد الفرصة التى تسمح بمشاركة الاتحاد السوفييتي ، وكيفية استبعاده من المشاركة فى تنفيذ التقسيم فى هذه الحالة .

وكانت التوصية ـ كما هو معروف ـ تقضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود بإقامة دولتين إحداهما عربية ، والاخرى يهودية ترتبطان معاً بوحدة اقتصادية مع وضع مدينة القدس تحت الوصاية الدولية .

وكان من الواضح لدى الولايات المتحدة ، ولدى أطراف دولية اخرى ، صعوبة تحويل هذه التوصية إلى امر واقع بسبب ردود الفعل السريعة من الجانب العربي الذي اعلن رفض التوصية قلبا وقالبا ، ومن جانب بريطانيا التى اعلنت انها لن تؤيد قرارا لا يحظى بتاييد كل من العرب واليهود ، ووسط ترحيب الوكالة اليهودية بفكرة التقسيم مع الأمل فى توسيع حدود الدولة اليهودية المقترحة بكل الجهود الممكنة ، ووسط رفض العناصر المتطرفة الصهيونية التى كانت تمثلها انذاك عصابات الأرجون وشترن ، لانها كانت تطالب بكل فلسطين بما فى ذلك شرق الاردن .

ولما كانت الحكومة الأمريكية تعتبر نفسها مسئولة عن توصية التقسيم نظراً لما قامت به من نشاط مكثف وملحوظ في أروقة الامم المتحدة خلال عرض مشروع التقسيم بالجمعية العامة حتى حصلت على الاغلبية المطلوبة بالموافقة ، فقد عكفت اجهزة وزارة الخارجية (الامريكية) المعنية (١) على دراسة الوضع من جوانبه المختلفة بما فى ذلك المحادثات التى يقوم بها مسئولون فى هذه الاجهزة مع اطراف عربية ويهودية ودولية . وكانت هذه الأجهزة ترفع ما تنتهى اليه من دراسة فى تقارير خاصة تصل الى المستويات المختلفة لتوضع خلاصتها فى النهاية امام رئيس الجمهورية . ولقد بدات هذه التقارير تصب فى مكتب وزير الخارجية منذ مطلع يناير ١٩٤٨ بشكل يكاد يكون يومياً نظرا لتعدد الاجهزة والجهات المكلفة بدراسة الوضع الى أن وقعت الحرب فى مايو ١٩٤٨ بعد إعلان بريطانيا انسحابها من فلسطين وانهاء انتدابها على المنطقة فى ١٥ مايو . واستمرت وزارة الخارجية فى دراسة الأوضاع المترتبة على انفجار الموقف وقيام دولة اسرائيل . وهذه التقارير موضع دراسة مستقلة اقوم بها حاليا عن سياسات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط في ادق مرحلة من مراحل المشكلة الفلسطينية منذ التقسيم (نوفمبر ١٩٤٧) وحتى الحرب (مايو ١٩٤٨) تعتمد بشكل اساسى على وثائق الخارجية الأمريكية .

التطورات المحتملة

ولقد اخترت من بين هذه التقارير تقريرا لوكالة المخابرات الأمريكية (CIA) كانت قد رفعته فى نهاية فبراير ١٩٤٨ بعنوان «التطورات المحتملة فى فلسطين» (٢) ، وتنحصر اهميته فى شموليته ورصده لتحركات الأطراف المعنية بالمشكلة ، ووضع الاحتمالات المختلفة فى ضوء الرفض العربى للتقسيم والترحيب اليهودى به . كما يوضح الى حد كبير

اوجه الاستمرار فى السياسة الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية ، ومحاولة الانفراد بوضع حلول لها تتمشى مع استراتيجيتها فى الشرق الأوسط والعمل على عزل الاتحاد السوفييتي عن المشاركة فى اى من هذه الحلول .

يتناول التقرير ثلاث نقاط رئيسية . وتتعرض النقطة الاولى الى الاهداف التى كانت فى تصور كل الاطراف الأربعة المعنية بفلسطين عند صدور توصية التقسيم . وهذه الاطراف كانت انذاك : الأمم المتحدة ، وبريطانيا ، والعرب ، واليهود . وتتناول النقطة الثانية تطور الاحداث والمواقف الفعلية التى حدثت فى نطاق تلك الاطراف بعد صدور التوصية انسجاما او اختلافا مع تصورات كل منها . اما النقطة الثالثة فتختص بالتطورات المحتمل حدوثها للتوصية فى إطار الامم المتحدة فقط حيث يشير التقرير الى ثلاثة احتمالات امام هذه المنظمة الدولية بشان توصية التقسيم : الأول وهو محاولة إقامة دولة يهودية والطريق الى ذلك ، والاحتمال الثانى ان لا تقوم الامم المتحدة باى اجراء والثالث أن تعيد الأمم المتحدة النظر فى الموضوع برمته وكيفية ذلك .

● كان المفروض أن تقوم حكومة عربية فوق جزء من فلسطين في أبريل ١٩٤٨ ولكن العرب رفضوا الفكرة من الأساس

● المخابرات الأمريكية تدعو إلى عزل الاتحاد السوفييتي عن أي مشاركة في حل القضية الفلسطينية

● بريطانيا تعمل على شل الأمم المتحدة في فلسطين وتعلن الحياد بين العرب واليهود

الاعتراف بالوضع المتردي

ولنتابع الآن سيناريو تصورات ومواقف الأطراف الاربعة المعنية بتوصية التقسيم كما أشار اليها التقرير فى نقطتيه الاوليين ، ثم ننتقل إلى الاحتمالات التى تصورتها المخابرات الأمريكية المتوقع ان تقدم عليها الامم المتحدة بشان التوصية .

عندما صوتت الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بالموافقة على توصية التقسيم كان واضحا لديها الاجراء الذي سوف يتلو ذلك ، حيث فكرت في تشكيل لجنة خماسية تضم مندوبين من الدانمارك وتشيكوسلوفاكيا وبوليفيا وبنما والفلبين يكون مقرها نيويورك وتزود بسكرتارية تضم مسئولين اداريين وخبراء فنيين . وبعد مشاورات مع حكومة الانتداب (بريطانيا) تذهب اللجنة وسكرتاريتها إلى فلسطين فى أواخر ديسمبر ١٩٤٧ . وفى فلسطين تتولى اللجنة مسئولية الادارة من بريطانيا فى المناطق التى سوف تنسحب منها القوات البريطانية . على أن يتم الانسحاب فى موعد لا يتعدى الأول من اغسطس ١٩٤٨ . وخلال فترة انتقال السلطة من حكومة الانتداب الى اللجنة الخماسية تتعاون اللجنة مع الوكالة اليهودية واللجنة العربية العليا فى تشكيل مجالس حكومية مؤقتة لكل من الدولتين المقترحتين (العربية واليهودية) ،وتشكيل هيئة اقتصادية مشتركة . على ان ينتهى تشكيل المجلسين المؤقتين عند اول ابريل ١٩٤٨ . وبعد ذلك تقوم اللجنة الخماسية بنقل السلطات الادارية بشكل سريع الى المجلسين اللذين سيصبحان بمثابة حكومتين مؤقتتين للدولتين الجديدتين الى ان يعلن استقلال الحكومتين في موعد لا يقل عن اول اكتوبر ١٩٤٨ . ويكون من مهام اللجنة الخماسية تعيين حدود الدولتين المقترحتين ، وتنفيذ كل التوصيات التى اقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة بارشاد واشراف مجلس الامن .

لكن الامم المتحدة كانت تواجه منذ البداية صعوبات امام تنفيذ الطريق الذى اختطته وتصورته . وفى مقدمة هذه الصعوبات ان الدول الخمس المقرر تشكيل اللجنة الخماسية من مندوبيها لم ترشح الاعضاء المطلوبين إلا فى اواخر ديسمبر (١٩٤٧) ، رغم مناشدة السكرتير العام للامم المتحدة تريجفى لي Trygve Lie لهذه الدول اكثر من مرة بان تعجل بالترشيح . ثم تاخر وصول هؤلاء الأعضاء الى نيويورك لكى يجتمعوا معاً للمرة الأولى حتى ٩ يناير ١٩٤٨ . ومن ناحية اخرى اعلنت بريطانيا انها ستنهى انتدابها على فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وكان معنى هذا اصابة كل الترتيبات التى تصورتها الأمم المتحدة بالشلل ، وكذا التواريخ التى وضعتها لذهاب اللجنة الى فلسطين فى اواخر ديسمبر ١٩٤٧ ، وتشكيل المجلسين المؤقتين فى اول ابريل ١٩٤٨ ، وانسحاب بريطانيا فى أول اغسطس ١٩٤٨ ، واعلان استقلال الدولتين فى اول اكتوبر ١٩٤٨ .

واكثر من هذا فان اللجنة الخماسية لم تحرز إلا تقدما ضئيلا فى المهمة الموكولة إليها لان نجاحها كان مبنيا على فرضية ان يتعاون معها اليهود والعرب وبريطانيا . غير ان الذى حدث ان اليهود وحدهم هم الذين تعاونوا معها تعاونا كاملا ، وهذا شيء طبيعى إذ التوصية فى صالحهم . اما العرب فقد رفضوا بشدة تقديم اى معاونة ، على حين حددت بريطانيا تعاونها فى ضوء تفسيرها لمسئولياتها كسلطة انتداب ، ورفضت السماح بدخول اللجنة الخماسية فلسطين إلا قبل اسبوعين فقط من التاريخ الذى حددته لانتهاء الانتداب (١٥ مايو ١٩٤٨) . وكان هذا يعنى استحالة قيام اللجنة باقامة الحكومتين المؤقتتين (العربية واليهودية) فى الموعد المحدد (اول ابريل ١٩٤٨) . كما رفضت بريطانيا التخلى عن سلطاتها الادارية فى فلسطين حتى يحين اجل انتهاء الانتداب ، مما حال دون إحراز تقدم فى نقل هذه السلطات الى اللجنة الخماسية ، وبالتالى لم يكن امام اللجنة سوى الاعتراف بالوضع المتردى لحالة الامن فى فلسطين ، وعجزها عن تنفيذ توصيات الجمعية العامة دون استخدام قوة شرطة دولية مناسبة

كل الجهود الممكنة !!

اما خطط بريطانيا المتصورة عند توصية التقسيم فقد كانت نفس خططها خلال انعقاد جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة للنظر فى التوصية . ولقد اكدت بريطانيا اكثر من مرة انها سترفض المساعدة فى تنفيذ قرار للامم المتحدة لا يحظى بقبول كل من اليهود والعرب ، وان وضعها فى فلسطين يرتبط بشروط وقواعد الانتداب الى ان يحين انتهاؤه ، وانسحابها من المنطقة . وعلى هذا فحكومة الانتداب

● كان اليهود منذ البداية يريدون إقامة دولتهم على كل أرض فلسطين

سوف تبقى على وحدة الادارة والأمن الداخلى فى يدها دون تقسيم حتى انتهاء الانتداب . وهذا يعنى ان مسئولية بريطانيا سوف تستمر فى كل المناطق التى تحتلها عسكريا حتى تنسحب هذه القوات واخيرا اكدت بريطانيا بكل حزم انها تنقل سلطات الادارة الى اللجنة الخماسية . وكل ما سوف تفعله هو ان تعلن عن تخليها فقط عن هذه السلطات ، وهى السلطات التى من المفترض ان تتولاها الأمم المتحدة بواسطة اللجنة الخماسية . وباختصار ـ كما يقول التقرير ـ فان بريطانيا لن تعرقل جهود اللجنة الخماسية ، ولن تشارك فى اعمالها او تقــدم لها المساعدات فى نفس الوقت .

ومنذ صدور التوصية عملت حكومة الانتداب على المحافظة على الأمن الداخلي فى فلسطين مستخدمة فى ذلك قوات الشرطة التابعة لها والقوات العسكرية ايضا . وكان يعوق استمرار بريطانيا فى هذا الموقف خطة الجلاء التى وضعتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وما تفرضه من تخفيف قواتها شيئا فشيئا ، مما اثر بشكل ملحوظ على الاجراءات الأمنية . ومن ناحية اخرى ، فان رغبة بريطانيا فى عدم إثارة سخط الدول العربية حال دون تطبيق إجراءات امنية على نطاق واسع لكبح العدوان المتبادل بين العرب واليهود . ويشهد تقرير المخابرات الأمريكية أن القوات البريطانية كانت غير منحازة فى محاولة كبح جماح ذلك العدوان . كما يشير إلى ان هدف بريطانيا الأساسي انذاك كان الحيلولة دون حدوث فوضى عامة او قيام حرب على نطاق واسع إلى أن يتم انسحاب قواتها العسكرية على الأقل .

وفي الامم المتحدة بذل الوفد البريطاني كل الجهود الممكنة لكي يطلع اللجنة الخماسية على صعوبات الموقف فى فلسطين . وقدم لها النصح والارشاد فيما يتعلق بالأمور الادارية وبمسالة مشروع وضع مدينة القدس تحت نظام الوصاية ، وايضا فيما يتعلق بتشكيل الحكومتين المؤقتتين . ولكن الوفد رفض القيام باية مسئوليات مشتركة مع اللجنة الخماسية لاقامة الدولتين الجديدتين المقترحتين فى فلسطين ، او تقديم اية تسهيلات قد تفسر على انها تاييد بريطاني لجانب ضد جانب اخر .

وعلى هذا الأساس رفضت بريطانيا ـ كما يذهب التقرير ـ إعداد ميناء بحري فى اول فبراير ١٩٤٨ ليستقبل اعدادا غير محدودة من اليهود المهاجرين طبقا لما جاء فى توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ثمانية آلاف متطوع

اما بالنسبة للعرب ، فقد وضعتهم التوصية ـ كما يقول التقرير ـ فى موقف الدفاع ، وفاجات كل خططهم ، فتوقفت الى حد كبير . وتعددت ردود الفعل في كل البلاد العربية سواء على مستوى الحكومات او على مستوى المجموعات السياسية المختلفة .

وانفجر رد الفعل هذا في مشروعات مختلفة باختلاف الحكومات والمجموعات السياسية .

ورغم وجود مثل هذه الخلافات ، فان العرب اتفقوا على انهم لن يسمحوا بوجود دولة صهيونية فى العالم العربي . وتحقيقا لذلك ، فمن المتصور أن تتبع الخطوات التالية :

الاستعداد العسكري في فلسطين وفي الدول العربية لمنع اجراءات إقامة دولة يهودية تعتمد في وجودها على القوة العسكرية ، ورفض التعاون مع اللجنة الخماسية باي شكل من الاشكال ، وإقامة دولة واحدة مستقلة تضم كل فلسطين ، ومنع الهجرة اليهودية حتى تقوم هذه الدولة الواحدة بوضع سياسة للهجرة

وبالاضافة إلى هذه الاجراءات المتصورة وضعت مجموعات عربية اخرى تصورا لاجراءين إضافيين . ويتمثل الاجــراء الاول فــي القيام بالعمل داخل اجهزة الأمم المتحدة . وأصحاب هذا الاجراء هم العناصر الاكثر مسئولية والاكثر اعتدالا كما يقول التقرير ، وإن لم يحدد اشخاصها ومواقعها من المسئولية السياسية داخل البلاد العربية . أما الاجراء الاخر ، فيهدف اصحابه إلى قطع كل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع الدول التى ايدت توصية التقسيم . وأصحاب هذا الاجراء هم المجموعات القومية الاكثر تطرفا كما يقول التقرير . ولكن لم تحدث موافقة عامة من العرب على اي من تلك التصورات السالفة .

والذي حدث أن الدول العربية ارسلت مذكرات احتجاج شديدة للبعثات الدبلوماسية الأمريكية الموجودة فى البلاد العربية على اساس مسئولية الولايات المتحدة عن توصية التقسيم .

على كل حال ، كان رد الفعل عند العرب لتوصية التقسيم فوريا وعنيفا . فقد اندلعت الاضطرابات والمظاهرات فى انحاء فلسطين ، وانتهت بعمليات شغب هنا وهناك . ولم يات منتصف يناير (١٩٤٨) حتى كانت أعمال العنف المتقطعة والمتفرقة فى فلسطين قد تطورت إلى اعمال عدائية على جانب كبير من التنظيم . وفي مطلع فبراير بدات مجموعات عربية منتظمة فى العمل فى مناطق مختلفة من البلاد . وقيل إن اللجنة العليا توجه نشاط هذه المجموعات .

وعند هذه النقطة يشير التقرير إلى ان طبيعة نشاط عرب فلسطين توحي بان أهدافهم (الآن) وإلى ان يحين الانسحاب البريطاني تتلخص فى ستة اهداف هي :

تجنب إثارة العداء مع القوات البريطانية كلما أمكن ذلك ، وشراء المواد التموينية الأساسية مثل الاطعمة والاسلحة والمعدات والملابس ، وتعطيل التجارة اليهودية ، وكذا وسائل النقل والمواصلات دون شن هجوم على نطاق واسع ، وتجنيد قوات متطوعة داخل وخارج فلسطين وتدريبها على العمل الفدائي ، وتكوين قيادة

عسكرية موحدة ، وإقامة اتصالات مع قنوات الجامعة العربية للحصول على المساعدات اللازمة . ثم يعلق التقرير على هذه الأهداف بان الغرض المحدد منها – كما يبدو – ضبط اندفاع العناصر المتحمسة للتحرك ضد اليهود .

وخلال سلسلة من الاجتماعات فى صوفر وعاليه ، والقاهــرة بين مندوبي الجامعة العربية ، تم التوصل الى برنامج للعمل رغم خلافاتهم فى الراي . ولم يكن هذا البرنامج سوى اعتراف بكل النشاطات التى يمارسها عرب فلسطين انذاك ، ويرمي كما يقول التقرير إلى مساعدة الحركة غير النظامية فى فلسطين بالمال والسلاح والرجال ، ومرابطة قوات الدول العربية على حدود فلسطين للمراقبة بحيث تدخل فلسطين بعد انسحاب بريطانيا .

وعلى الفور قامت حملة في كل البلاد العربية لجمع التبرعات المالية . كما تجمع المتطوعون من العراق ، وسوريا ، ولبنان ، وشرق الأردن فى معسكر قطنة بسوريا للتدريب . وفي منتصف فبراير (١٩٤٨) كان اكثر من ثمانية الاف متطوع قد تسللوا إلى داخل فلسطين في زي عسكري وحاملين أسلحتهم . كما تحركت قوات سورية ومصريـــــة وشرق اردنية إلى حدود فلسطين ، ووردت تقارير بتحرك فرق عراقية إلى شرق الأردن . وبذلت الجهود للحصول على السلاح والعتاد حيث وقعت سوريا اتفاقا مع سكودا Skoda حصلت بموجبه على الدفعة الأولى من السلاح .

وعلى الرغم من عدم إعلان اسم قيادة القوات العربية ، فمن المعروف ان ضباطا سابقين بالجيش السوري والعراقي سوف يتولون مهام القيادة بالاضافة إلى قيادات اخرى خبيرة بحرب العصابات .

في مواجهة المعارضة العربية

اما خطة اليهود التى تصوروها عند توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة بالتقسيم ، فكانت واضحة المعالم تماما . فقد قررت الوكالة اليهودية – الممثل الرسمي للجالية اليهودية فى فلسطين – التعاون مع اللجنة الخماسية فى إقامة الدولة اليهودية المقترحة ، رغم ان الوكالة كانت تامل فى الحصول على اكبر جزء من فلسطين فى الدولة المقترحة . وتقوم الوكالة (حاليا) بالتخطيط لتشكيل قوات للأمن الداخلي وتكوين هيئات إدارية مدربة وتقوم بالدعاية فى كل انحاء العالم للحصول على مساعدات مالية وعسكرية ضد اية محاولات للعرب لمنع تنفيذ توصية الجمعية العامة . اما اهداف العناصر الاكثر تطرفا من اليهود المعروفين اصطلاحا بالتصحيحيين Revisionists بما فيهم عصابات الارجون زفاي ليومي وشترن فتتلخص في محاربة كل من الانجليز والعرب ، وإقامة دولة يهودية في كل فلسطين بما فيها شرق الاردن .

اما من حيث النشاط الفعلي لليهود بعد التوصية ، فقد تركز – مع استثناء المتطوفين – فى الاستعداد للدولة الجديدة حيث كان قبولهم للتوصية بعد انتصـــــارا اوليا استطاعوا تحقيقه ، وفي مواجهة المعارضة العربية العنيفة ، استهدفت الوكالة اليهودية فورا القيام باجراءات ثلاثة تتلخص في : تقوية قوات الدفاع الداخلي للدولة اليهودية المقترحة ، وتنظيم وتدريب هيئات للادارة ، والتعاون مع الامم المتحدة فى تنفيذ توصية الجمعية العامة بشأن التقسيم . ثم زادت عملية تجنيد وتدريب عناصر للهاجاناه (المليشيا الرسمية للوكالة اليهودية) ، حيث عملت على حماية الجالية اليهودية من هجمات العرب ، كما تصرفت كقوة شرطة محلية رغم عدم اعتراف حكومة الانتداب بشرعية الهاجاناه . في ذلك الوقت تبنت الهاجاناه سياسة دفاعية نشطة بالاضافة الى قيامها بغارات إرهابية ضد العرب تشبه في تكتيكها الغارات التي تقوم بها عصابات الارجون وشترن ضد القوات البريطانية ، حيث تواصل هاتان المجموعتان المتطرفتان الحرب ضد البريطانيين . وعلى الرغم من انهما يرفضان توصية التقسيم ، ويطالبان بفلسطين كلها للدولة اليهودية المقترحة بما في ذلك شرق الاردن ، إلا انهما قد وافقتا – كما يقول التقرير – على محاربة العرب جنبا إلى جنب الهاجاناه .

موقف الأطراف المعنية

ولننتقل الآن الى التعرف على رؤيـــة المخابرات الأمريكية فى التطورات التى يمكن ان تنتهى اليها الأوضاع فى فلسطين انذاك فى ضوء تلخيص موقف الأطراف المعنية ، وفي ضوء تبني السياسة الأمريكية بشكل رسمي لتوصية التقسيم الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة

فى بداية هذه النقطة يشير التقرير إلى ان خطة تقسيم فلسطين لا يمكن تنفيذها بدون تعاون العرب . وليس من المتصور فى نفس الوقت ان يتخلى العرب عن معارضتهم العنيفة (الحالية) للتقسيم ، حيث أصبحت الحرب بالنسبة للجماهير العربية عقيدة دينية ، وبالنسبة للطبقات الحاكمة مبدا سياسيا لا يتجاسرون على اهماله ، فضلا عن ان العرب لا يقبلون الاذعان بالقوة لحركة يرعاها الغـــرب ويعتقدون انها تهدد نهضة القرن العشرين التى نمت فيها مدنيتهم المحلية .

ولما كان تنفيذ خطة التقسيم بالكامل اصبح ضربا من المحـــــال – كما يقــول التقرير – فقد رأت وكالة المخابرات الأمريكية أن التطورات المحتملة لا تخرج عن ثلاثة ، تدور كلها فى إطار الامم المتحدة وبعيدا عن الأطراف الاخرى (بريطانيــــا والعرب واليهود) بعد ان وضحت مواقفها وخاصة بريطانيا والعرب . وتتلخص هذه الاحتمالات فى : ان تحاول الامم المتحدة إقامة دولة يهودية بالقوة ، أو ان لا تقوم بأى شيء ، أو أن تعيد النظر فى القضية برمتها .

فيما يتعلق بالاحتمال الاول وهو اقامة الدولة اليهودية بالقوة طَرَقَ التقرير مختلف الامكانات الموصلة لذلك بادئا بالقيام بمحاولة لاقناع بريطانيا بتغيير سياستها القائمة (حاليا) فى فلسطين بحيث تسمح بانشاء ميليشيا يهودية ، وتوافق على نقل السلطة نقلا سريعا ، وان تسمح بحضور اللجنة الخماسية قبل اول

مايو (١٩٤٨) ، وان تخصص فورا ميناء بحريا للهجرة اليهودية ، وان تقوم بقمع نشاط العصابات العربية . وهنا يشير التقرير إلى وجود صعوبات اقتصادية حقيقية من وجهة نظر بريطانيا تكتنف تحقيق هذه المسالة ، وعدم ميلها لاثارة سخط العالم العربى ، وإصرارها على ان تنتهج سياسة « محايدة » فى المنطقة منذ عرضت المشكلة برمتها على الامم المتحدة فى العام الماضى (١٩٤٧) . وكل هذا يجعل من غير المتوقع ان تغير بريطانيا موقفها من (الآن) وحتى انسحابها . وعلى هذا فان إمكانية إقامة دولة يهودية يكون فى حالة تزويد اللجنة الخماسية للأمم المتحدة بقوة شرطة قوية لمقاومة عدوان العرب ، او فى حالة امداد اليهود فى فلسطين بمساعدة عسكرية كافية من الخارج للتغلب على المعارضة العربية .

وبعد أن يخلص التقرير الى أن اقامة الدولة اليهودية لا يكون الا باستخدام القوة ، يبدا فى استعراض الكيفية التى يتم بها تحقيق ذلك واضعا نصب الاعين الاعتراض على اية فكرة تؤدى من قريب او من بعيد الى مشاركة الاتحاد السوفييتي منعا لتسلله الى المنطقة .

وفى البداية يطرح فكرة ان يقوم مجلس الأمن بتشكيل قوات شرطة من الدول الكبرى وخاصة من الدول الدائمة بالمجلس وهى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي والصين . وفى هذه الحالة سوف يرحب الاتحاد السوفييتي بمثل هذه الفرصة التى تمكنه من إرسال قواته إلى فلسطين . اما فرنسا فمن المحتمل لن تسعد بهذه الخطوة التى تمكنها من وضع قدمها فى الشرق الأوسط مرة اخرى (وهذه اشارة الى جلاء فرنسا عن سوريا ولبنان) . واما الصين فهى ترحب بان يكون لها حضور فى قوة شرطة دولية لاسباب تتعلق بمكانتها بين الدول ، ولو انه لن يكون فى مقدورها تقديم قوات ملحوظة نظرا لانشغالها فى الحرب الاهلية الدائرة هناك . واما انجلترا فسوف ترفض فى الغالب الاعم المشاركة فى هذه القوات انسجاما مع موقفها المعلن . ولم يبق الا القوات الامريكية التى لن ترسل بدورها الى فلسطين طبقا لتصريح الرئيس ترومان فى هذا الشان .

وعلى هذا فان إرسال قوات تتالف فقط من فرق سوفيتية وفرنسية وصينية قد لا يجعل امام بريطانيا والولايات المتحدة من بديل سوى استخدام الفيتو . وإما الموافقة الضمنية على فتح فلسطين للتسلل السوفييتي ، إذا ما تشكلت هذه القوة دون مشاركة بريطانيا والولايات المتحدة .

وإذا كان الامر كذلك . فان المخابرات الامريكية تطرح فكرة ان تتكون قوات الشرطة الدولية من الدول غير الكبرى . اما مكامن الخطر في هذه الفكرة عند المخابرات فتتضح فى احتمال مشاركة قوات الدول التابعة للاتحاد السوفييتي ، وبالتالي تسهيل دخولها فلسطين . فاذا ما تمت محاولة فى مجلس الأمن لاستبعاد تلك الدول من المشاركة ، فمن المحتمل ان يستخدم الاتحاد السوفييتي الفيتو ضد تشكيل اية قوة دولية لا تضم فرقا من الدول التابعة له . وحتى إذا وافقت الدول الكبرى على تشكيل القوة من الدول غير الكبرى ، فليس من المحتمل ان يسهم عدد كاف من تلك الدول بقوات مناسبة .

وفي النهاية ـ كما يذكر التقرير ـ فان تشكيل قوة شرطة دولية لن يتوقف على قرار من مجلس الأمن فقط ، بل سوف يتوقف على مدى رغبة الدول فى الاسهام فى هذه القوة . وليس من المتوقع ايضا ان تنفرد دولة من الدول بتشكيل مثل هذه القوة حفاظا من جانبها على مكانة الأمم المتحدة كمنظمة دولية . ومن المحتمل في ضوء حالة الأمن الدولي (حاليا) أن لا ترسل اية دولة قواتها لمحاربة العرب في فلسطين بهدف إقامة دولة يهودية مالم تشعر ان فشل التقسيم يعني تهديدا لمصالحها القومية ، او ما إذا كانت ترى فى ذلك فرصة لتوسيع نطاق نفوذها الدولي .

وإذا ما اخذ مجلس الأمن الدولي بهذه الفكرة ، فان الاتحاد السوفييتي هو الدولة الوحيدة التى سوف تحقق مكاسب من ارسال قوات إلى فلسطين كما يذكر التقرير وهذا شيء مرفوض حيث ان لدى كل من **بريطـــانيا والولايـــات المتحـدة مبررات استراتيجيــة قوية تجعلهمـا يرفضـان السماح للاتحـاد السـوفييتي او القوى الخـاضعة لـه مـن دخول فلسـطين .** وباختصار ينتهي التقرير عند هذه النقطة إلى ان تشكيل قوة شرطة دولية ، ليس من المحتمل على الاطلاق .

وحيث ان استخدام قوة شرطة دولية لاقامة الدولة اليهودية سواء أكانت من الدول الكبرى او من الدول غير الكبرى ، لابد وان يعطي فرصة للاتحاد السوفييتي من دخول فلسطين ، الامر الذي ترفضه المخابرات الامريكية لاعتبارات استراتيجية انجلو ـ امريكية ، فقد ناقشت المخابرات فكرة ان يكون البديل الوحيد لقوة الشرطة الدولية ، ارسال المساعدة العسكرية لليهود بكمية تجعلهم قادرين على قمع المعارضة العربية كلها داخل فلسطين وخارجهـا ، وإقامة الدولة اليهودية مع المحافظة عليها ، وقد تاخذ هذه المساعدة شكل قوات «دولية» متطوعة ، او تاتي من خلال توصية يصدرها مجلس الامن للدول الأعضاء فى الامم المتحدة بمقاطعة الدول العربية لمقاومتها عمدا قرارا صادرا من مجـــلس الامن ، مما يفرض مساعدة الدولة اليهودية بالمال والسلاح والعتاد . ويترتب على ذلك ان تبقى اللجنة الخماسية كجهاز يشكل همزة وصل بين مجلس الامن والدولة الجديدة دون ان يتولى تخطيط الحدود التى سبق ان اوصت بها الجمعية العامة . كما لا يكون من مهام اللجنة الاتصال بالعرب ، او انشاء ادارة خاصة في القدس .

ولا يفوت المخابرات الامريكية ان تشير إلى ان الاخذ بذلك البديل يعني انحراف توصية التقسيم عن غرضها الكلي ، الا وهو إنشاء دولتين مستقلتين فى فلسطين ، والاكتفاء بدلا من ذلك بتنظيم اقامة دولة واحدة والدفاع عنها ، الا وهي الدولة اليهوديـــة .

ثم تنتهي المخابرات الى احتمال اخر يتمثل في قيام مجلس الامن بتشجيع فكرة تشكيل قوات دولية متطوعة ، او موافقته على ان تقوم الدول الاعضاء منفردة بعيدة عنـه بالتصـرف الـذي تـراه . وتنتقـد المخابرات هذا الاحتمال لانه فى رايها ، يضع منهجا يمثل خطورة فائقة على السلام العالمي . لكننا لا نلبث ان نعرف بواعث هذا النقد حين يذكر التقرير فى الجملة التالية : ان الاتحاد السوفييتى سيسارع بانتهاز فرصة فتح الطريق امام التصرف الفردي بمساعدة اليهود ، ومن ثم يمتد النفوذ الاستراتيجي السوفييتى الى

فلسطين والشرق الاوسط . وحيث ان الامر كذلك . فالمخابرات تقدم الحجة القوية لبريطانيا والولايات المتحدة لعدم التصديق على مثل هذا الاجراء إذا ما اتجهت النية الى طرحه فى مجلس الامن .

الاحتمال يعطي فرصة

ينتقل التقرير بعد ذلك الى دراسة احتمال ان لا تقوم الأمم المتحدة باي اجراء تجاه التوصية . ولكن النتائج التى تترتب على ذلك – في راي المخابرات – سوف تكون مدمرة ، وسوف تنتقص من مكانة الامم المتحدة ووضعها كمنظمة دولية . وفي هذه الحالة ، سيكون كل من اليهود والعرب في فلسطين احرارا فى التماس المساعدة من الدول المختلفة ، بل والتحالف مع اية قوة من القوى . وسوف يصعب – إن لم يكن من المستحيل – حصر الصراع داخل فلسطين وجعله محليا ، بل لا يمكن تجنب تورط اية دولة لها مصالح حيوية فى العالم العربي في هذا الصراع .

ولا تنسى المخابرات الامريكية ان تنبه إلى أن هذا الاحتمال يعطي ايضا فرصـــة للاتحاد السوفييتى لكي يرسل قواته إلى فلسطين ، حيـث أن كـلا مـن الطرفيـــن المتصارعين (اليهود والعرب) سوف يقبلان المساعدة من اي طرف يقدمها ، وبالتالي فمن الصعب تصور إمكان منع الاتحاد السوفييتى من ارسال قواته .

إعادة النظر فى الموضوع

لم يبق إلا احتمال ان تعيد الأمم المتحدة النظر فى الموضوع برمته . نظرا لان عدم تنفيذ التقسيم اصبح امرا واضحا ، ونظرا للمخاطر التى تصحب اقامة الدولة اليهودية بالقوة على نحو ما سبقت الاشارة فى الاحتمالين السابقين .

واعادة النظر فى الموضوع تكون من خلال مجلس الامن او من الجمعية العامة . فمن الممكن أن يطلب مجلس الامن من محكمة العدل الدولية إبداء الراى فى قانونية توصية الجمعية العامة . كما يمكن أن يناقش فكرة عقد هدنة بين العرب واليهود . وهى هدنة ترى المخابرات ان العرب سيوافقون عليها ، كما يوافق عليها اليهود ايضا لانهم يعتمدون فى تحقيق وجودهم على الامم المتحدة رغم أن قيامهم بالعنف قد يستمر . ثم هناك اقتراح بتكوين هيئة توفيق تساعد على إعادة النظر فى المسالة دون تدمير مكانة الامم المتحدة .

فاذا ما اخفق مجلس الامن فى التوصل الى شيء فمن المحتمل ان يدعو السكرتير العام الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة لاعادة النظر فى الموضوع . وهذا الاجراء فى حد ذاته – كما يقول التقرير – يعنى اعتبار مشروع التقسيم امرا لاغيا ومن المستحيل التنبؤ بالتطورات التى سوف تحدث فى هذه الحالة .

ويشير التقرير فى النهاية الى نقطتين على جانب كبير من الاهمية ، الاولى ان المعارضة العربية بشكلها الحالى تبطل آليا توصية الامم المتحدة بالتقسيم التى تقوم اساسا على افتراض التعاون العربى اليهودى وهو غير متوقع . والثانية انه فى حالة اقامة دولة يهودية تحميها القوة المسلحة ، فسوف يتعين على هذه الدولة ان تحمى نفسها باستمرار ليس فقط ضد جيرانها المعادين ، بل ضد مقاومة اربعمائة وخمسين الف عربى داخل حدودها .

أمر غير مطلوب

إذن .. لقد رفض العرب فكرة التقسيم من أساسها .. ورفضتها العناصر المتطرفة الصهيونية (الارجون وشتيرن) لان هذه العناصر كانت تطالب بكل فلسطين بما فى ذلك شرق الأردن .. وقبلتها الوكالة اليهودية (الهيئة الرسمية لليهود فى فلسطين تحت الانتداب) على امل الحصول على أكبر مساحة ممكنة للدولة اليهودية المقترحة فى التقسيم .

وكان رفض العرب للفكرة دافعا للمخابرات الامريكية لان تدرس فى تقريرها احتمال قيام الأمم المتحدة باقامة دولة يهودية فقط . ثم اعترف التقرير بان توصية التقسيم لايمكن تنفيذها الا باستخدام القوة تحت علم الامم المتحدة . وكان استخدام القوة فضلا عن المخاطر التى ينطوى عليها من حيث وضع سابقة تاريخية فى المجتمع الدولى ، لابد وأن يفتح الباب لمشاركة الاتحاد السوفييتى ، وهذا أمر غير مطلوب من وجهة نظر المخابرات الأمريكية لما فيه من تهديد للمصالح الاستراتيجية الامريكية .

وبعد .. اليست محاولات ابعاد الاتحاد السوفييتى عن المشاركة فى حل أزمات الشرق الأوسط محاولات مبكرة ! .. واليست هذه المحاولات ما تزال قائمة خاصة فى ادق مراحل هذه الأزمات قبيل حرب اكتوبر ١٩٧٣ وما بعدها ، لكى تنفرد الولايات المتحدة بتقديم الحلول التى تخدم استراتيجيتها ؟! .

واليست سياسة الحكومة الاسرائيلية حاليا هى استمرار لسياسة عصابتى الارجون وشتيرن والذى كان مناحيم بيجن احد ابرز قياداتها ، والتى كانت تطالب بكل فلسطين (وكانت تشمل انذاك الضفة الغربية وقطاع غزة) ، وايضا شرق الاردن

واخيرا .. هل يمكن القول إن هذا التقرير يلقى بالمسئولية على عاتق الولايات المتحدة ، وينصف بريطانيا التى وقفت موقف الحياد بين العرب واليهود منذ عرضت المشكلة على الامم المتحدة ريثما تتوصل المنظمة الدولية الى حل يقبله الطرفان طواعيه واختيارا هذا بصرف النظر عن النقد الموجه والمعروف سلفا للسياسة البريطانية فى فلسطين خلال الانتداب ، وحقيقة الأسباب التى دفعت بريطانيا الى ان تقدم موعد انسحابها الى ١٥ مايو ١٩٤٨ بدلا من اول اغسطس ١٩٤٨ .!!

د. عاصم الدسوقى

هوامش

(١) من هذه الاجهزة على سبيل المثال : قسم بحوث شئون الشرق الادنى وافريقية ، ومكتب الشئون الاوربية ، وقسم شئون الشرق الادنى . ومكتب شئون الشرق الأدنى وافريقية وهيئة التخطيط السياسي ، ومكتب الشئون السياسية الخارجية ، وقسم شئون المناطق التابعة . ومكتب شئون الامم المتحدة ، ومجلس الامن القومي ، والمستشار الخاص للرئيس الامريكي ، بالاضافة إلى البعثات الدبلوماسية الامريكية فى الشرق الاوسط .

(٢) ملفات وكالة المخابرات المركزية ، تقرير بعنوان تطورات محتملة فى فلسطين بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٤٨ ، واشنطون/سري ، رقم ORE 7-48

استنكار البدعة وكراهة الجديد
موقف إسلامي أم جاهلي؟

بقلم: حسين أحمد أمين

كان جل ما اتى به الرسول عليه الصلاة والسلام قومه مخالفا للمالوف عندهم ، وللقيم والتقاليد السائدة بينهم ، مناقضا لمثلهم ونظرتهم الأساسية إلى الحياة مما توارثوه جيلا عن جيل . فلا غرو أن لم تجد دعوته صدى واستجابة سريعين لدى أهل مكة . وما كانت المعارضة القوية التى لقيها منهم ناشئة عن امتعاضهم من تسفيهه لعبادة الأوثان ، بقدر ما كانت نتيجة دعوته إياهم الى تبنى موقف من الحياة لا هو مالوف ولا مقبول . فتعلقهم باصنامهم كان سطحيا وفى طريقه الى الزوال . غير انه جاء يدعوهم الى استهجان قيم ورثوها عن ابائهم واجدادهم كانوا يرون فيها ارقى مثل تحتذى . وسمعوه يسفه اباءهم وكانوا لا يفخرون بشىء فخرهم بالاباء ، وراوه يتحدث عما يعتبرونه من الفضائل الكبرى وكانما هى مما يشين المرء ان يتخلق به .

وما كان ثمة عربي اصيل يسعده او يسهل عليه ان يتخلى عما ورثه من مفهوم عن الفضيلة . كان العربي إذا فخر بفضائله اكد انه يتبنيه إياها إنما يسعى إلى التشبه بابائه . بل إنه حتى فى قراه للضيف كان يحرص على أن يقدم الطعام لاضيافه في الأواني التيورثها عن أجداده .

وها نحن نرى ابا امريء القيس لا يورث ابنه سلاحه وخيوله فحسب ، وإنما يترك له ايضا « قدوره » التى هي رمز الكرم وحسن الضيافة حتى يواصل بها الممارسة المتوارثة لهاتين الفضيلتين .

لم يكن بوسع مثل هؤلاء قبول فكر جديد أو قيم مستحدثة ليس لها اساس مما تتناقله الأجيال وتحفظه التقاليد . قد كان مجد الفرد منهم من مجد قبيلته ، ومجد قبيلته من مجد اجدادها (وهو ما عرفوه باسم الحسب) فالحسب وعظمة الأجداد هما ابرز دواعي الفخر لدى الفرد ولدى القبيلة على السواء . وما كان المجد الشخصي ليهمهم قدر ما يهمهم الحسب والمجد المورث ، فان ساءتهم دناءة مسلك امريء فسروها بدناءة أصله وخمول ذكر اجداده .

ثم هاهم يرون رجلا منهم يظهر بينهم بدعوة جديدة كل الجدة . ويرونه علاوة على ذلك لا يملك من مؤهلات الزعامة والرئاسة ما الفوه ووقروه واعجبوا به من مؤهلات في شيوخهم وساداتهم . اتى يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له اصلا : ككبح الشهوات ، والتضحية بالمال ، والزهد فىالحياة الدنيا . والقران الذي جاء به من عند ربه يحرم الخمر والزنا ، وهما ما كان الجاهليون يسمونهما بالاطيبين . وهو يدعو إلى اخوة ومساواة . وينهي عن الفخر بالحسب وعن التنافس بين القبائل ، مؤكدا انه لا فضل لعربي على اعجمي ولا لحر على عبد إلا بالتقوى . وهو يمتدح المسالمين وقومه يرون في المسالمة ضعفا :

* ودع عنك عمـــرا إن عمـــرا مسالم *

ويثني على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقومه يهزاون ممن ترك الثار واغتفر إساءة او رد السيئة بالحسنة ، ويعتبرون من أقذع ابيات الهجاء بيت قريظ بن انيف الذي يعير فيه قومه فيصفهم بانهم :

يجزون من ظـلـم اهل الظـلـم مغفـــرة
ومن إساءة اهـل الســـوء إحسانا !

موقف القران من التقاليد

غير ان ابن سعد يذكر ان اهل مـــكة ما اشتدوا وغلظوا فى معارضة النبي حتى هاجم اباءهم ونعتهم بالكفر وسفه احلامهم. وقد كانت شكواهم إلى عمه ابي طالب هي من انه « ضلل اباءنا ... وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا » . وقد شن القران الكريم هجوما عنيفا في ايات كثيرة على تعلق الناس بالقيم والاراء والعقائد الموروثة عن الاباء رغم مخالفتهاللعقل ومناقضتها لكل منطق : فقوم النبى (مايعبدون إلا كما يعبد اباؤهم من قبل) هود ١٠٩ . غير ان عقائد الاباء ليست صائبة بالضرورة : (او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) البقرة ١٧٠ . فان كانت معتقداتهم فاسدة فلا ينبغي قبولها : (يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم وإخوانكم اولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) التوبة ٢٣ . كذلك فانه بمضي الأيام والعصور ، وبنمو المعارف وتراكمها قد يدرك الابناء من الحقائق ما لم يكن للأباء والاجداد به علم : (يا ابت إني قد

جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني) مريم ٤٣ . وإذ المرء بطبيعته عدو لما يجهل ، فالغالب ان يتشبث الاباء بمعتقداتهم البالية ، (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يونس ٣٩ . ومن حق الابناء ان يجادلوا اباءهم فيما يذهبون إليه ، (إذ قال لابيه ياابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) مريم ٤٢ . (إذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم واباؤكم في ضلال مبين) الانبياء ٥٢-٥٤ . كما ان من حق الأبناء حينئذ ، بل وواجبهم ، ان يتركوا نهج الاباء ، (وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه (إنني براء مما تعبدون) الزخرف ٢٦ . ذلك ان اللـه احـق ان نخشـاه مــن الآبــاء ، فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا) البقرة ٢٠٠ . فان ثبت لنا بالتروي والتفكير ان اباءنا قد جانبوا الصواب والحق ، فعلينا ان نختار الصواب والحق (او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم) الزخرف ٢٤ . غير ان هناك مِنَ الناس مَنْ للتقاليد على عقله وقلبه سلطان مبين ، ويابى قبول اية بدعة مستحدثة لمجرد انها لا تتفق مع هذه التقاليد ، (ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين) القصص ٣٦ . وقد كان هذا هو موقف قوم النبي عليه الصلاة والسلام منه : (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا) المائدة ١٠٤ . كلما دعاهم الى راى جديد (قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا ؟) يونس ٧٨ وقالوا عنه : (ما هذا إلا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم) سبأ ٤٣ ؛ وقالوا له : (أتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا ؟) هود ٦٢ ؛ (إنا وجدنا اباءنا على امة وإنا على اثارهم مقتدون) الزخرف ٢٣ . وهذا موقف منهم لا يستسيغه عقل : (اتجادلونني فى اسماء سميتموها انتم واباؤكم ؟) الأعراف ٧١ . فهم قوم يابون تحكيم المنطق والفكر ؛ (لهم قلوب لا يفقهون بها) الأعراف ١٧٩ ؛ (قل هل يستوى الأعمى والبصير ، افلا تتفكرون ؟) الأنعام ٥٠ . والتفكير هو واجبنا الاول ؛ (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل ٤٤ ؛ (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) الأنفال ٢٢ . وليكن شعارنا دائما : (وقل رب زدنى علما) طه ١١٤ . فان طلع علينا قوم برأى جديد ناقشناه معهم بالمنطق ؛ (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟) الانعام ١٤٨ اما الجدال عن غير علم ومنطق فمرفوض ، (وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم) الأنعام ١١٩ ؛ (ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا واق) الرعد ٣٧ .

«الباذنجان شفاء من كل داء»

وقد امرنا الرسول الكريم ان نعرض ما ينسب اليه من احاديث على القرآن ، فما اتفق منها معه قبلناه وما خالفه منها ابينا الاخذ به . فهل يعقل بعد ما اوردناه من ايات (وقد اوردناها على سبيل المثال لا الحصر) ان يسلم احد بصحة احاديث نسبت الى النبى مثل : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» ، او «الا وإياكم ومحدثات الامور ، فان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار» ؟ لقد اوردت كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والمغازى والطبقات من الأحاديث المنسوبة الى الرسول ما يذم البدع ويدعو الى رفض كل جديد محدث ، ما لا يمكن ان يتفق مع مفهوم الآيات التى اشرنا اليها ، وما ليس بالوسع قبوله مع علمنا بان كل ما جاء به الاسلام راه الجاهلون من «محدثات الأمور» وعلمنا ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان اعظم رافض لاتباع سنّة من كان قبله . فهل يمكن لمن انزل عليه (وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم) الانعام ٩١ ، و (قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا) البقرة ١٧٠ ، ان يقول : «سيكون من اخر امتى اناس يحدثونكم ما لم تسمعوا انتم ولا اباؤكم ، فاياكم وإياهم» (صحيح مسلم) ؟

فان احتج البعض بان هذه الاحاديث رواها البخارى ومسلم وغيرهما من الثقات قلنا إنه قد ورد ايضا فى البخارى : «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر» ، وانه قد ورد فى صحيح مسلم «لولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر» ، وفى غير البخارى ومسلم «الباذنجان شفاء من كل داء» .

ويقينى ان مثل نبى الاسلام عليه السلام لم يكن كمثل اولئك الثوريين المجددين الذين يروى التاريخ انهم صارعوا قومهم وجاهدوا فى سبيل نصرة ارائهم ، حتى اذا ما نجحوا وقبلت افكارهم واستقرت واضحت جزءا من كيان مجتمعهم ، واعتبرهم الناس ابطالا مصلحين ، جزعوا وتنكروا لكل تجديد لاحق حتى لو ان هذا التجديد كان فى نفس اتجاه فكرهم ، وهاجموا كل بدعة مستحدثة حتى لو ان هذه البدعة لم يكن لها من غرض غير مواءمة فكر البطل المصلح مع ما يستجد من ظروف ، واتهموا دعاة التجديد بالمروق والخيانة ، واكدوا ضرورة الولاء لمبادىء الاباء والزعماء الاول ، وهو ما فعله كل من لوثر وكالفن وستالين وعشرات غيرهم .

«انتم اعلم بأمر دنياكم»

روى مسلم ان الرسول صلى الله عليه وسلم مر بقوم يابرون النخل ، فسال : ما يصنع هؤلاء ؟ فقيل له إنهم يلقحون النخل. فقال : لو لم يفعلوا لصلح . فاخبروا بقوله فتركوا التلقيح ، ولكن لم ينضج الثمر . فلما علم الرسول بذلك قال : «إنما انا بشر ، إذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا امرتكم بشيء من رايى فانما انا بشر» . وكان عليه السلام يكرر للناس قوله : «انتم اعلم بامر دنياكم» .

ومفهوم هذا ان تعاليم النبى الملزمة للمسلمين هى تلك التى تتعلق بالدين والأخلاق لا المتعلقة بمعايش الدنيا الفرعية التى ذكرها على سبيل الراى . ومع ذلك فاننا نرى بيننا من يذهب الى انتهاج نهج السلف الصــــالح فى كل شأن من شؤون الحيـــــاة ، كالملبس والماكل ، بل وحتى فيمـــا يقــــال لمن عطس ، ولا يرون مســـلما حقا من تبع شـــيئا من عنده . وها هو القسطلانى يرى بدعة مرفوضة كلّ ما يتّبع دون مَثَل من العصر القديم ، وكل ما لم يكن معروفا فى زمان النبى . وعلى هذا اصبح القهوة والطباعة والاذاعــة والجرائــد والمصباح الكهربائي واستخراج النفط واستخدام الشوكة والسكين فى الاكل بدعا بغيضة ، وهو ما من شانه ان يجعل الحياة فى ظل ظروف مخالفة للظروف السائدة فى زمن النبى والصحابة والتابعين امرا محالا . (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) الكهف ١٠٣ و ١٠٤ .

غير ان هؤلاء الذين يدعون الى انتهاج سنة السلف الصالح لا يذكرون كيف الغى الخليفة عمر بن الخطاب حصة المؤلفة قلوبهم من الصدقات والآية القرانية تقول (إنمــا الصـــدقات للفقـــراء والمســـاكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ...) التوبة ٦٠ . وقد استند عمر فى إلغائه لحصتهم الى زوال العلة التى بنى عليها النص ، وهى نصرة الدعوة فى بدء الاسلام بعد ان قويت شوكته وراى ان الاحكام الشرعية إنما بنيت على علل ومقاصد ، وكلها راجعة الى مصالح العباد فى دنياهم واخراهم . ولا يطبق الحكم ـ حتى إن استند الى نص شرعى متى زالت العلة التى بنى عليها ، والتى هى شرط تطبيقه . وقد ذكر ابن تيمية «ان صحيح المنقول فى الشرع الاسلامى

موافق دائما لصحيح المعقول» . واستنادا الى هذا المعنى ذهبت القاعدة الأصولية الى «ان الحكم الشرعى المبنى على علة يدور مع علته وجودا وعدما» . وخرج بعض الفقهاء بقاعدة عامة مؤداها «انه لا ينكر تغيير الاحكام بتغير الأزمنة والاحوال» . كذلك كتب السيوطى (الاتقان فِي علوم القران) فى معرض حديثه عِن النسخ فى القران يقول : «من اقسام النسخ ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ، بمعنى ان كل امر ورد يجب امتثاله فى وقت ما لعلة تقتضى ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم اخر» . وقال «إن هناك ايات نُسِخَ حكمها دون تلاوتها ، وإذ ان النسخ غالبا ما يكون للتخفيف (التيسير) فقد أُبقيت التلاوة تذكيرا للنعمة» .

البدعة ومعارضوها

إن البعض يرى انه لا سبيل الى انصلاح امور المسلمين إلا بالعودة الى الماضى والالتزام بسنة السلف الصالح . وهو قول سليم إن كان يعنى التنقيب عن الجوهر الاصلى للدين ، وإزاحة ما تراكم على هذا الجوهر خلال عصور طويلة من الخرافات والأوهام مما حجب عن المسلمين معنى الاسلام الصحيح . غير ان هؤلاء يمضون فيقولون إنه على المؤمن ان ياخذ بالاتباع لا الابتداع ، ويعرِّفون الابتداع بانه النظر الشخصى ، والاستقلال فى الراى ، ومخالفة الاجماع والراى العام ، وانتهاج أساليب حياة تخالف اسلوب حياة الرسول والصحابة والتابعين .

غير انى انظر فارى من بين الاحاديث النبوية الشريفة ما يذهب الى ان «العلماء هم ورثة الانبياء» . وافهم من هذا الحديث انه كما ان على وارث التركة واجبا خلقيا يحتم عليه رعاية التركة وإنماءها ، فعلى ورثة الانبياء ان يرعوا التراث الروحى الذى خلفوه وان ينموه . وكما ان من حق وارث حانوت ابيه ـ بل ومن واجبه ـ أن يسعى الى ان يوسعه ويضيف اليه ويزيد من انواع السلع المعروضة فيه ويستبدل سلعا رائجة بسلع قد كسدت وفتر الطلب عليها ، مراعاة منهم لاحوال السوق ، فكذلك على العلماء ما يشبه ذلك فيما يتصل بما ورثوه.

بيد ان معظم علماء المسلمين لا يرون توسعا او إضافة ، ولا ياخذون إلا بالتقليد الأعمى والجمود الباطل . مستندين فى تبريرهم قفل باب الاجتهاد الى عظمة شان الاسلام فى عصره الاول ، وملقين تبعة تدهور حال المسلمين بعد ذلك على اسباب وظروف خارجة عنهم . وهم فى هذا الموقف اشبه بمن أبقى الحال فى الحانوت الذى ورثه على ما كان عليه فى زمن ابيه وجده ، غير آخذ بعين الاعتبار ما طرا على اساليب التجارة واذواق الناس من تغيير ، مبررا مسلكه برواج الحانوت وبضاعته وقت ابائه ومعللا كساد تجارته المحتوم بفساد الزمن ، او فساد الذمم ، او فساد كل شىء عدا اسلوب تفكيره .

قد دعانا من راى قفل باب الاجتهاد الى الوقوف عند اراء مجتهدين فى عصر معين. وقد كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم ، ويراعون فى وضعهم الأحكام موافقتها للظروف المتغيرة فى مجتمعهم . غير انهم سلكوا مسلكا خاطئا إذ صاغوا اراءهم المبتدعة فى قالب احاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الاسانيد لها حتى تلقى اراؤهم قبولا من الامة . او على حد تعبير بعضهم واعترافه : «كنا إذا راينا رايا صيرناه حديثا !» . فاذا بالاجيال التالية لقفل باب الاجتهاد وقد صدقت نسبة هذه الاحكام والأراء الى النبى ، وحرمت على نفسها ان ترى لنفسها رايا جديدا ، حتى إن كانت هذه الاجيال قد احاطت بما لم يحط به المجتهدون الاول علما ، ونشات لديها مصالح واحتياجات لم يعرفوها ، وعاشت فى ظروف لم يخبروها .

وكان ان قضي على الفكر الاسلامى بالتوقف ، وتفشى التقليد والجمود فى الشريعة وغيرها ، واتهم كل صاحب راى جديد باتباع الهوى ، ووصفت كل دعوة الى الاصلاح والتطوير بانها بدعة ، واخترعت احاديث نسبت الى النبى تستنكر البدعة وتبشر صاحبها بالنار .

وقد جاهد بعض اعاظم الفقهاء كابن تيمية وابن قيم الجوزية والشوكانى ثم الافغانى ومحمد عبده من اجل ان يثبتوا بالأدلة الشرعية الواضحة ان باب الاجتهاد ليس مفتوحا فحسب ، بل هو واجب على كل من اتصف بصفات المجتهد ذلك انه مادام الوجود البشرى سلسلة من الاحداث والظروف المتعاقبة . فان الاجتهاد والابتداع سيظلان دائما الجوهر الحي للتاريخ . وقد فهمت الحضارات الراقية هذه الحقيقة حتى اضحت البدعة مقصودة فى حد ذاتها وطلبها متعمدا . واسمتها بالمنهج العلمى ، وحتى اصبحت ـ خاصة فى وقت الأزمات كالحرب او الضائقة الاقتصادية ـ تبدى تهافتا على الابتداع ، وتناشد المبدعين وتحثهم على اجراء التجارب والاختبار والاستنباط ، بحيث بات التغيير وتوفير المرونة شعار السياسة العامة عندها

ورغم ما تذكره كتب علم الاجتماع من ان الازمات والاحساس بالخطر من شانها ان تدفع المجتمعات المتحجرة الجامدة الى إبداء الاستعداد لتقبل الجديد من الافكار والمستحدث من الاساليب ، فلا يزال مجتمعنا الاسلامى الملىء بالازمات والمحفوف بالاخطار يرى البدعة كفرا ، والمستحدث عصيانا وتمردا ، والأساليب الجديدة تشويشا غير مستحب للروتين والتقاليد ، ومخالفة مستهجنة لعادات الأباء والانماط المالوفة من العيش . غير ان الوقت قد حان لان ندرك ان التقدم متعذر دون تغيير وابتداع ، وان اولئك الذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء ، وإنما عن خوف على مصالح خاصة تتهددها تلك البدع . ذلك ان كل بدعة تقريبا تستدعى إعادة فى تنظيم القوى الاجتماعية ، فلا غرو ان نلمس عند كل من سينحيه التغيير عن مكانته ، ويحد من نطاق نفوذه ، استنكارا وكراهية للبدعة . وهم من اجل النجاح فى مقاومتهم لها لابد ان يحظوا بتاييد الجماهير لهم ، ولا سبيل الى حصولهم على هذا التاييد إلا بالادعاء ان البدعة منافية للدين ، وان الدين قد وصى بالالتزام بسنة الاولين ، وعدم الخروج عما كان شائعا لدى ابائنا واجدادنا الاقدمين . والله اعلم ان دينه الحى بريء مما يزعمون ، وانهم واشياعهم اناس قد يجاهدون فى نصرة الدين ، ويكتبون فى نصرة الدين ، بل وقد يموتون فى نصرة الدين . غير انهم على غير استعداد البتة لان «يحيوا» من اجل الدين .

حسين احمد امين

دائرة المعارف القرآنية



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الشُّح"

يقول الله تعالى فى سورة التغابن : « انما اموالُكم واولادُكم فِتنة (اى امتحان واختبار لكم) . والله عنده اجرٌ عظيم . فاتقوا الله ما استطَعْتُم ، واسمعوا واطِيعُوا وانفِقُوا : خيرا لانفسِكُم ، ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فاولئك هم المفلحون . ان تقرضوا الله قرْضا حسنا يضاعفْه لكم ويغفرْ لكم والله شكورٌ حليم » .. فطلبت هذه الآيات من المؤمنين ان يسمعوا نصح الله لهم بالانفاق من المال فى سبيل الخير .. ويطيعوه فيما نصحهم به وأن يحموا انفسهم بالطاعة فيما نصحهم به من إنفاق المال فى سبل الخير : من شح النفوس . وهو طبع فى النفوس المريضة بالانانية يحمل على المنح والقبض على ما للانسان بحيث لا يصيب غيره ، وان كان ذا حاجة اليه .

فالشح ليس عادة تتكون فى الانســان . وانما هو جبلة فيه . ولا يذهب بالشح لدى انسان ما ، إلا إيمانه بالله .. وبان الله جل جلاله يضاعف للمنفق ما انفقه فى سبل الخير : « ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم » . وعندئذ تتكون لديه عادة الانفاق ، وتحل محل ما كان له من طبع الشح فيه .

وما جاء فى حديث القرآن عن الانصار فى يثرب ، فى علاقتهم بالوافدين المهاجرين اليهم من مكة ، بشأن ما كانوا يؤثرونهم به من اموالهم الخاصة مع حاجتهم القائمة اليه يدل على اثر الايمان بالله فى تحويل النفوس التى لها طباع الشح بحكم اتجاهها المادى الى نفوس خيرة نحا عنها طبع اللؤم والانانية ، الذى يتمثل فى القبض والشح .

فيقول الله تعالى فى سورة الحشر : « الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم (ويقصد الانصار ، لأنهم سبقوا المهاجرين فى سكنى الدار وهى يثرب ، وامنوا بالرسول عليه السلام قبل هجرته اليهم ، بعد ان كانوا اصحاب وثنية مادية تلتصق بطباعهم الانانية والشح) . يحبون من هاجَرَ اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجةً مما أوتوا (اى مما اعطى لهم من الفيْء الذى اخذ من يهود بنى النضير حول المدينة . فنفوس أولئك الانصار لم تطمح الى شىء مما سلم للمهاجرين من ذلك الفيْء ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (اى ومع كون الانصار لم يتاثروا بما أعطى للمهاجرين دونهم .. فانهم كانوا كذلك يؤثرون بما لديهم من مال ، رغم حاجتهم هم اليه فى تفريج شدائدهم) ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فاولئك هم المفلحــــون (فهؤلاء الانصار بموقفهم من المهاجرين : فى عدم الحقد عليهم عندما اخذوا من الفـيْء دونهم . وفى ايثارهم إياهم باموالهم مع حاجتهم هم اليها .. يضربون المثل فى وقاية النفس من شحها كطبع فيها . ولذلك هم ناجحون لانهم استطاعوا التغلب بالفعل على شهواتهم) ..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين . وقال للانصار : ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة . وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ، ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الانصار : بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . فنزلت الآية السابقة .

وجاءت قسمة الرسول عليه السلام على المهاجرين من الفـيْء فى قوله تعـــالى : « ما افاءَ الله على رسولِهِ من اهْلِ القــرى (يقصد الأموال التى اخذها المؤمنون من يهود بنى النضير حولِ المدينة) : فلله .. وللرسولِ .. ولذى القُرْبَى .. واليتامَى .. (اولاد الشهداء فى الحرب) .. والمساكين .. وابن السبيل .. كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم (اى يعطى مال الفـيْء لهذه الفئات وحدها وهى صاحبة حاجة ، حتى لا يقع هذا المال ان لم يوزع هذا التوزيع : بايدى الاغنياء فيزدادون به غنى ، بينما يزداد اصحاب الحاجة حاجة) وما اتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله . إن الله شديدُ العقاب . للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديــــارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورســــــوله . اولئك هم الصادقون » ..

فالشح يسبق البخل فى طبع الانسان وملازم للانانية فيه . ولذا أضيف الشح الى الذات والنفس فى الآيتين الســـابقتين : « ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فاولئك هم المفلحون » اما البخل فهو نتيجة من نتائجه .

الوداع الأخير

شعر: العوضي الوكيل

هذه القصيدة لأحد كبار شعراء الفلبين . وكانت سفارة الفلبين بالقاهرة فى عهد رئاسة الأستاذ العقاد للجنة الشعر قد طلبت من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى القاهرة ترجمة هذه القصيدة شعراً، فكلفت اللجنة الشاعر العوضي الوكيل بذلك وهذه القصيدة منقوشة الآن بجميع اللغات ـ وبينها العربية على نصب رخامى ضخم بجوار قبر صاحبها فى منتزه لونيتا بارك بمدينة مانيلا .

ـ ١ ـ

وداعــا وداعــا يا بـلادا يحبهــا ... فـؤادى وتهواها بعليائهــا الشمسُ
لانـت ببحـر الشـرق اكـــرم دُرَّةٍ ... وانـت لنـا فـى ذلك الكـون فردوسُ
حياتــى مضنــاة فامــا وهبتهــا ... فداءك لم تاسـف علـى ذلـك النفسُ
ولـو انهـا كانـت صبـا لوهبتـه ... الا كل بـذل فـى سبيل الحمـى بخسُ

ـ ٢ ـ

لأجلك كـم خاضـت رجـالٌ معاركًا ... وجـاد رجـال بالنفـوس فـــداءَ
بـلا اسـف جـادوا ودون تـردد ... لقـد هـان حـب لا يـروم فنــاءَ
وسـيان دوح الغـار والسرو فى الردى ... نـرى الوهـدَ فيـه والنجـادَ سـواءَ
اذا ما دعـا داعـى الجهـاد فإننـا ... نـرى الحـربَ فرضاً والمماتَ قضـاءَ

ـ ٣ ـ

الاقـى الـرَّدى والطـرف للأفـق ناظراً ... وقـد صبغتـه كله خمـرةُ الشـفقْ
يـؤذن بالفجـرِ الجديـد مبشــراً ... هنـا غلـب النورُ الظلام على الافـقْ
فيا وطنـى إنْ اعـوزَ اللـون فليكـن ... دمـى صبغةٌ للفجر إن لاح فائتلـقْ
يزيـد دمـى المسـفوك بهجـة لونـه ... وقرمـزه حتى يـروقَ لـدى الحـدقْ

ـ ٤ ـ

الا إن احــلام الصبـا هـى عينهـا ... ـ على كرٍّ ايامـى ـ امانـى رجولتـى
تبقّـت بنفسى كـي تـرى خيـرَ منيـة ... لـدرة بحـرِ الشرق ـ يا خيـرَ درةٍ
تـرى يـوم لا عينـاك تسرح فيهمـا ... دمـوعُ حيـارَى من تباريـح لوعـةٍ
ولا وجهـك النضر الجميـل جبينـه ... يعفّـره الخـزىُ المـذلُّ لأمّتـى

ـ ٥ ـ

فديتـك يا حلـم الحيـاة جميعهـا ... وامنيـة تحيـا بروحـى واحلامـى
ويا خيـرَ ذخـر فى الدنـا ووديعـة ... حماك إلاهى أن يجنـدلك الرامي
أمـوت لتَحْيَـىْ إن موتـى محـبب ... بتلك الذرَا الشـماءِ ما بيـن اقوامـى
فيغمض جفنـى المـوتُ فى خير تربـةٍ ... وأرقـد مرتاحـا وتخفـق اعلامـى

ـ ٦ ـ

إذا نَجَمَـتْ فى تـرب قبـرىَ زهـرة ... بدت وحدها فى الفدفدِ الموحش القفرِ
فـلا تبخلـي انْ تؤنسـيها بـزَوْرَةٍ ... الا إنهـا روحـى ترفـرف كالزهْـرِ
ولا تبخلـي يومـا عليهـا بلَثْمَـةٍ ... بثغـرك حيـث الدفءُ فى ذلك الثغرِ
احس هـواء القبـر حولـىَ بـاردا ... الا فابعثـى الدفءَ المحببَ فى قبـرى



ـ ٧ ـ

وفي مضجعي الساجي البعيد دعي السنا   من القمر الساري يشع لمضجعي
دعِي الريحَ تزجي همسَها فوق تُرْبَتِي   دعِي الفجر يحبوني بانواره ، دعِي
وإن مر يوما فوق قبرىَ طائرٌ   يُرَجِّعُ لحنا مبدعا اىَّ مبدِع
دعيه على هامِ الضريح مغرِّدا   وقولي له : بالسلم غَنِّ ورَجِّع

ـ ٨ ـ

إذا اصلت الشمسُ الثَّرى بضِرَامِهَا   فحالت به الأمطار فى الجو أَبْخِرَهْ
تصاعد فيها للسماءِ وبينها   دعائى وانفاسى حرارا مسعَّرهْ
الا فدعي من اهل وُدِّيَ قائما   على القبر يبكى اعْظُمِى المتبعثرهْ
ويا بلدى صلِّي لربي فإنني   لأرجو قبولا فى حماهُ ومغفِرَهْ

ـ ٩ ـ

لمن مات لم يؤخذ اثيمٌ بثأْرِهِ   لمن عاش فى انكى الاذى والاساءاتِ
لأمٍّ غدت تذرى الدموع وما شَفَتْ   باضلاعها نارا من الشَّجَنِ العَاتِى
لاجل اليتامَى والايامَى ومَنْ غَدَا   اسيرا شديدَ الكرْبِ رهْنَ المِلمَّاتِ
الا يا بلادى فانهضِي وتضرَّعِي   ليومِ خلاصٍ فى غدٍ صبْحُه آتِ

ـ ١٠ ـ

اذا ما ظلام الليل غشَّى المقابرَا   فما بَرِحَ الموتى هناك سواهِرَا
على السِّلْم ، والاسرار تسهرُ روحهم   دعُوهم وما صانوا وغُضُّوا النواظِرَا
فان تسمعوا صوتا هنالك شاديا   فذلك صوتى يرسل اللحْنَ زافِرا
اجل ذَاكَ لحنى يا بلادى رفعته   اليك فحيُّوا فى المقابِرِ شاعِرا

ـ ١١ ـ

فان طالت الايام بى وتحولَتْ   معالم قبرى كالطلول بواليَا
واقوى ، فلا رمز هنالك شاهد   علىَّ وامسى ذاكر القوم ناسيَا
إذن فدعِي المحراثَ يفرى اديمَهُ   فيحيا موات الارضِ اخضرَ زاهِيَا
وهذا رفاتى يا بلادى فرشته   مواطىءَ من عشب فما عاد ذاوِيَا

١٢

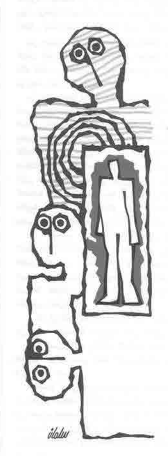
إذا اصبح النسيانُ للميْتِ هيِّنا   سالقاك في موتي هنالك او هُنَا
سالقاك لونا او شذًى متضوعا   وطورا غناءً مبدعا مُتفنِّنَا
فمازال حبى يا بلادىَ هائما   بحبك فياض المشاعر مؤْمِنَا
فاَصْغِى لحبِّى فى النشيدِ مردِّدا   تردِّدُه روحي إلى اخرِ الدُّنَا

ـ ١٣ ـ

بلادىَ يا حبِّى ويا المُنَى معا   اياحُبِّيَ الأَغْلى واعمق آلامِي
الا فاسمعى هذا النشيدَ نظمتُه   وداعا اخيرا فهو آخرُ انغامِي
ساترك ما اهواه فيكِ وديعة   لديْكِ فلا تنسىْ وَدَائِعَ احْلامِي
وامضى إلى لا ظلم ثمة نازلٌ   بعبد ولا طغيان من بطش ظُلَّام
الى حيث لا راى يصاب صحابه   بسوء وحيث الله فى حكمه السامِي

ـ ١٤ ـ

وداعا اعزائى ، اليكم خواطرى   فانتم بنو امّي وصحب طفولَتِي
بهذا الحِمى المغصوبِ عشنا فان اَمُتْ   فحيُّوا رحيلي بعد طولِ المشقةِ
مضى يومىَ المضنَى جهادا وشِقْوَةً   فان تطلبوني فاطلبوني بجنَّتي
ويا من لقيناه غريبا عن الحِمَى   فاصبح انسى فى الحياة وفرْحَتِي
الى الملتقى يا عَدْلَ نفسى ومهجتى   وداعا وداعا فالمنية مُنْيَتِي



مسافة طويلة الى المطـــار

قصـــة بقـــلم :
سـعـد مكـاوي

عناقها مفعم بالعتاب .

انطلق الى حلمى النائى واتركها مريضة عاجزة ، يائسة من عودتى التى الوح لها بها ، وحيدة فى ذلك البيت الكبير القديم المطل بمشربيته العتيقة على الشارع.

من حسن الحظ أن سمعها ضعف مع الزمن فلم يعد وجودها الهش يمتص كل ذلك الضجيج الفظيع المتصاعد من شارع لم يعد يعرف الرحمة .

من فوق كتفها تاملت المربعات الزجاجية العريضة التى يصل بها الى قرابة السقف العالى ذلك الباب الخشبى الضخم الذى يفصل غرفة الجلوس عن الصالة والمدخل كانه شاهد على تاريخ الاسرة القديم ، ثم هبطت نظرتى الى مربعات البلاط الكبيرة التى نصلت الوانها مع مرور الزمن وقلة العناية ، لا يكسر امتدادها الى المدخل غير حقيبة السفر التى تنتظر نهاية العناق بينى وبين الشيخة الباكية بلا دموع .

من الشارع استطعت أن اميز بين الاصوات المتداخلة الصخابة صوت زوج اختى يناديني ، فقبلت خد امى ونهضت الى المشربية المتهالكة ولوحت بيدى وعدت مسرعا فقبلت مرة اخرى ذلك الراس الاشيب العزيز .

– أن ان انصرف ، فلابد فى هذا الزحام من مراعاة المسافة الطويلة الى المطار .

– لا تنس وعدك يا خالد ، طالت المدة ام قصرت ... لن تنسى امك التى لم يعد لها فى الدنيا غيرك .

خلصت نفسى برفق من يدها المتشبثة بذراعى واختطفت الحقيبة وهبطت مسرعا فى السلم الخشبى المتاكل ، ووجدت اختى الوحيدة مع زوجها ، انتزعت نفسها من مشاغلها وجاءت من مسكنها البعيد لتكون فى وداعى .

دست كوم القمامة المعتق قبل ان استقر معهما فى السيارة الصغيرة التى اخترقت بنا عباب الزحام والضجة والفوضى ، وخلال الحركة البطيئة الشاقة من كوبري ابو العلا الى المطار لم اجد كلمة واحدة اوصى بها اختى المنشغلة بوظيفتها واولادها وزوجها وبيتها . وعندما نزلنا من السيارة لتحية اخيرة عند المطار كان كل ما استطعت أن اقوله لها :

– خذى بالك منها .

فى الجو وبعد أن تركت الطائرة الحدود تذكرت اننى نسيت أن اضع المايوه الجديد فى الحقيبة .

فى حياتى لعب المايوه الدور الرئيسى ، وكان بطل القصة ، إذ كانت البداية فى حوض السباحة .

يومذاك كانت الفتوة هى الحقيقة الوحيدة فى شبابى ، ولم تكن قد اكتسحت حياتى ليالى الشراب والغيبوبة والاحباط .

كنت فى طريقى الى بطولة رياضية يتحدث عنها الناس ويرضى عنها طموحى ، والسباح المرموق فى ذلك اليوم الجميل من اول الشتاء لم يكن يعرف أن قدره يتربص له بزلزال عاطفى ، إذ رايتها فجاة مع سرب من زميلاتها تحوم حول الماء بشقرتها المضيئة وقوامها الفاره ، وفى الماء كان تعارفنا .

أول امراة اراها من نساء الشمال ، وإنها لبيئة مختلفة تماما عن بيئتى تلك التى تنتج مثل هذه العملاقة الحسناء ...

وضعت المضيفة امامى بعض الطعام ، وتاملت وهى منصرفة عنى حركتها اللطيفة فى المشى ، دقيقة الحجم رغم انها سويدية كصاحبتى العملاقة التى كان ظهورها معى فى اى مكان فى القاهرة يثير التفات الناس بقامتها المهيبة وبساطتها الساحرة .

لم تكن تطيل ، ـيث عن ماضيها فى وطنها ، وكان كل همها أن تعتصر هناءتها بايامها ولياليها فى مصر اعتصارا كامل الصراحة ، هى التى تمثل فيها حبى الأول الكبير ، والتى صاغ عشقى لها حيـــاتى ولونها وحكمها ، الى أن جاء اليوم الذى قالت لي فيه : «يجب أن نتزوج»

من قبل أن يصدر عنها هذا الاعلان كانت فكرة الزواج مطروحة وموضع دراسة ، وكان واضحا منذ اللحظات الأولى لنشوء الفكرة على المقهى العتيق بحى الحسين انها لا تفكر فى الاستقرار فى وطن حبيبها ، وانى انا الآخر لا احبذ هذا الاتجاه ، إذ كانت فسحة الاحلام بالنسبة لي تترامى الى الشمال البعيد ، بكل احتمالاته اللامتناهية وسحره الجذاب الغامض .

وفى يوم توثيق عقد الزواج انفقت امى ليلتها فى بكاء صامت وراء باب حجرتها المغلق ، وطاب لنا السهر فى حفل زفاف بدوى فى نزلة السمان .

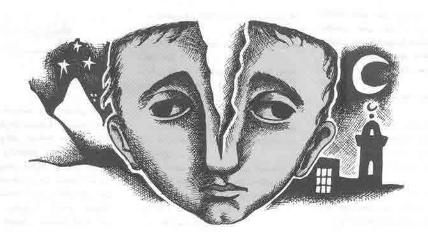
ولم نلبث أن وصلتنا من والدها رسالة تستحثنا على السفر الى السويد وتبشر بمجالات العمل المفتوحة امام مؤهلى الجامعى وقدراتى الرياضية ، وظلت المشكلة الكبرى ماثلة فى حالة امى النفسية التى بلغت بها حد الصمت الكامل ، فاستعنت عليها باختى وزوجها الصديق قاطعا على نفسى عهدا بأن اعود الى القاهرة مرتين فى السنة على الاقل ...

جاءتنى ابتسامة المضيفة بشىء من اليقظة :

– فنجان من القهوة أم عصير الليمون ؟

– ليمون من فضلك .

طفلتنا الحسناء «فاتيما» ولدت فى السويد فى مستشفى بديع يحتل قمة احدى الهضاب المحيطة بالقرية الجميلة التى



تعيش فيها اسرة زوجتى على مسافة ساعة او أكثر قليلا من العاصمة ستكهلم ، كانها فى إطلالها على بحيرة فائقة الجمال قطعة من الجنة ...

وانا استطعم مذاق الليمون تمثل لى شخص امى الواهن بين ذراعى اختى المواسية ، وتصلبت إرادتى امام الضعف الذى تنفثه الصورة .

لن تتكرر المأساة .. فى المرة الأولى كانت نداءات امى احد اسباب عودتى بعد ان توازنت حياتى الجديدة فى تلك القرية الشمالية الباهرة التى تشبه لوحة فنية من تلال وغابات وبحيرة والوان وظلال .. صحيح ان حالة البطالة المتفشية وظروف العمل بالنسبة لاجنبى لم تكن مواتية دائما كما صورتها دعوة والد زوجتى ، وان علاقتى بزوجتى نفسها على غير ما توقعت بدا يزحف عليها ضباب غامض من الافتراق النفسى ، لكن السبب الرئيسى فى تلك العودة تمثل فيما يبلغنى من اصداء احزان الأمومة المستوحدة فى القاهرة ، ويومها قلت لنفسى ان اجازة غير طويلة اقضيها فى الوطن تكون مفيدة لكل الأطراف ، الأم والزوجة وذاتى الحميمة المضطربة بين عالمين ...

ماذا يكون هذا الفتور المبهم الذى اخذ يتسلل الى ما تصورناه الحب الأكبر ، والذى عجزت ابتسامات «فاتيما» الصغيرة أن تبدده ؟

ـ فنجان من القهوة ام عصير الليمون ؟

ـ قهوة من فضلك .

منقبض النفس بغير خفاء فى عودتى الى الأم المريضة ، لكنى ابتسمت عندما اكتشفت فى الطائرة انى بدات اهفو الى شىء من العزاء مع شلة الاصدقاء .. الحمل ثقيل .. امامى شكاوى امى التى ستعتصر البقية الباقية من قدرتى على مجابهة مرارة الواقع الغليظ ، وورائى لغز عاطفى لا أكاد افهمه ولا تضيئه غير ابتسامات طفلة حسناء لاهية ..

ما الذى تغير بينى وبين زوجتى ؟

حاولت هى بصراحتها ان تجيب عن السؤال فعجزت ، وعندما اعلنت انا الآخر عجزى عن التفسير بدات تتكلم عن انفصال هادىء وتتطلع الى افق سويدى يحفه الغموض .

شىء اليم مبهم قام بيننا كجدار اصم ، كان قوتى جذب عنيفتين تتنازعان فى تناقض ، وكان طريقا واحدا انشق على مهل فصار طريقين .

وعندما احتوتنى عاصمتى وهبطت من التاكسى دست على كتلة القمامة المعتقة غير بعيد من مبنى التليفزيون الشاهق ، ثم تلقفنى عطن السلم وانا فى دوار ونكوص داخلى ... ستفتح ذراعيها وتبكى وتنثال كالشلال هادرة بمخزون شهور طويلة ... ولن يكون هناك غير الأسى والليل الكابى .. وسوف اتحول الى دودة من الدود تزحف مع غيرها فى الطين ، ولن تكون هناك رحمة ...

• • •

بصعوبة رذلة قبلونى فى عملى القديم ، وبسهولة خطرة حصلت على العزاء من بعض اصدقائى القدامى فى سهرات مملة .. لا طعم لشىء ، ولا دواء لكابة الاملاق الروحى ...

ووجه «فاتيما» الحسن يخايلنى فى نبضات موجعة من اللهفة والحنين ، وزوجتى تضغط بالبريد طالبة الطلاق ... لابد ان هناك رجلا اخر من طينتها الشمالية ولا مـــال معى للعـــودة السريعة واستطلاع الامور وحسم قضية «فاتيما» ... ستتزوج امها من سويدى فى هذه المرة وتنشا «فاتيما» بنتا من بنات الشمال لا تكاد تذكر «بابا خالد» القديم بعد ان تطمس الأعوام صورته وتطويها ...

• • •

كانت أكبر فرحة فى حياة امى يوم عرفت انه قد تم الطلاق . لم تشعر ان الخواء يحتوينى ، وكأنه يهمس فى أذنى بجبروته المتشفى : الست ترى أننى اقوى منك ومن كل احلامك الطموحة ؟

وطوال الاعوام التى مرت منذ عودتى لم تهتز نفسى لشىء كما اهتزت لصور ابنتى وكلماتها .. تخرج من المظروف صور بالالوان لغداء على العشب فى غابة أعرفها وكم نفضت فيها فائض شبابى ورتلت أشعار عشقى .. وعلى ظهر الصور سطور سريعة من الثلاثة تتضمن كلها دعوتى الى الالتقاء بابنتى التى وقعت على صورها باسمها بالسويدية وبالعربية مسبوقا بكلمة «الى بابا خالد» ...

ما أجمل عينيها وما ابدع قوامها وما الطف خطها ...

فى عمقى المكبوت انتعش حلم قديم مطمور ...

ومن جديد صحت فكرة الخلاص والمغامرة والتجدد ...

دعاء «فاتيما» شق سمائى الراكدة المعتمة كبارق من الضوء ...

اخر خيوط الرجاء فى نسيج مهلهل ...

الغفران للأعوام الميتة ..

الوداع للغيبوبة واللامبالاة ...

قلقت امى من هذه الاشراقة الجديدة فى نظرتى وكلمتى وحركتى ... ساءلت ابنتها

مسافة طويلة إلى المطار

فى السر ... اصبحت وفى حضنى صور ابنتى اكثر غفرانا لسيطرة السيئات على الحسنات ، واكثر تساهلا مع سخافات زملاء العمل وانحطاط اخلاقياتهم وعقم العمل نفسه وعجز الجهاز الضخم كله عن الانتاج ... اصبحت ارحم ضغط الامومة المتزايد مع اشتداد المرض وتفاقم عجز امى عن السمع وضرورة ارتفاع صوتها واصوات من حولها ، كاضافة قاتلة الى الضوضاء العامة المستفحلة ...

هناك مع «فاتيما» ساصعد التلال واهبط فى الوديان وافترش عشب الغابات وانعم بالسكون واعدو فى المروج ...

● ● ●

بعد ثمانية عشر شهرا كنت قد ادخرت الفا وخمسمائة جنيه وجدتها كافية لوثبتى الجديدة ... فطلبت للمرة الثانية فى حياتى الوظيفية اجازة بدون مرتب قذفوا بها فى وجهى بارتياح ، ولم اطلع امى فى هذه المرة على نواياى إلا فى يوم السفر نفسه ....

وبشى ء من الجفوة فى هذه المرة قمعت صرخاتها العصبية غير المنضبطة ، وانغرزت قدماى فى كوم القمامة الاثرى دون ان اتافف ، واحتوتنى الحركة البطيئة المثيرة للاعصاب دون أن افقد هدوئى .

وعندما حلقت بى الطائرة تبسمت للمضيفة دون ان اخفى عنها اننى تاملت وجهها باستيعاب :

ـ اين عصير الليمون يا حلوة ؟

● ● ●

فى مطار ستكهلم استقبلنى جد «فاتيما» بحفاوة .

صديق قديم من ايام الزواج الاولى اليانعة ، رجل يبدو فى اوج الشباب ويبحث عن عمل جديد يستغرق حيويته بعد ان بلغ الستين ، ظل يحدثنى عن مشروعاته للمستقبل حتى قاطعته متململا .

ـ وفاتيما ؟

ـ نابغة فى مدرستها ، مع بدايات موهبة موسيقية .

ـ وعلاقتها بزوج امها ؟

ـ طيبة .

ـ تذكرنى ؟

ـ تشترك فى الكلام عندما تجىء سيرتك طبعا .

ـ هل اجد فى هذه المرة فرصة حقيقية للعمل هنا ؟

ـ على غير ما قد يبدو للزائر ، هنا بطالة ومشاكل جمة حتى فى بطاقات الاعاشة التى تعرفها من زيارتك السابقة .

ـ معنى هذا ان الفرصة امامى ضيقة ؟

ـ اعتقد هذا ، لكن مادمت تفكر فى إنفاق بقية عمرك غير بعيد من ابنتك فلاباس من ان نجرب ...

بعد صمت محرج عدت الى التساؤل :

ـ وإذا فكرت فى حالة فشل التجربة فى ان اخذ ابنتى لتعيش معى فى وطنى ، فهل تجد هذه الفكرة معارضة ؟

ـ معارضة ممن ؟

ـ من الأسرة .

ـ وما دخل الاسرة فى هذا ؟ ... إن الراى فى هذه المسالة هو لفاتيما وحدها ... عندما نصل اسالها .

ـ اليست اصغر من ان تتخذ مثل هذا القرار وحدها ؟

ـ اليست هى حياتها .. اسالها واعرف رايها .

وسط المروج والصخور والاشجار شقت سيارة الجد طريقها السهل نحو السؤال الكبير الذى ينتظر الانسة الصغيرة ، نحو بيت هنالك على الطريق تحتضنه الباقات المتسلقة اعرفه واذكر لياليه وايامه تستبد به الان رجل اخر ...

صوت السيارة اخرج لنا من البيت زوجتى السابقة ومعها رجل هادىء المظهر سامق الطول بسام الوجه ، كان البادىء بالتقدم فى ترحاب صادق :

ـ نحن سعداء بزيارتك التى طال انتظارنا لها .

وصافحتنى زوجتى السابقة ببساطة :

ـ مرحبا بك يا خالد ، تفضل بالدخول .

غرفة المعيشة لم تتغير .. لم يتغير اى شىء ، حتى السكينة التى طالما احتوت المسرات .. نفس الستائر الخفيفة والمقاعد المريحة .. وركن النار المضياف .. نفس الاصوات الهادئة والاعصاب المسترخية والكلمات القليلة ...

● ● ●

صوت توقف سيارة فى الخارج جعل الام تقول فى هدوء «هذه فاتيما وصلت» دون ان تتحرك من مكانها .

نهضت الى المدخل وقلبى ينبض فى سخونة ، فوجدت ميكروباس المدرسة قد بدا فى التحرك ، وفى ذلك الممر الصغير الذى يخترق مساحة العشب الخضراء بين الطريق العام وباب البيت رايت ابنة الثامنة تدنو منى بمريلتها الوردية وهى تتاملنى على مهل ، وعندما حاذتنى منحتنى ابتسامة مهذبة صغيرة وهى تدلف الى الداخل ، فظللت واقفا فى مكانى كتمثال ، حتى سمعت صوت امها فى الداخل :

ـ فاتيما .. الم تعرفيه .. صوره عندك .. هذا بابا خالد !

وقفت «فاتيما» بين ساقى جدها تتاملنى وانا جالس فى مواجهتها ، لم تدن منى بعد ان عرفت اننى «بابا خالد» ولم تمس شفتاى وجنتها اللطيفة ولا ضمتها ذراعى ولا اهتز من نفسها وتر ...

ـ شىء طبيعى .. لقد كانت اخر مرة راتك فيها وهى دون الثالثة ...

زوج الام هو الذى قدم التفسير فى نبرة مشفقة ، واضافت الام :

ـ فى الأيام التالية يتحسن الموقف .. انا واثقة من هذا ...

وقال لى الجد بعد لحظات فشل خلالها كل حوار بينى وبين ابنتى وسط الحرج الذى ملأ جو غرفة المعيشة :

ـ تعال معى الى جولة فى الغابة قبل ان يحل المساء .

تسقط الاوراق الجافة بصفرتها الى ارض يكسوها الجفاف ، فى غابة تترامى هابطة من التل .

اراد الجد ان يضع لى منهجا لمحاولة الاقتراب من نفس طفلتى قوامه الحكمة والصبر ، لكن قلبى كان قد عرف الحقيقة ..

ـ لن يتحسن الموقف يا صديقى .. انا واثق من هذا ..

ويصرخ طائر فى الفضاء صرخة واحدة فوق قمم الاشجار السامقة لا يكررها ، وتنهض فى داخلى من غور الاعماق ذكريات مصرية يعلوها صوت الام الشاكية المتبرمة «جيل لا يفكر فى غير نفسه» ... والارض الجافة مكسوة على مدى البصر بصفرة شاحبة ... هذه الموهبة الموسيقية لا تعرفنى ولا تعبا بوجودى ، وهذه العيون الزرق ستتحول مع الشباب الى إعصار شمالى يشق طريقه على صخور التلال الوعرة دون ان يذكرنى ...

ـ قهوة ام عصير الليمون ؟

لا هذا ولا ذاك يا جارة السحب ، إنما الحياة منذ الساعة زحام وفوضى ، وكلمات بلا معنى ، واصوات صخابة ، واعصاب مشدودة ، وغيبوبة ولامبالاة ، وبلاطات كبيرة ناصلة اللون كئيبة المحضر ، ومربعات زجاجية معتمة فى باب خشبى متاكل ، وعناق مفعم بالضجر والكآبة .

«سعد مكاوى»



٢٢ فبراير
و١١ عاماً في حياة قطر الحديثة

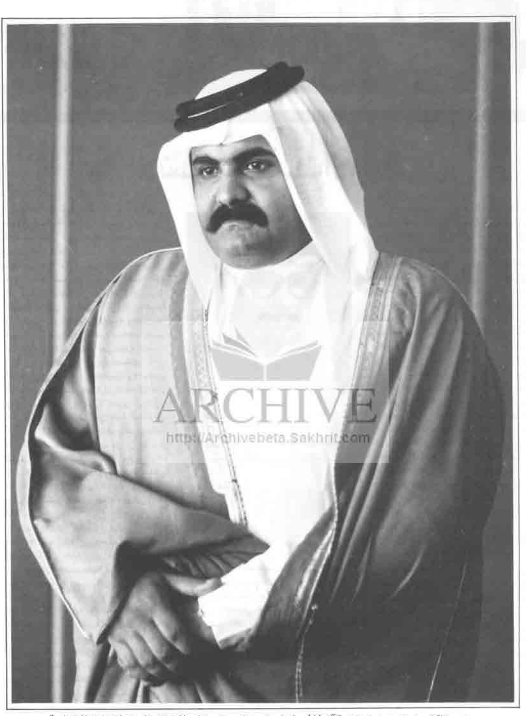
إن
أمتنا
تنتمي إلى حضارة
عريقة أصيلة عربية
إسلامية. والتاريخ
خير شاهد على أن
هذه الحضارة كان لها
أكبر الأثر في تقدم
البشرية. وإذا كنا قد تخلفنا
عن الركب الحضاري
المعاصر، فإن لدينا من
الإمكانات البشرية والمادية
والقدرات المعنوية
والروحية ما
يكفل لنا
المضي قدماً للحاق
بمن سبقونا على طريق
الرقي والقوة والمنعة.
وكم يجدر بنا أن
نتذكر دائماً أن ليس
لدينا هدف أعظم من
الكرامة، ولا سلاح أمضى
من التضامن، ولا سبيل أقوم
من النضال المستند إلى عنصري
النصر: الحق والقوة.

خليفة بن حمد آل ثاني

من خطاب افتتاح الدور العادي الحادي عشر لمجلس الشورى
٢١ صفر ١٤٠٢هـ - ٦ ديسمبر ١٩٨٢م



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة





بناء الإنسان.. الهدف الأول للتعليم

بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير البلاد المفدى مقاليد الحكم في البلاد . يسعدني ان البي دعوة مجلة الدوحة الغراء بان اتوجه بحديثي هذا فالقي من خلاله الضوء على بعض الجوانب المشرقة والانجازات الكبيرة التى حققتها وزارة التربية والتعليم خلال الأعوام الماضية وحتى هذا التاريخ فى ظل قيادة حضرة صاحب السمو امير البلاد المفدى وسمو ولي عهده الامين .

فابدا حديثى عن التربية بصفتها المحور الأساسى فى العملية التعليمية ولاهتمامها بالانسان . فالانسان هو ارقى الكائنات على وجه البسيطة ، وبعبارة اخرى هو ارقى كائن حى ، وهو يتميز عن بقية المخلوقات بالعقل . وبالقدرة الفائقة على تكييف نفسه اكثر من اى مخلوق اخر . بل ان الانسان ليكيف البيئة نفسها لتتفق مع حاجاته ورغباته ، ولذلك استطاع أن يخضع كثيرا من القوى فى عالمى الجماد والحيوان ويسخرها بأمر الله سبحانه وتعالى واذنه لنفعه .

وقد اخذت التربية صورا وأشكالا مختلفة منذ ظهور الانسان على وجه الأرض ، من حيث اغراضها وعواملها ووسائلها او المقصود منها وغير المقصود ، ومن حيث استجابة الانسان فى اطواره المختلفة للعوامل المؤثرة فيه ، او من حيث مقدار ما وجه من عناية واهتمام لناحية فى الانسان اكثر من غيرها . ومن هنا كان اهتمام دولة قطر بالتربية متجها لبناء الانسان نفسه ، وتزويده بكل الامكانات والمهارات والقدرات المختلفة ليصبح قادرا على التفاعل مع معطيات الحياة المعاصرة التى ترفد المجتمع كل يوم بجديد ، ولان الانسان ايضا لا يستطيع ان يحيا حياته منفصلا عن المجتمع البشرى ، لذلك كانت تربيته خاضعة لاحوال المجتمع من حيث



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

تقدمه من الناحية الثقافية والفكرية والمادية ، أو من حيث اشرافه على النشء او انصرافه عنه . فالتربية الحقة هى التى تعنى بالانسان نفسه ، لهذا كان من الواجب احترام شخصية التلميذ فى المدرسة ، لا لما هو عليه ، ولكن لما سيكون عليه فيما بعد ، ولان لكل فرد قيمة سواء لما هو عليه من صفات عقلية أو اخلاقية او لنفاذ بصيرته او لما سيتصف به فى المستقبل . فالطفل وان كان على حظ ضئيل من المعرفة الا انه قد يصير ذا شان كبير فى المستقبل .

وطالما اننا وضعنا الاطار العام للتربية ، وان الاســاس فى العملية التربوية هو التركيز على النشء ، فان التربية فى دولة قطر لا تختلف كثيرا عنها فى دولة اخرى ولكن علينا ايضا ان ناخذ بعين الاعتبار امرا مهما جدا هو حرصنا على اصالة مجتمعنا وعاداته وتقاليده ، وضرورة التمسك بديننا الحنيف . فمدرسة الاسلام وتربيته يجب ان تكون اول لبنه فى بناء العملية التربوية لهذا المجتمع العربى المسلم فنحن امة لها عقيدتها التى تستمد عظمتها وقوتها من الاسلام ، ونستقى مفاهيمنا من سنة وسيرة نبينا الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه العقيدة تتمتع بكامل الحيوية ، وتستوعب نظما وتعاليم ومفاهيم لا تبلى على مر الايام والسنين ولا ننسى ايضا ان حضارة الاسلام العريقة قدمت للانسانية السعادة والرفاهية الحقيقية التى لم يشهدها التاريخ من قبل . ومن هنا كنا حريصين على التمسك بتراثنا النبيل بكل ما فيه من قيم ومثل وعمق واصالة نعتز بها ونفخر بها على مر الايام والسنين .

وبعد هذه المقدمة يسعدنى ان استعرض بإيجاز بعض الانجازات التى حققتها وزارة التربية والتعليم خلال الأعوام السابقة فى المجالات التالية :

إيمانا من الوزارة بان المناهج الدراسية شبيهة بالكائن الحى من حيث التطور والتجدد ، وتمشيا مع سياستنا الواضحة والمرسومة فى قابلية التجدد من اجل مصلحة ابنائنا الطلاب ، والنهوض بهم إلى أعلى المستويات فقد قمنا بالاعداد اللازم لتطوير المناهج الدراسية تطورا حديثا يعتمد على احدث النظريات التى توصل إليها العاملون فى حقل التربية والتعليم والذين كرسوا انفسهم لخدمة هذا المجتمع البشرى . وليس جديدا إذا قلت إن التطوير شمل جميع المناهج الدراسية بدون استثناء وقد روعى فى هذا التطور انسجام

المنهج مع طبيعة البيئة المحلية وطبيعة ان يكون المنهج محققا لمتطلبات المجتمع القطرى من الناحية الاسلامية والاخلاقية والقومية والفكرية . وبالتالى فنحن لا نالو جهدا فى البحث والاطلاع على كل جديد ، وبعقد الدورات التدريبية والاطلاعية للمعلمين والمعلمات وذلك بهدف تعميم الفائدة المرجوة على ابناء الوطن جميعا .

وقد اصبح عدد الطلاب والطالبات بمدارسنا النهارية النظامية حتى هـــذا العــام (٤٥٧٣٠) طالبا وطالبة ، وقد بلغ عدد الطالبات من هذا المجموع (٢٢١٥٢) طالبة .

وهؤلاء موزعون على المراحل التعليمية على النحو التالى :

- المرحلة الابتدائية ٢٨٢٨٨ طالبا وطالبة .
- المرحلة الاعدادية العامة ١٠٦٦٠ طالبا وطالبة .
- المرحلة الثانوية ٦٢٨٠ طالبا وطالبة

اما المراحل التخصصية (الصـــناعة والتجارة ، المعهد الدينى فمجموع الطلاب (٥٠٢) طالبا .

وقد بدأت وزارة التربية والتعليم بتنفيذ الخطة العشرية للابنية المدرسية ، وقد استلمت الوزارة حتى الآن (٣٠) مدرسة وهناك (٣٠) مدرسة تحت الانشاء وخلال العامين القادمين ستضعف مشكلة المبانى المدرسية اذا سارت الخطة حسب المقرر لها ان شاء الله .

وفى بداية العام الدراسى الحالى تم افتتاح (١٧) مدرسة جديدة وجميعها مجهزة باحدث الاجهزة ، منها تسع مدارس للبنين وثمان مدارس للبنات ، ويأتى هذا فى مقابلة الازدياد المستمر فى عدد الطلاب والطالبات ، ولتامين المناخ الدراسى المناسب لابنائنا وقد روعى فى انشاء هذه المدارس ايضا التكييف المركزى وقربها من الاماكن السكنية ، واتساع قاعات الدراسة والمختبرات العلمية والمكتبات المدرسية ، وتم انشاء القاعات الرياضية والفنيـــة والثقافية حتى يتمكن الطلاب والطالبات من الاستفادة باوقات فراغهم واستغلال مواهبهم وتصريف طاقاتهم كل حسب موهبته وقدرته .

وستداوم الوزارة على تطوير جهاز الصحة المدرسية ، وذلك ايمانا منها باهمية التكامل التربوى والصحى ، وسوف يشمل ذلك عدة امور من ابرزها :

– يجرى حاليا تنفيذ مجمع الصحة المدرســـية التى ســوف يضــم كافة الاختصاصـــــات ذات الارتبـــاط الوثيق بالعملية التربوية .

– تم وضع خطة تستهدف توثيق الصلة بين المدرسة واولياء الامور وذلك بهدف تعريف الاسرة باحتياجات الابناء من الناحية الصحية وكيفية تحقيق افضل النتائج الصحية حرصا على سلامة ابنائنا .

ولمـــا كان نجـــاح الخدمة الصحية المدرسية يعتمد على انبثاقها من داخل المدرسة ، فقد بدأت وزارة التربية والتعليم فى اعداد عيادة صحية فى كل مدرسة من مدارس الدوحة وفى بعض المدارس الكبيرة فى المناطق بهدف تعميق المفهوم الصحى لدى الطلاب واشعارهم بان الصحة حاجة اساسية للسليم والمريض على حد سواء . لقد اولت الوزارة الصحة المدرسية جانبا كبيرا ومكانا مرموقا فى خطتها التى تشمل دعم وتطوير مركز التربية الصحية ، ومداومة تدريب المدرسين والمدرسات فى هذا المجال والاستفادة من المناهج المختلفة المفيدة لخدمة هذا الهدف .

وإلى جانب اهتمام الوزارة بالتعليم النظامى النهارى ، تبذل الوزارة جهــودا كبيرة فى مجال تعليم الكبار ومحو الأمية للذين فاتتهم فرصة التعلم فى المدارس النظامية ، وذلك بافتتاح المدارس المسائية ليتسنى لهؤلاء استكمال دراستهم فى المراحل التعليمية الثلاث ، وقد بلغ عدد الدارسين والدارسات فى المرحلة الابتدائية هذا العام ٥٧٥٠ دارسا ودارسة . وفى المرحلة الاعدادية ٢٤٦٥ دارسا ودارسة – وفى المرحلة الثانوية ١٣٩١ دارسا ودارسة – كما ازداد عدد المدارس والمراكز حتى وصل الى ٦٤ مركزا ومدرسة .

بالاضافة الى اهتمام الوزارة بمشاركة وسائل الاعلام المختلفة : (الاذاعـــة ، التليفزيون ، الصحف ، المجلات المحلية) وذلك للمشاركة فى الحملة الاعلامية الشاملة لمحو الأمية والعمل على اقناع المواطنين بضرورة الالتحاق فى المراكز الدراسية المسائية .

كما ان الوزارة اسهمت بدور كبير فى الندوة العربية الاعلامية لمحو الأمية التى عقدت فى الدوحة من ٢٨ نوفمبر الى ٢ ديسمبر سنة ١٩٨١ م بهدف وضع خطة اعلامية شاملة لمحو الأمية .

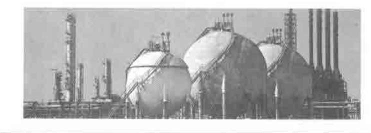
ونأمل من الله ان يأتى اليوم الذى نحتفل به بمحو امية اخر امي فى دولتنـــا الفتية .

ولقد عنى التعليم الجامعى فى دولتنا باهتمام كبير من المسئولين . لعل من أبرز نتائج السنوات العشر الماضية انشاء جامعة قطر ، وتوسعها الدائم ، وذلك لاستيعاب الاعداد الكبيرة من ابنائنا ، فالطلاب والطالبات المتوقع تخرجهم فى يونيو القادم سنة ١٩٨٣ ومن طلاب البعثات ايضا سيكون فى حدود ٤٨٣ خريجا وخريجة ، منهم ٥٦ طالبا و٢٧٦ طالبة من جامعة قطر ، و ١٣٢ خريجا و ١٩ خريجة من المبتعثين للخارج ومن كافة الاختصاصات التى تؤدى غرضها فى سد حاجة الوطن ومواجهة خطط التنمية فى البلاد .

وفى نهاية حديثى يسرني ان اتوجه بالشكر والتقدير لحضرة صاحب الســمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير البلاد المفدى ، والى ولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني على ما نلقاه منهما من دعم مخلص وتوجيهات سديدة لخدمة الأهداف التربوية التى نسعى جميعا الى تحقيقها لبناء دولة عصرية لها مكانتها المشرقة الطيبة بين دول العالم .

سائلين الله سبحانه وتعالى ان يسدد خطانا جميعا الى ما فيه الخير والسعادة لوطننا الحبيب ولامتنا العربية ..

محمد بن حمد ال ثاني



معالم السياسة المالية والبترولية في قطر

يشهد العالم فى الوقت الحاضر تدهورا فى أوضاع سوق النفط العالمية ، الأمر الذي يؤثر على شعوب الدول المنتجة التى تنتمي إلى العالم الثالث والتي تبذل جهودا حثيثة لتنمية اقتصادياتها ، وعلى الدول المستهلكة بشكل عام بما فيها الدول الصناعية التى تسعى للخروج من أزمة الركود الاقتصادي التي تمر بهـــا .

وفي ظل هذه الظروف الاقتصادية السائدة فى العالم ، اردنا ان نستوضح تاثير ذلك على دولة قطر حيث افادت مصادر وزارة المالية والبترول ان تدني انتاج الزيت الخام ، وتدني أسعاره العالمية لابد ان تنعكس اثارهما على مستويات الانفاق فى موازنة السنة المالية القادمة ... وهذا لا يعني بالطبع ان دولة قطـر تواجه ظرفا صعبا ، بل ان كل مافي الامر يستدعي أن يتم التصرف فى حدود الدخل المتوقع اكثر من اي وقت مضى ، وأن يراعى رسم السياسة المالية وترجمة ذلك فى الميزانية العامة على اساس اختيار دقيق للمشروعات ضمن اولويات واضحة .

وأفادت مصادر وزارة المالية والبترول بان المؤشرات الاولية للميزانية القادمة ستعكس الأوضاع المالية الواقعية للدولة وقدرة مؤسساتها على الانفاق الفعلي بهدف تحقيق اقرب توازن ممكن بين الواردات والنفقات ، وأن وزارة المالية والبترول لم تنته بعد من وضع موازنة الدولة للسنة المالية القادمة ، حيث يجري الآن إعدادها ، وسوف تناقش المشروعات فى مجلس الوزراء الموقر ومجلس الشورى .

وقد أوضح سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثاني ، وزير المالية والبترول عدة حقائق هامة ، حول ما يحدث فى السوق النفطية واثارها على دول منظمة الاوبك والدول النامية والتجارة والاقتصاد العالميين ... وذلك قبيل انعقاد الاجتماع الاستشاري الاخير لمنظمة اوبك فى جنيف حيث قال :

« إن امورا عدة تنتج عن تخفيض الاسعار منها انه فى المدى القصير سينقص مدخول دول الاوبك مما قد يتسبب فى خفض مشروعات الانفاق بما في ذلك مصروفات التنمية فيها ، الامر الذي سيؤدي إلى تخفيض الاستيراد من الدول الاخرى وخاصة الصناعية منها ، وفى هذا الوقت بالذات ، فان ذلك سيزيد من حدة الأزمة والركود الاقتصادى فيها رغم الجهود التى تبذلها لمعالجة مشكلة البطالة التى وصلت إلى نسب عالية » .

« إن انخفاض العائدات النفطية سينعكس بصورة مباشرة على قدرة الدول النفطية فى تقديم المساعدات الاقتصادية للدول النامية والتى بلغت نسبتها فى المعدل بالنسبة لدخلها القومي عشرة اضعاف النسبة للدول الصناعية .

« إن ذلك من شانه ايضا ان يؤثر فى السيولة الدولية الى حد كبير إذا تذكرنا أن دول الفائض كانت تستثمر جل توفيراتها من خلال المؤسسات الاستثمارية الدولية منها والنقدية والتى كانت مسئولة عن تمويل عمليات التجارة الدولية ومشاريع التنمية الاقتصادية » .

وحول دور البترول بشكل عام في التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الدولة والسياسة البترولية عامة فى قطر ، ومن خلال منظمتي أوابيك واوبك ، اضافت المصادر نفسها ان البترول يقوم بدور بارز فى عملية التنمية الاقتصادية للدولة كما هو معروف باعتباره المصدر الاساسى للدخل القومى والركيزة الاساسية فى تمويل عمليات التنمية بالاضافة الى كونه مصدرا رئيسيا فى تغطية الاحتياجات المحلية للطاقة ، ومصدرا للتغذية فى عديد مـــن الصـــناعات البتروكيماوية ..

ولذلك فان سياسة قطر البترولية ـ فى المجال المحلي ـ تهدف إلى تكريس كل الجهود فى سبيل الاستفادة القصوى من العائدات البترولية وفى دفع عجلة التقدم في البلاد ، والعمل على تحقيق التكامل فى صناعة البترول ودمجها فى الاقتصاد القومي ونشـــاطاته المختلفـــة ، والتحـــول بالاقتصاد القطري من الاعتماد على مصدر ناضب للدخل القومي الى قاعدة انتاجية متنوعة وموسعة تضمن استمرار ونمو الدخل بهدف تحقيق اكبر قسط من الرخاء للجيل الحاضر والاجيال القادمة .

وتحقيقا لهذه السياسة ، اصدر حضرة صاحب السمو امير البلاد المفدى ، الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني ، قراره التاريخي فى عام ١٩٧٤م ، بالسيطرة الكاملة على ثروات البلاد البترولية لتكون ادارتها الكاملة خاضعة للايدى الوطنية ، وقد استتبع ذلك إنشاء المؤسسة العامة القطرية للبترول والشركات التابعة لها ، وبدات بذلك مرحلة جديدة فى تطوير وتوسيع الصناعات القائمة على البترول والغاز ، وتامين الاحتياجات المحلية من المنتجات البترولية والاستفادة الكاملة من الغاز الطبيعي . فاستطاعت الدولة ، خلال سنوات قليلة من استكمال تشييد صرح صناعي ضخم فى منطقة ام سعيد ، يضم العديد من الصناعات الثقيلة اهمها : البتروكيماويات والأسمدة الكيماوية والحديد والصلب والاسمنت .

ومن أجل تلبية الاحتياجات المحلية من المنتجات البترولية ، انشات الدولة شركة البترول الوطنية للتوزيع لتتولى جميع العمليات المتعلقة بالتوزيع المحلي ، وتكرير المنتجات البترولية ، وتم إقامة مصفاة تبلغ طاقتها الحالية حوالي ١٣ الف برميل يوميا ، ونظرا للزيادة الحادة فى الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية والتى صاحبت عملية التطور الصناعى والاجتماعى فى الدولة ، فان الدولة تقوم حاليا بانشاء مصفاة جديدة ينتظر بدء تشغيلها فى اواخر العام الحالي بطاقة انتاجية قدرها (٥٠) الف برميل يوميا ،

حيث من المتوقع ان يغطي انتاجها بعد تلك الزيادة المتوقعة فى الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية حتى اوائل التسعينات وتصدير الفائض من الانتاج خلال السنوات الاولى من التشغيل .

وقد عمدت الدولة كذلك إلى الاستفادة الكاملة من الغاز المصاحب ، فاقامت وحدتين متكاملتين لسوائل الغاز الطبيعي ، تعمل الأولى على استخلاص الغازات الكثيفة من الغازات المصاحبة المنتجة من حقول النفط البرية ، وتقوم الثانية باستخلاص الغازات الكثيفة من حقول النفط البحرية . ويبلغ اجمالي الطاقة التصميمية للوحدتين يومياً ـ/ ٢٣٠٠ طن بروبان ، ١٦٥٠ طن بيوتان و ١٣٥٠ طن من الجازولين الطبيعي .

وباقامة هاتين الوحدتين يتم الاستخدام الكامل للغازات المصاحبة التى كان يهدر جزء كبير منها .

وفى اطار سياسة الدولة نحو استثمار جميع مواردها الهيدروكربونية على الوجه الامثل ، فقد قررت الدولة وضـــع خطة لاســتغلال الاحتياطات الضخمة من الغاز الطبيعى غير المصاحب التى تم اكتشافها فى حقل الشمال . ونظرا لأن السنوات الاخيرة قد شـــهدت اعتمادا متزايدا على الغاز لتوليد الكهرباء وتحلية المياه . فقد قررت الدولة فى اولوياتها وضع خطة لاستغلال هذه الغازات لتلبية الاحتياجات المحلية منها . وكذلك انشاء مشروع للغازات البترولية المسيلة بهدف التصدير والتى قطعت الدراسات الخاصة بها مرحلة متقدمة .

وبالنسبة للمستويين العربى والدولى ، فقد هدفت سياسة قطر البترولية الى توثيق التعاون البترولى تدعيما للمصالح المشتركة فى مختلف المجالات . ويعتبر انشاء مجلس التعاون الخليجى تتويجا للجهود المستمرة فى التشاور والتنسيق بين دول الخليج العربية والذى يهدف الى تحقيق اكبر قدر من التنسيق والتكامل فى جميع الميادين ، ومن بينها المجال البترولى . وقد اتخذ وزراء النفط بدول مجلس التعاول الخليجى قرارات عديدة تعمل على تعميق التنســـيق بين السياسات البترولية لدول المجلس واقليميا



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثاني
وزير المالية والبترول

بما يحقق وحدة المواقف واقامة المشروعات البترولية المشتركة .

وتحقيقا لاهمية التعاون العربى الشامل ، انضمت دولة قطر الى منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول « اوابك » وساهمت مساهمة فعالة فى انشطتها وشاركت فى المشروعات التى انشأتها المنظمة ، ايمانا منها باهمية التعاون والتنسيق بين الدول العربية الاعضاء فى مجال المشروعـــات المشتركة .

ومن اجل ارساء أساس من اقوى اسس التعاون بين الدول العربية ، وهو توظيف الطاقة فى خدمة التنمية العربية ، استضافت دولة قطر فى العام الماضى مؤتمر الطاقة العربى الثانى الذى افتتحه صاحب السمو امير البلاد المفدى وشارك فى اعماله وزراء البترول والطاقة والكهرباء ، الى جانب أكثر من ٤٠٠ من الخبراء والمتخصصين من المنظمات والهيئات العربية والاجنبية ، الذين ناقشوا الابحاث والدراسات التى تناولت قضايا الطاقة .

ولم يقتصر نشاط دولة قطر فى الصناعة البترولية على النطاقين المحلي والعربى فحسب ، بل هدفت سياستها الى توسيع هذا النطاق ليشمل المجال العالمى بالانضمام الى منظمة البلدان المصدرة للبترول « اوبك » . وكما جاء فى خطاب حضرة صاحب السمو امير البلاد المفدى بمناسبة افتتاح الاجتماع الثامن والاربعين للمنظمة والذى تم عقده فى الدوحة فى ديسمبر عام ١٩٧٦ ، فان دولة قطر ادراكا منها باهمية الاهداف التى انشئت من اجلها المنظمة ، وابعاد الانجازات التى يمكن ان تحققها لخير شعوب اعضائها ، فقد بادرت بالانضمام الى المنظمة بدافع هذا الادراك ، واسهاما بدورها فى المعاونة على تحقيق تلك الغايات والانجازات ، وكانت اول عضو انضم اليها بعد تاسيسها مباشرة .

وقد ساهمت دولة قطر مساهمة ايجابية فى انشطة المنظمة وفى اللجان الفرعية المنبثقة عنها ، كما شاركت فى اصدار الكثير من القرارات الهامة التى اتخذتها وحرصت على الالتزام الكامل بهذه القرارات تدعيما منها لوحدة المنظمة فى ظل ظروف السوق البترولية المتغيرة . فقد واجهت المنظمـــة مصاعب عديدة ـ وخاصة منذ اوائل العام الماضي ـ نتيجة عوامل عديدة مما دعا المنظمة الى اصدار قراراتها فى مارس ١٩٨٢ بالاستمرار فى تثبيت اسعار الخام القياسي العربى الخفيف عند ٣٤ دولارا للبرميل ، وتحديد سقف انتاج كلي للاوبيك قدره ١٧٫٥ مليون برميل يوميا اعتبارا من اول ابريل عام ١٩٨٢ ، وتحديد حصة انتاج كل دولة عضو وذلك بهدف توفير الاجراءات الضرورية لاستقرار السوق البترولية ، وحرصت دولة قطر على الالتزام الكامل بهذه القرارات ، ايمانا منها بان الحفاظ والتماسك والتضامن بين الدول الاعضاء فى الوقت الحالى كفيل باحتواء الازمة وتجاوزها لصالح دول المنظمة .

وقد اوضحت مصادر وزارة المالية والبترول بان الاوضاع المترتبة عن مشاكل انتاج وتسويق الطاقة سيكون لها اثرها الكبير على الأوضاع الاقتصادية فى العالم اجمع ، وفى قطر بالطبع . إلا انه بفضل السياسة الحكيمة والمتزنة التى تنتهجها الدولة فان دولة قطر تظل قادرة على التكيف مع الظروف المتغيرة ، وعلى القدرة على التنظيم الداخلى من خلال السياسات المالية والاقتصادية لمواجهة هذه المتغيرات دون ان يتعرض الاقتصاد القطرى والطاقات التنفيذية لاختناقات تضر بمسار التنمية وتحقيق النمو والازدهار ..

ومن كل ذلك وغيره . تتضح لنا معـــالم السياسة البترولية لدولة قطر والتى تركز على المحافظة على الثروات الهيدروكوبونية لاطول وقت ممكن وعلى خطط التنمية فى البلاد وتكريس جزء من الدخل القومى للبحوث التقنية النظرية منها والتطبيقية بهدف تطوير المجتمع وترشيد استهلاكه للطاقة والحفاظ عليها ، ورفـــع كفـــاءة استخداماتها مع تنميتها وتطويرها وتعميق اواصر التنسيق والتعاون على المستويين العربى والعالمى ، لتحقيق ما تصبو إليه البلاد من تقدم لخيرها وخير العالم اجمع .



شبابنا في ظل القيادة الواعية




يحرص سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني ولي العهد رئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب على متابعة ورعاية انشطة الشباب الرياضية والثقافية والاجتماعية

يعتبر اليوم الثاني من يناير ١٩٧٩ نقطة تحول حاسم وتطور حيوي في تاريخ الرياضة والشباب بدولة قطر ، ففي هذا اليوم صدر المرسوم الأميري رقم (١) بانشاء المجلس الاعلى لرعاية الشباب برئاسة سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني ولي العهد ووزير الدفاع . وبذلك بدأت مرحلة جديدة مشرقة في تاريخ الحركة الرياضية والشبابية ، اتسعت الآمال فيها الى غير حدود ، وامتلأت قلوب الرياضيين بالتفاؤل بقيادتهم الشابة الواعية .

فمنذ شبابه المبكر تابع سمو ولي العهد الحركة الرياضية والشبابية باهتمام وعن كثب ، فكان يوجه الشباب ويرعاهم ، وينصح القيادات الرياضية والشبابية الميدانية ويشجعها ، حتى التفت حوله قلوب الرياضيين والشباب قادة وممارسين يلتمسون من توجيهاته ورعايته وحماسه الدعم الأدبي والمعنوي لمسيرة الشباب المباركة .

وإيمان سمو ولي العهد بالشباب لا يعادله إلا حرصه على أهمية رعاية الشباب وتوجيهه حتى يكون لبنات مؤمنة وصلبة في بناء مستقبل وطنه وامته .

ويعبر سمو ولي العهد عن ذلك بقوله «إن الشباب هو نصف الحاضر وكل المستقبل ، وعلى عاتقه يقوم البناء الشامخ وجدير به أن يجمع الى ايمانه الراسخ ، قوة ومرونة تؤهله لأعلى المراتب» .

ولقد تم تشكيل المجلس الأعلى لرعاية الشباب كالتالي :

- سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني رئيسا .
- سعادة الشيخ ناصر بن محمد ال ثاني نائبا للرئيس .
- عضو من كبار الموظفين من كل من إحدى عشرة وزارة وهيئة .

كما عين سعادة الشيخ محمد بن عبد ال ثاني سكرتيرا عاما للمجلس .

ثم توالى تشكيل الجهاز الفني للمجلس من خمس لجان عامة ، يتم تشكيلها من بين اعضائه ، كما تم تشكيل السكرتارية العامة للمجلس حيث قسمت الى أربعة ادارات متخصصة .

ويهدف المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، الى تنظيم الانشطة الخاصة برعاية الشباب التي تقوم بها الاجهزة الحكومية والأهلية ، ودعمها وتوجيهها ، والاشراف عليها والتنسيق بينها ، بهدف تكوين المواطن الصالح بدنيا وعقليا واجتماعيا ، وإرشاده الى ما يرفع مستواه المادي والمعنوي ، وإنماء الروح الوطنية والعقيدة الدينية لديه ، وصيانته من أسباب الفساد وحمايته من الاستغلال .

وفي ١٤ مارس عام ١٩٧٩ تأسست اللجنة الاولمبية الأهلية القطرية وضمت مجموعة متميزة من الشباب القطري الطموح تحت قيادة حكيمة وواعية ممثلة في سعادة العقيد الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثاني ، لتحقيق الآمال في تطوير وتعميم وتوسيع القاعدة الرياضية في



سعادة الشيخ ناصر بن محمد ال ثاني نائب رئيس المجلس الأعلى وسعادة الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثاني رئيس اللجنة الاولمبية القطرية يتابعان بطولة العالم العسكرية لكرة القدم التي اقيمت بالدوحة



سمو امير البلاد المفدى وولي عهده الامين يستقبلان منتخب الشباب لكرة القدم بعد عودته الظافرة من بطولة العالم باستراليا .

قطر .

ولقد تشكلت اللجنة الاولمبية الاهلية القطرية على الوجه التالى :

● سعادة العقيد الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثاني رئيساً .

● الاستاذ راشد بن حصين النعيمى نائبا للرئيس .

● الشيخ عبد الله بن علي ال ثانى رئيس اتحاد الرماية والفروسية عضوا

● السيد سلطان خالد السويدى رئيس اتحاد كرة القدم عضوا

● السيد محمد ناصر النعيمى رئيس اتحاد كرة اليـد عضوا

● السيد محمد همام رئيس اتحاد الكرة الطائرة وتنس الطاولة عضوا

● السيد يوسف الساعي رئيس اتحاد العاب القوى عضـوا

● السيد ناصر العلي رئيس اتحاد كرة السلة عضـوا

● السيد حمد السليطى رئيس اتحاد البولينج عضوا

كما تمت اعادة تشكيل الاتحادات الرياضية فاختير لعضويتها صفوة من القيادات الرياضية ذات الخبرة والعزم . واتيح لمجالس ادارات الاتحادات الرياضية بدعم وتوجيه سعادة رئيس اللجنة الاولمبية وضع الاسس السليمة الراسخة للبناء الشامخ الذي كانت تطمح اليه قلوب الرياضيين .

ومع مطلع عام ١٩٨٣ اصبحت قطر معلما رياضيا هاما اكتسب سمعة عالمية من خلال الانجازات الرياضية الضخمة التى حققها الشباب القطرى تحت رعاية واعية وامينة ومخلصة . فقبل ان يختتم عام ١٩٨٢ الذى كان عام النهضة الرياضية والشبابية الشاملة . كان الاتحاد القطرى لكرة القدم قد حقق انجازا رياضيا تاريخيا بفضل دعم وتوجيه سعادة رئيس اللجنة الاولمبية القطرية . فبمناسبة استضافة الدوحة عاصمة قطر لاجتماعات الجمعية العامة للاتحاد العربى لكرة القدم التى اشتركت فيها اتحادات عشرين دولة عربية نظم الاتحاد القطرى لكرة القدم مباراة تاريخية لمنتخب العرب لكرة القدم تقابل فيها مع منتخب لاندية هولندا . وتحقق بذلك امل رياضي عربى عزيز وحبيب الى قلوب كل الرياضيين العرب . وفى مهرجان رياضى رائع انتصر منتخب العرب على منتخب اندية هولندا ٤ / ١ تحيطهم وتحييهم قلوب اربعين الف متفرج تجمعوا بالاستاد . كما تابعتهم الملايين فى الوطن العربى عبر شاشات التليفزيون .

ومع العرض القوى لمنتخب العرب عادت الذاكرة الى ايام خالدة فى تاريخ الرياضة العربية حين حقق فريق منتخب الشباب القطرى إنجازا رياضيا لم يحدث فى تاريخ كرة القدم العربية عندما فاز بالمركز الثانى فى بطولة كاس العالم للشباب باستراليا بعد ان حقق انتصارات باهرة فى طريقه الى المباراة النهائية للبطولة ، فهزم منتخبات اعرق المدارس



سعادة الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثاني يستقبل بالدوحة السيد / سمرانش رئيس اللجنة الاولمبية الدوليـة

العالمية فى كرة القدم ، حيث فاز على بولندا (١ / صفر) وعلى البرازيل (٣ / ٢) وعلى انجلترا (٢ / ١) وكانوا الأجدر والاقرب الى النصر فى المباراة النهائية ضد المانيا الاتحادية لولا هطول الامطار الغزيرة ليومين متتاليين على الملعب التى اقيمت عليه المباراة ..

وفى مقر المجلس الأعلى لرعاية الشباب واللجنة الاولمبية القطرية كان يعج المبنى بالنشاط ليل نهار كخلية نحل ، الجميع فى عمل وحركة دؤوبة تعبر عن الآمال الطموحة التى تشتعل فى هذا المبنى الانيق ذى الثمانى طوابق والذى يقع بشارع السد فى احد الاحياء الحديثة لمدينة الدوحة عاصمة قطر . فمنذ ايام عاد الى الدوحة وفد قطرى رفيع المستوى برئاسة سعادة الشيخ ثامر بن محمد آل ثانى حيث شارك فى اجتماعات الدورة السادسة لمجلس وزراء الشباب والرياضة العرب والذى عقد فى مقديشو عاصمة الصومال . وتقديراً لدور قطر فى المجال الرياضى العربى فلقد اختيرت دولة قطر باجماع المشاركين لعضوية المكتب التنفيذى الجديد للمجلس ، والذى ضم نخبة من القيادات العربية الرياضية الممتازة .

وفى نفس الوقت عاد الى الدوحة وفد قطرى رفيع المستوى برئاسة سعادة الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثانى رئيس اللجنة الاولمبية القطرية حيث شارك وفد اللجنة الاولمبية القطرية فى اجتماعات اللجنة الاولمبية الدولية واتحاد اللجان الوطنية التى عقدت فى لوس انجلوس بالولايات المتحدة الامريكية لمناقشة كافة الشئون التنظيمية للدورة الاولمبية القادمة ولزيارة المرافق ومشاهدة الاستعدادات التى قامت بها اللجنة المنظمة وإبداء الملاحظات عليها .

ولقد شارك وفد اللجنة الاولمبية القطرية فى اجتماعات الاتحاد العربى للألعاب الرياضية الذى عقدت للتنسيق بين اللجان الاولمبية العربية وذلك قبل اجتماعات المؤتمر العام كما تم التنسيق مع المجموعات الآسيوية والافريقية . كما عقد الوفد اجتماعا خاصا برئاسة سعادة الشيخ عبد الله مع اللجنة المنظمة العليا للدورة حيث تمت دراسة الاحتياجات الضرورية التى تلزم الوفد القطرى للمشاركة فى دورة الألعاب الاولمبية التى ستقام فى لوس انجلوس علم ١٩٨٤ .



قام المجلس الاعلى بانشاء صالة مغلقة للالعاب كما يتم حاليا إنشاء سبعة اندية حديثة

فالواضح انه ما إن اكتملت الأجهزة المنظمة والمشرفة على انشطة الشباب الرياضية والثقافية والاجتماعية والفنية ، حتى انطلق الجميع فى تعاون ايجابى حميم وفى تكاتف وتناغ رائع تحت قيادة سمو ولى العهد فى انشاء الصرح الرياضى لقطر على اسس علمية ثابتة .

وقد استلزم الأمر التحرك فى ثلاثة محاور اساسية لتحقيق النهضة الشبابية المرجوة :

● اولا : اعداد المرافق الرياضية والثقافية والاجتماعية والفنية اللازمة لممارسة هذه الانشطة بحيث تكون مستوفية للشروط الفنية لكل نشاط مجهزة بادواته الخاصة .

● ثانياً : اعداد القيادات التربوية المتخصصة من مدربين وحكام واداريين بالنسبة للانشطة الرياضية او كموجهين للانشطة الاخرى ، للاشراف على النشاط فى إطار قوانين فنية وقواعد خلقية وسلوكية معينة يحقق تطبيقها الفائدة التربوية المنشودة من هذا النشاط .



سعادة الشيخ محمد بن عيد آل ثاني سكرتير عام المجلس الاعلى لرعاية الشباب

● ثالثا : تنظيم الانشطة والمسابقات وتوسيع قاعدة النشاط الرياضى والثقافى والاجتماعى والفنى والاشتراك فى المنافسات الاقليمية والقارية والدولية كمجالات لاختبار المهارات والقدرات الفنية المختلفة والقيم السلوكية المكتسبة تمهيداً لتطويرها وتحسينها اولا باول .

وتنفيذا لذلك قام المجلس الاعلى باعادة تجهيز المرافق الرياضية القائمة ، كما قام بانشاء صالة الألعاب المغلقة ذات الاستخدامات الرياضية المتعددة ، وبدأ المجلس مشروعه الضخم بانشاء سبعة مقار حديثة للاندية الرياضية يتم تسليمها خلال عامين ، على ان يستكمل إنشاء مقار لباقى الاندية خلال خمسة أعوام .

ومنذ البداية قامت اللجنة الاولمبية القطرية بمعاونة الاتحادات الرياضية المختصة بوضع الخطط والبرامج اللازمة لتكوين القيادات القطرية الرياضية فى مجالى التدريب والتحكيم . ولقد قامت كافة الاتحادات الرياضية القائمة بتنظيم عدة دورات محلية للحكام والمدربين القطريين كما اشركت الممتازين منهم فى الدورات الدولية لاعداد القادة فى هذين المجالين ،

كما قامت الاتحادات الرياضية بتوفير اكبر خبراء التدريب فى الألعاب المختلفة لملاحقة التطور العالمى الفنى فى هذا المجال وفى نفس الوقت تم تعيين مدربين قطريين مؤهلين تأهيلا علميا كمعاونين ومساعدين لهؤلاء المدربين العالميين لتمهيدهم لحمل امانة التدريب فور استكمالهم لعناصر

الخبرة العمليـــة الى جانب دراستهم العلمية .

وبذلك تسـير خطة اعــداد القــادة الرياضيين وموجهوا النشــاط الثقافى والاجتماعى والفنى جنبا الى جنب مع خطة انشاء المرافق الرياضية ومرافق الانشطة الاخرى اللازمة .

اما بالنســبة للمسابقات والمنافسات المحلية والدولية ، فلقد لجأت الاتحادات الرياضية القائمة بتوجيه ومعاونة وتدعيم من اللجنة الأولمبية القطرية إلى السير فى اتجاهات متوازية لتحقيق الهدف المنشود ، فقامت اولا وبتكليف من اللجنة الاولمبية باعداد ثلاث منتخبات قومية لكل لعبة ، منتخب اول ومنتخب للشباب ومنتخب للناشئين ، وذلك حتى لا تتركز الرعاية الفنية فى اعلى قمة الهرم الرياضى وحتى يتسنى توفير عناصر شابة جديدة للمنتخب القومى الاول وتطعيمه اولا باول بالممتازين من اللاعبين فى المراحل السنية السابقة عليه . ولتحقيق ذلك كان لابد ان تتنافس الأندية الرياضية فى المسابقات المحلية طبقا لنفس القواعد حتى يتم تغذية المنتخبات القومية الثلاثة من الممتازين من لاعبى الأندية الرياضية لكل مرحلة سنية .

ومن ناحيـــة اخرى شجعت اللجنــة الأولمبيـــة الاتحـــادات الرياضـــية على الاشتراك بمنتخباتها القومية المختلفة فى كافة المسابقات الاقليمية والقارية والدولية وذلك لإكساب الشباب القطرى المهارات التى تتولد عن المنافسة ، وكذلك الى مشاركة الشباب القطرى فى المحافل الرياضية الدولية مما يكسبه معارف متعددة وصداقات مع شباب العالم ، ومع ما يستتبع ذلك من رفع اسم قطر عاليا فى المحافل الرياضية الدولية .

ولقد استلفت هذا النشاط الطموح انظار اللجنة الأولمبية الدولية ورؤساء الاتحادات الدولية والقارية مما حدا برئيس اللجنة الأولمبية الدولية السيد / خوان انطونيو سمرانش الى زيارة اللجنة الاولمبية القطرية على الرغم من ان كثيرا من اللجان الأولمبية لدول اخرى والتى انضمت الى عضوية اللجنة الاولمبية الدولية قبل انضمام قطر بسنوات لم تحظ بهذا القدر من الاهتمام والتقدير الذى ابرزه السيد / سمرانش خلال زيارته لقطر . كما زار قطر اكثر من مرة الدكتور هافيلانج رئيس الاتحاد الدولى لكرة القدم وكذلك



منتخب العرب لكرة القدم .. امل تحقق على الملعب الرئيسى باستاد خليفة الاولمبى بالدوحة .

رؤساء الاتحادات الرياضية لقارة اسيا وقارة افريقيا .

وبناء على توجيهات سمو ولي العهد ورئيس المجلس الأعلى قام المجلس باقامة اندية صيفية بالأندية الرياضية والثقافية القائمة وذلك خلال فترة الصيف من كل عام اعتبارا من عام ١٩٨٠ وذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم ووزارة الاعلام .

ويقوم المجلس بتقديم معونة خاصة تبلغ ١٦٠ الف ريال لكل ناد لتوفير الادوات اللازمة لهذه الانشطة . ولقد انشئت الأندية الصيفية فى ١٥ ناديا وتزاول فيها الانشطة الدينية والثقافية والاجتماعية والنشاط العلمى والرياضى والفنى . ولقد نجحت الأندية الصيفية فى اجتذاب الآلاف من الشباب لممارسة هذه الأنشطة المختلفة .

واقتناعا باهمية النشاط الرياضى فى اكساب الانسان اللياقة البدنية والنفسية والذهنية اللازمة لمواجهة متطلبات الحياة العصرية ، ورفع قدرة وكفاءة الانسان الانتاجية مما يتيح له ان يعيش حياة سعيدة ونافعة ، فلقد استضافت اللجنة الأولمبية القطرية ندوة « الرياضة للجميع » والتى عقدت بمدينة الدوحة فى نوفمبر ١٩٨١ م . وتقدمت اللجنة الأولمبية القطرية خلال هذه الندوة ــ التى شاركت فيها وفود خمس عشرة دولة عربية ــ بعدة ابحاث ودراسات ميدانية لتدعيم وتطوير رسالة هذا المشروع الحضارى الحيوى الهام .

ولن يتسنى استـعراض كافة انجازات المجلس الأعلى لرعاية الشـباب واللجنة الأولمبية القطرية والاتحـادات الرياضية والأندية الرياضية والثقافية فى هــذه الصفحات القليلة ، ولكننا لا نملك إلا ان نحيى هؤلاء الرجال الذين يعملون ليل نهار باخلاص وتجرد وبجهد لا مثيل له لمواكبة النهضة الشاملة التي تشهدها دولة قطر فى كافة مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والصناعية والاجتماعية والتى يقودها بحزم واقتدار حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى امير البلاد المفدى وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى ولي العهد وزير الدفاع ورئيس المجلس الاعلى لرعاية الشباب .

وتتضح الرؤيا ويتحدد الطريق على ضوء كلمات حضرة صاحب السمو امير البلاد المفدى فى إحدى خطبه إذ يقول سموه حفظه الله «وإننى لحريص فى هذه المناسبة ، وفى كل مناسبة ، على ان اؤكد على اصل جوهرى من أصول سياستنا الداخلية ليظل ماثلا فى وجدان كل منا ، الا وهو ان الهدف النهائى الحقيقى لكل جهودنا فى سبيل تحقيق نهضتنا ، هو رفع نوعية الانسان القطرى ، حتى يكون اعظم حبا لوطنه وتعلقا به ، واكثر إدراكا لحقوقه وواجباته ، واعمق فهما لقدره وكرامته ، واشد اقبالا على المشاركة فى بناء دولته ، واكبر قدرة على الارتقاء بها الى المستوى اللائق بتراث امته ، الكفيل بتحقيق المزيد من هناء بلده فى حاضره ، واكثر ما يمكن من الازدهار فى مستقبله» .

عبد الرحيم أبو عوف



جزء خاص

٢٢ فبراير

و ١١ عاما في حياة قطر الحديثة

الإعلام القطري : المنهج والمسار

بقلم : عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر .

كان للتطور المذهل الذى طرا على حقل الاعلام فى عصرنا الحديث ، انعكاسات وتاثيرات بالغة الاهمية على مختلف نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للشعوب فمن قبل تناهى تطور المجتمعات لتتبلور فى صيغة الدولة . وبعد ذلك ، كان الاعلام يمثل الصلة بين الحاكم والمحكوم . فهو فى صعوده ينقل وجهة نظر الراى العام ازاء الاحداث ، كما كان فى نزوله يحمل تفسير الحاكم للمتغيرات التى تحدث فى المجتمع وتمس الظروف المعيشية والحياتية لافراده .

ولقد واصل الاعلام تطوره كاى كائن حى حتى وصل الى عقبات القرن العشرين ولم يزد تطوره على الصحيفة التى كانت تحمل القليل من الاخبار والكثير من المقالات وكان التغيير الذى حدث اوائل القرن ، هو ظهور الاعلان كعنصر من عناصر الصحيفة يغطى بعض نفقات طبعها ، لتزيد الاعداد المطبوعة منها ، وتصل الى عدد اكبر من القراء بعد أن صار ثمنها زهيداً بالقياس الى ما كان من قبل . ثم تتولى التطورات فتظهر وكالات الانباء والاذاعة والتليفزيون وما ان ياتى النصف الثانى من هذا القرن حتى تتسارع الخطوات بصورة جعلت الانسان يلهث فى ملاحقتها . فلقد كان للثورة العلمية والتكنولوجية التى حدثت فى ذلك الزمن الوجيز ، اثرها الكبير على وسائل الاعلام من حيث البناء والتقنية . ولكن التطور الذى حدث بحق هو ما لحق الاعلام من حيث وظيفته ، فلم يعد الاعلام يسير ذلك المجال الذى كان يعمل فيه من قبل كصلة بين الحاكم والمحكوم ، بل تطور ليلعب دورا فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، وليحمل على كاهله اعباء وليرتاد مجالات لم تكن فى الحسبان .

واذا كان للدول الكبرى اهداف ومرام كامنة وراء اعلامها ، فان الدول الآخذة حديثا باسباب النمو ، والتى تسابق الزمن لتقطع المسافة بينها وبين الدول التى اخذت باسبابه من قبل ، توظف الاعلام بما له قوة التاثير فى النهوض بمواطنيها والارتفاع بمستواهم الاجتماعى والاقتصادى والثقافى ، مستفيدة فى ذلك بالامكانيات الهائلة التى تتيحها وسائل الاعلام الحديثة ، بما دخل عليها من تطور تكنولوجى .

وترتكز فلسفة الاعلام فى قطر ، على عدد من الاسس والمفاهيم ، ارسى قواعدها امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى يوم اصدر القانون رقم (١٤) لسنة ١٩٧٢ م بانشاء وزارة الاعلام ، ثم يوم اصل هذه القواعد بالقانون رقم (٦) لسنة ١٩٨١ م بتنظيم وزارة الاعلام ، الذى يعتبر منهاجا تسير عليه اجهزة الاعلام فى الدولة .

فليس من شك فى ان الهدف الذى تعمل من اجل تحقيقه جميع اجهزة الدولة فى قطر ، هو خدمة الانسان القطرى والارتقاء بمستواه الاجتماعى والاقتصادى والثقافى ويقوم الاعلام بدوره فى هذا المجال بتوعية المواطن ليقوم بدوره فى خطة التنمية ، بشرح اهدافها الرامية الى رعايته صحيا واجتماعيا وثقافيا . ولا تألوا اجهزة الاعلام جهداً فى سبيل نشر الوعى السياسى لدى المواطن . وذلك بشرح القرارات التى تتخذها قيادته السياسية فى القضايا الداخلية والخارجية ، والاعلام بذلك يخلق لدى المواطن شعورا بالوحدة الوطنية ، ويحدوه ذلك الى المشاركة فى شئون بلده .



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

وتولى أجهزة الاعلام فى قطر المنطقة الخليجية عناية خاصة كمنطقة تربطها بها اوثق روابط التاريخ والموقف والمصير ، وتبرز بصفة دائمة الخطى الجادة والمسئولة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ازاء التحديات والمخاطر المحيطة بالمنطقة باعتبار انها اصبحت تمثل فى عالم اليوم شريان الطاقة وعصب الحضارة الحديثة .

كما ان قضايا الوطن العربى تحتل مكانتها البارزة واللائقة فى اعلامنا القطرى فالاحداث تثبت كل يوم ان قوة الامة العربية تكمن دائما فى وحدة مواقفها ، كما تثبت أيضاً انه إذا تباعدت المواقف او اختلفت التوجهات فى بعض الأحيان فان تلك التباعد او الاختلاف يكون امراً عارضا لا يمثل قاعدة ، اذ سرعان ما يلتئم العقد وتتحد خطوات المسيرة .. ولقناعة الاعلام القطري التامة بذلك فان احداث العالم العربي تحظى بجليل اهتمامه مبرزاً المناسبات الهامة لكل قطر عربي مسانداً لشعوب الأمة العربية فى قضاياها المصيرية والعادلة عضداً ومؤيداً ونصيراً .

كذلك يهتم اعلامنا القطرى باحداث امتنا الاسلامية التى يربطها بشعب قطر اوثق رباط هو ديننا الاسلامى الحنيف ، وتحتل تلك الأحداث مساحات واسعة فى جميع وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

ويؤكد الاعلام على سياستنا الانسانية ، التى تقوم على تهيئته الفرص العادلة لتمكين جميع الشعوب لتنعم بكامل استقلالها القومى ، وحرية ارادتها الوطنية ويخاطب اعلامنا العالم الخارجي بمنطق واضح صادق يشرح به القضايا الوطنية والعربية وهو اذ يهتم بالعالم الخارجى فانما يفعل ذلك لقناعته بانه قد ولى ذلك العهد الذى كان يمكن فيه لاية دولة ان تعيش بمعزل عن الأخرى حتى ليبدو عالم اليوم وكانه وحدة متماسكة . فليس هناك من ينكر وجود راى عام عالمى يتاثر بالاحداث ويؤثر فيها ، رغم التكتلات المتطاحنة ، والاحلاف المتنافسة .

تلك هى أهم الاسس التى يقوم عليها الاعلام القطرى ويعمل فى سبيلها وفى اطارها بجميع وسائله .

وقد اثبتت التجارب ان الاعلام القطرى كان دائما على مستوى مسئوليته الوطنية والقومية كما اثبتت صدق الحس الاعلامى لدى العاملين فى هذا المجال الهام من مجالات العمل الوطنى ازاء الاحداث

الاستوديوهات الجديدة فى الاذاعة .



أشهر الفرق العربية على خشبة مسرح قطر الوطنى .

المتلاحقة والمتغيرات المتسارعة التى المت وتلم بهذه المنطقة الهامة من العالم الا وهى منطقتنا العربية ، ولم تكن معالجة الاعلام القطرى لتلك الاحداث والمتغيرات قائمة على الحماس والنظرة العابرة للأمور ، بل كانت قائمة على التحليل الواعى والنقد المتفهم لاسبابها وابعادها ونتائجها .

وقدم بذلك للمواطـن القطـري والعربي والانسان فى كل مكان الراى والفكر والمنطق لاستيعاب ابعاد تلك الأحداث وانعكاساتها على الساحة الوطنية والقومية والعالمية وكان فى ذلك نشطا ومتحدثا امينا كسب الرأى العام محليا وعالميا الى جانب ما يؤمن بانه الحق والعدل .

تحية صادقة الى الجنود العاملين فى الاعلام القطرى الباذلين الجهد والوقت عن رضى فى سبيل رفعة شان وطننا العزيز .

عبد الله محمد صادق




مجموعة متعددة من طوابع البريد التى صدرت عبر السنوات الماضية

تاريخ قطر في طوابع البريد

حققت دولة قطر فى سنوات معدودة فقط نقلة حضارية يصعب حتى على الدول الكبرى تحقيق مثلها .. فقد استطاعت خلال احد عشر عاما التي اقترنت بتولي سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير البلاد المفدى مقاليد الحكم فى البلاد عام ١٩٧٢م – ان تقيم قواعد ثابتة للدولة التى تعي كيف تخطط ، وتدرك كيف تنفذ على جميع الاصعدة والميادين مستندة إلى توازن الانشطة فيها . فانتقلت بذلك الى مصاف الدولة العصرية .. دولة العلم .. دولة تامين سبل الحياة .. دولة توفر الامان والاستقرار لكل من يعيش على ارضها .

وكان من الطبيعي ان تشهد الخدمات التي تؤديها الدولة لتامين راحة المواطنين ولتسهيل سبل العيش ، تطورا شاملا عم كل مرافق الخدمات العامة وعلى راسها الخدمات البريدية بحيث أصبحت ادارة البريد وفروعها المنتشرة فى جميع انحاء الدولة شاهدا على هذه النهضة ، وهذا التقدم للدولة الفتية .

انشيء البريد فى الزمن السالف لكي يمكن السلطات العامة من الاتصال باقاليمها النائية او بجيوشها فى ميادين

حرصت طوابع البريد في قطر على متابعة الاحتفالات والمناسبات الهامة والتاريخية .



القتال .. ثم وضع بعد ذلك تحت تصرف الأهالي ، فاصبح صلة الوصل الوحيدة لفترة طويلة بين الناس والمؤسسات العامة ثم نظم البريد في كل مكان كخدمة قومية عامة ذات طابع إداري .

ومع التحولات السريعة والعميقة التي شهدها العالم فى العقود العشرة الأخيرة في مختلف قطاعات النشاط .. شهد عالم المواصلات بنوع خاص ثورة حقيقية . وبطبيعة الحال لم تهمل الانشطة البريدية خلال هذا التحرك حيث اخذت الحاجة إلى المواصلات البريدية التي شملت تحويلات الاموال وارسال البضائع خفيفة الوزن تتسع وتتنوع بذات القدر .. واصبح يتعين على الادارات التي تؤدي هذه الخدمة السعي الى تطوير الأساليب التى تمكنها من القيام بها .

ودولة قطر حرصا منها على مسايرة ركب الحضارة بدات في تنظيم البريد بانشاء ادارة له عام ١٩٦٣ اخذت على عاتقها مسئولية تطوير وتحسين الخدمات البريدية بما فيه صالح الوطن والمواطنين . وفي مجال دعم الخدمة البريدية ارتفع عدد المكاتب الى ٢٢ مكتبا بعد ان كانت ثلاثة فقط في كل من مدينة الدوحة ودخان وام سعيد ، اضافة الى الوكالات البريدية المنتشرة فى اماكن عدة من الدولة ، ومكتب بريد المطار الذي يدوم العمل فيه على مدار اربع وعشرين ساعة يوميا في مجال التبادل الخارجي .

اما عن الارساليات المباشرة مع دول العالم ، فقد شهدت نموا مضطردا حيث ارتفع عددها من ثلاث ارساليات مباشرة عام ١٩٦٣ إلى حوالي مائة إرسالية عام ١٩٨٢م عدا إرساليات البريد السطحي التى تنتقل عن طريق الجو والتى كان لدولة قطر الريادة فى دخول مجالها .. فهي من اوائل ادارات البريد في الخليج العربي التي اعتمدت اسلوب نقل البريد بكامله جوا سواء اودع بالبريد الجوي ام بالبريد العادي .. كما تعتبر ادارة بريد قطر ادارة سباقة في مجال خدمة البريد الممتاز «داتا بوست» مع عدة ادارات عربية واجنبية .

تاريخ قطر في طوابع البريد



جموعة اخرى من طوابع البريد ، تتضح فيها الدقة والبساطة والذوق الجميل .

قد بدأت بالفعل مع دولة البحرين والكويت وتونس وبريطانيا وفرنسا وهولندا واليابان فى تقديم هذه الخدمة الممتازة التى تقدم لأول مرة فى منطقة الخليج وهي خاصة بتسهيل مهمة الشـركات والمؤسسـات والبنـوك والمرافق الحكومية .

مراكز حديثة للبريد

وتقوم ادارة البريد بفرز عمليات جمع الرسائل عن طريق شبكة ممتازة من صناديق البريد تنتشر في الشوارع الرئيسية والأحياء السكنية والفنادق والمؤسسات الكبرى والقرى وفي المكاتب البريدية حيث تقوم بتفريغها السيارات البريدية حسب المواعيد المبينة عليها . ويتم توزيع البريد الوارد على صناديق البريد الخصوصية المؤجرة للمشتركين والتى ارتفع عددها من تسعمائـة صندوق الىحوالى اثنى عشر الف صندوق موزعة على مكاتب البريد المختلفة ، كما ادخلت الات بيع الطوابع الاتوماتيكية والختم التلقائي وآلات التخـليص البريـدي للادارات الحكومية والمؤسسـات وغيرها .

هذا ويجري العمل حاليا في بناء مركز حديث للبريد الآلي فى منطقة الخليج الغربي مزودا باحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا البريدية الحديثة . يضم المركز خمسة وعشرين الف صندوق بريدي ، كما يشتمل مبناه على جراجات متعددة الطوابق تسع اكثر من ستمائة سيارة في ان واحد . ومن المنتظر ان ينتهي العمل فى هذا المركز مع اواخر عام ١٩٨٤م .

وفى سبيل تقديم الخدمات البريدية على اكمل وجه للمواطنين . فقد اهتمت ادارة البريد بدولة قطر بتدريب موظفيها وتاهيلهم لرفع كفايتهم الانتاجية . فارسلت عددا كبيرا من موظفيها إلى عدة بلدان



احتفال برفع العلم العماني على «صحار» وتدشينها بعد الانتهاء من صنعها في ١٦٥ يوما

والقدرة والسرعة والتصميم للسـفن التجارية العربية في القرون الوسطى .

والعرب القدامى لم يكونوا يستخدمون المسامير في صنع «البوم» ، وإنما كانوا يخيطونها معا ، وهذه نقطة هامة للغاية ، فاذا أردت أن تكون سفينتي حقيقية ينبغي ان تكون مربوطة بالحبال لا بالمسامير ، يا لها من فكرة شاذة ! .. ولكن لا سبيل الى تجاوزها ، فاننا نعرف من الرحالة القدماء ومنهم «ماركو بولو» أن السفن العربية كانت مربوطة الاجزاء بواسطة حبال مصنوعة من الياف ثمرة جوز الهند . ويقال ان العرب لم يكونوا يستخدمون المسامير في سفنهم لأنهم كانوا يتصورون أن هناك احجارا مغناطيسية قوية في قاع البحر تجذب فورا كل الحديد من السفن العابرة .

وللبحث عن مزيد من المعلومات عن السفن العربية القديمة قمت بزيارة سلطنة عمان ، وتقع عمان عند مدخل الخليج ولها تراث ملاحي كبير ، فكثيرا ما نجد عبارة «السفن العمانية» مذكورة في النصوص البحرية القديمة . ومن المهم أيضاً ان نلاحظ أن عمان ظلت محتفظة بتراثها المتصل في صنع السفن العربية حتى عام ١٩٧٠ .

كانت عمان بلادا مغلقة من الناحية الفعلية يعيش سكانها كما كانوا يعيشون منذ قديم الزمان الى ان اعتلى عرشها سلطان شاب قادر ، قابوس بن سعيد ، فبدات بلاده تخرج فجاة الى العالم الحديث .

امدتني شواطىء عمان وموانيها بمعلومات ثمينة عن السفن العربية التقليدية وكيفية بنائها ، ولكن الأهم من ذلك أن العمانيين انفسهم اعطوني صداقتهم واستمعوا في حدب وتعاطف الى مشروعي ، فقد رحب بي في مسقط العاصمة صاحب السمو السيد فيصل بن علي ال سعيد وزير الثقافة والتراث القومي ، وقمت بدعوة من الوزير بعرض فيلم عن «رحلة برندان» وتحدثت عن مشروعي الجديد «رحلة السندباد» .

وبعد اسبوعين اتصل بي السيد فيصل ، وأبلغني ان جلالة السلطان قد وافق على المشروع ، وأن وزارة الثقافة والتراث القومي سوف ترعاه .

أردت أن اتاكد ما المقصود بهذه «الرعاية» فوجدت نفسي في مكتب الوزير مرة اخرى ، وأبلغني بأسلوب غاية في الرقة والكرم هذه الرسالة : ان عمان سوف تتكفل بكل

في خطى السندباد

رحلة "السفينة صحار" من عمان إلى الصين

نفقات المشروع من جيب السلطان الخاص ، نفقات السفينة وطاقم البحارة والرحلة وكل شيء ، وذلك نيابة عن الشعب العماني ، والعالم العربي باكمله .

● ●

انقضى العام التالي في مزيد من السفر والبحث والمفاوضات والاتفاقات والتاخيرات والنكسات الصغيرة ولكن ايضا مع التقدم التدريجي الحثيث ..

من الطلبات القليلة التي طلبها مني السيد فيصل ان تبدأ الرحلة يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٨٠ ، اثناء الاحتفالات بالذكرى العاشرة لارتقاء السلطان قابوس الحكم ، ومعنى هذا انه كان امامي اقل من ١٥ شهرا انجز خلالها تصميم السفينة ، واجمع موادها ، وابنيها ، واجند البحارة ، واحصل على المؤن ، واحدد خط السير ، واحصل على اذن الحكومات التي سوف امر ببلادها في الطريق بما فيها جمهورية الصين الشعبية .

وكخطوة اولى قمت باختيار مكان للبناء يعد بمثابة فال حسن للمشروع ، وهو مدينة صور الساحلية في اقصى الطرف الشرقي لعمان ، فهنا وخلال قرون متعاقبة كان بناؤو السفن العرب يبنون السفن التجارية العمانية التي تمخر عباب البحار من زنجبار في الجنوب الى الهند وسريلانكا (سيلان) في الشرق لاحضار الاخشاب الثمينة والتوابل والعاج .

وقام «كولين موري» وهو مهندس بحري بريطاني سبق ان وضع التصميمات الرئيسية لقارب برندان ، بعمل نفس الشيء لتصميم «بوم» عربي من القرون الوسطى مستفيدا من المعلومات التي استطعت تقديمها اليه وبموهبته الخاصة في فهم الطرق القديمة لبناء السفن .

وكان الحصول على المواد اللازمة لبناء السفينة عملا شاقا ، فالعرب القدامى لم تكن لديهم اخشاب جيدة لبناء السفن لذلك كانوا يستوردون خشب الساج من ساحل مالابار بالهند ، ولكن في عام ١٩٧٩ منعت الحكومة الهندية تصدير خشب الساج الخام ، ولحسن الحظ كان هناك نوع مشابه من الخشب يدعى «ايني» لا يشمله الحظر .

وقمت بسبع زيارات لغابات غرب الهند لتحديد موضع اشجار «ايني» التي احتاجها ، ووضع العلامات عليها ، وتدبير قطعها ، وبذلك حصلت على اكثر من ١٤٠ طنا من الكتل الخشبية قامت الافيال بجرها من الغابات الى ساحل المحيط حيث نقلت بالسفن الى صور .

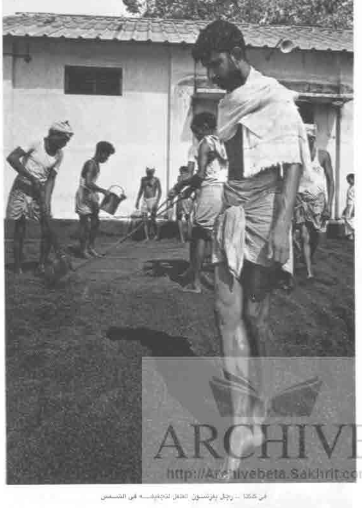
واذا كانت هذه العملية قد استغرقت وقتا ثمينا إلا انه كانت تنتظرني عملية اخرى لا تقل عنها استهلاكا للوقت وهي البحث عن الرجال الذين يمكنهم ربط اجزاء سفينة بحبال جوز الهند ، وقد علمت ان هذه الطريقة كانت تستخدم حتى وقت قريب في صنع القوارب الصغيرة في عمان ، ولكنها ضاعت تقريبا الآن ، وعلاوة على ذلك فان الرجال الذين احتاجهم يجب ان يكونوا في إمكانهم ربط «فلنكات» من الخشب يصل سمكها احيانا الى ثلاث بوصات .

وعلمت ان مثل هؤلاء الرجال يعيشون في جزيرة «اجاتي» في منطقة «لاكشادويب» البعيدة التي تقع على مسافة ٢٤٥ ميلا الى الشاطيء الجنوبي الغربي للهند ، ومن الغريب ايضا ان جزر «لاكشادويب» نفسها هي التي كان يقصدها بناة السفن العربية في ايام السندباد للحصول على حبال جوز الهند وذهبت الى «اجاتي» حيث قمت باستئجار عشرة من رجال الحبال كما اشتريت ما طوله ٤٠٠ ميل من حبال جوز الهند اللازمة لصنع سفينتي .

وهذه الحبال تصنع بطريقة خاصة فهي اولا تنتزع من ثمار جوز الهند بعد ان تترك لتتعفن في مياه البحر ، وليس في الماء العذب ثم تدق بمطارق خشبية لان المطارق الحديدية تجعل نسيجها ضعيفا ، واخيرا تغزل باليد لان الحبال التي تغزل بالالات لا تكون قوية بما فيه الكفاية .

وفي يوم اول السنة الجديدة ١٩٨٠ كان فريق بناء السفينة قد تجمع في صور ، والى

السندباد يتمتع بثرواته خلال فترات الراحة بين رحلاته



فى كلكتا ـ رجال يفرشون الغزل لتجفيفـــه فى الشـــمس

جانب عمال الحبال كان هناك حوالى اثنى عشر من صناع السفن العمانيين بالاضافة الى «كتيبة» من النجارين الهنود استجلبتهم من مالابار بالهند .

كان العمانيون يشتغلون بقواديم ذات شفرات حادة كسن الموسى لتشذيب عروق السفينة ، بينما كان الهنود يفضلون استخدام الازاميل المصنوعة من الحديد اللين ، إذ يستطيعون بها تشكيل التجويفات المتداخلة فى بدن السفينة وعمل التعشيقات المعقدة فى صواريها ، وقد نحتوا الصارية الرئيسية التى يبلغ طولها ٦٠ قدما من جذع شجرة واحدة فبدت كانها قد صنعت على مخرط عملاق .

كان شاطىء صور يضج بطرقات المطارق والازاميل ، وضربات القواديم والشواكيش بينما اخذ جسم السفينة يتشكل ويظهر للعيان ، هيكل ضخم طوله ٥٢ قدما ، واذا كانت هذه السفينة لابد ان تكون جاهزة يوم ٢٣ نوفمبر فلا ينبغى ان نضيع لحظة واحدة وقد تعلم فريقى ان لا يسالنى متى نصنع هذا او ذاك ، فان اجابتى تكون دائما «اليوم» ، ونتيجة لذلك أطلق العمال علي فيما بينهم لقب «السيد اليوم» ـ (مستر توداى) !

بذل الرجال جهدا خارقا ، حتى فى حرارة الصيف تحت درجة ١١٨ فهرنهايت ، وما ان حل شهر يوليو حتى اصبح العمل فى مرحلته الاخيرة . وهى سد الثقوب المصنوعة يدويا والتى تمر فيها الحبال وعددها ٢٠ الف ثقب ، وقد سددناها من الداخل بقشور جوز الهند ، ومن الخارج بمزيج من الصمغ النباتى والليمون . واخيرا مسحنا داخل السفينة بالزيت النباتى كمادة حافظة . وقد اخبرنى عمال الحبال انه إذا تم تزييت السفينة بصفة منتظمة فانها تعيش فترة تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ سنة ، فى حين ان السفينة المصنوعة بالمسامير لا تبقى اكثر من عشر سنوات قبل ان يكون من الضرورى تغيير كل مسمار فيها .

وبعد ابهج حفل تدشين شهدته فى حياتى نزلت السفينة الى البحر ، لقد جاء رجال القبائل من داخل عمان ، والصيادون من القرى الساحلية ، وقباطنة البحر القدامى من صور ، وهم يرتدون ثياب الاحتفالات الزاهية ، وتجمعوا جميعا يرقصون ، ويغنون ، ويحتفلون بمولد سفينة جديدة ، وبناء على طلب من السلطان تلقت السفينة اسمها ، لقد سميت باسم المدينة العمانية التى اشتهرت فى العالم العربى زمن الرحلات الصينية او هى نفس المدينة التى ينسب اليها مسقط راس السندباد نفسه .. «صحار» !

● ●

خصصت الاسابيع الأخيرة لمقابلة وانتقاء افراد الطاقم ، وكان من اوائل المتطوعين جاويش شاب من القسم البحرى بالشرطة الملكية العمانية يدعى «خميس» ، وقد صعد «خميس» الى ظهر «صحار» فى ميناء مسقط حيث كنا قد حركناها الى هناك ، وكان يرتدى زيا عسكريا نظيفا ، وحيانى تحية عسكرية قوية الى درجة ان جسمه اهتز من الراس الى القدم بعد الانتهاء منها ، وصاح قائلا فى نبرة عسكرية سليمة «خميس يا سيدى !» ثم اضاف فى ابتسامة عريضة «اريد أن ابحر الى الصين» . ولم يكن فى استطاعتى بالطبع ان ارفض هذه الحماسة ، ووافقت على انضمام «خميس» على الفور . واعقب «خميس» سبعة عمانيون اخرون معظمهم مدنيون لهم خبرة فى الملاحة البحرية ، ولكن احدهم كان ضابطا فى البحرية الملكية العمانية ، واسمه ايضا «خميس» ، ولكى نفرق بينهما كنا نسميهما على التوالى «خميس بوليس» و «خميس بحرية» .

أما العشرة الاخرون من افراد الطاقم فقد كانوا جميعا غربيين ، ومنهم ثلاثة من البيولوجيين البحريين وكانت مهمتهم جمع العينات البحرية والقيام بتجارب الكشف عن التلوث ، واثنان من الغواصين المحترفين ، ورجل لاسلكى لتشغيل جهاز الراديو الصغير على سطح السفينة ، ومصور يدعى بورس فوستر لتشغيل الكاميرا واجهزة التسجيل الصوتى ، ثم صديقى القديم من رحلة «برندان» «تروندور باترسون» . وفنان من جزر فارو ، واخيرا ـ لحظنا العاشر ـ كان هناك «شانبى» !

جاء «شانبى» فى اخر دقيقة ، وكنت فى حاجة الى طباخ ، وزعم انه كذلك ، كان شانبى من بلوخستان ذا سن غير محدد ، يمتلىء جلده بالتجاعيد ، وقد قدمت له عرضا عن طريق مترجم على سطح السفينة : ان يطبخ وجبة غذاء لأفراد الطاقم ، فاذا اجتاز الامتحان ، اجزناه .

كانت الوجبة عبارة عن حساء خضار بالكارى ، ولاباس بها عموما ، فحصل شانبى على وظيفة طاهى ، ولكن كما تبينا فيما بعد لم

في خطى السندباد

رحلة السفينة صحار من عُمان إلى الصين

يكن «شانبى» يعرف أن يطهو غيرها ، وهكذا صار علينا ان ناكل نفس هذه الوجبة غير الشهية معظم أيام الشهر .

وفى يوم ٢٣ نوفمبر تجمع جمهور غفير من المودعين فى القاعدة البحرية بمسقط لمشاهدة الاقلاع ، وحضر السيد فيصل الحفل وقامت عدة زوارق حربية واليخت الملكى بمرافقة «صحار» حتى ابتعدت عن الشاطىء .

انسابت «صحار» فى اليم بسهولة ، وتوجهت الى تروندور الذى كان يقف بجوار الدفة الكبيرة التى يبلغ طولها ١٠ اقدام ، وقلت له : اتجه الى الجنوب الشرقى حتى نبتعد عن الأرض .. ابحروا ..» واندفع البحارة العمانيون الى الشراع الكبير الذى كان مطويا ، وراحوا يفردونه وهم يرددون «بالله .. بالله .. والله المعين» واخذ الشراع الكبير ينفرد ببطء على طول السارية الضخمة بواسطة حبل من القطن الخفيف حتى انبسط تماما وامتلأ بالريح ، ودلفت السفينة الى البحر العريض .

● ●

من القواعد المعروفة بالنسبة للابحار فى المياه العميقة ان الايام القليلة الأولى تكون مدعاة لخيبة الامل ، ففى هذه الفترة قد تنقطع الحبال التى لم تختبر بما يكفى ، وتفك العقد التى لم تعقد كما يجب او على العكس تلتصق بشدة فلا يسهل استخدامها ، وتنهار التجهيزات التى عقدنا عليها الآمال ، وتضيع الساعات فى البحث عن الاشياء التى دفنت دون ان نعرف مكانها اثناء الدقائق الاخيرة من تحميل السفينة .

وهكذا كان الأمر مع «صحار» ، ولكن ما إن التقطنا الرياح التجارية الشمالية الشرقية (مونسون) القادمة من الهند وتوغلنا فى البحر العربى بسرعة تتجاوز اربع عقد ، حتى بدأت الفوضى تهدأ تدريجيا ، واخذت الحياة على ظهر السفينة وقعا منتظما .

كان يومنا يبدا مع الفجر حيث يؤدى العمانيون الصلاة ، ويلى ذلك الافطار بالخبز والشطائر ، وهو شىء لم يستطع حتى شانبى أن يفسده ، ولكنه كان كسولا بطيئا امام مقلاته لدرجة اننا بدانا نخلط بين الافطار والغذاء ، وكان افراد الطاقم مقسمين الى ثلاث ورديات بحيث يعمل كل رجل اربع ساعات ويستريح ثمانى ساعات إلا فى حالات الطوارىء والمهمات الخاصة ، ومن امثلة الأخيرة تغيير مجرى سير السفينة ، وهى مناورة سهلة بالنسبة للزوارق الحديثة ولكنها اصعب بكثير بالنسبة «لصحار» باشرعتها الضخمة المثلثة الشكل حيث احد صواريها يزن اكثر من سيارة صغيرة .

● ●

بعد أن قطعنا ٣٠٠ ميل بعيدا عن مسقط بدات اجوب الطرق التى كان يستخدمها العرب الأوائل فى تحديد موقعهم فى البحر ، لقد كانوا يستخدمون النجوم بدلا من الشمس فى تحديد العروض التى يوجدون بها ، ولايزال العمانيون من افراد طاقمى يشيرون الى الاتجاهات باسماء النجوم لا مؤشرات البوصلة .

كانت اداة الملاحة الرئيسية لدى العرب الأوائل بسيطة بدرجة مدهشة ، تسمى «الكمال» ، وهى عبارة عن قطعة مستطيلة من الخشب يخترقها خيط به عقد ، وكان قبطان السفينة يضع طرف الخيط بين اسنانه ويجعل الحد الجنوبى للقطعة الخشبية ملتصقا بخط الافق ، وعن طريق رصد مكان النجم القطبى بالنسبة للجهاز يمكنه تحديد زاوية النجم القطبى فوق الأفق ، ومن ذلك يعرف دائرة العرض التى توجد فيها السفينة



غواص يحمل حفنة من الاحجار الكريمة فى سريلانكا

وبعد ان تمرنت على استخدام «الكمال» الذى صنعه البحارة بانفسهم اصبح فى إمكانى ان احدد خط عرض «صحار» بحيث لا يتجاوز الخطا ٣٠ ميلا من موقعها الحقيقى .

ولكن العرب الاوائل لم يكن بمقدورهم قياس خطوط الطول ، ولم يكونوا بحاجة ماسة الى ذلك ، لأن كل الشواطىء التى تقابلهم فى الطريق الى الصين تمتد بشكل عام من الشمال الى الجنوب ، وكانوا كاساتذة فى الملاحة البحرية يعرفونها بالنظر .

سارت السفينة بثبات فى اتجاه الجنوب الشرقى فى بحر العرب ، وكنت مسرورا بادائها الممتاز ، فقد كانت تشق طريقها بسهولة بين الامواج بدلا من ان تحاربها وتلاطمها ، كما لو كانت تتصرف بذكاء .

اشد ما كان يضايقنا هو الرائحة الكريهة المنبعثة من المياه الآسنة فى جوف المركب ، وهى غاز هيدروجين السولفيد الذى تسببه البكتريا فيما يبدو ، وقد تسبب هذا الغاز فى إحساسنا بحرقان الزور والصداع ، ولكن تاثيره كان قاتلا بالنسبة للراديو ، إذ سرعان ما كان يغلق دوائر الراديو فلا تنبعث عنه سوى إشارات ضئيلة ضعيفة . وقد اضطرتنا هذه الرائحة الكريهة الى قضاء معظم الوقت على سطح السفينة فى الهواء الطلق إلا إذا هطلت علينا الأمطار الاستوائية بغزارة .

اما دورات المياه فقد صنعناها على نمط السفن العربية القديمة ايضا ، وهى عبارة عن «شرفتين» مثبتتين فى مؤخرة السفينة ومطلتين على البحر مباشرة ، مثل «بنوار» المسرح ، وكنا فى الليالى الحارة نستطيع أن نقف فى هاتين الشرفتين حيث نرفع مياه البحر المليئة بالحبب بواسطة جردل ندليه بحبل ، ونأخذ حماما ، وقد كان شيئا ساحرا أن نقف فى الظلام ومياه البحر تنساب على رءوسنا كالجداول تاركة وراءها حبيباتها اللامعة على اجسادنا كاليراعات الصغيرة .

لم تصادفنا متاعب فى بحر العرب ، كانت السفينة تمخر عباب المياه فى يسر قاطعة ما يصل إلى ٨٠ ميلا فى اليوم ولكنى بدات اخشى ان يشعر الأوربيون بالسأم ، فقد كانوا جميعا شبانا نشيطين ، معظمهم جديدون على البحر ، وكانـــوا يجدون جنبات السفينة ضيقة ، وحياتها مملة تسير على وتيرة واحدة ، مثلما كان طعام « شانبى » مثيرا للغثيان . امـــا العمانيون على العكس من ذلك فقد كيفوا انفسهم بسهولة مع وقع الحياة على ظهر السفينة ، فكانوا يثرثرون فيما بينهم وينشدون اغانيهم التقليدية ، وينسجون شباك الصيد ، ويغالبون النعاس ، وكان فى إمكانهم ان ينامو فى أى مكان ، يستلقون على سطح المركب وقد فردوا عمائمهم وغطـوا بها وجوههم لاتقاء اشعة الشمس



الصيادون الهنود فى نايبور يصنعون لنا غزلا اضافيا

ولكن إذا جاء وقت العمل فانهم يعملون بهمة ونشاط .

وكان من عادة العمانيين ان يغنـــوا بمصاحبة العمل الشاق ، وسرعان ما انتقلت هذه العادة إلى الغربيين الذين بداوا يشاركونهم التصفيق بالاكف ، والدق بالاقدام ، والصيحات المنغومة التى تخفف من مشقة العمل ، وقد رحبت انا بهذه الظاهرة إذ وجدت أفراد الطاقم يذوبون فى وحدة واحدة .

وفى منتصف شهر ديسمبر رسونا على البر لأول مرة ، فى جزيرة « شتيلات » الصغيرة إحدى جزر « لاكشا دويت » وهى جزيرة تحيطها الشواطىء التى تبهر العين بشدة بياضها ، ومياه البحر الصافيـــة الزرقاء ، وتبدو عموما كالجنة ، ولكنها جنة مدفونة تحت قبضة الرسمية الميتة ، فالحكومة الهندية تفرض عليها رقابة صارمة لتنظيم اقتصادها القائم على محصول جوز الهند الذى تحتكره الحكومة وهى لا تشجع أية اتصالات بين هذه الجزر والعالم الخارجى ، وتفرض على الارخبيل كله سيطرة بيروقراطية مغرورة غير كفؤة . وعندما ذهبت الى نقطة البـــوليس فى « شيتلات » لأريهم خطاب وزارة الخارجية الهندية بالسماح لسفينة « صحار » بزيارة ارخبيل « لاكشا دويت » لاحظت أمـــام « الكابتن » دفترا ضخما مكتوبا عليـــه « سجل يومية الجرائم فى نقطة شيتلات » . وكنت أعرف ان « لاكشا دويت » مشهورة تاريخيا بخلوها التام من الجريمة ، لذلك سألت كابتن البوليس عما اذا كانت الأحوال قد تغيرت ، فأجابنى وعلى وجهه مسحة من الزهو : « طبيعى .. ان الجزر الان قد تمدنت ولذلك « يجب » ان تكون هناك جرائم » !

• •

كانت محطتنا الثانية فى « بايبـــور » بالقرب من كلكتا فى القارة الهندية نفسها ، وفى « بايبور » غادرنا « شانبى » استجابة للطلب الشعبى الملح من جميع طاقم السفينة ، وكان قد استقال فعلا خلال الأسبوع الذى استغرقته رحلتنـــــا من « شيتلات » الى « بايبور » ، وبقى فى عمله مؤقتا حتى نحصل على من يخلفهفيه ، وكان ينتهز الفرصة لسرقة الاكل كلما لم يجد رقيبا ، وقد حصلت على من يحل محله فى « بايبور » ، وهو « ابراهيم » ، وكان موظفا حكوميا ضاق بروتين الوظيفة ويهفو الى حياة البحر ، واكتشفنا لسعادتنا ان « ابراهيم » طاه من الطراز الاول .

وامدت بايبور « صحار » بأكثر من رئيس طباخين ، لقد امدتها بعرائس لسبع من العمانيين افراد الطاقم ، وكانت هذه مفاجاة مدهشة بالنسبة لى ، لقد كنت اعرف ان البحارة العرب ظلوا طوال القرون يأتون الى « بايبور » والى مدينة « كلكتا » المجاورة ، ومثل البحارة فى كل مكان فى العالم كانوا يتزوجون من النساء المحليات وغالبا ما يحتفظ الرجل باسرتين إحداها فى وطنه العربى والاخرى فى « كلكتا » .

والطائفة المسلمة فى كلكتا تسر بشدة لتزويج بناتها من البحارة العرب ، ولكن ما لم اكن اعرفه ان قبطان السفينة العربية كان يجب الحصول على موافقته قبل زواج البحار ، وعندئذ كان يجب عليه ايضا ان يقدم له منحة من المال لتغطية نفقات الزفاف .

وذات صباح انتحى بى جانبا واحد من احسن بحارتى ويدعى « مسلم » ، والقى القنبلة ، قال انه التقى بفتاة فى « كلكتا » ويريد ان يتزوجها ، فهل يمكننى ان اقرضه بعض النقود لشراء هدية لأسرة الفتاة ؟

سألته فى عصبية « كم تريد ؟ » .

فأجاب فى أدب « كما تريد » ! .

سألته ماذا يفعل بزوجته الجديدة عندما تبحر « صحار » مرة اخرى ؟ فكان جواب « مسلم » ان الأمر سيكون على ما يرام ،

سوف يرسل لها نقودا بصفة منتظمة . وسيحاول ترتيب ان تلحق به فى عمان فيما بعد .. ولكن ماذا عن زوجته وابنته اللتين تركهما وراءه ؟ فقال « مسلم » : سوف تسران بذلك ، اذ سوف تقوم الزوجة الجديدة بالمساعدة فى تنظيف المنزل والطبخ مما يعطى الزوجة الأولى مزيدا من الوقت للراحة والعناية بالطفلة .

فى النهاية أعطيت « مسلم » ١٠٠٠ روبية ـ حوالى ١٣٠ دولارا ـ من صندوق السفينة ليشترى هدية الزواج ويقدمها لوالدى عروسه ، وحدست أن هذه سوف تكون سابقة خطيرة ، وقد صح حدسى بالفعل ، فخلال اقل من أسبوع تقدم جميع العمانيين فيما عدا واحدا فقط هو «خميس بحرية» بطلبات للحصول على سلفة ١٠٠٠ روبية للزواج من هنديات .

وغادرنا بايبور بعمرة فى هيكل السفينة وطقم إضافى من الأشرعة المنسوجة يدويا ، وسبع عرائس جديدات !

● ●

بعد ظهيرة يوم ٢١ يناير ، وصلنا الى شاطىء سريلانكا ، أو « سرنديب » كما كان يسميها العرب الاوائل ، ومن هذا الاسم جاء التعبير الانجليزى « السرنديبية » ومعناه العثور على اشياء ثمينة بمحض الصدفة .

كان الضباب عند الشاطىء يحجب عنا رؤية قمة جبل ادم ، وهو جبل يبلغ ارتفاعه ٧٣٦٠ قدما ، وهو معروف للبحارة العرب عبر القرون الماضية ، إذ تقول أسطورة اسلامية انه على قمة هذا الجبل وضع ادم قدمه لأول مرة على الأرض بعد ان طرد من جنة عدن .

ومن المحتمل ان تكون سرنديب هى المقصودة فى الرحلة السابقة من رحلات السندباد ، وفى هذه الرحلة اسر القراصنة السندباد وباعوه كعبد رقيق لاحد تجار العاج ، وكان التاجر يرغم السندباد على الذهاب الى الغابة كل يوم ليقتل فيلا ويحصل على انيابه ، وفى النهاية دلت الأفيال السندباد الى مقبرتها السرية ، فكان السندباد يذهب الى مقبرة الافيال ويحصل على بغيته من العاج دون ان يقتلها .

ونعرف من قصص السندباد ان سريلانكا كانت فيها افيال اليفة ، واخرى متوحشة ، وطبقا « لألف ليلة وليلة » زار السندباد سرنديب مرتين ، وشاهد ملكها فى موكب عظيم على ظهر فيل ضخم ، ونفس الشىء تقريبا شاهده بحارة « صحار » اليوم ، فلا تزال سريلانكا تحتفظ بعيد تقليدى يسمى « بيراهيراس » يقام كل عام ، ويسير فيه الراقصون بالنار والمهرجون المتنكرون فى ملابس الكرنفال عبر الشوارع وفى ذروة الاحتفال تظهر الأفيال الضخمة المزركشة بالقصب .

ويبدو ايضا ان سريلانكا كانت موضع وادى الماس الذى زاره السندباد فى رحلته الثانية ، وقد استطاع السندباد ان يخدع الحيات التى تحرس الوادى ، وخرج وجيوبه مليئة بالجواهر .

والواقع ان سريلانكا لا توجد بها مناجم للماس ولكنها مشهورة عالميا بأحجارها الكريمة وشبه الكريمة مثل الياقوت ، والتوباز ، وعين القط ، والصفير الأزرق ، وهذه الاحجار ـ كما فى مغامرات السندباد ـ يعثر عليها فى بطون الأودية بعد التنقيب عنها فى السهوب الطميية ، والحيات تلجأ عادة الى هذه السهوب طلبا للرطوبة الباردة ، ومما له دلالة خاصة ان تجارة الاحجار الكريمة فى سريلانكا لا تزال فى أيدى المسلمين الذين مازالوا يتذاكرون حتى اليوم الملاحين العرب القدامى الذين ادخلوا الإسلام الى سريلانكا فى القرن السابع الميلادي .

فى سريلانكا غادرنا المصور « بروس فوستر » وحل محله « ريتشارد جريتهيل » ، كما حل تيم « ريدمان » وهو صديق من مسقط محل « تروندور » الذى كان عليه ان يعود إلى الوطن ، كما انضم الينا الطبيب « نيك هوليز » من لندن . وخلال يوم او بعض يوم كان القادمون الجدد قد استقروا فى « صحار » . وابحرنا من سريلانكا على عجل ، لنلحق برياح المونسون الجنوبية الغربية التى من المقرر ان تحملنا شرقا إلى سومطرة .

ولكن رياح المونسون تأخرت علينا طويلا إلى درجة كدنا معها نصاب بكارثة ، فبعد ان أبحرنا ثلاثة اسابيع كنا لا نزال على مسافة ٧٠٠ ميل من سومطرة ، وبدأت نشعر بالقلق لاحتمال نفاد ما لدينا من الماء العذب ، فكنا نستخدم الماء العذب للشرب والاكل فقط ، ونفد بالفعل نصف المستودع فامرت الرجال بان يقتصدوا فى استهلاك الماء بقدر المستطاع ، فكان منهم من يحتاج إلى ستة اكواب من الماء فى اليوم واكتفى بعضهم بنصف هذا القدر ، واحسن وسيلة للاقتصاد فى استهلاك الماء البقاء فى الظل ولكن الشمس كانت عمودية فوق راسنا ، إذ كانت « صحار » تبحر على ارتفاع درجتين فقط شمال خط الاستواء . ولذلك كانت الأشرعة الكبيرة لا تعطى إلا القليل من الظل .

ولكن فى الاسبوع الاول من مارس جاءتنا خبطة حظ ، فقد هطل المطر ، وصرنا نجمع مياه المطر فى « التاربولين » (قماش مشمع) ونضعه فى المستودع .



جبل ادم فى سريلانكا ومصابيح الحجاج تحدد الطريق الى القمة

بالنسبة لنا جميعا نحن ركاب «صحار» سنظل نذكر يوم ١٨ مارس ببساطة باعتباره « يوم أسماك القرش » . عند الظهيرة ظهر سرب من الاسماك التى تشبه سمك « الماكريل » الكبير تحت السفينة الهادئة ، فادليت « الصنارات » من فوق سطح السفينة وسرعان ما كانت هناك ست سمكات كبيرة تتخبط فى سلة فوق السطح ولكن فى اللحظة التى كانت السمكة السابقة فى طريقها الينا ظهر قرش طوله اربعة اقدام يشق الماء من الأعماق ، وابتلع السمكة ، ثم استدار واطبق فكيه على « الصنارة » نفسها .

وفجاة تجمع اكثر من عشرين من اسماك القرش وراحت تلتهم سرب الماكريل ، فسارع خميس بوليس بقطع شريحة من إحدى السمكات فى السلة ، وثبتها كطعم فى خطاف كبير ، وادلاه بحبل من فوق سطح المركب ، وخلال الدقائق العشر التالية ساد الهرج والمرج فوق « صحار » ، فقد اخذت اسماك القرش الواحدة بعد الاخرى تجذب بالحبال والخطاطيف الى ظهر السفينة حيث يهجم عليها العمانيون بالعصى والمضارب والاوتاد ، وهات يا طاخ طوخ ! واسماك القرش تتخبط على سطح السفينة كالغيلان المخبولة ، والعمانيون يروحون ويجيئون وقد استخفهم السرور يضربون القروش وينزعون فى افكاكها الخطاطيف ، ويدلونها بالحبال من جديد للحصول على المزيد من اسماك القرش !

والآن ، اصبح سطح السفينة فى فوضى شاملة اكثر من ١٢ سمكة قرش جريحة تنتفض بالغضب وتهاجم اى شىء فى متناولها ، وتبينت انها مسالة وقت لا اكثر قبل ان يفقد احد البحارة بعض اصابع يديه او قدميه او ربما يدا كاملة او قدما ، فصحت فيهم « بس .. بس » اى كفى .. كفى .. فقد حصلنا بالفعل على اكثر مما يمكن ان نستهلكه من لحوم سمك القرش ، واخذت الضجة تهدا تدريجيا ، فوضعت العصى جانبا ، ورفعت « الصنانير » ، وكومت اجسام القروش فى منطقة الطبخ ، ومسح سطح السفينة من الدم ، كانت حصيلة الغنيمة : ١٧ سمكة قرش فى ٢٠ دقيقة ، تزن ربع طن من الحم ، فقمنا بتمليحه وتجفيفه فى الشمس .

بعد خمسة ايام من ملحمة القروش كدنا نفقد مصورنا الجديد « ريتشارد جرينهيل » وقد كان «جرينهيل» تستهويه هوايته فى التقاط زوايا جديدة الى درجة تنسيه مخاطر السفينة المبحرة فى اعالى البحار ، فهو قد يتمشى على حافة إفريز السفينة فيكاد يسقط فى البحر ، أو لا ياخذ حذره فتضربه عقدة غليظة فى حبل ، وذات يوم هادىء قرر ان يلتقط صورا « لصحار » من مسافة بعيدة باختراعه الجديد ، وهو عبارة عن عامود طويل من الخيزران ثبت الكاميرا باعلاه ، وقفز جرينهيل فى البحر حاملا اختراعه المبتكر وسبح حوالى مائة ياردة ، وفجاة هبت ريح قوية ملات قلاع المركب ، وصاح كل من على سطح السفينة « الريح .. الريح ! » وعندما تحقق ريتشارد فى النهاية مما يحدث بدا يعوم عائدا فى اتجاهنا وهو لا يزال يحمل العامود والكاميرا ، وامرت بانزال القلاع لاهدىء من سرعة « صحار » ، ومع ذلك ظلت الريح تدفع السفينة بعيدا عن المصور الذى يجاهد الماء ، وبشق النفس استطاع « ريتشارد » فى النهاية ان يصل إلى طرف حبل السلامة المدلى من السفينة ويتشبث به ، وحتى عند ذلك اصر على انقاذ الكاميرا اولا ، وجذبناه الى اعلى بعد ان اشرف فعلا على الغرق ، واتفقنا جميعا على انه لا ينبغى ان يغادر السفينة مرة اخرى بدون اذن ــ على الأقل فى عرض المحيط .

● ●

في ٥ ابريل ، اي بعد شهرين من مغادرتنا سريلانكا بدا الركود البحري (وولدروم) يخفف قبضته على «صحار» ، فامتلات اشرعتنا باول

الاحتفال بعيد « بيراهيراس » فى سريلانكا يعيد إلى الاذهان مواكب الفيلة التى شهدها السندباد .

في خطى السندباد

رحلة السفينة صحار من عمان إلى الصين

هبات رياح المونسون الجنوبية الغربية وبدأنا نحرز تقدما حقيقيا نحو سومطرة . وفجأة حدثت لنا كارثة خطيرة في وقت مبكر ذات صباح ، فقد هبت ريح قوية على الجانب الخطأ من الشراع الرأسي أدت الى كسر الصاري في لحظة واحدة ، وتدلى الشراع الضخم كالجناح المكسور ، وهكذا أصبحت « صحار » سفينة عاجزة ، فقمنا بانزال الصاري المكسور بحذر واحتراس حيث كان جزء منه يتارجح الى الأمام والخلف عبر سطح الماء كانه منجل مميت يهدد بتشويه من يرتطم به . وعلى ضوء الفجر الشاحب قمنا باصلاح الكسر بأن قطعنا الطرف المشجوج بأعلى الصاري ، وفصلنا عليه شراعا مؤقتا ، ثم رفعنا الشراع الجديد وقد صار أقصر مما كان عليه وبذلك انخفضت سرعة « صحار » بمقدار الثلث .

في ١٥ ابريل بدا لاعيننا الطرف الشمالي لمضيق ملقة ، ذلك الممر المحيطي العظيم الذي تقطعه السفن التجارية بين الشرق الأوسط والشرق الأقصى وبخاصة ناقلات البترول التي تخدم اليابان ، وقد تطلع الينا طابور من تسع أو عشر سفن كبيرة ونحن نقترب من المطبق ، وفجأة هبت الرياح وزخ المطر مما أخفى عنا رؤية هذه السفن وشعرت كان العالم كله قد صار بالنسبة لي كحارة ضيقة يقطعها رجل معصوب العينين ، ولكن «صحار» تمكنت من المرور بسلام .

وبعد ثلاثة أيام أخرى وصلنا أخيرا الى ميناء « سابانج » على جزيرة قريبة من الطرف الشمالي لسومطرة ، كنا قد قضينا في البحر ٥٥ يوما متواصلة وبدت لنا « سابانج » جميلة للغاية كما كانت تبدو حتما في نظر سابقينا من الملاحين القدماء

أما سومطرة ، الجارة العملاقة لسابانج فانها مشهورة « بأرض الذهب » ، ويقال ان حاكمها كان من الثراء بحيث كان يلقي كل يوم قالبا من الذهب الخالص في بحيرة قصره لاظهار مدى ثروته ، ولكن بالرغم من كل جمالها فقد كانت « أرض الذهب » تبدو مخيفة في نظر الزوار العرب القدامى الذين زعموا أن سكانها كانوا من أكلة لحوم البشر ولولا مهارة السندباد وذكاؤه لكان هو نفسه في عداد الماكولين .

فقد حدث خلال الرحلة الرابعة من رحلات السندباد أن تحطمت سفينته ، والقت الأمواج به وببحارته إلى إحدى الجزر حيث خرج عليهم الاهالي المحليون وحملوهم الى ملكهم ثم راحوا يقدمون لهم طعاما شهيا ، وشك السندباد في الأمر وامتنع عن تناول الطعام بينما لاحظ ان زملاءه كلما اكلوا ازدادوا بلادة وذهولا ومرت الأيام والسندباد ممتنع عن الاكل وزملاؤه يسمنون ، ولم يمر وقت طويل حتى اكتشف أن أهالي الجزيرة من أكلة لحوم البشر ، وانهم يسمنون هؤلاء البحارة لاكلهم واحدا بعد الآخر ، وارتعب السندباد وفر من قرية أكلة لحوم البشر ، وفي اثناء فراره مر على حقل فرأى زملاءه يرعون فيه كالبهائم على أربع يأكلون من حشائش الأرض تحت مراقبة راع .

ويبدو أن أصل هذه القصة المخيفة يعود الى أن أهل شمال سومطرة كانوا يستخدمون الحشيش في طعامهم لاعطاء نكهة للطعام ، بالاضافة الى وجود بعض القبائل البدائية من أكلة البشر في سومطرة .

كما تشير حادثة أخرى وقعت في الرحلة الخامسة الى « معرفة » أيضا بسومطرة ، اذ وقع السندباد في احدى الغابات في أسر مخلوق أحدب يشبه الانسان له جلد أسود جاف ، يعيش على الفاكهة البرية ولا يستطيع الكلام ، هذا المخلوق الذي أسر السندباد والذي اسماه « شيخ البحر » ربما كان هو ذلك النوع الكبير من القردة في سومطرة المسمى أورانج أوتان .

وقد حصلنا من الغابات المجاورة على شجرة رفيعة طويلة قمنا بتشذيبها وركبناها في « صحار » بدلا من الصاري المكسور ، ولاحظنا أن منطقة الميناء تبدو كمنجم لعلماء الأحياء المائية الذين كانوا متواجدين هناك بكثرة لجمع مجموعات ثرية من هذه الأحياء . وفي أوائل مايو أقلعنا جنوبا في مضيق ملقة قاصدين سنغافورة .

• •

كانت قد سبقتنا أخبار رحلتنا الى سنغافورة ، فاستقبلنا هناك استقبالا حافلا بواسطة كبير مرشدي الميناء الذي تقدم منا ببزته البيضاء ، واعتلى مركبنا ، وفي يده خريطة وجهاز لاسلكي « ووكي ـ توكي » .

وقال لنا بظرف « أنا مرشدكم » ثم ألقى نظرة الى دفتنا الضخمة التي يبلغ طولها عشرة أقدام وقال « ولكن كيف يمكنني أن أقود سفينة كهذه ؟ لست أتصور ! » ثم أضاف وقد جاءه خاطر مفاجىء « يبدو أن كل ما يمكن أن أفعله هو أن أعطيكم التعليمات وأنتم تتولون القيادة » .

وأمسك مسلم بالدفة ، وتهادت «صحار» كالملكة نحو الميناء بينما أفسحت لها عابرات المحيط الضخمة طريقا للمرور .

وعلى رصيف الميناء كان في استقبالنا جمع غفير من أهل سنغافورة يغنون ويؤدون بحبور رقصاتهم الصينية والملاوية وتلا ذلك أن تلقينا دعوات لا حصر لها كي نأخذ راحتنا في سنغافورة ، ونعتبرها مدينتنا .

كانت فكرة مغرية بلاشك ، ولكن لم يكن في إمكاننا البقاء طويلا في سنغافورة ، فقد كان علينا أن نقطع المرحلة التالية والأخيرة من رحلة « صحار » وهي اجتياز بحر الصين الجنوبي إلى وجهتنا المحددة



طريقة استعمال « الكمال » لتحديد خط عرض السفينة بالنسبة للنجم القطبي

ارتفع الرخ الى كبد السماء حاملا السندباد بين مخالبه

وهى ميناء « جوابخشو » او « كانتون » فى أرض الصين ، وكان هدفى أن استفيد من الرياح الموسمية على طول الطريق : أولا من رياح المونسون الشمالية الشرقية ثم من رياح المونسون الجنوبية الغربية حتى يمكننا عبور بحر الصين الجنوبى قبل موسم الأعاصير .

ولكن بسبب تاخر رياح المونسون الجنوبية الغربية طويلا تاخرنا عن الموعد المحدد ، وبرغم من ان موسم الأعاصير يبدا عادة فى يوليو إلا أن بعض العواصف الشديدة تحدث فى بحر الصين الجنوبى مبكرا فى مايو . وقد كنا حينئذ فى الأسبوع الأول من يونيو .

ولذا فقد غادرنا سنغافورة بعد زيارة قصيرة جدا ويممنا نحو البحار القديمة التى كان يعرفها الملاحون العرب باسم بحر « قندرانج » وبحر « كانكهاى » ، وقد كتبوا انه من بين كل البحار السبعة فى الطريق الى الصين فان هذين البحرين هما اسوا البحور . فيهما يلقى الملاح العاصفة الضخمة التى يسميها بحارتى العمانيون المحدثون « الطوفان » واعتقد انها كلمة محورة من « تيفون » وتعنى الأعصار ..

« المترجم : العكس هو الصحيح فان كلمة تيفون الانجليزية هى تحوير لكلمة طوفان العربية » !

كانت الأيام الأربعة الأولى بعد مغادرة سنغافورة هادئة بطريقة خادعة لدرجة اننى تصورت ان الحظ قد يصاحبنا طول الطريق الى « جوابخشو » ، ولكن كان الهدوء الذى يسبق العاصفة ، وقد عرفت ذلك فى اليوم الخامس ، فقبيل الفجر مباشرة هبت ريح معتدلة لم اشعر ازاءها بالقلق ، فقد صمدت « صحار » لعشرات من هذه العواصف الصغيرة خلال الشهور الماضية ، ولكن هذه العاصفة لم تلبث ان تطورت على نحو مختلف إذ تحولت إلى ريح هوجاء ، وبدات « صحار » تئن تحت حملها الثقيل وسمعنا صوت شرخ قوى بطول المركب من أسفل فتخيلت للحظة ان السفينة قد شقت الى نصفين ، ولكن تبين ان الشراع الرئيسى هو الذى كسر ، ولم يلبث ان سقط فى فرقعة شديدة .

بعد ان مرت الازمة ، اعتدلت السفينة مرة اخرى ، وعكفنا على إصلاح الشراع المكسور ، ومرت بنا مجموعة مخيفة من السحب السود قادمة من ناحية الغرب تدور وتتدحرج كانها دخان نار عظيمة ، وهذه ظاهرة محلية تسمى « قـــوس العاصفة » وبمجرد أن مرت عدنا إلى الابحار بهمة من جديد لأن كل يوم نقضيه فى البحر يزيد من مخاطر أن نواجه الأعصار البحرى المسمى « بالتيفون » .

وظللنا طوال ذلك اليوم نمر عبر الرياح العاصفة التى تتناوشنا من كل جانب ، واجتازتنا ثلاثة « أقواس عواصف » على الأقل ، وفقدنا خلال ذلك أشرعتنا الثلاثة التى تمزقت تماما ، لقد كانت السفينة تحت وطأة عقوبة قاسية ولكن ملاحيها صمدوا صمودا رائعا ، وقد حدث فى ذروة إحدى هذه العواصف ان جثا « خميس بحرية » على ركبتيه ، واخذ يصلى بحرارة من اجل « صحار » وبحارتها .

إن سجل سفينتى بالنسبة للايام الخمسة التالية يحكى قصة عابسة : إعصاران اخران يوم ١٦ يونيو ، وثلاثة يوم ١٧ يونيو ، واربعة يوم ١٨ يونيو ، واثنان يوم ١٩ يونيو ، وواحد يوم ٢٠ يونيو .

ورغم ان الثمن كان باهظا إلا ان هذه الأعاصير والعواصف دفعتنا نحو هدفنا ، وكنا بالمعنى الحرفى « نخيط » لنا طريقا الى خارج المتاعب ، فقد كنا نجلس بالساعات المتواصلة فوق سطح السفينة نخيط أشرعتنا الممزقة كى نواصل طريقنا الى الشمال ، ولذا فان سجل سفينتى فى هذه الفترة يحتفظ بتدوينات أخرى : التقدم ٩٠ ميلا ذات يوم ، و ١١٠ ميلا فى اليوم التالى ، والرقم القياسى ١٣٥ ميلا فى اليوم الذى يليه .

ولمدة أسبوع كامل لم تكن هناك بقعة جافة واحدة فوق « صحار » . ولكننا اكتشفنا وسط هذه المتاعب بارتياح ان أسراب الصراصير التى شاركتنا حياتنا منذ بداية الرحلة كانت أكثر منا كراهية لبحر الصين الجنوبى ، فبعد يوم او يومين من الأعاصير غسلت المياه قاع المركب ، ويبدو ان الصراصير تكره ان تعرض ارجلها للبلل فكانت عندما تميل السفينة الى جانب وتملاه الماء تتجمع الصراصير فى الجانب المقابل ، فاذا غيرت السفينة توازنها وغرت

المياه هذا الجانب تحركت الصراصير متململة تريد الهرب الى الجانب الآخر وبين هذه الحركة المتبادلة كانت مياه البحر تحمل هذه الكائنات الكريهة الى خارج السفينة وتغسلها غسلا . وهكذا شعرنا بشيء من الرضا حين عرفنا انه بالنسبة لضيوف « صحار » غير المرغوب فيهم لم تكن رحلتهم سعيدة .

● ●

في ٢٥ يونيو ، وقد خلفنا اقواس العواصف خلف ظهورنا ، بدأنا نشق طريقنا بين جزر « الباراسيل » وساحل « ماكلسفيلد » على خليج « تونكين » واصبحنا الآن على مسافة ٣٥٠ ميلا فقط من فم نهر اللؤلؤ (نهر بيرل) وهو المجرى المائي الكبير الذي سيحملنا إلى هدفنا النهائي ميناء « جوابخشو » . ولكن هذه المنطقة ايضا هي « مياه القرصان » . فهذه المنطقة ملوثة بزوارق القراصنة الذين يهاجمون السفن غير المسلحة واغلبها من سفن اللاجئين الفيتناميين الذين يبحثون عن الهرب من بلادهم التي تمزقها الحروب وهكذا تبين بعد ظهر يوم ٢٦ يونيو اننا في حاجة إلى بنادقنا وقنابل الغاز التي اقترضناها من القوات المسلحة لسلطان عمان للدفاع عن انفسنا إذا تعرضنا للهجوم .

فبعد منتصف اليوم بقليل ظهر على الافق قارب صغير اخذ يقترب منا حتى اصبح على مسافة ميل او ميلين وتبينت عبر منظاري المكبر ان القارب لا يحوي سوى رجال ، وقد كنا بعيدا جدا عن مناطق الصيد الساحلية مما ينفي احتمال ان يكون هذا الزورق تابعا لحراسة الشواطيء ، وكنت قد سمعت باوصاف النمط التقليدي لقراصنة بحر الصين الجنوبي : إنهم جماعات مسلحة تسليحا جيدا يستخدمون زوارق سريعة ويهاجمون السفن الصغيرة واحيانا يقتلون ركابها ، بل ان القراصنة خارج سنغافورة يهاجمون حتى ناقلات البترول الضخمة ، ولما اخذ الزورق يتقدم نحو « صحار » فقد امرت البحارة بامتشاق اسلحتهم .

ثم تبين ان هذا الزورق لا يحوي قراصنة وانما على العكس يحوي ضحايا محتملين للقراصنة ، كانوا مجموعة صغيرة من الفيتناميين ، سبعة رجال ، واربع نساء ، وسبعة اطفال يحاولون الوصول إلى « تايوان » ، وقد نفد لديهم الماء العذب والطعام والملابس وغير ذلك من المعدات ، وعندما شاهدوا شكل « صحار » الغريب قرروا المغامرة بالاقتراب منها لطلب المساعدة ، ولكنهم كاجراء احتياطي اخفوا النساء والاطفال في قاع الزورق .

وفعلنا ما نستطيع لمساعدتهم ، فابتدانا بتزويدهم بالماء العذب والاجولة وصناديق المعلبات والثياب ، كما اعطيناهم صندوقا يحوي معدات طبية استطاع « نيك هولينز » تجميعها ، ثم قام « نيك » بفحص هؤلاء اللاجئين ، ووجدهم جميعا في صحة جيدة فيما عدا ما نالهم من إرهاق بسبب وجودهم في البحر اكثر من اسبوع .

وقمنا بفحص هيكل زورقهم « وموتوره » ووجدنا ان كل شيء سليم فيما عدا البوصلة التي كانت قد توقفت عن العمل بسبب نفاد سائل الطفو فيها ، فاصلحناها ، ثم رسمت لهم خريطة سريعة مستعينا بالبوصلة لتحديد الطريق التقريبي الى « تايوان » وحاولت بقدر المستطاع ان اشرحها لامرأة منهم تعرف كلمة او كلمتين من اللغة الانجليزية ، كانت مشكلتهم الحقيقية ان لا احد على ظهر ذلك الزورق لديه اية معرفة بالبحر ، ولكن كان معهم رصيدان قويان هما الامل والتصميم . وبالطبع فانهم بمثل هذا الزورق البخاري الصغير يبحرون اسرع منا ولديهم فرصة طيبة للوصول إلى هدفهم ، وقد ودعناهم ، وسرعان ما انطلق زورقهم واصبح بعد قليل نقطة متلاشية على افق البحر الواسع .

● ●

وبعد يومين اكتحلت عيوننا لاول مرة برؤية ساحل الصين ، كان اول ما بدا لنا قمة جبل « راوانشان » عند مدخل نهر بيرل وقد ظل هذا الجبل قرونا طويلة بمثابة المنارة التي تهدي الملاحين العرب في طريقهم الى ميناء النهر العظيم الذي يعرف اليوم باسم «جوانجشو» ، ولكن العرب كانوا يسمونه « خانفو » وهنا كان العرب وغيرهم من الاجانب ياتون في اعداد متزايدة للاتجار في البروسلين



عندما رقص الصينيون ابتهاجاً بوصول السندباد الجديد



نهاية الرحلة ... الاستقبال الرسمي في كانتون من اليسار إلى اليمين : هوانج شين وزير العلاقات الثقافية الصيني ، ليو تيانغو حاكم الاقليم ، السيد فيصل بن علي آل سعيد وزير الثقافة والتراث القومي العماني ، تيم سيفرين ، الشيخ سخحيل بن احمد المتيني وكيل وزارة الثقافة العماني .

والحرير لدرجة ان الصينيين عينوا مفتشاخاصا بالجمارك لمراقبة المبادلات .

كان مدخل نهر بيرل متسعا ومهجورا ، وبدا كان الحدقة البيضاء لقمة جبل « راوانشان » تحدجنا بنظرات وحيدة باهته ونحن نشق طريقنا عبر المجرى العريض ، واوينا لقضاء الليل في مرفأ مهجور لجزيرة صغيرة وكان يشاركنا قاربان آخران يرسوان بالقرب منا ، ولكن الصيادين في هذين القاربين لم يفطنوا فيما يبدو لوجودنا ، فقد كان يحيطنا الصمت المطبق .

في ظهيرة اليوم التالي اتصلنا اخيرا بضيوفنا الصينيين ونحن مازلنا نتقدم مصعدين في النهر ، فقد ظهر فجاة قارب حربي سريع واخذ يبعث باشارات ضوئية ، ولم نستطع ان نقرا رسالته ، ولكننا ببساطة رفعنا العلم الصيني والقينا المرساة في عرض النهر ، ويبدو ان ذلك ارضى القارب فقد انطلق بعيدا عنا موغلا في النهر .

وفي صباح اليوم التالي ، اقترب منا صندل ضخم ، وجاءنا عبر الراديو صوت بلغة انجليزية ممتازة : « كيف حالكم ؟ انا السيد / ليو من وزارة الخارجية الصينية وقد جئت من جوانجشو لاستقبلكم » ، وشعرت فورا بالجو الرسمي لهذه اللحظة فاجبت عبر الراديو بنبرات مؤدبة : كيف حالك ؟ انا تيم سيفرين ومعي افراد طاقمي لقد جئنا من عمان لمقابلتكم » .

وبعد ذلك سحبنا الصندل الى رصيف جوانجشو حيث كان في انتظارنا استقبال بهيج . وبذلك استطعنا النجاة من اول طوفان في الموسم قبل ٤٨ ساعة فقط .

● ●

كان كرم مضيفينا الصينيين لا ينسى ، فقد قاموا باصطحابنا في جولات في جوانجشو وقدموا لنا افخر الاطعمة كما لو كنا لم نذق شيئا طوال الرحلة ، لقد قطعنا ٦٠٠٠ ميل في سبعة اشهر ونصف لنصل إلى هذه الوليمة العظيمة المستمرة المسماة « جوانجشو » !

وقد كان ما سر له الصينيون بصفة خاصة ان ما فعلناه يعتبر من قبيل « عمل الفريق » ، وهي صفة يقدرونها تقديرا كبيرا في الصين ، كما ابدوا سرورا واضحا بكوننا قد اعدنا العلاقات التاريخية التي كانت تربطهم بالعالم العربي في عصر رحلات السندباد .

وقد حضر للاشتراك في حفل الاستقبال الرسمي صديقي السيد فيصل وزير الثقافة والتراث القومي العماني الذي طار على رأس وفد رسمي في إحدى طائرات السلطان ، ووصل للترحيب بهم وفد صيني رسمي من بكين .

وعندما جاء دوري للحديث في حفل الاستقبال ، شعرت باحاسيس من الأسف ، فها قد جاءت اللحظة التي لن يعود بعدها رجالي يكونون فريقا واحدا ، لقد حققنا ما جئنا لتحقيقه ، تتبعنا خطى السندباد عبر ربع المسافة حول العالم ، والآن وصلت مغامرتنا الى نهايتها .

و « صحار » ايضا قد اتمت الغرض الذي بنيت من اجله وسرعان ما سوف تنقل على ظهر إحدى السفن الى مسقط لتعرض هناك كالمتحف ، لقد كان التحمس والكرم الذي أبداه سلطان عمان وشعبها بالاضافة إلى دقة الرجال الذين بنوا « صحار » وابحروا بها سببا في جعل رحلات السندباد حقيقة واقعة ، والآن ، سوف تصبح هذه الرحلة ، مثل رحلات السندباد السبع ، مجرد حكاية اخرى ●

عن مجلة ناشيونال جيوجرافيك عدد يوليو ١٩٨٢

ترجمة : محمد العزب موسى

مع الفنانة الفلسطينية لطيفة عبد الرحمن

أصبح الواقع الفلسطيني مرتبطاً بروح كل فنان عربي

حوار: بشرى ناصر


فتاة من فلسطين

لطيفة يوسف عبد الرحمن ..

فنانة تعمل بصمت .. ليس من ثمة صخب غير الذي يعتمل في وجدانها .. طموح واحلام وشحنات من الدفق الحي .. وكثير من قلق وتوتر ..

إنه أغنيتها وانشودتها .. تناجيه بالريشة وتمتلىء امامه بالحزن المتفجر ..

من مواليد فلسطين .. من منطقة «أسدود» ، ومن عرف فلسطين وعاش فيها .. تفتحت عيناه على الخضرة والبرتقال .. وساهم فى مواسم الحصاد .. ونزف عرقا وهو يحرث الارض في عشق ، لا تضيع رائحته من الذاكرة .. لن يستطيع إلا ان يظل فى ملحمة طويلة من العشق وزاد من الذكريات العذبة .. والامل الرائع فى الولادة الجديدة على الارض .. الام .

لطيفة يوسف عبد الرحمن ـ صورة للانسان الذي ابصر الرؤية فى مخيمات اللاجئين ..

اشتغلت بالثورة والتمرد منذ الطفولة .. لذا فقد أصرت على إكمال دراستها حتى المرحلة الثانوية فى خان يونس ..

ولم ينطفىء التطلع والتحدي من اجل أن تختط الطريق .. التحقت بمعهد المعلمات والفتيات الفلسطينيات في (رام الله) بالضفة الغربية ..

حصلت على التخصص سنة ١٩٦٧ فى التربية الفنية .

لم تكن دراستها اكاديمية فقط .. وإنما كانت فترة خصبة ، إذ حصلت على جوائز عديدة فى الخط والرسم طوال فترات دراستها ..

بعد التخرج تقول لطيفة :

حزمت امتعتي وغادرت إلى البحرين .. وعملت كمدرسة للمرحلتين الاعدادية والثانوية حتى سنة ١٩٧٠ .. وجئت إلى هنا .. لم اركز على التدريس فقط .. بل شاركت فى العديد من الجمعيات باعمال بيعت لصالحها .. ومازلت اشارك سنويا في معرض التراث الفلسطيني .. واخيرا قدمت مساهمات في معرض الفن التشكيلي الفلسطيني بمناسبة أسبوعنا الثقافي عام ١٩٨٢م ..

واسال الفنانة لطيفة :

كثيرا ما نسمع عن المدارس الفنية والأساليب المتنوعة التى يتبعها الفنانون ... ترى لاية مدرسة تنتمين ؟

ـ كل مدرسة لها لونها الخاص بها .. بالنسبة لي ، فانا اميل للمدرسة التاثيرية ، لان الانسان مهما كانت طاقاته الفنية لا يستطيع ان ينتمي للواقعية التى حاولت ان انتمي إليها فوجدت عجز الانسان عن



لوحة تعبر عن جيل التحرير وكله عزم وإصرار

أصبح الواقع الفلسطيني مرتبطاً بروح كل فنان عربي



الوطن والأمل .. كما عبرت عنه الفنانة في هذه اللوحة .

التعبير للواقع الذي ينتمي إليه .

احاول من خلال ـ البورتريه ـ ان اعبر عن مضمون الفكرة لان الفرد هو العنصر الأساسي في عملي دوما .. لمشاهدتي على الطبيعة الحية ما يعانيه هؤلاء ومشاركتي ايضا لتلك المعاناة .. ولا اعتقد انها معاناة سهلة ..

عطاء الفنان الفلسطيني والعربي

وماذا غير ذلك ؟

بدات اسئلتي تتوالى ، وبدات اجوبتها

قلت لها :

● لن يستطيع الحديث عن فلسطين بصورة صادقة مثل الفلسطيني ذاته .. فهل نتحدث قليلا عن الفن الفلسطيني واهم ما يميزه ؟ .

ـ الفن الفلسطيني ذو اصالة قديمة .. ومتفرع ومتعدد .. فهناك الفخار والنسيج .. كانا يمارسان من قبل مجموعة كبيرة من الناس قديما .. ومازال البعض يتقنهما .. وقد أصبحت الآن من التراثيات التى يعتز بها الفلسطينى لابراز هويته ايتما كان .

كانت المناظر الطبيعية الجميلة فى الماضى تشد الفنان الفلسطينى ليرسم البرتقال والزيتون ويرسم جرار الماء ، ويوجد لدينا فنانون عديدون .. ولكن من ضمن من قدموا للعالم عدالة القضية عن طريق لوحاتهم كان اسماعيل شموط ..

وهناك فنانون على مستويات مختلفة .. ولست ادري لماذا يلفهم النسيان الآن بالرغم من اعمالهم الجيدة امثال سامية ططلق ـ هدى ميخائيل ـ توفيق عبد العال ـ كمال بلاطة ، الذى كان له اثر كبير يتعلق بالخط العربى ..

● وهل تعطى جانبا للفن فى الوطن العربى عموما : ماذا ينقصه .. وهل وصل لمرحلة التعبير عن الواقع المعاش ؟

ـ فى كل يوم جديد يبرز عطاء اكثر للفنان التشكيلى العربى وهو عطاء كبير وغير محدود .. لذا فقد خرج فنانون ليعبروا عن امور لا تمس المواطن ولا تهمه .. ولهذا فالمردود المعنوى للمعارض لا يكون بالصورة التى يتوقعها هؤلاء الفنانون ...

فالفن وسيلة للتعبير عن المجتمع بما يعتريه من تفاعلات وانفعالات وتغيرات من شتى النواحى .. الفن ليس كل التراث .. ولكنه رسالة حرة يجب أن تعني الكثير .

أثر الأساليب العالمية

● ما هو الاثر الراجع على العالم العربى من الاساليب الفنية العالمية والتيارات المتعددة خاصة ونحن الآن نتفتح على العالم الخارجى بكل ما فيه من حضارة وانهيار ؟

ـ اعتقد ان الاساليب الفنية العالمية المتعددة قد ساعدت الفنان العربى على بلورة افكاره بالرغم من ان الاسلوب متوفر فى اعماق كل فنان ... ولكن التكنيك والحداثة فى استخدام الخامات وغير ذلك للأسف مازال يقدم لنا على طبق من ذهب من الغرب .. بالرغم من قدرتنا على ذلك .. ونحن نمتلك ما نملك من اصالة وقدم يذكرنا بتراث غنى جداً فى كل مجال ..

لذا نجد بعض الفنانين يخلطون بين هذا وذاك فى لوحة واحدة او عمل واحد .. وتكون النتيجة التخبط .. والشعور فى النهاية بعدم الرضى ..

انا بطبعى لا اميل للسريالية مهما كانت جودة العمل .. فالواقع مليء .. وغني .. فلم نلجا للحلم والبعد والخيال ؟ طالما نحن قادرون على التعبير باسلوب ابسط واقرب للجماهير ولانفسنا ايضا ؟

ومن يقول لندع الجماهير تصبح ذات نظرة فنية ونعودها على ذلك فهو مخطىء .. فجميع الفنانين العالميين لم يظهروا على السطح إلا من خلال اعمالهم الواضحة التى تعبر وتسجل وتذكر شيئا . ولا اريد ان اكرر ما يعرفه الجميع عن مايكل انجلو وليوناردو دافنشى .. وفان جوخ ورينوار .. وغيرهم .. فهم لم يصلوا الى تلك الشهرة والصيت إلا من خلال اعمالهم الخالدة والواقعية والمسجلة لزمنهم ..

وثمة فنانين عرب عبروا عن مضمون يعكس للجماهير بصدق قضية ما وامنيات ما .. منهم الفنان العراقى جواد سليم الذى كان امتدادا لفنانى العراق والخليج عامة .. فى البحرين اذكر الفنان عبد الكريم العريض صاحب الشفافية والريشة الصافية ..

● ولكن .. من خلال كل ذلك .. ما هو واقع الفنان الفلسطينى ..

ـ من حيث واقع الفنان الفلسطينى فهو يتجه من خلال لوحاته للتعبير عن واقعه وماساته ، لذا فالفن مرتبط ارتباطا وثيقا بروحه وكيانه .. وقد اصبح الآن الواقع الفلسطينى والقضية مرتبطا بروح كل فنان عربى ودليل ذلك ما قدمه الفنان العربى جمال قطب فى لوحة قدمتها مجلة العهد موضوعها مذبحة صبرا وشاتيلا .

ما اريد قوله إن المهموم لدى الفنان العربى واحد والقضية واحدة .. وما علينا إلا التحاور من خلال الاعمال البسيطة التى نحاول تسجيلها ...

● فى النهاية .. ماذا تحبين اضافته ؟

تقفز الاجابة من فمها جاهزة لتقول :

ـ احاول تكريس جهدى لعمل مجموعة تمثل كل اتجاهاتى فى معرض بسيط وهذا متروك للوقت والتوفيق والعمر باذن الله .

بشرى ناصر



شعر: شهاب غانم

وحين تعودُ إليَّ .. برغم المسافاتِ ....
اشعرُ ان التوهّجَ قد عادَ يرتادُ وجْهي
واسمَعُ صوْتَ العصيِّ التى فى دواليبِ عمري تكسّر
تحت التوهّجِ
تحتَ النجومِ التى التَمَعَتْ فى عيُونِي
كما يتَكسّر عودُ الثقاب

• •

اقَبِّل جفنيك ... والبحر يفصل ما بيننا والجبالْ
فاستلهمُ البَحْرَ
اقرا فى كل شكل له حكمةً
فادركُ سرَّ السكونْ
وادركُ سرَّ الهَيَاجْ
واشهدُ للحُسْنِ فى البَدْرِ سحراً جديداً
إذا ما غَدَا فوقَ امواجِهِ الراقِصَاتِ شَظَايَا
فادركُ كيفَ يكونُ القلقْ
وكيف يزيد جمالَ انكسارِ جفونِك طولُ الأرَقْ
فالثمُ جفنيك
لكن تظلُّ البحارُ ... وتبقى الجبالْ
فيلهمني كلُّ طودٍ يلوحْ
معاني الشموخْ
وفلسفةَ الصبرِ والاحتمالْ

• •

وحين السواعدُ حولك تلتفُّ
يسبقهن إليك التلهفُ
حين يلينُ الزمانْ
ويابى علينا المكانْ
فاهصر شوقَك فوق ضلوعي
واعجب كيف توحد فى ساعديَّ النقيضانِ
ـ قمة عنفي ... واقصى حناني ـ
وعندئذ لا احسُّ بطولِ المسافاتِ .....
بالبحرِ ......
بالموجِ ......
بالليلِ ......
او بارتفاع الجبالِ ....
هنالك ، لست احس بغير التوهُّجِ يجتاحُ نفسي ..
وفيض الجمالْ .



شهاب غانم ـ دبى

جمـــال قطـــب

جماعة باربيزون
معزوفة الطبيعة في وجدان الفنان


النصب التذكاري فى قرية « باربيزون » لمؤسسي الجماعة « تيودور روسو » وجان ميليـــــه

رأينا فى حلقة سابقة كيف بلغ الصراع أشده فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بين فـــريقى الكلاسيكيين والرومانتيكيين ، حتى وصل إلى قمة التحدى فى الربع الثانى من ذلك القرن .. إلى أن ظهـــرت الجمهورية الفرنسية الثانية بعد ثورة ١٨٤٨ كنتيجة طبيعية لحركات القمع التى سادت فرنسا خلال حكم شارل العاشر (١٨٢٤ ـ ١٨٣٠) ، لـــويس فيليب من بعده (١٨٣٠ ـ ١٨٤٨) كما كانت لآراء « جان جاك روسو » التى نادت بالرجوع إلى الطبيعة والفطرة ، أثر كبير فى اشعال الثورة ضد الفنون الكلاسيكية .

ولكن التعنت الشديد الذى انتهجه الفنان (دافيد) فى فـــرض الكلاسيكية على فنانى الثورة ، احدث رد فعل بين بعض الفنانين الشبان ، فسعوا إلى التحرر من تلك الاساليب الكلاسيكية التقليدية ، متجهين إلى تصوير الانفعالات من الاحداث التاريخية وكذلك الأحداث المعاصرة .. وتولى قيادة الدكتاتورية الفنية فى فرنسا بعد (دافيد) ، تلميذه (انجر) عام ١٨٢٥ ، وبالرغم من ان انجر قد اتجه بالكلاسيكية إلى البحث الملتزم عن (الجمال) اينما كان شريطة ان يكون مثاليا ، وتحرر من قيـــود الميثيولوجيات الاغريقية والرومانيـــة التى فرضها استاذه (دافيد) ، إلا ان القيد ظل يكبل الفنانين الباحثين عن التحرر واللجوء إلى الفطرة والطبيعة وتأمل اسرار الكون من حولهم دون كلفة او تصنع !

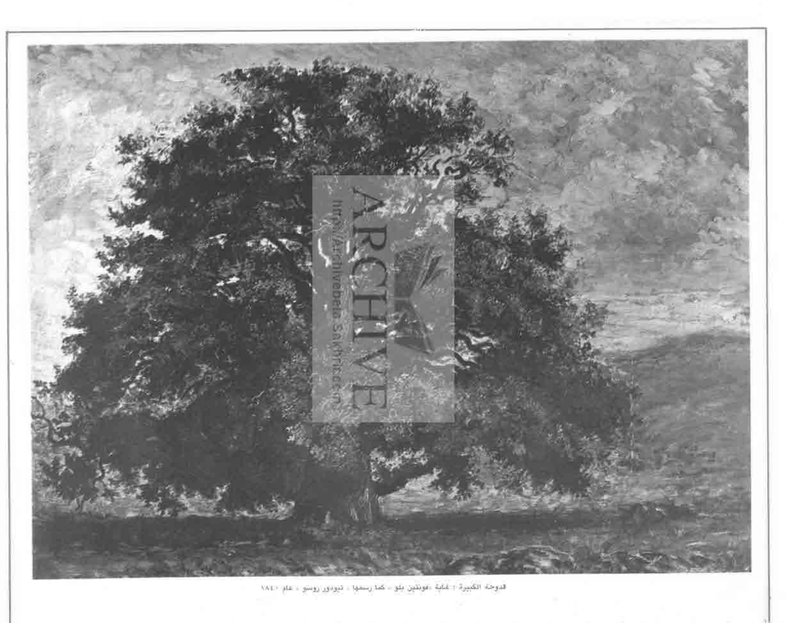
وما ان حل عام ١٨٣٠ ، حتى هجرت مجموعة من الفنانين الشبان باريس ، هربا من سطوة القيود الاكاديمية التى فرضها انجر ، ولجأوا الى قرية صغيرة تبعد عن العاصمة حوالى ٤٨ كيلومترا تدعى (باربيزون) وتقع على حدود غابة (فونتين بلو) الشماليـــة ، وتزايدت هجرة الفنانين إلى هذه القرية فى المدة (١٨٣٠ ـ ١٨٧٣) ، وتكونت منهم جماعة عرفت باسم (مدرســة باربيزون) او جماعة الخروج إلى الطبيعة . وقام الفنانون برسم موضوعات استوحوها من الطبيعة مباشرة تتناول البحر والسماء والغابة وكل ما تقع عليه اعينهم من جماليات الكون الفسيح .

وقد اعتبرت اعمالهم خروجا على القواعد الاكاديمية وشروطها الحازمة ، تلك الشروط التى وضعها انجر وفريق اساتذة الاكاديمية الفرنسية .

ولذلك كانت ترفض تلك الاعمال فى معارض (الصالون) السنوية ، حيث كان العرض بالصالون هو وثيقة الاعتراف بالفنان من وجهة نظر اساطين الاكاديميين انذاك ! وما ان انتهى حكم الملك لويس فيليب عام ١٨٤٨ لتحل محله الجمهورية ، حتى شجعت الدولة (الفن الواقعي) ، ولم ترفض اعمال فنانى الطبيعة فى الصالون ، بل لقد عين بعض اعضاء الجماعة البارزين فى لجنة تحكيم الصالون السنوى فى باريس .. وسادت مدرستهم .. إلى ان تطورت بعد ذلك .. ونشأ فن جديد يعالج طريقة رسم المناظر الطبيعية الخارجية مستغلا نظريات العلوم الحديثة فى تحليل ضوء الشمس والوان الطيف .. هو المذهب التاثيرى ، الذى تحدثنا عنه تفصيلا فى لقاءات سابقة .

وقد اثرت جماعة باربيزون فن التصوير الحديث بالروائع الخالدة من المناظر الطبيعية .. وقاد اعضاؤها المصور (تيودور روسو) ـ (١٨١٢ ـ ١٨٦٧) ـ وهو المؤسس الفعلى لهذه المدرسة التى مجدت الطبيعة فى لوحات شاعرية واقعية رومانتيكية . وقد حصل (روسو) على جائزة صالون باريس عام ١٨٤٨ .. وتأكد نجاحه وتألقت عبقريته عندما خصصت له قاعة مستقلة لاعماله وحدها بصالون باريس فى المعرض السنوى العالمى عام ١٨٥٥ . وتألق جمال الطبيعة فى وجدان الناس وفى بصائر الفنانين وفى أروقة المتاحف !

وعندما تتسابق اليوم هذه المتاحف العالمية الشهيرة لشراء احدى لوحات تيودور روسو ، وتدفع الملايين ثمنا لها ، نتذكر دائما تلك اللوحات التى كانت ترفض باستمرار من رجال الصالون والاكاديمية الفرنســـية فى الفترة (١٨٣٧ ـ ١٨٤٨) بدعوى شططها وريفيتها وخروجها على قواعد الجمال المثالى ! .. ولنتأمل معا هذه اللوحة المنشورة على الصفحة المقابلة لنرى جمال الطبيعة وسحر اللمسات وكأنها تناغم موسيقى رائع بين الأرض والسماء :

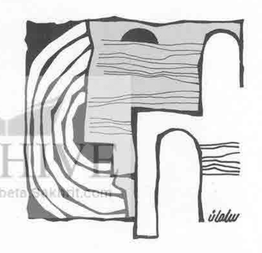


اللوحة الكبيرة : غابة «فونتين بلو» كما رسمها «تيودور روسو» عام ١٨٤٠

من مواقف أبي علي :

شعر : حسن طلب

موقف الشذى



اوقفنى السوسَنُ فى موقفٍ : لا تَثْرِيبَ :
(لا خوفَ
ولا حزنَ
ولا اذىً)
اَخَذَ منىّ الحارِنَ الوعْرَ
واعطانى الاغَرَّ

قال : ذَا بِذَا
قلت : فيابوركتَ مُعطِيا وآخِذا
خَلّصْتَنى من شَرَكِ البنفسجِ / العَوْسجِ
انقذتَ حِصانى ـ إذ اتيتَ

ـ قبل ان يغرقَ فى مستنقعِ القذَى
لانت خيرُ مَنْ اتى فانقَذا
فقال لى :
تلك سهامٌ اصطفِى بها واكتفِى
قلت : وسَهْمَ العشقِ كان انفَذَا
ومال فى غَوْطتِه
فانفتحتْ سبعةُ ابوابٍ رحابٍ
ـ واستدارتْ فوقها سبعُ قبابٍ
ـ كلُّ بابٍ خلفَ محرابٍ
وقال لى :
جَنّةُ من يعشقُ تلكَ
حبّذا لو جِئْتَ

قلتُ : حبّذا
قال : فتهدى إذا دخلتَ ؟
قلتُ : أهتدِي إذًا ..
قال : إذنْ عليكَ بالأدَبْ
قل حِطّةٌ ثم اقترِبْ
وقال لى :
إيّاكَ واللّعِبْ
والسانحاتِ البارحاتِ فاجتنِبْ
قلت : اعوذُ بالشذى
من شرِّ هاذٍ إن هذَىٰ
ومن مُشَعْبِذٍ إذا ما شَعْبَذَا

فقال لى :
يالك جائِيا فعائِذاً
وقال لى :
تلك سحابةٌ ستحميكَ

فلُذْ بظلها إن كنتَ لائذًا
وقال لى : أراك واجفا
فظلَّ واقفا
لكىْ تَرَى
وقال لى :
أراكَ قد عرَاك ما عرىٰ
وقال لى :
قِفْ تتلقَّ حكمةَ الشَّذَىٰ
وقال آيةً
فانطلقتْ سبعةُ أحبابٍ شبابٍ
وانسدلتْ من دونهم سبعةُ أحجابٍ عجابٍ
وحينما جزتُ إليهمُ الحجُبْ
عدتُ ولم أجدْ سوى سبعةِ أثوابٍ
وقلبٍ مذابٍ
فمزج الأثوابَ والقلبَ المذابَ ، قال لى :
العشقُ هكذا
وقال : ما قولك فى اثنين حميمَيْنِ :
دعاها .. فَدَعَتْ
واستودَعَتْ وأوْدَعَتْ
فاستمتعت وامتعت
واستحوذَتْ واستَحْوَذَا ؟ !
وقال لى : الخاسرُ من حاذَرَ
والفائزُ من أقبَلَ واحتَذَىٰ
وقال : تلك لذَّةُ الشذى

فقلت : سعيدٌ من بلذته اغتــذَى
فقال : هنيئًا للذى قــد تلــذَّذَا
فقلت : أرانى بالشذى غيرَ عــارف
فقال : إذنْ أقبلْ تصِرْفيه جهْبَـــذا
فقلت : من العشاقِ من يعرفونَهُ ؟
فقال : جميعًا هُمْ ومن حذْوَهُمْ حذا
فقلت : ألا كم عارفٍ ماتَ دونَـهُ
فقال : وكم حَبْرٍ عليه تتلمذَا (**)
فقلت : ذَوَتْ منـذ ارْعَوَيْتَ لَقَانتى
فقال : كذا دَأْبُ الذى يرْعَوى .. كذا

(*) الشعيذة : لغة فى الشعوذة .
(*) الحَبْر (بفتح الحاء وسكون الباء) : العالم المتمكن من علمه ، وتجمع على أحبار وحبور .

أبجديّة : م.ص

شعر : محمود صقر

تثَــاءَبَ المــكَانْ
ارتَهَــنَ الزمـــانْ
تناثــرَ العِقْدُ الجميلْ
وافتَقَدَ الحَنَـــانْ
م ـ محتــرف مطــارَد
تنهَشُني الذئاب
يستبيحُ حُرْمَتي البرغوثْ
ح ـ حــائرٌ ..
تلفــظُني مَرْسَــاتي
وعيْنُ المــواني
وقــلبٌ طيّــب
يبعــث الحيَــاه
م ـ منســحِقٌ ..
محدودِبُ الظهــر
تلسَعُني السّـياط
ألف لعنةٍ تقتاتُ أحشائي
لا مــاء ..
لا تــراب ..
لا هــواء
و ـ وحيــد
إلا من الأصــدقاءْ
واحــدٌ تمضُغُــه الرطــوبةْ
وواحــد تمضُغُــه النعومــةْ
د ـ دُرِّبْــتُ أن أردِّدَ الكــلام
أنــا العظــيمْ
أنــا الذليــلْ
ص ـ صار الضَّحِــكُ بكَــاءْ
وصرت بيْــن بيْــن
لا ضَحِــكَ .. لا بُــكَاءْ
ف ـ فاضت الروح
تعاليْ .. تعاليْ
احتضنيني
ر ـ رئتي صارت وَقُــودًا وحِجَــارةْ
ارفعي عنيّ البَــذَاءةْ ،،،



ثعلوب يتعرف على الأرانب

بقلم : خلف أحمد خلف

رسوم : سلطان السليطي

هذه القصة تمثل بداية الأعمال التي قدمت للطفل



رحلة نقدية مع كتب الأطفال في قطر

من هنا .. لا من الغرب ينبغي أن نكتب للأطفال

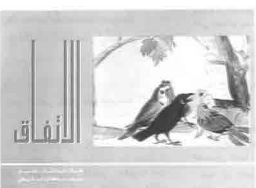
بقلم : عبد الرحمن المناعي

قامت ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام خلال السنوات الثلاث الماضية باصدار ثمان كتب تتضمن ثماني قصص للاطفال وجهت لاعمار مختلفة . وبذلت الادارة كل جهد من اجل ابراز هذه التجربة ومحاولة إثرائها وإن كانت التجربة لم تخل من بعض السلبيات مثل عدم وجود او وضع منهج واضح لتبنى هذه الخطة بشكل مستمر وعدم القدرة على ايصال هذه الكتب الى المنتفعين بها ، واخيرا عدم القدرة على ابراز هذه الاعمال على الصعيد الاعلامى وعدم تناولها بالنقد والتحليل على الصعيد الصحفى .

ففى ظل غزو وسائل الترفيه المتعددة وتوفرها بشكل كاسح فى كل زوايا المنزل ، يظل الطفل العربى كائنا يتم تشكيله حسب ما تزوده السوق الفنية من مواد يزداد تاثيرها ويقل حسب ثقافة ودراية والديه .

وإذا كان الكبار قد وجدوا فى التلفزيون وشرائط الفيديو مادة اسهل من الكتاب، ونموا سلبياتهم تجاه هذه الأجهزة هروبا من التعاطى الفكرى ، وجعلوا من عقولهم اداة استقبال ليس لها حق الاختيار ، فكيف الحال مع عقول متوثبة مترقبة تبحث عما وراء الشيء وتسترشد وتبحث عن الطريق الصحيح ؟!

ولو نظرنا الى واقعنا والى الجهود التى تبذل من اجل تقديم مادة مفيدة للطفل ، لوجدنا ان المحاولات قليلة جدا ، بعضها وجد لغاية تجارية بحتة ، وبعضها الاخر وجد لغاية انسانية ، ويعيب الفئة الاولى سوء الاختيار وعدم مراعاة احتياجات الطفل الحقيقية ، بينما يعيب الفئة الثانية القصور فى عملية النشر والتوزيع ، وتظل التجربة ناقصة ما لم تصل الى الطفل بشكل بسيط .









مجموعة من كتب الاطفال التي قدمتها ادارة الثقافة والفنون وحاولت بها ان تخاطب عقلية وميول اطفالنا

ومن بين أوجه القصور فى هذا المجال افتقاد العناصر البشرية المتخصصة . فالكتابة للطفل ليست مجرد مسالة دخول لعالم الكتابة والابداع ، فبرغم انها تعتمد على كلمات قليلة مختصرة إلا ان وراء كل كلمة محاذير عديدة ووراء كل جملة جدل يتطرق الى النواحى النفسية والتربوية للطفل .

ومعنى ذلك باختصار ان التعامل مع الطفل يحتاج الى القلم المتفهم المدرك والى الخيال الذى يراعى نواحى عديدة والى الأسلوب الواضح الذى يختار الكلمات المناسبة لكل سن ، ثم ياتى بعد ذلك عنصر لا يقل اهمية عن مضمون الكتاب الا وهو شكله الفنى ..

وهذه قضية على جانب كبير من الاهمية حيث ان الشكل لدى الطفل يعنى جذب اهتمامه وفضوله او العكس : الالوان ، الخطوط ، الصور .. كلها تؤثر بشكل سريع على موقف الطفل .

ولا ننسى أن بعض القصص الموجهة لسن معينة تقتصر على الصور فقط ، وهذا يعنى دقة متناهية فى رسم الأحداث وابرازها بشكل يصل الى الطفل بسهولة ، ويتيح له القدرة على التصور الخاص ..

وأخيراً ، وقبل البدء فى مطالعة هذه القصص لابد من الاشادة بتلك التجربة والدعوة الى بذل مزيد من الجهد ومزيد من الدقة ، ودعوة للجميع بمساندة هذه التجربة حتى تصل لغايتها المرجوة وحتى نستطيع أن نضع البديل المناسب فى الوقت المناسب امام طفلنا قبل أن تشوهه شرائط الفيديو !

عبد القادر عقيل فى تجربته الأولى

هاتان حكايتان .. الحكاية الأولى تروى قصة اتفاق بعدم اعتداء يتم بين مجموعة من الطيور ، وبين الثعلب ، يقترحه ديك مغرور ، يكون فريسة للثعلب ، وتأتى خاتمة القصة على شكل نصيحة مفادها ان من يصدق عدوه يهلك .

قصة مناسبة للاطفال فى سن ما بعد العاشرة ، إلا انها تتجاوز تلك السن فى بعض جملها التى ينقصها التركيز اثناء سرد الأحداث حيث يصعب على الطفل تتبعها بسهولة .

اما الحكاية الثانية فهى حكاية سلطان يتشاءم من المطر والسحب ، وذات يوم جاءت غيمة سوداء كبيرة وحجبت ضوء الشمس ، فخرج الناس من بيوتهم فرحين ، لكن السلطان امرهم بالنفخ على الغيمة كي تذهب بعيداً ، وعندما عجزوا جميعاً ، صنع السلطان لنفسه جناحين وحاول ان يطير بهما ليبعد الغيمة ، لكنه وقع ومات .

هذه حكاية تربوية مباشرة ، حاول الكاتب من خلالها ان يقول لنا ان الحقيقة لا تخفى .

الملاحظ فى القصتين ان الرسام قد اجاد توضيح الحكاية ، ولكنه لم يراع نفسية الطفل بالنسبة للتنفيذ والالوان ، لذلك كان التنفيذ رديئاً ، والحكايتان لا تخرجان عن إطار الوعظ والمباشرة .

.. وتبقى قضية الالوان

«ثعلوب» هو اسم ثعلب صغير لا يعرف غير اصدقائه الثلاثة وهم من بنى جنسه .. اصدقاؤه يضحكون عليه لعدم قدرته على التعرف على الأرنب . فمرة يأتيهم بفار ومرة بكلب ، وكل ذلك لانه لا يستمع جيداً عندما يتحدث غيره .

الكاتب استطاع ان يسرد القصة بشكل سلس بسيط ، والرسوم ساعدت فى ابراز الحكاية ، ولكن تبقى قضية الالوان .

فمهمة الرسام ليست فقط توضيح القصة وتذليل مضمونها بالصورة المناسبة امام الطفل لكى يستوعبها ويفهمها ، وإنما مهمته ان يستثير فى الطفل عالما من الالوان التى تجعله يعشق ان يرسم وان يستخدم هذه الالوان فى التعبير عن خيالاته وتصوراته الخاصة .

والملاحظة الثانية هى ان هذه القصة لا تخرج عن اطار القصتين السابقتين فهى موعظة مباشرة تقريرية لا تخدم خيال الطفل ..

وللمؤلف قصة ثانية بعنوان «اجمل من قوس قزح» انتجتها الادارة ولم اتمكن من الحصول عليها .

كما ان للمؤلف تجارب عديدة فى التعامل مع الطفل من خلال المسرح ، واتمنى ان يستمر مساهماً فى وضع الاسس لتطوير فن الكتابة للاطفال .

محاولة لتقديم حكاية مرسومة

هذه القصة موجهة للاطفال فى سن الرابعة وما فوق ، تحكى عن حب راشد للحلوى وعدم تقيده بتعليمات والديه بغسل اسنانه قبل النوم ، فقد كان راشد ينام لتصحو مخلوقات صغيرة تتنقل بين اسنانه تبحث عن طعامها ، وبعد ايام تحولت اسنان راشد الجميلة الى اسنان نخرة مسوسة .. واخيراً قرر الطبيب ان يخلع بعض اسنان راشد ليخفف من المه ، فكان يصرخ متألماً ولكنه هذا حين قال له الطبيب : إن نظافة الاسنان ضرورية .

ربما حاول محمد علي الفنان التشكيلى المعروف ان يقدم للاطفال حكاية مرسومة فقط ، وان يسخر ريشته والوانه لتوصيل هذا الدرس البسيط للصغار ، ولو انه تريث قليلا لما احتاج لتلك الجمل التى اقحمت على القصة لشرحها فبعض الرسوم لا تحتاج الى شرح ، وبعضها يحتاج الى اضافة بسيطة لايصال المعنى المطلوب .

اما من ناحية تنفيذ تلك الرسوم والوانها فنعود للحديث عن الفرق بين الرسم للاطفال والرسم العادى ، فمهمة الرسام هنا واضحة جلية ، تعتمد على الاختيار الدقيق للالوان والشكل البسيط المناسب ..

ملاحظة اخيرة وهى تنفيذ الكتاب بشكل متسرع جعل منه كتابا ابعد ما يكون عن قصص الأطفال ..

قفزة جديدة فى عام الطفل

بعد الكتب السابقة قامت ادارة الثقافة والفنون بطباعة ثلاث قصص فازت فى مسابقة اجرتها الادارة بمناسبة العام الدولى للطفل ١٩٧٩ ..

والحقيقة ان الادارة استفادت من تجربتها السابقة فقامت بتوزيع القصص على اكثر من فنان تشكيلى ليقوم بتنفيذها وجاءت النتيجة جيدة وصدرت هذه الكتب مع بداية هذا العام ١٩٨٣

وقد كانت القصة الفائزة بالجائزة الاولى هى قصة الثعبان اللعين ..

ولاشك انك تفاجأ بهذه القفزة النوعية فتعتقد لاول وهلة انه كتاب اصدرته مطابع الغرب ، لروعة الوانه ، وجودة الورق «كوشيه» وجمال الاخراج ، ودقة الطباعة



فى هذه القصة حاول الفنان التشكيلى محمد علي الدخول الى عالم الطفل



القصة الفائزة بالجائزة الثانية

.. إنه كتاب مثير للانتباه يؤكد دور تلك العناصر وتاثيرها فى جذب الطفل .

الحكاية تتحدث عن سيطرة ثعبان لعين على واحة خضراء وعين ماء لا يستطيع احد الاقتراب منها ، وعندما جف بئر الفلاح عبد الله اضطر الى محاربة ذلك الثعبان بمساعدة الطيور ، واستطاع اخيرا الانتصار عليه وقتله .

لاشك ان المؤلف استحق فوزه لوضوحه وتمكنه من إبهار الطفل واثارة ترقبه ، وساعدت الالوان الهادفة للرسام فى ايصال المضمون بطريقة ودية ، وابتعد المؤلف عن المباشرة فى اسداء النصح .

وهذه النتيجة الجيدة فى التنفيذ تجعلنا نؤكد بان الاعداد والتنفيذ الجيدين لهما دور كبير فى كتب الاطفال .

ورغم أن هذه القصة تعتمد على السرد المكتوب اكثر من الصور إلا ان الشكل الجمالي للكتاب يجبر اي قاريء ـ فما بالنا بالطفل ـ على التوقف لتصفحه .

الجمال والبساطة فى سيد المخلوقات

كانت هذه القصة الفائزة بالجائزة الثانية فى المسابقة .

سمع الأسد أن سيد المخلوقات هو الانسان فغضب لذلك وهام على وجهه بحثا عن هذا الانسان حتى تعرف عليه فطلب مصارعته ، فقال الانسان ان قوتى ليست معى الآن ، فتركه الأسد يذهب للبيت لاحضارها ، فذهب الانسان واحضر عصا غليظة ضرب بها الأسد ففر هاربا ، ولكن الأسد لم يرض بهذه الهزيمة فجمع كل أسود الغابة وهجم على الانسان الذى صعد الى الشجرة ، ففكرت الاسود فى طريقة للوصول اليه ، فاقترح الاسد ان يركب كل واحد فوق الاخر حتى يصلوا الى الانسان ، وكان هو على الأرض خائفا من عصا الانسان ، وفطن الانسان لذلك ، فما كانت الأسود تصل اليه حتى صاح «ابتعدوا عنى حتى لا تصيبكم عصاى ، دعونى اضربه مرة اخرى» ، وعندئذ تذكر الأسد العصا فهرب فوقعت الاسود على بعضها وهربوا الى الغابة .

وهكذا فان الانسان هو سيد المخلوقات بعقله وتفكيره ..

وفى هذا الكتاب يستطيع الرسام الفنان محمد الصغير ان يضع يديه على نوعية الرسوم المطلوبة لتاتى غاية فى الروعة والبساطة ..

أما الحدوتة فلم تخرج باى حال عن سابقاتها من سرد بسيط لحكايات تدور اكثرها فى الغابة وتؤكد تفوق الانسان وضرورة التفكير والتعاون .

وبهذه القصة تحقق الادارة كتابا رائع المظهر بجمل سلسلة معبرة ورسوم رائعة .

تجربة تستحق الوقوف والمقارنة

كانت هذه هى القصة الفائزة بالجائزة الثالثة ..

وهى قصة اطفال نذروا انفسهم لخدمة الناس ولخدمة مدينتهم ونظافتها ، وكونوا جمعية اطلقوا عليها اسم «الخير للجميع»

وهذه الحكاية باسلوبها الروائى المحكم وبرسومها التى حاولت بشكل واضح الاضافة الى جانب التفسير اعتبرها تجربة ثالثة مختلفة من حيث التنفيذ بحيث تستحق الوقوف والمقارنة وإن كان مضمون الحكاية يدور حول نفس الموضوعات ذات الطابع الارشادى ..

دعوة لاثراء التجربة واستمرارها

من خلال القراءات السابقة نجد ان هذه القصص برغم تعدد مؤلفيها واختلاف مشاربهم ، فكلها تدور حول موضوعات تربوية لا تخلو من المباشرة . كما انها تشابهت فى مكان الاحداث حيث كانت الغابة فى اغلب القصص مسرحا للاحداث من هنا ارى ان تكوين قاعدة صلبة للانطلاقة بهذا الجهد النبيل لابد ان تدفعنا الى دراسة وافية للطفل وظروفه التربوية والاجتماعية ومكوناته المبكرة وتراثه الشعبى ، وذلك لاختيار المادة الملائمة له .

وبنظرة سريعة ارى ان العودة للتراث العربى (كليلة ودمنة ، الف ليلة ، قصص العرب) والتراث المحلى واختيار ما هو صالح منه يشكل مصدرا ثريا للخيال والخصوبة ويمتزج بتاريخ لابد للطفل ان يتعرف عليه .

كذلك فان من الضرورى دراسة أساليب اصدار كتب الأطفال فى الدول المتقدمة فى هذا المجال ، واخذ ما هو صالح وملائم لطفلنا العربى فى أساليب التنفيذ ..

والمعروف ان الادارة ، قامت بشراء قصة مترجمة عن الفرنسية لاصدارها قريبا وعنوانها «صياد اللؤلؤ» .. وانا لا ارى اى مانع فى ذلك شريطة مراعاة الفروق النفسية والسلوكية بين اطفالنا واطفالهم .

واعتقد ان الخصوبة متوفرة فى تراثنا بشكل عام لنغذى طفلنا العربى بما هو مفيد ونافع ..

واخيرا .. اتمنى أن تستمر هذه التجربة وليس هناك ما يمنع من اقامة ندوة تدعى لها الادارة لتقييم هذه التجربة ووضع منهاج واضح للاستمرار فيها فلقد قدمت تلك الادارة خير خدمة للاطفال ويا حبذا لو كرست مزيدا من الجهد من اجل تدعيم هذه الاعمال ..

عبد الرحمن المناعى



طفل نائم .. وحارسه مستيقظ لحمايته من أي خطر

الصداقة عند الحيوان

إذا صادقت الحيوانات فهي تصادق عن وفاء وحسن نية

بقلم: الدكتور عزالدين فـــراج

هناك حيوانات إذا صادقتك فهى تصادقك على وفاء وحسن طوية ، لا يشوبها غدر او وقيعة . وإذا حالفتك ادت تعهداتها كاملة غير منقوصة من غير تردد أو إبطاء ، وإذا عاهدتك لن تمحو الأيام ماعاهدتك عليه ، معاهدات تحترمها الاجيال جيلا بعد جيل ، معاهدات لن يشوه قدسيتها مصالح فردية ولا مطامع مادية .

والصداقة بين الانسان والكلب قديمة قدم التاريخ نفسه ، فقد كان الكلب له حارسا ورفيقا وانيسا .

وعندما بدا الموسيقار العالمى شوبان يكتب سيمفونيته الخالدة راح الناس يبحثون عن الفتاة المحظوظة التى سيقدمها لها ، فاذا به يهديها الى كلب صديقته المؤلفة الفرنسية «جورج صاند» .

ولما ذهب نابليون ليعيش فى منفاه لم يكن وحده ، فقد فوجىء الجميع بكلبه الصغير «لوريل» يسير وراءه إلى المنفى .

قال مارك توين يوما : «خذ كلبا ضالا جائعا ، واطعمه واملأ معدته ، إنه لن يعض اليد التى احسنت إليه ابدا .. وهذا هو الفارق الكبير بين بعض الناس وهذا الحيوان الوفى الأمين» .

كتبت «جين اوستن» المؤلفة الانجليزية تحكى لنا قصصا عن هذا الصديق الوفى الذى يمشي على أربع ، وعن تعلق الانسان به وحبه له ، قالت : «كان الرسام الكبير مايكل انجلو يصحب كلبه معه ، وهو يقوم باروع اعماله الفنية ، فقد ظل هذا الكلب الصغير يلازمه طوال عمله ، فيقفز من مكانه ويتبعه عائدا الى البيت .. » .

والكلب فى صداقته وفي امين ... لا يعرف نفاقا ، ولا يضمر خداعا او رياء ، إنما يصادق مصادقة شريفة كريمة ، شعارها الوفاء المطلق والاخلاص الكامل .. وفيما يلى بعض القصص الواقعية التى تصور صداقة هذا الحيوان وما جبل عليه من وفاء منقطع النظير .

« يحكى أن ملكاً من ملوك اليمن كان عنده كلب ، يلبسه الحرير ويطوقه بالذهب ويأخذه معه أينما ذهب ، فأحبه الكلب حباً عظيماً . وفي ذات يوم تركه في المطبخ مع الطاهي بعد أن طلب منه طعاماً معيناً .

وبعد أن أعد الطاهي الطعام المطلوب انصرف لبعض شئونه ، وفي أثناء غيابه دخل ثعبان المطبخ ، ونفث سمومه في هـذا الطعام على مرأى من هذا الكلب .

وعندما عاد الطاهي أسرع في تقديم الطعام إلى مولاه ، فراح الكلب ينبح نباحاً متصلا ، محذراً سيده . ولما لم يلتفت إليه أحد اندفع نحو الطعام ، وأكله ، فمات لساعته . فبكى الملك حزناً عليه ، وكفنه في حرير وبنى له قبراً».

يبحث عن صاحبه

ومن القصص التي تصور هذا الوفاء الكامل والإخلاص النادر ، قصة الكلب الذي ظل عدة سنوات ينتظر صاحبه ويبحث عنه

ففي يوم من الأيام سافر « سدني » على ظهر باخرة إلى أوروبا ، بعد أن ودعه كلبـه في الميناء ، وكان الكلب كلما أقبلت سفينة من بعد ، أسرع الى الميناء وراح يتأمل الركاب القادمين واحداً بعد واحد ، ثم يعود حزيناً ، لأن سيده لم يحضر بعد .

واستمر الكلب على الذهاب إلى الميناء ، ومراقبة القادمين ثلاث سنوات ، وأخيراً جاء سيده ، فاندفع نحوه يطوف حوله ، ويلحس يده ، ويهز ذيله ، من فرط سروره بلقاء سيده .

والقصة التالية تصور عمق الصداقة ومدى إدراكه لها وتمسكه بها .

أراد أحد القصابين أن يسرق بعض الأوراق الهامة من منزل السيد باركر ، فكان كلما مر في طريقه بباب السيد «باركر» ألقى قطعة لحم للكلب ، معتقداً أن ذلك سيسهل عليه دخول المنزل ، وسرقة ما به دون أن يتعرض له الكلب بالأذى .

وفي ذات يوم اقتحم باب بيت السيد باركر وكسره ، وتسلل إلى الداخل .

رآه الكلب في بداية الأمر ، فهز ذنبه فرحاً بصديقه ، فألقى أمامه قطعة لحم كبيرة معتقداً أنها تشغله وقتاً طويلاً .

واندفع القصاب إلى خزانة السـيد «باركر» لسرقة ما بها من أوراق فتبعه الكلب تاركاً قطعة اللحم ، ولما رآه الكلب يعبث بأوراق سيده ويمزقها ، هجم عليه الكلب وعضه في رجله ، وفي أثناء هجوم الكلب سقطت سماعة المسرة على الأرض وكانت من النوع القديم غير المباشر ، فاندفع الكلب نحوها ، وأخذ ينبح نباحاً شديداً ، وكان القصاب يسب ويلعن بصوت عال ، من شدة الغضب والألم . وعندما سمعت عاملة المسرة هذا الضجيج في أثناء سؤالها عن الرقم المطلوب ، لم تتردد في إبلاغ البوليس بما سمعت ، فجاء من فوره وقبض على القصاب وأخرج من ثيابه الأوراق التي سرقها .

وكان هذا الكلب أراد أن يقول له :

أسف يا سيدي .. مهما أعطيتني من لحم وعظم ، فان ذلك لن ينسيني واجب الوفاء نحو صاحبي .... لن أقبل رشوتك مهما كانت من لحم وعظم .

ويروى أيضاً أن أحد المصورين اقتنى كلباً ، وكان يلحظه دائماً بعنايته ورعايته فلما مرض هذا المصور ، ونقل إلى المستشفى ظل الكلب واقفاً أمام باب المستشـــفى لا يبارحه ، وعندما مات سيده ، تبع الكلب نعش صاحبه ، وشيعه إلى مقره الأخير ، وظل ممتنعاً عن الطعام ستة أيام متتالية ، حتى مات بدوره حزناً على سيده .

هذه صور متباينة وحوادث واقعية تصور صداقة الكلب للانسان وما عرف عنه من اخلاص ومودة ووفاء .

التمساح وطير الزكزاك

ويوجد تحالف اخر يثير الدهش حقا بين التمساح وطير يدعى « زكزاك » ولقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى الصوت الذي يصدر عنه .

لقد أنس التمساح لهذا الطير من قديم الزمن ، فتوطدت بينهما أسباب الصداقة حتى أنك ترى هذا الطير يدخل ويخرج من فم التمساح في طمأنينة بالغة كأنه في عقر داره . يدخل هذا الطير فم التمساح ، ليلتقط فضلات الطعام من بين أنيابه ، والتمساح راض عن ذلك كله دون أن يفكر في التهامه .

ولعله يرى في التهام هذا الطير الصديق مظهراً من مظاهر الغدر والخيانة ، وإن كان التمساح في طبيعته لا يتورع عن هذا الغدر .

ولكن للصداقة حرمة وللتحالف حقوق وتقاليد !!

وطير الزكزاك يقدر من التمساح صداقة فيبادله صداقة بصداقة ، ومودة بمودة ، ويقدم له أجل الخدمات ، وهل هناك أجل وأعظم من أن ينذر التمساح بالخطر المحدق بحياته قبل وقوعه .

فهذا الطير يتبع عادة التماســيح في رحلاتها عبر الأنهار طالباً للقوت ، فإذا ما شاهد صياداً مقبلا أو خطراً بالتمساح ، أسرع إلى انذاره بأن يصدر صفيراً حاداً يدرك التمساح معناه ، فيسرع إلى الاختباء أو يتخذ الحيطة اللازمة .

وتذكرنا صداقة التمساح بطير الزكزاك بصداقة أخرى قائمة بين حيوان يعرف باسم « وحيد القرن » ، وطير آخر .

لقد تحالف الحليفان من زمن قديم وتعاهدا معاً على خير كل منهما ، وقامت بينهما معاهدة صداقة ، لأن الحشرات تضايق هذا الحيوان الضـــخم ، وهــو لا يستطيع مطاردتها مع كبر جسمه . لهذا تحالف مع هذا الطير وأعطاه امتياز الهبوط على ظهره والسير ببطء ليلتقط الحشرات ويتغذى بها كيفما شاء .

وفي سبيل ذلك نصت معاهدة التحالف والصداقة على أن يقوم هذا الطير بانذار هذا الحيوان كلما رأى صياداً أو وحشاً جاء من بعد .

القط والفأر صديقان

ومن أمثلة صداقة الحيوان لأخيـــه الحيوان ، صداقة قرد ورخ في حدائق الحيوانات بلندن . لقد عاش هذان الصديقان في توافق وتفاهم مدة طويلة ، وبالرغم مما بينهما من اختلاف لم يتشاجرا .. وكثيراً ما حمل الرخ صديقه القرد الى جهات عديدة .

ومن أغرب ما ذكره مدير متحف التاريخ الطبيعي في كندا انه وضع قطاً صغيراً مع فأر صغير في قفص واحد ، فشبا معاً ، وأكلا وشربا معاً ، وغفت عيونهما معاً ، ثم نقل القط الى قفص آخر ، وأقصى الى جهة أخرى بعيداً عن زميل صباه . فما كان من الفأر إلا أن انكمش في قاع القفص ، وبدت عليه علائم الحزن والانقباض ، وامتنع عن تناول الطعام ، وظل كذلك إلى أن أعيد اليه القط ، وبعد فترة طويلة ، فارق الفأر الحياة بحكم الشيخوخة ، فحزن عليه القط حزناً شديداً وظل يموء أسبوعاً كاملا بغير انقطاع .

ورَوى أحد الرحالة أن غزالا كان يأوي إلى مغارة في جبل فتبعه ، فرأى وعلا بداخل المغارة لا يستطيع المشي ، ورأى مع الغزال عنقوداً من العنب وهو يلقيه في فم الوعل .

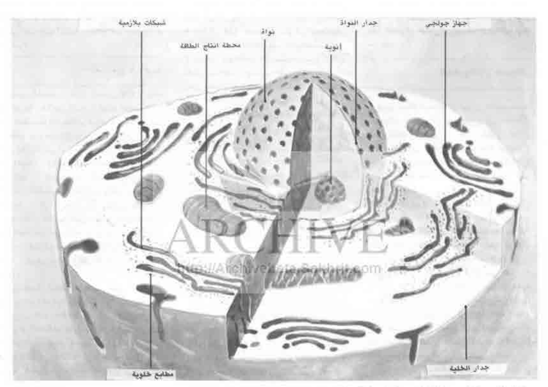
ويحكي أيضاً أن أحد الرحالة كان جالساً ساعة القيلولة وأمامه طعام يأكله ، وإذا بكلب يختطف رغيفاً ويعدو ، فتبعه حتى انتهى إلى مغارة ، فإذا فيها كلبة قد عجزت عن الحركة ، فجعل يكسر الرغيف ويضع كسرة في فمها ، فتعجب الرحالة وانصرف .

سبحانك ربي ؟! .. حتى هذه الحيوانات علمتها الصداقة والوفاء ... زدنا من هذه الصداقات لنهرع إليها في المحن ، ونستظل بها في صحراء الحياة ، فنحن أحوج إليها ، لكي تحقق الحب والسلام على الأرض .

د . عز الدين فراج

توحّد الخلق.. في فكرة.. ثم شفرة!

بقلم د. عبدالمحسن صالح



شكل (١) رسم توضيحي لخلية على مستويات مختلفة ومؤسس على ما راه العلماء بالميكروسكوب الضوئي والاليكتروني ، وفي وسط الخلية توجد النواة التي تحتوي على اشرطة مبرمجة (لا تظهر هنا بطبيعة الحال) ، وحول النواة مرافق الخلية المختلفة التي تدير بها شئون عالمها الدقيق ، ويحيط بالسيتوبلازم (أو مادة الخلية الحية) جدار او غشاء رقيق ليحفظ لها مادتها ، ويحدد شكلها ، ولا تختلف خلايا المخلوقات عن بعضها البعض كثيرا في هذا الاطار العام .

كل كائن حي من تراب .. والى تراب يعود ، وعلى هذا المبدا العام ، لا يختلف اثنان .. لكن الاختلاف يجيء في التفاصيل والعلم بهذه التفاصيل يحتاج الى حواس غير حواسنا ، او عيون غير عيوننا ، لان العين البشرية قاصرة عن رؤية عوالم كثيرة خافية ، اذ لو اعتمدنا عليها فيما ترقب وترى ، لغاب عن مداركنا ما انطوى عليه الخلق من نظم قدرت تقديرا مذهلا .

فنظرة العين الى التراب وما طوى ، او إلى اللحم وما حوى ، او الى الدم والنطف والانسجة والالياف والخشب ، وغير ذلك من مكونات شتى ، غير نظرة العلماء اليها « بعين » المجهر الذي يكبر الاشياء وعشرات الالاف من المرات ، وكلما كان التكبير اكبر ، ظهرت التفاصيل اكثر ، وتجلت لنا اكوان دقيقة من داخل اكوان ادق ، من داخل اكوان ادق وادق !

وبالعين نرى المخلوقات المنظورة متباينة في التكوين ، ومختلفة في الاشكال ومتعددة في الالوان ، ولهذا قسمها العلماء الى رتب وعائلات واجناس وانواع .. لكن هذا الاختلاف الظاهري سوف يتلاشى بالتدريج ، كلما نظرت الى اصول الخلق

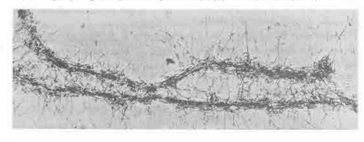
بالتفصيل .. فتشريح الكائنات الحية .. هو أول خطوة متواضعة فى رؤية بعض التفاصيل ومنه يتضح ان هناك اعضاء او مرافق فى الكائنات الحية .. ولكل عضو انسجته ، والانسجة متشابهة فى الحيوانات الثديية او ما دونها الى حد كبير ، لانها تؤدى نفس العمل .. ففكرة انسجة الجهاز الهضمى ، قد جاءت لتهضم وتمتص ، وانسجة الجهاز العصبى لتحس وانسجة الكلى لترشح ، وانسجة الرئتين لتتنفس ، والعضلات لتتحرك ، ولا يختلف ذلك في الانسان عن الحيوان .. ويعني هذا ان تلك الانسجة لها بدايات مشتركة ، واصول موحدة ، وجذور متوارثة يعرفها العلماء من خلال عمليات التشريح المقارن بين الكائنات .

وعند حدود الانسجة ، تتوقف كفاءة العين البشرية ، فلا تكاد بعدها ان ترى شيئا مذكورا ، لكن « عين » المجهر تكشف لنا مزيدا من التفاصيل ، وتوضح ان كل نسيج يتكون من خلايا .. أو بمعنى اعم نرى وحدة الحياة هنا ممثلة فى خلية ، اى ان كل المخلوقات من خلايا ، ولا يختلف فى هذا الميكروب عن الحشرة عن الدودة عن النبات والحيوان والانسان .. فالكل ينشأ من خلية ، وفيها توحدت فكرة الخلق من البداية الى النهاية .

تحديات كبرى

لكن ليس معنى ذلك ان الخلايا صورة طبق الأصل من بعضها ، بل هى تتخذ بدورها أشكالا وانماطا واحجاما مختلفة ، لانها تؤدى وظائف مختلفة كذلك ، لكن ما هو السر الكامن وراء هذا التنوع الهائل على مستوى الخلايا ثم الأنسجة ثم المخلوقات ثم الأنواع ؟ .. وهل يمكن ان ينشأ هذا الطوفان الدافق من كل سلالات واجناس الكائنات من أصل واحد ، او خلية أولى كانت هى بمثابة « آدم » الخلايا التى اشتقت من أصلها كل هذه السلالات الخلوية التى يرقبها العلماء بالميكروسكوبات ليل نهار ؟ ... واذا كان هذا صحيحا ، فما هى الفكرة الموحدة التى تشترك فيها جميعا ؟ .. ثم كيف تتميز الخلايا فى الكائن الواحد ، رغم انها نشأت من خلية واحدة ملقحة ؟ .. وما هو

شكل (٢) خريطة الكروموسومات لكل من الانسان وعائلة القردة العليا .. ان فكرة الخلق فيها جميعا واحدة ، كما انها قد جاءت ازواجا ، وكل زوج متشابه تماما ؛ لأن احدهما قد جاء من الذكر ، والآخر من الانثى ، وهما يمثلان النوع ... لاحظ ان الزوج الاخير في كل خريطة غير متشابه ، فالكبير منها يحدد الانوثة والصغير للذكورة ، وطبيعى ان تكوين الكروموسومات هنا غير واضح ، فاذا كبرنا واحدا منها بالميكروسكوب الاليكتروني لرأيناه يتكون من خيوط دقيقة مهلهلة (شكل ٢ ب) لكن .. ماذا تحوى هذه الاشرطة الدقيقة ؟ (انظر شكل ٣) .



سر الاختلاف بين افراد النوع الواحد ، وبحيث لا يأتى مخلوق فى هذا النوع شبيها فى كل صفاته مع اى مخلوق آخر ؟ .. الخ .

الواقع ان مثل هذه الاسئلة تنطوى على تحديات كبرى لكل من فكر وتساءل وتأمل وتعجب ، لكن ذلك لن يزيل الحجب عن الأسرار العظيمة التى تنطوى فى خلق الكائنات ، بل لابد ان يتبع مرحلة التعجب والتساؤل ، مراحل متطورة للبحث والتجربة فى أصول الاشياء ، او بدايات الخلق ، وهذا ما ارتضاه العلم سبيلا ، والعلماء طريقا ، فتفتحت لهم كنوز من المعرفة الحقة ، لأنها قامت على أساس ، ولها مراجع ، ومراجعها من عند الله ، لأنها هى ذاتها آيات الله فى خلقه .. فكأنما آيات الخلق عند العلماء التجريبيين ، كمثل آيات القرآن الكريم عند علماء

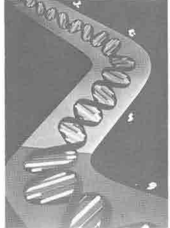
المسلمين . وكلها من عند الله ، وكل يتدبر على حسب تخصصه ومستواه ، « افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .. وكذلك « آيات » الخلق ، اذ لو كانت من عند الله ، لوجد العلماء التجريبيون فيها اختلافا كثيرا .. صحيح ان الاختلاف فى الظاهر ، لكن الفكرة الموحدة فى الخلق تكمن فى الباطن .

ولظاهر الخلق علماء ، وكذلك للباطن ، والخلايا ذاتها لها ظاهر وباطن ، ولكى نطلع على الباطن ، فلابد من تشريح الخلية ، وللتشريح على مستواه الدقيق وسائل ، إما بالرؤية من خلايا «عيون» للجاهر ، أو بالتحليل الفيزيائى لكل مالا تستطيع وسائل الرؤية اظهاره ، ثم لابد من التدليل على ذلك بتجارب هادفة ، ليتحقق القول بالعمل ، أو النظرية بالتطبيق ، وهذه سمات المنهج العلمى الأصيل .

وبدون الدخول فى التفاصيل ، نقول ان العلم قد حقق فى هذا انجازات هائلة ، وفتح عقولنا على أسرار مذهلة ، وبها عرفنا كيف نشأت الحياة من « سلالة طين » .. لكن قبل أن نتعرض لأصول النشأة الأولى كان لزاما علينا ان نرى ما تمخضت عنه بحوث العلماء عند تشريح الخلية .. اية خلية تشاء من اى مخلوق تريد ، ولا تختلف التفاصيل كثيراً فى مملكة الحيوان عنها فى مملكة النبات ، وبهذا نستطيع أن نوضح الاجابات الواضحة ، على الأسئلة السابقة .

للخلية ظاهر وباطن

فكما تنطوى المخلوقات على ظاهر وباطن كذلك الحال مع الخلية ، فلها شكل مميز يحدد طبيعتها ووظيفتها فى الانسجة التى تحتويها ، ومع ذلك فهى تشترك فى أمور جوهرية .. منها غلاف او جدار رقيق غاية الرقة ، ليحفظ لها استقلالها ومادة حياتها ، ومنها السيتوبلازم الحى الذى تنتشر فيه مرافق متخصصة ، وكانما هى بمثابة الادارات الفرعية فى دولة من الدول ، ومن التالف والتناسق بين هذه الادارات الكيمبائية ، تتوازن العمليات المختلفة فى



شكل (٢) نموذج مبسط لجزء من الشريط الوراثى وهو يبدو كضفيرة مجدولة ، او سلم حلزونى ، يحتوى على درجات كيميائية متتابعة ، وفيها تكمن الشفرة الوراثية ، والشريط مقسم الى مقاطع ا ، ب ، ج ، د .. الخ ، وكل مقطع يمثل جينة عليها معلومات وراثية محددة سوف تترجم فيما بعد الى عملية كيميائية .

« ملكوت » الخلية الدقيق الحجم ، والعظيم الشأن ، لكن ذلك قد لا يهمنا الآن بقدر ما يهمنا ان نعرف ان هذه الادارات محكومة برئاسة عليا هى النواة ، وهى التى تهيمن على كل ما حولها من مرافق مختلفة ، او جماهير جزئية متفاعلة (شكل ١) ، فرغم دقة حجم الخلية ، الا انها تحتوى على بلايين فوق بلايين من الجزيئات الأساسية العضوية اللازمة لتسيير دفة الحياة فيها ، ولا يدخل فى هذا جزيئات الماء والأملاح غير العضوية ، فهذه وحدها تتجاوز مئات الالاف من ملايين الجزيئات !

وطبيعى أن هذه الجزيئات تتكون اساسا من ذرات ، ولو اننا احصينا عدد الذرات فى بويضة الانسان الملقحة لبلغ عددها ما يربو على ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ (أى مائة مليون مليون) .. وهناك ـ بطبيعة الحال ـ خلايا اصغر او اكبر حجما من البويضة ، فالخلية البكتيرية التى يبلغ طولها جزءا من الف جزء من المليمتر ، وقطرها ثلاثة اجزاء من عشرة الاف جزء من المليمتر ، تحتوى على مائة الف مليون ذرة تتالف فى عشرات الملايين من الجزيئات من كل نوع وشكل وحجم ، فكانما نحن فى الواقع امام عالم من العوالم المفعم بالأسرار والالغاز والعمليات المنظمة ادق تنظيم ، والمتوازنة اعظم توازن ، والمنضبطة تمام الانضباط ، ولن يتاتى ذلك الا بادارة خلوية حازمة ـ هى نواة الخلية !

وكما كان للخلية ظاهر وباطن ، كذلك تاتى النواة بظاهر وباطن .. اما ظاهرها فينبىء بسور او غلاف يحدد لها شكلها ، ويهيىء لها سكنا ومقاما ، لتتفرغ للرسالة الكبرى التى تدير بها شئون عالمها ، واما باطنها فلن يظهر الا اذا ارادت الخلية ان تكون نسخة من ذاتها ، وعندئذ نشاهد تمثيلية رائعة ، قسمها العلماء الى فصول خمسة ، وفى كل فصل نرقب احداثا متلاحقة ، والحديث فى تفاصيلها قد يتشعب ويطول ، ولن نتعرض لها هنا ، لكن يكفى ان نشير الى ان هذه الاحداث متشابهة فى خلايا كل الكائنات ، لانها جميعا تنمو من خلال عمليات الانقسام التى تسرى بحساب ومقدار .

وفى هذه التمثيلية يظهر « ممثلو » الخلية على « خشبة » المسرح ازواجا ازواجا ، وما الممثلون هنا الا تكوينات دقيقة تعرف باسم الكروموسومات او «الصبغيات» وسميت كذلك لانها تمتص الاصباغ التى يعامل بها العلماء الخلايا ، علها تظهر تحت الميكروسكوبات بتفاصيل اوضح . وهى تسمية قديمة وغير موفقة على اية حال ، لان هذه الكروموسومات ليست الا « اشرطة » الحياة الدقيقة التى طويت طيا متقنا ، لتتخذ هذه الاشكال التى تشبه العلق او الدود الصغير

وبهذه الاشرطة نبدا

كاننا نحن ـ فى الكشف عن اسرار الحياة ـ كمن يمسك بين يديه بعدة صناديق متداخلة ومتراكمة ، وكلما فتح منها صندوقا ، وجد فى داخله صندوقا اصغر فاصغر فاصغر .. كذلك تظهر الأنسجة متراكبة من خلايا اصغر ، وفى داخل الخلايا انوية اصغر ، وفى داخل الانوية كروموسومات اصغر ، وفى داخل الكروموسومات أشرطة اصغر ، ولاشك أن الأشرطة تحتوى على نظم اصغر واصغر ، وهى بالفعل كذلك ، لكن دعنا من ذلك الآن ، وسوف نعود اليها بعد قليل ، بعد توضيح الأسرار التى غابت عن مدارك الاجيال

السابقة ، ليتبين لنا فكرة الله فى خلقه ، فلكل شىء اساس » ولكن اكثر النـــــاس لا يعلمون » .

فالنواة ـ فى الحقيقة ـ بمثابة مكتبة كيميائية ضخمة تضم بلايين المعلومات ، وهذه المعلومات مرتبة وموزعـــــة على كروموسومات ، والكروموسومات اشـــبه « بالدوسيهات » او الملفات ، ولكل نوع من الكائنات عدد ثابت ومحدد من البداية فى البويضة والحيوان المنوى .. فاذا تلقحت البويضة فى عملية التزاوج ، فذلك يعنى اجتماع النسخ او الملفات التى تمثل الذكر والانثى فى تكوين واحد ، وهنا تبدا بداية كل مخلوق فى اى نوع من الانواع .

ان الحيوان المنوى الخاص بالنوع الانسانى يحمل فى راسه خطة العمل الموزعة على ٢٢ كروموسوما ، زيادة على الكروموسوم المحدد للجنس ، وكذلك الحال فى بويضة الانثى .. فاذا تجمعت حصيلة ذاك مع تلك ، نتج ٢٢ زوجـــا من الكروموسومات ، وكل زوج منها متشابه تماما ، عدا الزوج الخاص بتحديد الجنس (شكل ٢) .. وطبيعى ان اى كروموسوم فى اى زوج من هذه الازواج ، يعبر عن نفسه ، ويترجم معلوماته ، ويحولها الى خطط عمل وراثية ، لكن قد يكون التعبير فى احدهما اقوى من التعبير فى الاخر ، فتسود صفة او صفات على الاخرى ، وهنا نقول ان احد الصفتين سائدة ، والاخرى متنحية ، ومن حصيلة التعبير الوراثى ، تاتى افراد النوع الواحد مختلفة الالوان والاصوات والطباع والاشكال والبصمات والبروتينات .. صحيح أن السمات العامة تحمل صفات النوع ، فيكون الانسان انسانا ، والقرد قردا ، والحمار حمارا ، والتفاح تفاحا .. الخ .. الخ . لكن هناك اختلافات فى التفاصيل الدقيقة ، وهى اختلافات ظاهرة وباطنة .. فاما الظاهرة فهى الشكل العام للمخلوق ، واما الباطنة فتكمن اساسا فى التكوين الجزيئى للخلية او النسيج ، ويتضح ذلك تماما من نقل عضو او نسيج من مخلوق ، وزرعه فى مخلوق اخر من النوع نفسه ، وعندئذ يتعرف الجسم على الانسجة او الخلايا الغريبة ، ويجهز لها ترسانة من قوته الدفاعية ليزيلها من ملكوته ، وكانما هو يحس أن « لغتها » مختلفة عن لغة جزيئاته التى صنعها على هواه ، وبخطته الوراثية التى لا يشاركه فيها احد سواه !

والواقع ان كل كروموسوم بمثابة اشرطة ملفوفة ومكدسة بالخطط والمعلومات .. ولكل خطة وراثية جزء محدد على الشريط ، وهذا الجزء نسميه « جينـــــــة » او مورثة (شكل ٣) لانها تقوم بترجمة خطتها لتصنع بها جزيئا بروتينيا يدخل فى تشكيل الحياة ، اضف الى ذلك ان الجينات لا تشتغل هكذا على هواها ، بل هى محكومة بجينات اخرى تسيطر على عمليات التشغيل والايقاف على الشريط او الاشرطة ، كانما لسان حالها يقول « ابدا من هنا » .. او « توقف هناك » .. او « اسرع » .. او « تباطأ » .. كل هذا يتوقف على حجم العملية ، او على انواع الجزيئات التى تحتاجها الخلية !

ان الامر يبدو فى النواة وكانما هو بمثابة واحد من « العقول » الاليكترونية التى عرفناها حديثا جدا ، ذلك ان كل الخطط الوراثية مبرمجة على اشرطتهـــا الدقيقة ، ليس ذلك فحسب ، بل ان التوقيت الزمنى مبرمج ايضا ، وكانما هى تحمل معها ساعة ايقاف وتشغيل بيولوجية ، وبحيث تسير العمليات محددة بالزمان والمكان ، ويتضح ذلك تماما فى عمليـــات انقسام الخلايا ، وظهور الانسجة والاعضاء اثناء تكوين الاجنة ، لكن هذا موضوع اخر ينطوى على متاهات من فوق متاهات .

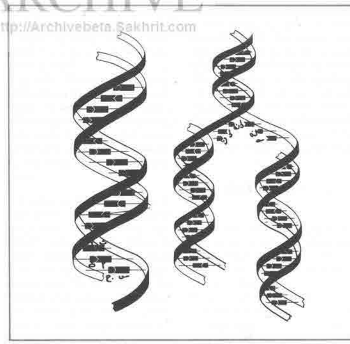
شفرة البرمجـــــة

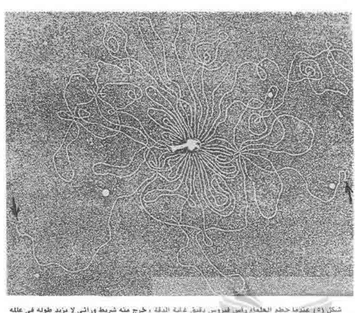
والذين ينظرون الى انواع الكائنـــــات بعيونهم المجردة ، فيرونها مختلفة اختلافا واضحا ، فان ذلك قد لا يعنى ان كلا منها قد خلق خلقا مستقلا ، بل تجمعها فى الخلق فكرة واحدة ممثلة فى الخلايا التى اصبحت وحدات البناء فى العالم الحى ، ورغم أن الخلايا قد تتخذ اشكالا واحجاما ووظائف مختلفة ، الا انها موحدة فى المرافق الأساسية التى تخدم كل خلية ، لكن هذا التنوع الهائل على مســـــتوى المخلوقات والانسجة والخلايا والنوى والكروموسومات والجينات ، تجمعه فى النهاية فكرة الشريط الوراثى الموحد بين كل المخلوقات .

فلو انك نظرت بالميكرسكوب الاليكترونى الى شريط من فيروس أو ميكروب او دودة



شكل (٤) يوضح كيف ان الشريط الوراثى المجدول (الى اليسار) يصبح شريطين (الى اليمين بعد ان ينشق طوليا ، فيكمل كل شق نفسه بالشفرات المناسبة (اى ، ا ، تلفس فر ، ش ، . و ، ج ، فى ، س ،) .





شكل (٥) عندما حطم العلماء راس فيروس دقيق غاية الدقة ، خرج منه شريط وراثى لا يزيد طوله فى عالمه الحقيقى عن جزء واحد من الف جزء من المليمتر ، لكنه ظهر بهذا الطول لان الصورة مكبرة حوالى ٩٠ الف مرة وهذا ينبئك بضالة سمك الشريط او عرضه .. وفى هذا الشريط تتراص ١٧٠ الف درجة كيميائية ، تحتوى كل درجة على شفرتين من شفرات الحياة الموحدة فى كل الكائنات (راجع شكلى ٣ ، ٥) لمزيد من بعض التفاصيل .

او سمكة او اى نوع من انواع النبات والحيوان ، بما فى ذلك الانسان ، فانك لا تستطيع ان تحدد الى اى نوع من الكائنات ينتمى هذا الشريط او ذاك .. مثلها فى ذلك كمثل اشرطة التسجيل التى نعرفها حق المعرفة ، فلو ان زيدا من الناس قد امسك ببضع اشرطة بين يديه ، وسالك ان كنت تعرف ما سجل عليها ، فقد تنظر اليه شزرا ، لان المحتوى لا يظهر الا اذا دار الشريط على جهاز التسجيل .. وكذلك الحال مع اشرطة الحياة ، فاذا اشتغلت فى خلاياها ، تجسدت معلوماتها فى مخلوقات شتى .. مع الفرق الشاسع طبعا بين اشرطة الناس ، واشرطة الحياة ، ففيها يتجلى بديع صنع الله ، وتظهر الفكرة الموحدة فى الخلق بداية من الميكروب الضئيل ، وانتهاء بالانسان العظيم .

واشرطة الحياة لها ايضا ظاهر وباطن ، فظاهرها ما نراه بالميكروسكوبات الاليكترونية على هيئة خيوط دقيقة غاية الدقة ، والى هذا الحد تتوقف مهمة هذه الميكروسكوبات ، لانها لا تستطيع ان توضح الباطن ، حتى ولو جاءت الاشرطة مكبرة عشرات الآلاف من المرات .. والى هنا يدخل علماء الكيمياء والفيزياء بكل ما وضعه العلم بين ايديهم من وسائل متقدمة .. وبدون الدخول فى التفاصيل ، اتضح ان اشرطة الحياة جميعا جاءت على هيئة جدولة كضفيرة الشعر المجدولة ، او هى اشبه ما تكون بسلم حلزونى ذى درجات متتابعة ، لكن كل الدرجات فى هذه الضفيرة او السلم الوراثى تتكون من اربعة جزيئات كيميائية مختلفة ، وكل جزىء منها يتكون كذلك من اربعة عناصر مختلفة هى : الايدروجين ، والاوكسيجين ، والكربون والنيتروجين ، وهذه من « سلالة » الطين التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، لكنها اختيرت اختيارا حكيما وموفقا لتصبح فكرة مذهلة يخلق الله بها ما يشاء من ملايين الانواع من الكائنات ، وكذلك بلايين فوق بلايين من النوع الانسانى ، ودون أن يتشابه اثنان تشابها مطلقا فى السمات الظاهرة والباطنة ـ عدا التوائم المتشابهة خلق قام على اسس عظيمة ، واحكام قويمة ، ونظم بديعة ، وافكار حكيمة ، لتنشأ على اساسها كل صور الحياة .. افلا يدعو ذلك الى التامل الواعى فى آيات الله .. فتقودنا الى خشوع عقلانى له معناه ومغزاه ؟ .. ان هذا ـ فى الواقع ـ ايمان العلماء لا العوام !

ان تالف الكربون والنيتروجين والاوكسيجين والايدروجين بنظم ذرية مختلفة ، قد تمخض عن جزيئات اربعة ، انتظمت بدورها فى الأشرطة المجدولة على هيئة درجات كيميائية ، جاءت بدورها لزواجا ازواجا ، لتصبح الشفرة المشتركة فى خلق جميع الانواع من الكائنات (شكل ٣) .

والازواج من هذه الشفرات تعنى ان شفرة واحدة ترتبط ارتباط اليكترونيا بشفرة اخرى مناسبة ، لتصبح درجة متكاملة .. ونحن نعرف هذه الشفرات او المركبات الكيميائية الاربعة باسماء محددة .. هى ادينين وثايمين وجوانين وسيتوزين ولناخذ الحرف الأول من كل مركب من باب الاختصار والتبسيط ليس الا ، ولنكتبها هكذا : ا ، ث ، ج ، س .. فاما ا ، ج فتتبع عائلة من المركبات الكيميائية ، وكذلك ث ، س تنطوى تحت عائلة اخرى مختلفة (اسمها العلمى لمن يهمه الامر عائلة البيورينات وعائلة البيريميدينات على الترتيب) ، ولابد أن يتزاوج او يرتبط مركب من هذه العائلة بمركب من العائلة الاخرى ، بمعنى ان « ا » دائما ترتبط مع « ث » ، وكذلك « ج » مع « س » ، ولا شىء غير ذلك ، اذ لو حدث اختلاف طفيف ، لادى ذلك الى اختلاف فى عملية بيولوجية وسوف نعود لنوضح معنى ذلك ، ان لم يكن فى هذه الدراسة ، ففى دراسة اخرى قادمة .

وحدة الفكرة ووحدة الشفرة

ولقد تحير العلماء ردحا طويلا من الزمان فى سر الاختلاف بين الكائنات على مستوى الافراد فى الجنس الواحد ، والنوع الواحد ، ثم الاختلاف على مستوى الاجناس والانواع ذاتها ، رغم انهم لاحظوا وعرفوا ان هناك علاقات ظاهرية وتشريحية تربط بين الكائنات فى سلسلة من التطور الهادف من الابسط الى الاعقد ، لكنهم وقفوا عند حدود زمانهم .

ولاشك ان كل شيء يتطور بمرور الزمن ، ولقد تطورت البحوث فى هذا الميدان بشكل مذهل ، وبحيث اصبح من الممكن الآن ادراك السر العظيم فى اختلاف الكائنات ، ومرورها فى حلقات تطورية متصلة ، وهو ما يطلق عليه الآن اسم الداروينية الحديثة او التطور الحديث ، لان ظاهر التطور والتنوع امكن تفسيره والتدليل عليه بما يكمن فى باطن هذه الأشرطة الوراثية العجيبة .

اننا نعرف الآن ـ على وجه الدقة ـ السر فى عملية الانقسام فى اية خلية ، وبحيث يؤدى هذا الانقسام الى انتاج خليتين متماثلتين تماما فى مخزونهما الوراثى ، لأن الأشرطة الموجودة فى النواة تنشق طولها الى نصفين ، ثم يكمل كل نصف ذاته ، ليصبح شريطا متكاملا ، وكانما قد اصبحا توامين متشـــــابهين (شكل ٤) ، ثم تتوزع التوائم بالعدل والقسطاس بين الخليتين الجديدتين ، فتعاود العملية ذاتها ، وكانما الانصاف المنشقة تطبع نسخاً طبق الاصل من ذاتها وبهذه الطريقة تتوزع النسخ بين انوية الخلايا الجديدة ، وبحيث تحتفظ بصفاتها الوراثية المحددة للنوع ، اى ان اشرطة خلايا شجرة البلوط مثلا تحتفظ بصفات شجرة البلوط ، واشرطة خلايا الانسان تحتفظ بصفات الانسان ، وعلى هذا المنوال تكون اشرطة خلايا كل الانواع .

وطبيعى ان المخزون الوراثى يختلف من نوع الى اخر ، فللفيروس شريط طوله ٠٫٠٠١ من المليمتر ، وفيه تكمن ١٧٠ الف شفرة مزدوجة (شكل ٥) .. وللخلية البكتيرية شريط يبلغ طوله حوالى ١٫١ مليمتر لا غير ، لكنه يحتوى على ٤٫٣ مليون شفرة مزدوجة هى بمثابة درجة فى سلم حلزونى ، وفى كل لفة او جدلة (لان الشريط مجدول) تكمن عشر درجـــــات كيميائية ، وبين كل درجة واخرى مسافة تقدر بـ ٣٫٤ انجستروم (والانجستروم وحدة من وحدات القياس فى هذا العالم المتناهى الدقة ، وهو يساوى جزءا من عشرة ملايين جزء من المليمتر !!) ، اى ان هذا الشريط الدقيق يحتوى على ٤٣٠ الف لفة او جدلة .

وفى كل خلية من الخلايا الجســــدية للانسان يوجد حوالى مترين من هذه الأشرطة ، وهى موزعة على ٤٦ كروموسوما وتضم حوالى خمسة ملايين جينة او مورثة وبها حوالى ثمانية الاف مليون درجة او شفرة مزدوجة ، ولو تصورنا اننا كتبنا هذا العدد الهائل من الشفرات على هيئة نقطة وشرطة ، فلن يكفيها عشرات من المجلدات الضخمة .

وبين خلايا الانسان وخلايا الميكروب تتفاوت اطوال الأشرطة فى الكائنات ، فمنها ما يحتوى على بضعة ملليمترات او سنتيمترات او عشرات السنتيمترات ، لكنها جميعا تتسم بنفس السمك ، وتسير على نفس الجدلات ، وتحتوى على نفس المركبات الاربعة ، وتفصلها نفس المسافات بين جدلة واخرى .. اى ان كل شيء موحد بين جميع اشرطة الكائنات ..

لكن .. ما الذى يمسك بهذه الشفرات المزدوجة او الدرجات الكيميائية المتتابعة ؟

إن الفكرة ببساطة شديدة اقرب الى فكرة السلالم الحلزونية التى ترتبط درجاتهـــا « بدرابزين » الى اليسار والى اليمين ، لكنه « درابزين » كيميائى بطبيعة الحال ، وهو يتكون من جزيئات سكرية خاصة (اسمه سكر ريبوز) متماسكة بجزيئات فوسفات ، وسكر مرتبط بفوسفات مرتبط بسكر بفوسفات .. الخ ، يعطينا الهيكل الذى ترتبط به شفرات الحياة الاربع مع السكر فى درجات متتابعة (انظر شكل ٦) .. بقى ان نذكر ان عرض هذا الشريط يقع فى حدود جزئين اثنين من مليون جزء من المليمتر ، ولهذا يظهر بالميكروسكوبات الاليكترونية إلا كشعيرات او خيوط دقيقة ، رغم انها مكبرة عشرات الألوف من المرات (انظر شكل ٥) .

شكل (٦) نموذج فراغى للشريط الوراثى المجدول وقد اخذت كل ذرة فيه وضعها الصحيح ، وبين شقى الشريط تتراص الدرجات الكيميائية ، وعليها تكمن الشفرة الوراثية .

السر الأكبر

ورغم أن هذا الكشف المثير عن مواصفات الأشرطة الوراثية وتكوينها الدقيق قد ظهر فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، الا انها لا تزال تحتوى على كثير من المتاهات التى انكب عليها علماءالحياة فى العالم اجمع ، علهم يعرفون عن تفاصيلها المزيد ، ولقد عرفوا الكثير ، لكن ما لم يعرف اكثر بكثير ، ولاشك ان هذا الكشف ـ فى حد ذاته ـ يعتبر اعظم الكشوفات فى عالمنا المعاصر على الاطلاق ، لانه فسر لنا ما عجز السابقون عن تفسيره ، ووضع حدوداً للحيرة المريرة التى جابهتها العقول الواعية .

لكن ذلك لا يفسر لنا كيف تتحول هذه الشفرات الكيميائية الاربع الى مخلوقات شتى ، ومنها الانسان الذى جاء ليبحث فى الحياة كيف بدات وتنوعت وتشكلت ، والتفسير يحتاج الى مجلد كامل ، ولهذا فسوف نعود اليه لنلخصه فى دراسة قادمة لنعلم ما لم نكن نعلم ، وما اكثر مالا نعلم « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

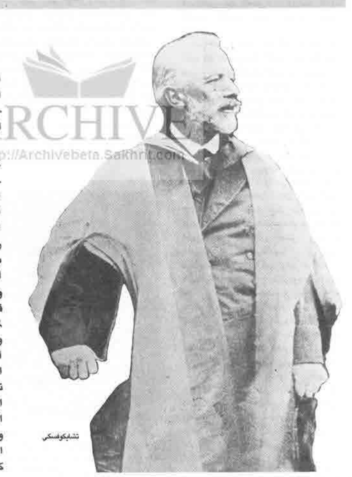
ومع ذلك ، فيكفى ان نشير هنا الى ان الشفرات بمثابة برمجة كيميائية على الأشرطة الوراثية ، وهــــي بمثابة مخزن هائل من المعلومات التى ستترجمها الأشرطة الى خطة عمل تتجسد على اساسها المخلوقات وتتنوع ، او هى كالافكار التى تتزاحم فى عقول البشر ، ولابد من تحويلها الى لغة مكتوبة ، او اشكال مرسومة ، ثم تنفذ فى اوامر او مشاريع هندسية وانشائية وتكنولوجية تراها مجسدة فى بنايات ومصانع ومرافق تخدم الانسان .. وكذلك الحال مع البرمجة الكيميائية ، لأن هذه البروجرامات سوف تطبع على اشرطة مبعوثة يحملها مندوبون من الادارة المركزية (اى النواة) الى ساحة الخلية ، لتجمع الجزيئـات الصغيرة المشتتة بغير هدف ظاهر ، وتبنيها فى جزيئات اكبر مختلفة التكوين والاشكال والوظائف ، ليؤدى كل منها دوره فى الحياة وكما اراد لها الله .. « الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .. وفى ذلك الكفاية لقوم يتدبرون فيعقلون ويفقهون !

د . عبد المحسن صالح

تشايكوفسكي

عبقرية إنسانية لامعة بين الجنون والحب والفن

إعداد وترجمة : عبدالقادر عقيل


تشايكوفسكي

كانت روسيا القيصرية واحدة من الأمم المتخلفة عن ركب التطور الموسيقي في العالم ، وظلت لفترة طويلة لا تضيف جديداً إلى الموسيقى حتى منتصف القرن التاسع عشر .

والصوت الموسيقي المتمايز في روسيا كان ميخائيل إيفانوفيتش جلنكا (١٨٠٤ ـ ١٨٥٧) ، وهذا لم يحظ إلا بالقليل من الشهرة خارج بلاده ، وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت روسيا تستفيق على أنغام الموسيقيين الجدد (تشايكوفسكي ، ريمسكي كورساكوف ، مسورجسكي ، بالاكيريف ، برودون) الذين سرعان ما انتشرت أعمالهم الموسيقية خارج روسيا . وكل واحد من هؤلاء المؤلفين الموسيقيين تميز في فن من الفنون الموسيقية : كورساكوف لمع في القيادة الأوركسترالية ، ومسورجسكي في الأوبرا .. وهكذا . ولكن أشهر الناجحين وأكثر المؤلفين الموسيقيين الروس تمايزاً ، كان بيتر اليتش تشايكوفسكي ، هذا الفنان البارع في كل الأشكال الموسيقية : السيمفونية ، القصيد السيمفوني ، الأوبرا ، الباليه وموسيقى الحجرة . ولكل شكل من هذه الأشكال ترك أعمالا فائقة الدقة أضافت كثيراً الى الموسيقى العالمية .

ولد فى فوتكنسك فى ٧ مايو ١٨٤٠ ، كان ابوه مهندسا حكوميا يتذوق الموسيقى ويحبها ، اما هو فقد كان حساسا وشاذا فى كل شيء ، ولكنه مثل ابيه كان شـــغوفا بالموسيقى .

فى عام ١٨٤٥ بدا بيتر ياخذ دروسا فى البيانو مع ماريا ماركوفنا بالجيكوفا ، وسرعان ما استطاع العزف ، وتمكن بعد فترة وجيزة من عزف.مقطوعتين من موسيقى المازوركا لشوبان بعد تعلمه من زائر بولندي يدعى مازيزوسكي .

والغريب فى الامر انه فى الفترة التالية صارت اعصابه تتوتر ومزاجه ينقلب بعد العزف على البيانو او الاستماع الى الموسيقى . فبعد امسية موسيقية كان يسمح فيها بالجلوس . وجدته امه جالسا فى سريره يبكي بحرقة ، وعندما سالته عن السبب اخذ يكرر « اوه هذه الموسيقى ، هذه الموسيقي » فى حين كان البيت هادئا ولم يكن هناك اى صوت للموسيقى . وعندما الحت فى معرفة الامر قال « إنها هنا ، هنا » وكان يشير الى راسه « لا استطيع التخلص منها ، انها لا تدعني فى سلام » .

لذلك شعر والداه بان الموسيقى ستؤثر سلبيا على صحة ابنهما ، فابعداه عن اجواء الموسيقى . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كان مستقبل الابن تشايكوفسكى قد حدد بالنسبة اليهما : موظف فى الخدمة الحكومية .

بعد عامين من الدراسة الاعدادية ارسل الى مدرسة القانون فى سانت بطرسبورج فى عام ١٨٥٢ ليتركها فى ١٨٥٩ ويصبح موظفا فى وزارة العدل .

واثناء عمله فى الوزارة كان يتلقى دروسا فى البيانو من استاذ فى الموسيقى كان يعمل مدرسا فى المدرسة ، ثم اخذ يتلقى دروسا مع الموسيقى المحترف رودلف كوندنجر .

وغير معروف الظرف الذى جعل والـد تشايكوفسكى يقع تحت فكرة ان ابنه يمكن ان يصبح موسيقيا محترفا .

لذا فقد عهد الى زاريمبا استاذ النظريات الموسيقية المعروف ليقوم بتدريســه الهارموني ، وحتى ذلك العهد لم تكن هناك اية مدرسة للموسيقى فى كل روسيا .

فى سبتمبر ١٨٦٢ افتتحت الجمعيـــة الموسيقية الروسية اول كونسيرفتوار فى سانت بطرسبورج وصار زاريمبا واحدا من الاساتذة فى الكونسيرفتوار ، فما كان من تشايكوفسكي إلا ان تبع استاذه واخذ يحضر فصلين فى الأسبوع .. حتى هذه الفترة لم يكن تشايكوفسكى واثقا من نفسه ولم يكن قد وصل الى قرار بشان الدراســة

فى ابرايل ١٨٦٣ استقال من خدمته فى وزارة العدل ، وكتب الى اخته يقول « على الاقل انا واثق من امر واحد ، وهو اننى ساصبح فى النهاية موسيقيا كبيرا » .

انعزل تشايكوفسكى فى حجرة نومه واخذ يدرس بهمة شديدة الهـــارموني والكونتربوينت مع زاريمبا ، والتـــوزيع الاوركسترالي مع روبنشتاين ، وتلقى ايضا دروسا فى الارغن وتعلم العزف على الفلوت .

وكان اخوه الاكبر نيقولاس قلقا من اندفاعه الهائج فى الموسيقى فكتب اليـــه تشايكوفسكى يطمئنه قائلا « ستفخر يوما بانك اخى » .

فى نهاية عام ١٨٦٥ عرضـــت على تشايكوفسكى اولى وظائفه المتخصصة . فقد كان نيقولاس روبنشتاين ، الاخ الاصغر لانطون ، يحاول فتح كونسيرفتوار للموسيقى فى موسكو وبحاجة الى استاذ فى الهارموني . وكان اسم تشايكوفسكى ضمن المقترحين لشغل هذه الوظيفة فقبلها براتب ضئيل .

وفى يناير ١٨٦٦ سافر الى موســـكو وحيدا ، منقبض النفس مشدودا الى بيته. على اية حال ، اعتاد على الحياة فى موسكو فى بضعة اسابيع وكتب الى اخته « تدريجيا بدات اعتاد على موسكو وايضا على الوحدة التى تجعلنى بائسا ، وعملى ناجح جدا مما اثار دهشتي » .

فى مارس من ذلك العام بدا فى كتابة اولى سمفونياته (احلام الشتاء) ، وهـــذه السمفونية كانت مثل بقية تاليفـــاته الاوركسترالية التالية داخلة ضمن اطـــار الموسيقى التقليدية .

وتاليف هذه الســـــمفونية اقلق تشايكوفسكى كثيرا . فكانت تتناوبه حالات الارق ويعانى من « تشوش فى راسى » وسيطرت عليه فكرة موته قبل الانتهاء من السمفونية .

عمل بجد ليلا ونهارا ، وصار كالمخبول فى تصرفاته ، ولم يكمل السمفونيـــة (فى نوفمبر) حتى انهارت اعصابه تماما .

خلال شتاء ٦٦ ـ ١٨٦٧ تعـــرف تشايكوفسكى على المسرحي اوسترفسكي من خلال مسرحيته المثيرة (العاصـــفة) واتخذها لعمل افتتاحية فى احتفال يوم الطلبة وكان هذا العمل بداية لاستمالة المؤلفين المسرحيين نحو كتابة نصوص الاوبرات له . (يجدر الاشـــارة إلى ان تشايكوفسكي حتى هذا الوقت كان يجهل اعمال شومان ولا يعرف عدد السمفونيات التى الفها بيتهوفن) .

بدا اوسترفسكى فعلا فى كتـــابة نص « فيوفودا »(١) ولكنه فقد الاهتمام بها فتولى تشايكوفسكى اكمال النص لنفسه . فشغله التاليف طيلة عام ١٨٦٧ . ولم يكمل وضـــع الحانها إلا فى باريس ـ خـــلال رحلة استجمام الى اوربا الغربية ـ فى صيف ١٨٦٨ .

أجريت البروفات على « الفيوفودا » لتقدم على مسرح موسكو الكبير . ولكن لسوء حظ تشايكوفسكى ان فرقة ايطالية للاوبرا ـ من الدرجة الثالثة ـ زارت موسكو لتقـــدم عروضها فتزاحمت الناس لرؤية مغنيـــة السوبرانو المشهورة ديسيري ارتون . ونظرا الى ان العازفين فى مسرح موسكو كانوا سعداء بعملهم مع الايطاليين فانهم اهملوا إكمال بروفات اوبرا « فيوفودا » .

فقد تشايكوفسكى فى هذه المصـــادفة الغريبة شيئين : اولاهما فقدان فرصة عرض الاوبرا ، وثانيهما فقدانه قلبه بعـــد ان استاثرت به ديسيري ارتوت .

كان فطريا لا يميل الى النساء ، وحتى وهو فى هذه الحالة كان يعشق فيها الفنانة وليست المراة . ومع ذلك فقد افصح لها عن رغبته فى الزواج منها . وبعد فترة وجيزة حدث بينهما فتور شديد مما دعى ديسيري الى انهاء العلاقة والاقتران برجل اخر .

عرضت « الفيوفودا » اخيرا فى ١١ فبراير ١٨٦٩ والنجاح الذى حققته فى الليلة الاولى لم يستمر فى بقية ليالى العرض . وبعد عدة سنوات اتلف تشايكوفسكى الاوبرا تماما .

فى هذه الفترة تعرف تشايكوفسكى على مجموعة صـــغيرة مؤلفة من المؤلفين الموسيقيين فى بطرسبورج (بالاكيريف ، ريمسكى كورساكوف ومسورجســكي وبرودن) وكانوا جميعا من جيله ولكنهم كانوا هواة تعلموا الموسيقى بانفسهم وكانوا يعملون اما ضباطا فى الجيش او الحربية . وهو كان على نقيضهم تماما ، كان متعلما ومحترفا ولم يكن يحمل مثلهم الافكار « القومية » الجديدة وغير مقتنع بفكرة توظيف التراث الشعبى فى الموسيقى فقد كان ينظر فى اعجاب شديد الى كبار المؤلفين الموسيقيين الالمان ويحاول ان يقتدى بهم ، لذلك اعتبرته المجموعة « طفلا مدللا فى الكونسيرفتوار » اما هو فقد نظر اليهم باحتقار شديد (استثني منهم ريمسكي كورساكوف) . ولكن الاتصـــال الشخصي فيما بعد بين الطرفين غير الكثير

من وجهات النظرة السابقة . وكان لاتصال تشايكوفسكي مع « القوميين » في بطرسبورج أن وجد نفسه يميل بشدة نحو اظهار الوعي القومي في موسيقاه وإن كان لم يحبذ فكرة توظيف التراث الشعبي في الموسيقى .

ومن الأعمال الموسيقية الرائعة التي ألفها تشايكوفسكي في هذه الفترة افتتاحية « روميو وجولييت » (ألفت في ١٨٦٩) وهذا العمل لم يكن يحمل أفكاراً قومية ولكنه جاء بناء على اقتراح من بالاكيرف . هنا أيضاً ، ثبت تشايكوفسكي نبوغه في تأليف الاوركسترالية .

ومع كل النجاح الذي كان يصيبه تشايكوفسكي إلا أنه كان ينزع نحو الكآبة والتشاؤم والضجر . كتب وهو في الواحدة والثلاثين من عمره « لقد هرمت ولا استطيع أن أتمتع بشيء ، أعيش على ذكرياتي وآمالي ، ولكن هل هناك أي أمل ؟ » .

حالته المادية كانت جيدة ، وعمله في الكونسيرفتوار كان مطمئنا واستطاع أن يقوم بزيارة الى أوربا الغربية وإيطاليا . عدا ذلك ، حصل على الاعتراف العام به كمؤلف موسيقي وذلك بعد حصول أوبراته «فاكولا» على جائزة في المسابقة ، وأيضاً حققت السمفونية الثانية (ألفت في صيف ١٨٧٥) نجاحاً سريعاً .

خلال هذه الفترة غامر تشايكوفسكي في عمل جديد : باليه طويل جداً قياساً الى بقية الباليهات ، وتجربة جديدة لم يقم بها أي مؤلف موسيقي من قبل . هذه التجربة كانت « بحيرة البجع » ، وقدمت في مسرح أوبرا موسكو في ٤ مارس ١٨٧٧ ولكنها لم تلاق النجاح الكبير .

« بحيرة البجع » واحدة من الاعمال التي تبين تأثير الموسيقى الفرنسية على تشايكوفسكي (هو نفسه كان يميل للفرنسيين وامه كانت ابنة لرجل فرنسي) ففي شتاء ٧٥ ـ ١٨٧٦ حينما كان يشرع في كتابة الباليه سمع « كارمن » (٢) للمرة الأولى فتأثر بها تأثراً شديداً .

كتب اخوه موديست قائلا « انه لم يتأثر من قبل بأي من الموسيقى الحديثة مثلما تأثر بـ « كارمن » » .

العام ١٨٧٧ كان عاماً مهماً في حياة تشايكوفسكي . ففيها ألف اثنتين من أروع أعماله الموسيقية : أوبرا « أوجين اونجين » والسمفونية الرابعة . وفي هذه السنة تزوج ـ مع نتائج مخيبة ـ . وفيها بدأ في واحدة من أهم علاقات الحب .

هذه العلاقة الغريبة بدأت في أواخر عام ١٨٧٦ حينما طلبت منه سيدة تدعى ناديجدا فون ميك أن يعيد بعض المقطوعات الصغيرة للفيولينة والبيانو مقابل أجر سخي . وناديجدا كانت أرملة في السادسة والأربعين ، مثقفة ، وأم لاثني عشر طفلا .

في ذلك الصيف أفصح عن رغبته في إهداء ناديجدا فون ميك « صديقتي الوفية » السمفونية الجديدة التي كان يعمل فيها ، والتي أطلق عليها اسم « القدر » .

تعطل تأليف السمفونية الرابعة وأوبرا « أوجين أونجين » بزواج تشايكوفسكي المفاجيء من فتاة تدعى انتونينا ميليوكوفا . وغير مفهوم البتة اقدام تشايكوفسكي على هذا الزواج الفاشل حتى لو سلمنا بحقيقة أنها كانت تطارده وتكتب اليه الرسائل وتهدده بالانتحار إن لم يتزوجها .

كتب الى ناديجدا رسالة يبرر فيها هذا الزواج بأنه جاء بناء على رغبة من والده .

تم الزواج في صمت تام دون أن يعلم به أحد ، وامضيا أسبوعا في بطرسبورج ، ثم زار أم انتونينا وانفصلا لمدة شهر واحد ، عادت العروسة الى موسكو لاعداد بيتها والعريس لاذ بالفرار الى اخته المتزوجة في كامينكا « لو بقيت معها يوما آخر أقسم بأنني سأفقد عقلي . هكذا أعترف لأخته .

هناك ، في كامينكا ، واصل تشايكوفسكي العمل في أوبرا « أوجين أونجين » والسمفونية الرابعة . ثم عاد الى موسكو وحاول الانتهاء منهما هناك مع تجنب أي حديث عن زواجه حتى لأقرب أصدقائه .

وجد تشايكوفسكي نفسه في وضع لا يطاق فعقد العزم على الانتحار ، وكما اعترف بعد عدة سنوات ، فانه كان يبحث عن وسيلة للانتحار تكون مثل الموت الطبيعي . وذات مرة خرج في ليلة شديدة البرودة وخاض في نهر موسكوفا حتى وسطه أملا أن يصاب بالتهاب الرئة . واخبر زوجته لما عاد الى البيت بأنه سقط في النهر حينما كان يصطاد السمك . ومع ذلك فلم يمت واصيب بنزلة برد فقط .

لجأ هذه المرة الى بطرسبورج « وأنا على وشك الجنون » . كان واضحاً بأنه لا يريد أن يرى زوجته ثانية . وتم الانفصال بينهما بواسطة نيقولاس روبنشتاين وأناتول تشايكوفسكي . أناتول أخذه وهو على هذه الحالة الى الخارج . كان عندهما مالا يكفي فقط لبضعة أسابيع ، ولكن ناديجدا مدت يد العون له وعرضت عليه مساعدة سنوية قدرها ٦٠٠٠ روبل (حوالي ٥٠٠ دينار) مقابل أن يترك وظيفته في كونسيرفتوار موسكو ويكرس نفسه للتأليف الموسيقى فقط . لم يكن أمام تشايكوفسكي إلا أن يقبل العرض بامتنان شديد وكتب اليها يقول بأن كل أعماله التي سيؤلفها ستكون مهداة اليها .

من هذه النقطة تغيرت حياة تشايكوفسكي تماما . هو الآن رجل حر وباستطاعته أن يتمتع بالأسفار الى الخارج (خصوصا ايطاليا) . وعندما قرر العودة الى موسكو وهبته « المحسنة » الثرية بيتا من بيوتها ليعيش فيه .

كان يحتاج الى بعض الوقت لاستعادة هدوئه وراحة أعصابه ، ولكنه عمل بجد لانهاء « أونجين » والسمفونية الرابعة . ولم تمض فترة بسيطة حتى انهمك في العمل بنشاط كبير .

لم يكن تشايكوفسكي من طينة المؤلفين للموسيقيين الذين ينتظرون باستسلام مجيء الالهام اليهم « الالهام امرأة خجولة ويجب دائماً مقابلتها في منتصف الطريق » .

خلال سنوات « الحرية » (٧٨ ـ ١٨٨١) انتج تشايكوفسكي مجموعة كبيرة من الأعمال الموسيقية : سوناتا للبيانو ، وكونشيرتو للفيولينة ، وثلاث متتاليات للأوركسترا ، أوبرا « عذراء أورليانز » .

من أعماله

الموسيقى الاوركسترالية :

- سبع سمفونيات (مضافة إليها سمفونية « مانفريد ») .
- أربع قصائد سمفونية ، خمس افتتاحيات .
- أربع متتاليات (مضافة إليها متتالية « موزارتينا ») .
- الكبريتشيو الايطالية سيرنادا لوتريات الاوركسترا .

الكونشيرتو :

- ثلاثة كونشيرتات للبيانو .
- كونشيرتو للفيولينة .
- تنويعات للفيولونسيل والاوركسترا .

أعمال مسرحية

- عشر أوبريتات .
- ثلاثة باليهات .
- مقدمة موسيقية لمسرحيتين .

موسيقى الحجرة :

ثلاث رباعيات وترية . سداسي الآلات . ثلاثي البيانو . سوناتا للبيانو . عدة مقطوعات صغيرة للبيانو . حوالي مائة أغنية (بينها اغاني للأطفال) .

كونشيرتو البيانو الثاني ، « الكبريتشيو الايطالية » ، افتتاحية « ١٨١٢ » المشهورة وسيرنادا لوتريات الاوركسترا .

في أوائل عام ١٨٨٣ تلقى تفويضين اخرين لعمل كنتاتا ومارش للاحتفال بتتويج القيصر الكسندر الثالث ، فقبل تشايكوفسكي هذا العرض ورفض اخذ اى اجر ، فقد كان شديد الولاء للقيصر ، وفوق هذا ، كان القيصر الشاب قد ساعده واخرجه من محنته المالية بهبة سرية قدرها ٣٠٠٠ روبل . ومنذ هذا الوقت استمال تشايكوفسكي تحوه عطف العائلة الملكية ، واصبحت اوبرا « اوجين اونجين » الأوبرا المفضلة لدى القيصر .

وفي عام ١٨٨٨ حصل تشايكوفسكي على معاش سنوي قدره ٣٠٠٠ روبل من العائلة الملكية حتى اخر حياته .

في فبراير ١٨٨٥ سكن تشايكوفسكي في بيت جديد يقع في ميدانوفو بالقرب من كلين وهي مدينة يسهل الوصول منها الى موسكو وفي هذا البيت طبق روتينا صارما ومنع نفسه من ان يكسر هذا الروتين حتى بقية حياته .

لم يكن تشايكوفسكي يرحب بزيارة احد ، لكنه كان يستمتع باستضافة اخوته وبعض الاصدقاء المقربين حينما لا يكون مشغولا مع التاليف ، فالأعمال الابداعية بحاجة الى عزلة تامة .

وفي هذه الفترة بدا تشايكوفسكي اصفى واهدا اعصابا عما كان عليه من قبل ، واستطاع ان يقود - باعصاب باردة - العرض الأول لـ « فاكولا الحداد » (سميت فيما بعد « الحذاء الصغير ») في ٣١ يناير ١٨٨٧ .

اخذ تشايكوفسكي يفكر في السفر الى الخارج ليعرف العالم بموسيقاه (التي لم تحصل حتى الأن على نجاح كبير خارج روسيا) . وافتتح رحلته الى ليبزج ، حيث قابل الفنانين الكبيرين يوهان برامز وجريج وفي ٤ يناير ١٨٨٨ قاد اوركسترا جواندوس .

في اولى متتالياته والتي استقبلت بحماس شديد من قبل الحاضرين ولكن بفتور من قبل الصحافة . وزار هامبورج ، برلين ، براغ ، باريس ، واخيرا لندن حيث امضى اربعة ايام وقاد السيرنادا للآلات الوترية ، وتنويعات من متتاليته الثالثة في حفلة الجمعية الموسيقية في ٢٢ مارس .

في ذلك الصيف ، سكن تشايكوفسكي في بيت جديد يقع في فرولونسكو بين كلين وموسكو . وهناك الف سمفونية جديدة (الخامسة) ، وافتتاحية « هاملت » التي اهداها الى جريج تعبيرا عن صداقتهما .

أعقب السمفونية الخامسة باليه اخر « الجمال النائم » الذي كان أكثر جودة من « بحيرة البجع » وتشايكوفسكي نفسه كان معجبا به كثيرا (٣).

وفي فبراير ١٨٨٩ اعد نفسه لجولة سياحية أخرى ، هذه المرة زار لندن وقاد فيها كونشيرتو البيانو (مع سابلينكوف كعازف منفرد) والمتتالية الأوركسترالية الأولى .

وانقضى الصيف من ذلك العام وهو منهمك في إعداد الباليه حتى عرض في ١٥ يناير ١٨٩٠ ، وبعد عدة ايام قام برحلة الى ايطاليا .

وخلال مكوثه في فلورنسا الف عملين : اوبرا « ملكة البستوني » (اقتبسها من قصة لبوشكين) وسداسي الالات الوترية (سميت بذكريات فلورنسا) .

وهذه السنة التي بدات بنجاح كبير جلبت له فيما بعد عدة ضربات موجعة : تنبيه من ناديجدا فون ميك بانها على حافة الافلاس وانها ستكف عن امداده بالمال . وضريبة الامتياز التي فرضت على « ملكة البستوني » وتجاوزت ارباحها . والاسوا من تلك ، ان تشايكوفسكي كان يجهل ان « صديقته الوفية » كانت منهارة عصبيا وتعاني من مرض يؤدي بها الى الموت البطيء . بينما هو استنتج خطا بانها تعبت من صداقته واختلقت عذرا لقطع المساعدة .

في اوائل ١٨٩١ بدا في تاليف باليه جديد « كسارة البندق » ولكن هذا العمل تاجل بسبب رحلة موسيقية اخرى .

هذه المرة ذهب بعيدا الى امريكا . وقدم عدة حفلات موسيقية في نيويورك ، بالتيمور وفيلادلفيا (ابريل - مايو) ، وكان في كل مكان يتواجد فيه يقام له احتفال او مهرجان خاص به .

لا احد كان يعرف سبب الحزن الذي يغرق فيه هذا الرجل رغم كل النجاح المنقطع النظير الذي تصيبه موسيقاه . ففي ليلة وصوله الى نيويورك اختلى بنفسه في الفندق وجلس يبكي وهذه الحادثة تكررت خلال الشتاء اثناء زيارته الى هامبورج ليسمع الفنان الكبير غوستاف ماهلر وهو يقود « اوجين اونجين » .

في مايو ١٨٩٢ انتقل تشايكوفسكي الى سكن جديد قرب كلين . وهناك الف سمفونية جديدة ، ولكنه كان غير راض عنها فحولها الى عملين للبيانو والأوركسترا . على اية حال ، السمفونية السادسة « الحقيقية » بدأت بعد عدة أشهر . فالفكرة واتته اثناء رحلة قام بها الى فرنسا وبلجيكا في شتاء تلك العام ، وافصح لأقرب اصدقائه عن رغبته في عمل « سمفونية شاملة ، ولكن مع شموليتها ستبقى غامضة بالنسبة للآخرين » .

بعد ذلك ، وبناء على اقتراح من اخيه موديست أسماها سمفونية « الاحزان » . هذه السمفونية هي واحدة من اعمال تشايكوفسكي « الشخصية » جدا . فقد افرط في ابراز الجانب العاطفي فيها ، عاكسا فيها حالته النفسية حينذاك .

واعقب سمفونية « الاحزان » زيارة اخرى الى بريطانيا التي وصل اليها في ٢٩ مايو ١٨٩٣ وقاد سمفونيته الرابعة في حفلة الجمعية الموسيقية في الأول من يونيو ، وحصل على دكتوراه مع مرتبة الشرف في الموسيقى من كامبردج .

وبعد رجوعه الى روسيا عاد للعمل في السمفونية حتى انهاها في ٢٤ اغسطس . وفي ٢٨ أكتوبر قاد بنفسه العرض الاول لها في سانت بطرسبورج .

بعد خمسة أيام اشتكى تشايكوفسكي من سوء هضم وتعب شديد يرهقه ، فلم ياكل شيئا على الغداء واكتفى بشرب كاس من الماء غير المعقم . وكان هذا عملا متهورا في وقت كانت فيه الكوليرا متفشية في سانت بطرسبورج (وهو عمل مريب ايضا ، هذا إذا استبعدنا مسالة الانتحار بطريقة الموت الطبيعي) . في المساء اشتد عليه المرض ، وكان واضحا انه وقع في قبضة الكوليرا ولم تكن عنده اية فرصة للنجاة .

وفي اليومين التاليين بدا عقل تشايكوفسكي يختل « يعيد باستمرار اسم ناديجدا فيلاريتوفنا فون ميك » هكذا كتب اخوه موديست .

في الساعة الثالثة من صباح ٦ نوفمبر ١٨٩٣ توفي تشايكوفسكي .

اعداد وترجمة : عبد القادر عقيل
البحرين

المراجع

- تشايكوفسكي - جيرالد ابراهام .
- تشايكوفسكي - ايدوارد غاردين .
- اشهر المؤلفين الموسيقيين - جيرفاس هوغس

(١) فيوفودا : اسم كان يطلق قبل الثورة الروسية على محافظ المقاطعة .

(٢) كارمن : واحدة من اهم واعظم الاوبرات الفرنسية لجورج بيزيه .

(٣) قبل سبع او ثماني سنوات الف تشايكوفسكي فانتازيا سمفونية اسماها فاتوم (القدر) .



الصغير والبحر

مسرحية من فصل واحد

مسرحية بقلم: صالح أحمد المناعي
نقد وتعقيب: د. محمد عبد الرحيم كافود

الشخصيات :
- صالح
- خالد

المنظر :

«جزيرة يحيطها البحر .. بها مرتفعات صخرية ... » .

«يصعد من أعلى وسط المسرح شخصان يبدو عليهما الاعياء والبلل وكانهما كانا يصارعان الأمواج منذ فترة طويلة» ...

صالح : اه .. اكاد اموت من الاعياء والتعب ..

خالد : هيا لنصعد بسرعة ..

صالح : اين نحن .. ؟

خالد : فوق جزيرة ..

صالح: ما الذى حدث .. ؟

خالد : العاصفة هبت علينا .. واغرقت القارب الذى كنا فيه ....

صالح : اجل .. اجل تذكرت .. كانت عاصفة قوية قاسية .

خالد : وقد سبحنا حتى وصلنا هذه الجزيرة .. الحمـــد للـــه ..

صالح : سبحنا .. ؟ كلا .. ولكن حملنا التيار ..

خالد : اجل .. اجل .. ولا تكثر من الكلام فانا اريد ان ارتاح قليلا حتى استطيع ان افكر فيما سيحدث .. وكيف ننجو من هذه الورطة .

صالح: احس انى لا استطيع ان احرك كتفى ..

خالد : اجل .. المياه كانت قوية وقد سبحنا مسافة طويلة حتى وصلنا الى هنا ..

صالح: واين هو .. ؟

خالد : من تعنى .. ؟

صالح: سالم ابن اختى ..

خالد : غاص فى اعماق البحر ..

صالح: (صارخا) اعماق البحر ... (يستمر فى الصراخ) ..

خالد : صه . دع عنك هذه الولولة .. ولنفكر حتى نصل الى حل ..

صالح : سالم .. ابن اختى .. (صرخات قوية) ..

خالد : اعرف ذلك .. اعرف انه ابن اختك الاكبر .. واعرف مدى اعزازك له ولكن هل صرخاتك هذه ستعيده من اعماق البحر .. ؟ اه .. لولا .. رغبتك الملحة فى الصيد هذا اليوم ما وصلنا الى هذه المصيبة ..

صالح: وهل كانت رغبتى انا .. ام ..

خالد : اسكت .. ودعنا نفكر ..

صالح: هيا تفكر .. ولم يعد هناك مجال للتفكير .

خالد : (يرد على سؤال صالح) كيف نصل الى القرية قبل غروب الشمس .

صالح: ماذا اقول لاختى .. ؟ ماذا اقول لزوج اختى .. ؟ ماذا اقول ؟ .

خالد : كفاك نواحا .. ودعنى للحظة واحدة افكر ...

صالح: تفكر .. انت .. ولا افكر انا .. لماذا .. ؟

خالد : فكر كما تشاء .. المهم ان افكر كيف اصـــل الى القرية .. ؟

صالح: المهم .. ماذا اقول لاختى ؟

خالد : ليس هذا مهما ...

صالح : فكرى يسرح فى اعماق البحر المظلمة .. اه لك يا خليفة .....

خالد : سوف تحمله الأمواج الى الشط .. وسيعرفون ..

صالح : اجل المياه تلعب بنا كما تشاء .. والاسماك تنهش جثتنا ..

خالد : اصمت قلت لك ..

صالح : اريد ان اتكلم .. دعنى اعبر عن مشاعرى كما اشاء ...

خالد : صوتك يزعجنى ..

صالح: يزعجك ..

خالد : نعم ....

صالح : تريدنى ان اصمت ..

خالد : نعم ..

صالح : انك تكرهنى ..

خالد : نعم ..

صالح: وتتمنى لو لم تخرج معى .

خالد : نعم ..

صالح : والآن تلعن نفسك لأنك جئت معى ..

خالد : نعم ..

صالح : إذن ما الذى جاء بك معى ..

خالد : إنى اسال نفسى .. ؟

صالح: تسال نفسك ... !! أما كانت هى رغبتك ؟ ..

خالد : رغبتى ... !!

صالح: اجل .. رغبتك انت .. انت الذى طلبت منى ان نخرج اليوم ..

خالد : انا ..

صالح: اجل وبالحاح شديد .. اليس كذلك ..

خالد : انا .. انا .. لا اذكر شيئا الآن ..
صالح : لا تتناسى ..
خالد : دعنى افكر ..
صالح: انا خائف ..
خالد : ماذا .. ؟
صالح : كيانى ممتلىء بالخوف ..
خالد : ممن .. ؟
صالح: الا تعرف ممن .. انا خائف .. الا تتكهن بذلك .. ؟
خالد : ممن .. ؟
صالح : هى ..
خالد : من هى .. ؟
صالح: القرية ..
خالد : القرية .. !!
صالح: نعم اخافها .. اخاف اهلى .. اهلها .. كيانى ملىء بالرعب ..



خالد : غريب .. وهل هم مخيفون .. انا لم اشعر بذلك .
صالح: لانك واحد منهم ..
خالد : لا افهم ..
صالح: ليس مهما أن تفهم .. اختى منهم ايضا .. وزوجها .. ذلك الكهل الذى تعدى السقين .. ذلك الصقر الذى انقض على اختى الشابة الصغيرة .. الحمامة .. الجميلـــة .. ليمتص جمالها .. وهى لم تتعــد العشرين بعد ..
خالد : وما دخل اختك الآن .. ؟
صالح: الغريق ابنها الوحيد .. دفؤها فى صقيع الزوجية الفاشلة زواج دون رضا .. زواج بالضغط والاكراه ..

خالد : الخوف .. ؟
صالح: الخوف من الجوع .. من الفقر .. من التشرد .. رحمة الله عليك يا ابى ..
خالد : ابوك .. لقد مات منذ عشر سنوات .. او يزيد ..
صالح: قتلوه ..
خالد : من .. ؟
صالح: الكبار ..
خالد : لا افهم ..
صالح: ولن تفهم .. اجبروه على الغوص فى اعماق البحر .. لياتى بخيره ولكنه لم يعد الينا ابداً ..
خالد : لماذا اجبروه .. ؟
صالح: ليسدد دينا عليه ..
خالد : ماذا .. ؟ دينا عليه ..
صالح: ورجعوا يحملون فراشه الى امى ..
خالد : الى امك ..
صالح : وقبل ان يخرج معهم فى ذلك اليوم الكئيب الذى طرق فيه سيد البحارة باب دارنا واجبره على الذهاب .. حاولت امى ان تمنعه ولكنها لم تستطع .. فقد كان بين خيارين .. الموت او الفضيحة .. اذكره وهو يقول لها .. وفى نبراته ثقة بانه لن يعود .. ارعى الصغار يا امراة .. لابد ان اذهب .. ارعى الصغار يا امراة . لا تستسلمى لا تضعفى .. ارعى الصغار يا امراة .. كونى لهم اما وابا .. لا تتركيهـــم يخرجون الى الحياة .. الا وقد اعددتهم ليصارعوا هذا الزمن المر .. ارعى الصغار يا امراة .. ارعى الصغار يا امراة .. جلست امى تبكى وتولول وتنوح ..

كانت تعرف ان ابى قد ذهب الى الموت بقدميه .. وجلسنا ايضا نبكـــى كالافراخ تحت ذراعيها .. (يبكى) (ينخرط فى بكاء مرير) ..
خالد : ماذا يفيد البكاء الآن ؟ ..
صالح : لافرج عن نفسى .. كلما تذكرت هذا اليوم الاسود ابكى .. ومن يومها صرت العب .. انا واختى داخل البيت تحت انظار امى التى كثيراً ما تحلق فى الافق .. بعينيها .. منتظرة قدوم ابى ..
خالد : اصمت قليلا .. لا داعى للذكريات .. دعنى افكر فى حل لي ..
صالح: (مستمرا) .. وفجاة فتح الباب ودخل بحار من اصدقاء ابى يحمل فراشه وقال .. رحمه الله .. صرخت امى .... انشق الكـــون بصراخهـــا .. احتضنت فراش ابى .. وانهارت تبكى بلا صوت .. حتى بكى البحار .

خالد : البرد شديد ..
صالح : لقد ذقنا البرد والفقر معا .
خالد : كيف الطريق الى القرية ؟.
صالح : لم نعرف طريق السعادة ابداً ..
خالد : اراك تحدثنى عن الماضى .
صالح : كان ماضيا جميلا رغم



الصغير والبحر

قساوته .. نجرى وراء امنا كافراخ صغيرة وهى تكد فى سبيلنا ..
خالد :صالح.. اتسمعنى ؟ ..
صالح : اسمعك .. اسمع صوت سيد البحارة عندما اقتحم بيتنا ليطردنا منه .. او نسدد له دينا على أبى ..
خالد : اتسمعنى .. انت لا تسمعنى ..
صالح: باعت امى كل ما لديها .. كل شيء إلا الشرف .. كى تحافظ لنا على ذلك البيت .. ولكنها لم تستطع .. فقد جاءها واحد من سادة البحارة طالبا ان تزوج زهرتها اليانعة الى بائع التمر المسن العجوز مقابل سداد الدين .. حاولت امى ان ترفض فى البداية .. قاومت ولكنها استسلمت فى النهاية وزوجت صغيرتنا لهذا الكهل الثرى
خالد : يكفينا قصص عن ابيك وامك وبائع التمر .. دعنى افكر ..
صالح : الم تر اباك وهو ميت ..؟
خالد : لم اره ...
صالح : هل بكيت .. ؟
خالد : لا اذكر ..
صالح : هل نسيته .. ؟
خالد : كما ينسى كل حي اى ميت ..
صالح: إن قلبك حجر ..
خالد : قلبى ..
صالح : نعم .. فانت منها ..
خالد : ممن .. ؟
صالح : القرية .. ؟
خالد : ولكن ما ذنبى .. ؟
صالح: هكذا انتم جميعا ..
خالد: اف لك .. الا تريد ان تسكت .. لقد سئمتك .. وسئمت كلامك ..
صالح : لا فرق بينك وبينهم .. نفس ما يامرون .. ونفس ما يعلمون ..
خالد : انت تمرضنى بكلامك ..
صالح: وانا اتمزق الما ..
خالد : ليتنى كنت اعرف ..
صالح: ماذا تعرف .. ماذا تريد ان تعرف؟ اتعرف شيئا عن طفل يصارع الأمواج بلا أدنى أمل فى النجاة ..
خالد : سيمر علينا الوقت ونحن هنا .. فلنحاول شيئا للخروج من هذه الجزيرة اللعينة .. هيا بنا قبل ان يضيع الوقت ..
صالح : لم يعد للوقت قيمة ..
خالد : انهم ينتظروننى الآن ..
صالح : واختى تنتظر طفلها الصغير ..
خالد : لقد مات .. وانتهى الامر ..
صالح : سترى دموعها تحفر خديها .. وتشاهد شفتيها ترتعشان .. وهى تنوح بكلمات تقطع نياط القلب .
خالد : سوف تبكى فى البداية ثم تنسى ..
صالح : لانك لا ترى إلا ما بنفسك .
خالد : ماذا تقصد .. ؟
صالح : انت تعرف ..
خالد : القرية .. ؟
صالح : نعم ..
خالد : انت لا تعرفها جيدا .
صالح: بل اعرفها منذ ولادتى .. اعرفها .. اعرف شوارعها الصغيرة .. اعرف كلماتها الجارحة .. اعرف خباياها .. كل فضائحها .. اعرف من يملك كل شيء .. يملك الماء والامر .. ونحن لا نملك إلا الطاعة .. اعرفها .. وقد مسحت بيدى هاتين دموع المضيعين فيها .
خالد: ستغرب الشمس ولا اراك امامى إلا باكيا ..
صالح : يجب أن يعيش مثلهم تماما ..
خالد : احب ان اعيش كما اريد أن اعيش ..
صالح: لا كما يعيش امثالى ..
خالد : ماذا .. ؟
صالح: امثالى ليسوا مثلك .. انت تعرف كيف نعيش .
خالد : لم اسمع جيدا ..
صالح: لانك لا تسمع غير صوتك انت ..
خالد : ماذا .. ؟
صالح: لم يفهم بعد معنى هذه الكلمة ..
خالد : امرك غريب ..
صالح: وهى الآن غريبة .. مضيعة .. ثكلة .. تجوب الشوارع كالمجنونة تبحث في كل مكان .. تسال كل انسان .. تبكى .. تصرخ .. وتولول .. سائلة عنه .. عن طفلها الصغير .. الذى غرق ..
خالد : لن تراه بعد اليوم ..
صالح: انت لن تراه .. اما هى ستراه فى عينيها .. فى قلبها .. فى كل دمعة تسكبها ام .. ستراه وتحدثه وتناجيه .. وتدلله كما كانت .. وستحدث عنه كل من يراها ..
خالد : انت يا من تكلم نفسك .. الم تكتف بعد ..
صالح : نفس كلامهم .. نفس تصرفاتهم ..
خالد : ساعود وحدى ..
صالح : مثلهم بالضبط ..
خالد : يحيرنى امرك ..
صالح : تحير كما تشاء ..
خالد : نعم ..
صالح: النتيجة واحدة ..
خالد : وماذا بعد ..
صالح: اين هو الآن .. ؟
خالد : اقسم بالله انى ساجن إن لم تكن انت مجنونا بالفعل ..
صالح: لانك لا تفهم شيئا ..
خالد : لماذا احضرته معنا ..
صالح: لانه كان يريد ذلك .. كان يحلم به .. بركوب البحر .. تعلق بى .. قال .. خالى ... خذنى معك .. احب البحر .. خفت عليه .. ولكن كان فى قلبى إشفاق .. على رد حلمه ...قالت اختى خذه معك يا اخى فلم استطع أن ارد لها طلبها ..
خالد : إذن هى المسئولة ..
صالح: كلا .. كلا ..
خالد : من إذن المسئول .. انا .. إياك ان تقولها ..
صالح : .... (صامت)
خالد : القرية بعيدة .. (يكاد يبكى) أريد ان اعود ..
صالح: ستعود ..
خالد : لماذا لا ...
صالح : (مقاطعا) لانك لا تستطيع .. لقد عجزت عن التفكير .
خالد : حاول معى .. لنفكر سويا .. لنجد طريقا للعودة .. اريد ان اعود .. (محاولا الاقتراب من صالح) .
صالح: عد الى مكانك (يدفعه) .
خالد : (ينهار باكيا) ..
صالح: (بسخرية مريرة) لا تخف انهم سيبحثون عنك .. وقد يعثرون علينا ..
خالد : احقا ..
صالح:وتعود القصة من جديد ...

صالح احمد المناعى

نقد وتعقيب

إن موضوع الغوص يشكل مادة درامية تتمثل غالبا فى ذلك الصراع الدرامى بين (النوخذا) سيد السفينة وبين غيره من الغواصين والبحارة الذين يعملون على ظهر السفينة بمختلف طبقاتهم من جهة أخرى.

وقد استغل معظم الكتاب فى منطقة الخليج هذه القضية ،

وافاضوا فيها وتفننوا فى استخدامها كمادة للعديد من القصص والمسرحيات . وطبيعى أن تتشكل هذه المادة بصورة درامية ، أعنى بها هنا انها ذات طابع ماسوى . لانها تحمل او تصور ذلك الظلم الذى يقع على العاملين بهذه المهنة (الغوص) بمختلف فئاتهم من قبل (النوخذا) . هذه المادة الجاهزة الى حد ما من الناحية الدرامية فيها ، قد استغلها كما ذكرت كتاب المسرح ، واختلفت طريقة المعالجة عندهم من كاتب لآخر حسب امكانية كل منهم من حيث قدراته الفنية ، والثقافية ،

وتمثله وهضمه لهذه المادة التراثية . فالبعض منهم وقف عند النقل المباشر لهذه المادة وصاغها باسلوب الحوار المسرحى ، ولم يتجاوز فى عمله تقرير حقيقة وقعت بالفعل وليس كذلك الفن ، ولذا فانه قد افتقدت معظم هذه المسرحيات حيوية الحركة وقوة الصراع ، لان الكاتب لم يخلع عليها او لم يستطع أن يفيض عليها من مشاعره ، واحاسيسه ، وهموم عصره ما ينفخ فى هذه المادة الروح التى تذكى عواطف المشاهدين ، فيعيد لتلك الذكريات الماساوية الحياة مرة اخرى فيتفاعل معها القارىء او المشاهد .

والبعض تلقى هذه المادة (موضوع الغوص) بكل ما كان يحمله من ماس والام واستطاع - هذا البعض - ان يعيد لهذه المادة الحياة مرة اخرى فى مسرحياته ، بما اضافه اليها من احاسيسه ومشاعره وهموم عصره ووعيه وقدراته الفنية ،

حتى تحس وانت تشاهد هذه المسرحية أو تلك وكانك تعيش الماساة او هى تحدث بالفعل امامك - مجسدة على خشبة المسرح - فتتفاعل معها ، وتتعاطف مع شخوصها ، وتتالم لما تعانيه هذه الشخصية أو تلك من ظلم ، واضطهاد .

وهذا يتحقق كما ذكرت عندما يستطيع الكاتب ان ينفخ فى هذه المادة الحياة من جديد ، ويخلع عليها من روح عصره وهمومه ما ينفذ من خلاله الى نفوس جمهوره . إذا تحقق كل ذلك فى المسرحية ، فاننا حينئذ نستطيع ان ندرجها فى مكانها المناسب من سلم هذا الفن .

ونعود الى مسرحية «الصغير والبحر» لـ (صالح المناعى) فهى تستمد مادتها او يقوم مضمونها على تلك المعاناة وذلك الصراع الذى اوجده مجتمع الغوص بكل قيمه واعرافه وما خلفه من ماس والام عانت منه طبقة واسعة فى المجتمع الخليجى . والمسرحية تدور احداثها او لنقل بصورة ادق يدور الحوار فيها بين خالد وصالح بعد رحلة معاناة وصراع مع الموت على اثر حادثة غرق كان ضحيتها (سالم) ابن اخت صالح ثم قذفت الامواج بصالح وخالد الى جزيرة غير ماهولة فيدور الحوار بين الشخصيتين .

يستعيد فيها صالح ذكرياته الماساوية وكيف كان والده

ضحية من ضحايا مجتمع الغوص وما ساده من استغلال وابتزاز من قبل فئة معينة فى مجتمع البحر .

هذه المسرحية التى تتكون من فصل واحد وتقوم بها شخصيتان (صالح وخالد) تخفت فيها الى - حد ما - روح الصراع والحركة الدرامية . ولعل السبب فى ذلك يعود إلى ما ذكرناه سابقا من انه لايكفى أن يكون الموضوع المتناول (دراميا) لكى تتحقق فى المسرحية حدة الصراع وحيويته بل لابد أن يخلع عليها الكاتب هذه الحيوية والحركة باسلوبه الفنى ، وبما يخلعه عليها من مشاعره ورؤيته للحياة ، وما يحدثه من تمازج بين الحوادث التاريخية وبين قضايا ومشاكل عصره وهمومه لكى يعمق من حدة هذا الصراع ويتفاعل معه المشاهد .

الى جانب ذلك فان المسرحية تقوم أو تتكون من فصل واحد والشخصيات فيها محدودة وهذا يؤثر على حدة الصراع وتبلور الحدث ونموه - خاصة وان الشخصية الثانية فى المسرحية (خالد) شخصية غير فاعلة -

الى حد ما - اى انها لا تسهم بصورة فعالة فى إذكاء الصراع وتطوره ونموه .. ومن هنا فان المسرحية هى اقرب الى روح الطابع القصصى الذى يقوم على (المونولوج) الداخلى واستذكار الباطن ، فى تلك الذكريات التى يستعيدها (صالح) من الماضى .

ولكن المسرحية لا تخلو بعد ذلك من مواقف ذات بعد فكرى ونفسى يطرحه الكاتب من خلال هذا الحوار البسيط ، ولكن له عمقه وابعاده . فما هى هذه القرية الغريبة ؟ وماذا يعنى الخوف منها بالنسبة لصالح ؟ ولماذا هو غريب عنها ؟ وما نوع

هذه الغربة ؟ وما الذى دعا (صالح) الى اتخاذ هذا الحكم ضد تلك القرية (المجتمع) ؟

هذه قضية اساسية تثيرها المسرحية بايماءة سريعة . هذه القضية قد تمخضت عن تلك الماسى التى عاناها (صالح) وكيف تخلى عنه المجتمع بعد ان اختطف منه اباه ، ثم سلبه اخته حين فرض عليها واقعهم الاجتماعى ان تتزوج من رجل عجوز لكى يدفعوا دينا فرضه عليهم هذا الواقع .

إن نغمة الغربة فى ادبنا العربى قديمة قدم هذا الادب نفسه فقد ظهرت عند الشعراء الصعاليك فى الجاهلية واحسوا بانهم غرباء على مجتمعهم او فى قبائلهم ، غربة تولدت من احساسهم - فى الغالب - بالظلم والاضطهاد وضياع الحقوق .

وتكررت هذه النغمة على مر التاريخ حتى تبلورت فى العصر الحديث عند العديد من الشعراء العرب الذين احسوا بوطاة الظلم فى مجتمعاتهم وضياع الحقوق فيها . فالانسان يشعر بالغربة وإن كان يعيش فى مجتمعه إذا احس باختلال القيم وضياع العدالة ، وتلك هى الغربة النفسية التى نجدها فى اشعار العديد من الشعراء او العرب او غيرهم .

ويبقى بعد ذلك ان نقول ان هذه المسرحية جهد طيب ، وعمل جيد ، نتمنى لكاتبها التوفيق ومزيدا من النتاج ، ومما هو جدير بالتنويه ايضا هو كتابة هذه المسرحية باللغة الفصحى التى يتهرب منها معظم كتاب المسرح فى الوطن العربى بحجة الواقعية وغيرها من الحجج الواهية ...

د. محمد عبد الرحيم كافود

سارق النار .. وملهم الأشعار

بقلم: د. احمد عثمان



فى الذكرى الأولى لوفاة عميد وفقيد الادب والنقد العربيين طـه حسـين وقف نزار قباني يرثيه فى حفل اقامته جامعة الدول العربية بالقاهرة فقال :

أيها الفارس الذي اقتحم الشمس	والقى رداءه الارجواني
فعلى الفجر موجة من صهيل	وعلى النجم حافر لحصان

ويخاطب الشاعر فى هذين البيتين المتوفي على أنه فارس يقتحم الشمس ويطير بين الكواكب ويرسم له صورة شعرية رائعة لا يمكن إلا ان تكون مستوحاة من الأساطير الأغريقية التى تتحدث عن إله الشمس الوثني « هيليوس » وهو يمتطى عربة ذات عجلات اربع تجرها الخيول فيقطع بها صفحة السماء كل يوم من الشرق إلى الغرب حيث ينزل إلى المحيط الأطلسي (نهاية العالم من الجهة الغربية انذاك) ويستقل زورقا ذهبياً يعود به من الجانب الآخر ـ الشرقي ـ مع شروق شمس اليوم التالي . كل شيء فى عربة هيليوس بما في ذلك الخيول ليس فقط ارجوانيا كما جاء فى كلمات نزار بل من نور ونار .

وسيجد المتصفح لدواوين الشعر العربي الحديث والمعاصر ان كلمة النار ومترادفاتها ومشتقاتها من افعال وأسماء وصفات ، وكذا الصور الشعرية المستمدة منها قد اقترنت ليس فقط بفكرة الثورة والتغيير على الصعيد الاجتماعي والسياسي ، بل ايضا بالتطلع إلى التجديد فى الفن الشعري ذاته . تحفل قصائد الأشعار عندنا الآن بكلمات وعبارات مثل « عربات النار » و « مركبات الشمس » و « عربات الفجر » و « خيول النار » وما إلى ذلك . وسنترك تعليل شيوع هذه الظاهرة النارية فى شعرنا العربي المعاصر إلى سياق آخر ولقاء نرجو أن يكون قريباً ، باذن الله ، وسنكتفي الآن بتسليط الضوء على بعض جوانبها .



نازك الملائكة



نزار قباني







ت . س . إليوت

ابو القاسم الشابي

د. محمد عبد الحي

علي محمود طه

ودعنا نمضي قليلا مع قصيدة نزار قباني الرثائية حتى نصل إلى مخاطبته الاسطورية لطه حسين إذ يقول :

ايهـا الازهري .. ياسارق النـار
ويا كاسـراً حـدود الثـواني

وليس نزار قباني هو أول من استخدم عبارة « سارق النار » ، فسبقه إلى ذلك شعراء اخرون كثيرون ، بل ان هذه العبارة شائعة فى الشعر العربي المعاصر شيوعا عجيبا وملفتا للنظر ، ولكننا على اية حال نعتبر طه حسين اجدر من يستحق حمل هذا اللقب « سارق النار » . فالعبارة بلاشك تعني بروميثيوس الذي ـ كما تقول الأسطورة الأغريقية ـ كان من سلالة الجبابرة أو المردة التيتانيس وهو الذي صنع الشكل الانساني من الطين ، فلما حرم « زيوس » الوثني بني البشر من معرفة النار وفنونها سرقها لهم بروميثيوس من السماء أو من احزان هيفابستوس من البراكين والنار والصناعة والحدادة .

وعلم بروميثيوس الناس فن استخدام النار وسائر الحرف الصناعية وفنون الطب وتحضير العقاقير وعلم التنجيم والتنبوءات وغيرها . فهو إذن بطل حضاري ومتمرد ثائر ضد قوى التخلف والظلم والطغيان حتى ولو كان مصدرهما زيوس نفسه . بروميثيوس هو النصير الأول للانسانية والرائد الأول للتحضر إذ يدد ظلمات الجهل وتمرد على الظالمين وجلب النور والنار وأسس العلوم والفنون فوضع اللبنة الأولى فى صرح المدنية : ولم ينجح بروميثيوس ـ كما لم ينجح طه حسين الأزهري واى مفكر يسبق عصره ـ من العقاب المرير إزاء عنفه الثوري وتحرره الفكري وتحيزه للعلم والانسانية . لقد امر زيوس أن يكبل بروميثيوس بالاصفاد ويقيد بالاغلال على ظهر صخرة جرداء فوق جبل القوقاز وان يتغذى نسر كبير من لحم كبده الذى كان يعاد خلقه وتجديده كل ليلة او كلما نفد ليجد النسر دوما وكل يوم ما ينهشه وليستمر عذاب بروميثيوس الى الأبد .

ولقد وردت اسطورة بروميثيوس هذه عند هيسيودوس (القرن السابع ق.م) واستوحاها أيسخولوس مبدع التراجيديا الاغريقية (فى القرن الخامس ق.م) لينظم ثلاثيته اى المسرحيات الثلاث المتكاملة شكلا وموضوعا «بروميثيوس سارق النار» و «بروميثيوس مقيدا» و «بروميثيوس طليقا». ولم تصلنا كاملة سوى المسرحية الوسطى فى هذه الثلاثية وفقدت المسرحيتان الاخريان . ونشر الشاعر الانجليزى شيللى (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢) مسرحيته الغنائية «بروميثيوس طليقا» عام ١٨٢٠ . وشاعت هذه الأسطورة فى

سارق النار.. وملهم الأشعار

الأدب الاوروبى الحديث والمعاصر شيوعا ساعد على انتقالها الى ادبنا العربى ولاسيما الشعر .

المهم اننا ما كنا لنفهم الصورة الشعرية التى رسمها نزار قبانى لطه حسين بعبارة «سارق النار» ما لم نكن ملمين بالأسطورة الاغريقية عن بروميثيوس وما ترمز اليه هذه الشخصية من حب عميق للانسانية واستعداد كبير للتضحية فى سبيل الرقى والتقدم وبذر بذور التنوير .

وفي الحقيقة نود مصارحة القارىء الكريم بان ابيات نزار قبانى تلك عندما سمعناها لاول مرة عام ١٩٧٤ هى التى دفعتنا الى البحث عن تاثير اساطير ورموز النار الاغريقية فى شعرنا العربى الحديث والمعاصر وهو بحث لازلنا نعكف عليه حتى الآن . ذلك اننا اكتشفنا ان الامر لا يقتصر على مجرد اشارات متفرقة او عابرة بل إن فكرة النار بكل اساطيرها ورموزها تغلغلت الى جوهر مفهوم الشعر العربى الحر ، بل والى مفهوم التجديد والتقدم حتى اصبحت كلمة النار تعنى او ترادف الثورة الفكرية والنهضة التحررية بصفة عامة . وهذا ما سبق ان اشرنا اليه فى احد ابحاثنا بعنوان «عبد الوهاب البياتى وحرائقه الشعرية» المنشور بمجلة «الكويت» .

المشكلة التى تواجهنا الآن فى معالجة هذه الظاهرة النارية فى شعرنا المعاصر هو تعسر حصرها وتعذر تناولها على نحو شامل فى هذا المجال الضيق الذى نتحدث فى إطاره . ومن ثم سنكتفى بذكر اهم الأمثلة وابرز الشعراء .

شرارة «ابوللو»

ومما لاشك فيه ان شعراءنا المعاصرين يدينون الى ت.س. إليوت من ناحية والى جماعة «ابوللو» وعلى راسها ابو شادى وعلي محمود طه من ناحية اخرى بحب التعامل مع الاسطورة الاغريقية وتناولها بالاحياء او باعادة الصياغة . وهذا موضوع يحتاج الى بحث مستقل . على اية حال فان اقدم اشارة الى اسطورة بروميثيوس ـ فيما نعلم ـ هى تلك الواردة فى قصيدة ابى القاسم الشابى تحت عنوان «نشيد الجبار .. او هكذا غنى بروميثيوس» وهى قصيدة جاءت ضمن ديوان الشاعر الذى حققه الدكتور عز الدين اسماعيل (دار العودة ١٩٧٢) مؤرخة بيوم ٢٧ شعبان ١٣٥٢ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٣٣ ويقول فيها ابو القاسم الشابى :

ساعيش رغم الداء والاعداء
كالنسر فوق القمة الشماء
ارنو الى الشمس المضيئة هازئا
بالسحب والأمطار والانواء
لا ارمق الظل الكئيب ولا ارى
ما فى قرار الهوة السوداء

ويقول الشابى لاعدائه الذين ما لبثوا يشوون أشلاءه فوق السنة اللهب وياكلون من لحمه ويرتشفون من قطرات دمه :

فارموا الى النار الحشائش والعبوا
يا معشر الاطفال تحت سمائى

ويضيف قوله انهم إذ يفعلون ذلك يخسرون الكثير اما هو فيربح نشوة النصر عليهم ومزيدا من الثقة بنفسه :

ورايتمونى طائرا مترنما
فوق الزوابع فى الفضاء النائى
فارموا على ظلى الحجارة واختفوا
خوف الرياح الهوج والانواء
اما انا فاجيئكم من فوقكم
والشمس والشفق الجميل ازائى

وهكذا نعود الى حيث بدانا فابو القاسم الشابى يتخيل نفسه بعد الموت حرقا وقد غدا طائرا يجوب اجواز الفضاء او فلكا بين الكواكب والنجوم يحتقر اعداءه الأطفال الأقزام ويحييهم تحية الاشفاق والمقدرة مع اشراقة الشمس والشفق الجميل . وهنا نتذكر ابيات نزار قبانى حيث تخيل فارسه طه حسين بعد موته وقد اقتحم الشمس والقى رداءه الأرجوانى وخلف على الفجر موجة من صهيل وعلى النجم حافرا لحصان .

اتهم طه حسين احد رواد مدرسة ابوللو اى الشاعر علي محمود طه بتغريب الشعر واعتبر محمد مندور ان الاشارات الاسطورية فى قصائد هذا الشاعر «تتلف عليك احساسك وتثير فيك الغيظ !» . اما احدث الدراسات فى ذلك المجال فلها راى اخر . إذ يقول الدكتور محمد عبد الحي فى كتابه «الاسطورة الاغريقية فى الشعر العربى المعاصر من ١٩٠٠ الى ١٩٥٠» المنشور بدار النهضة العربية عام ١٩٧٧ يقول (ص ٦٨ وما يليها) انه إذا كان ابو شادى رائد جماعة ابوللو لم يستطع ان يقرض اغريقياته نماذج يحتذيها شعراؤنا فان علي محمود طه وهو من شعراء مجلة ابوللو قد حاول تذويب كل ما قد يضرس القارىء من عناصر اجنبية فى الشعر المستمد من الأساطير الاغريقية بفيض من الموسيقى الشعرية الساحرة وباللغة الرنانة التى تغيب فى ضجة صنوجها الذهبية والنحاسية اكثر تفاصيل التجربة المحسوسة . لقد امتلأ شعر علي محمود طه بعناصر الرمز والتصور الأسطورى للطبيعة والحياة كما لم يحدث عند اى شاعر عربى من قبله .

ما بين الثلوج والنيران

ولأساطير النار ورموزها مكانة خاصة فى اشعار علي محمود طه وابرز مثل على ذلك قصيدة «ثلج ونار» وجاء فيها :

أايتها النار ويك اصبرى
احبك بكل الذى املك
بقربانى المقدس الاخير
ازاهيركن رفاقا لطافا

ثم يكمل هذه القصيدة باخرى تحمل عنوان «نار ونار» يقدم لها بقوله «اشتد به الألم عند مطالعة قصيدتها التى تضطرم اسى والما وتضطرب ياسا ومرارة وتفيض بنبل العواطف فذابت نفسه حبا وحنانا .. وفزع اليها .. بهذه القصيدة معاتبة ومصالحه...:

حبيبة قلبى هى النار لا
تشبى لظاها ولا تستثيرى
دعيها ولا توقظى جمرها

فمــا النــار احــن من الزمهريــر
فدى راحتيــك فـؤاد يلــذ
لـه فـى هـواك عـذاب السـعير
الا ياعرائس وادى الخيــال
بالهــة الرحمــة المنصفــة
وانقــذن هــذا الغـرام الشـهيد
فقـد كـادت النــار ان تلقفــه

ومن الملاحظ ان النار فى ابيات القصيدتين المذكورتين تقرن تارة بالحب ومشاعر الشوق واللهفة وتارة اخرى بنقيض الحب اى ما يدمره ويقضى عليه . ففى إطار الاستخدام الأول يستمد الشاعر من النار اجيجا لما يتقد فى قلبه من حب ويقدم للنار قربانا مقدسا . وفى إطار الاستخدام الثانى يطلب من صاحبات الرحمة المنصفة ـ وهن رموز الصفح فى الأساطير الاغريقية ـ ان ينقذن الغرام الشهيد حيث كادت النار ان تلتهمه . هذا مع اننا نرى ان استدعاء هؤلاء هنا غير مناسب للسياق لانهن تخصصن اصلا فى الانتقام من ـ ثم الصفح عن ـ جرائم سفك دم الاقارب ولاسيما الأب او الام كما هو الحال فى ثلاثية ايسخولوس الشهيرة «الأوريستيا» ولاسيما المسرحية الثالثة التى تحمل عنوان «ربات الصفح» .

ولقد امتدت شرارة اللهب التى اشعلتها مدرسة ابوللو الى اشعار نازك الملائكة التى اعجبت ايما اعجاب وتاثرت تاثرا كبيرا بعلي محمود طه فهذا ما يبدو من كتابها عنه بعنوان «محاضرات فى شعر علي محمود طه دراسة ونقد» الذى نشره معهد الدراسات العربية العالية عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥ . ويبدو ان نازك الملائكة قد مرت بتجربة مماثلة لما وقع لعلي محمود طه حين القت بمذكراتها الخاصة الى النار عام ١٩٤٦ ثم راحت تقول :

ايها الحاضر لا تسرع الى الماضى البعيد
ولتقف مركبة الشمس على الافق المديد

وتعد هذه من اقدم الاشارات فى الشعر المعاصر لعـربة إله الشمس «هيليوس» .

وجدير بالذكر هنا ان وقوف مركبة الشمس فى هذين البيتين يعنى توقف الزمان وهذا معنى تردد كثيرا وبنفس الطريقة فى اشعار عبد الوهاب البياتى .

المهم أن نازك الملائكة تقلد استاذها علي محمود طه فى قصيدة «ثلج ونار» التى يشي عنوانها بهذا التقليد . ولقد نشرت هذه القصيدة فى ديوان «شجرة القمر» واختتمتها الشاعرة ببيتين يوجزان معنى القصيدة ككل وهما كما يلى :

ذلك ما شـــاءته اقـــدار مقضيــة
ادم مثـــل الثلـــج وحـــواء ناريـــة

شجرة القمر ... تلتهب

ومن الصدف العجيبة ان اسم نازك الملائكة نفسه ـ وفى شطريه ـ يحمل بين حروفه فكرة النار . وفى الحقيقة ما ان تسربت اساطير النار الى اشعار نازك حتى شاعت فيها شيوع السنة اللهب فى الهشيم بل وتلاحظ إطرادا مستمرا فى وضوح ونضوج اساطير ورموز النار من قصيدة لاخرى من نتاج هذه الشاعرة . وفى قصيدة «شجرة القمر» استغلت الشاعرة قصة من ادب الأطفال الانجليزى لتصوغ قصة شعرية تقول فيها :

وطاف الصدى بجناحيه حول الجبال وطار
الى عربات النجوم وحيث ينام النهـــار
ووجه كأنّ ابولـــون شبيـــه بالوضـــاءة

وما يلفت النظر هنا أن الأساطير الشمسية الاغريقية لم تجعل للنجوم «عربات» واختصت «هيليوس» رمز الشمس فقط بهذه الميزة فهو الذى يقود عربة الشمس من الشروق الى الغروب . ولكن شاعرتنا ـ كغيرها من شعرائنا المعاصرين ـ جمعت العربة فاصبحت «عربات» وربطتها بالنجوم وهى إنما فعلت ذلك لان السياق يقتضيه فهى تتحدث عن القمر الشمسي وفى ليالى القمر «ينام النهار» . اما الذى يوحى بالشمس هنا فهو «وجه ..

ابولون» فهو رمز الطب والرياضة والنبوءات الوثنية ولكنه الى جانب ذلك قد شارك هيليوس رمز الشمس بعض وظائفه والقابه ومنها «فويبوس» وتعنى «الوضاء» او «المضيء» .

ويبلغ الرمز الأسطورى بالنار والشمس حد النضوج والعمق فى ديوان نازك الملائكة «يغير البحر الوانه» . ففى قصيدة «تمتمات فى ساحة الاعدام» بهذا الديوان تقول الشاعرة عن الفدائيين :

نحن ارتفعنا
نحن مع البرق قد نصعنا
ومن حليب الفداء والشمس قد رضعنا
ونحن كنا براعم النار فاندلعنا

فالنار والشمس كرمزين شعريين لروح الفداء والثورة يدخلان هنا فى نسيج معنى ومبنى الكلمات بل وعلاقاتها ببعضها البعض وناهيك عن البلاغة الماثلة فى الفعل «نصعنا» و «رضعنا» و «اندلعنا» عندما تقترن على التوالى بالبرق وحليب الشمس وبراعم النار

وهكذا حصاد ... سنابل النار

تعد أروع الصور النارية وانضجها فى شعر نازك الملائكة تلك الواردة فى قصيدة «سنابل النار» المنشورة فى ١٩٧٤/٢/٩ وجاءت فى ديوان «يغير البحر الوانه» وتقدمها الشاعرة بقولها «ذات شتاء اثمرت النار فاشتعل الحب ثلاث دوائر واصفرت معه النار ثم احمرت ثم صارت بيضاء تحرق عينى من يحدق فيها» . وهذا كلام لا يصدر إلا عن شخص جلس يراقب عملية اشتعال النيران مراقبة دقيقة وفاحصة كما

سارق النار .. وملهم الاشعار

ان لهذه الدوائر الثلاث دلالات رمزية تستغلها الشاعرة فى القصيدة أروع استغلال . وجاء فى القصيدة :

تقلبني جبال خواطر وبحـــار
تدب النــار مشعلة ثلوج دمي
بلامــس دفؤهــا نغمي
بريق لهيبها صفــا على عودي ويصحى
غفوة الاوتــار
ويحملني جناح النــار
لكل دوائر الحـــب
ثلاثتهــا وينبــت لي على قلبي
جناحين من الحلم ، من التذكار
ولولا النار ماكانت ثمار الحـــب .. لولا النار
عرفت توهج الأهواء حول لهيبها
... فعواطفي اغـــــوار .
من النيران تبدا رحـــــلتي .
ففى اغصاني النشوى يكاد يسيل نسخ النار

وإلى هنا قدمت نازك الملائكة الفكرة العامة لقصيدتها وكيف دبت النار فى دمها الثلجي فطارت على اجنحة النار الى كل دوائر الحب فلولا النار ما احست بهذه العاطفة الدافئة وما كانت ثمار الحب لتنضج وما عرفت توهج الاهواء فمن النيران تبدأ كل الأشياء وتنتهي .

وهذه بالطبع فكرة اسطورية عرفتها شعوب كثيرة منذ القدم ، منهم المجوس ومنهم الاغريق والرومان . وبلغت هذه الفكرة أقصى ما وصلت اليه فى العالم القديم من ذيوع وشيوع . وازدهار وانتشار على يد أتباع الفلسفة الرواقية التى جعلت النار أصل كل شيء بما فى ذلك الروح . بل اعتبر فلاسفة الرواق النار مهندساً بارعا ينظم الكون ويعيد ترتيب أى خلل فيه ويصلح ما قد يفسد من اجزائه او يتعطل . فاصبحت صاعقة زيوس رمزاً للنظام الكونى واستتباب الامن والسلام فى العالم وكذا استقرار النظام واستمرار الحياة .

ونبدأ مع نازك الملائكة دائرة الحب النارى الأولى إذ تقول :

هواى الأول الحسى دائرتى الصغيرة
جسمت السنة النيران لي شخص حبيبى
اطلعت لي وجهه من شفق الذكرى ...
سماء فى غلالات غـروب .
وجهه أم زهرة حمراء ؟ ام وهج ضياء
وجهه أم وردة النار وعنقود شرر ؟
وشظايا لهب ام مزرعة ؟
...
اصابت ناره صفرة
بلون الشك والأهواء والغيرة
مؤرجحة كانـى قشة فى حضن اعصار
مضيعة بوديان الهوى الخطرة
والبس معطف النار
...
ومثل الحب هذى النار الشنة مراوغة فلا تلمس ...

فيا نارىُ يا نارى
غرامى الجامح الأرضى يشبه وجهك الأصفر
فلمس كليهما دفء
وطعم كليهما سكر
وقبلاتهما تجرح كالخنجر
ويا نارى من لجة هذا الموقد الأصفر
يا نارى اصهرينى طهرينى وارفعينى
اننى انفقت فى حب التراب سنينى

فدائرة الحب الأولى إذن ترمز للحب الحسى وهى كالنار فى بداية اشتعالها صفراء لا امان لها . ومع انها دافئة وطعمها سكر إلا أن قبلاتها تجرح كالخنجر . فهو حب لا تدينه الشاعرة إدانة كاملة ولكنها فقط تعتبره مرحلة أولية ترابية تمهدنا للانتقال الى الدائرة الثانية حيث ينسى فيها المرء ذاتيته واهواءه الشخصية ويذوب فى حب اشمل من ذلك . وفى الأبيات الاخيرة تبرز فكرة النار المطهرة وهى ايضا فكرة اسطورية عرفتها جميع الشعوب القديمة وتدرجت فيها من علاج الامراض والحروح عن طريق الكي بالنار ثم بالحرق - اى حرق الميت - ليتحول الى رمز وهذه طقوس معروفة فى عبادة اباطرة الرومان وغيرها من العبادات الوثنية .

على أية حال هيا ندخل الدائرة الثانية من دوائر الحب النارى عند نازك الملائكة :

فالى الدائرة الثانية الوسطى انقلينى وابعثينى
فى الدجى قبرة لائفة تهفو لبيارات يافا وجنين
... فلسطين ام الارض
هواى لها يغير جوهر النار
تبدل موقد النار
وصار اللهب الاصفر جمرا قانى الحمرة
له حجم ، له شكل . وخلف أجيجه فكرة
إذا ما شئت المسه بكفيا
اوزعه هنا وهنا وانثره
المله ابعثره
وحمرة ذلك الجمر
دم يجرى
بلون الغضب النازف من جرح فلسطين

فالدائرة الثانية إذن هى رمز حب الوطن وبصفة خاصة تحرير فلسطين فما هى يا ترى الدائرة الثالثة ؟

ويا نار اهدمينى

طهرينى واغسلينى
والى دائرتى الثالثة العليا انقلينى
إننى اصعد بالنار الى ذروة افاق حنينى
وحب مليكيّ المحبوب غير جوهر النار
وصارت ناره بيضاء كالبرق
بياض النار يبهرنى
هنا وطنى
هنا وطنى

اغيب .. اغيب لا ابصر حتى النار

وهكذا ترقى بنا نازك الملائكة فى دوائر حبها النارى المتصاعد من دائرة الحب الحسى المحدودة الى دائرة حب الوطن الأوسع والأرحب بل والاعلى مرتبة من الدائرة الأولى . أما الدائرة الثالثة فهى دائرة الحب الصوفى حيث يندمج المخلوق مع الخالق ويترفع بنار الحب الى افاق النجوم والشموس فيطوى حدود المكان والزمان ويمتزج بجوهر النار ويصبح معه شيئا واحدا الى حد انه لا يبصره .

د. أحمد عتمان



رسائل غير عادية

بقلم : معروف رفيق

إلى المنزل والمدرسة

فلتكن هذه الرسالة .. مزدوجة العنوان ، متوحدة المضمون .. لأنها الى صانعي الانسان : المنزل ، والمدرسة ..

الدراجة تسير على عجلتين .. المنزل هو العجلة الامامية .. والمدرسة هى العجلة الخلفية .. فاذا سارت الدراجة على عجلة واحدة .. كانت كدراجة السيرك .. لا يقودها الا بهلوان ...

والعربة التى يجرها حصانان ، لابد لها من السير الى الامام .. أما اذا تعارض الحصانان ، بحيث شرق الاول ... وغرب الثانى .. فلابد للعربة من الوقوف ... وربما التصدع ..

ولا بأس ان نكرر المثل المتداول فى مثل هذا المقام ... المنزل والمدرسة وجهان لعملة واحدة ، هى الانسان ..

ولا باس ايضا ، ان نكرر المثل الشعبى : يد واحدة لا تصفق وحدها .. فاذا كنا نعلم كل هذه المعلومات ... ونحفظ كل هذه المحفوظات .. عن الدور المثالى للمنزل والمدرسة ، فلماذا إذن هذا التخلف العربى ، فى تخريج الانسان العربي ، القادر على صنع التقدم ، قفزا على حواجز التخلف ؟ ..

يذهب الوالد الى المدرسة عندما يعجز عن تربية ولده ، ويقول بصوت مفعم بالصدق : أيها المدرسون ، لكم اللحم ، ولي العظم ...

ويصاب المدرسون بالزهو والخيلاء .. فها هو الوالد يعترف بعجزه .. وها نحن نصبح فى نظر الاباء .. المنقذين الوحيدين

لا اللحم للمدرسين .. ولا العظام للآباء .. فليس الطالب شيئا قابلا للقسمة والتجزئة .. وليست عملة التربية الصحيحة ، عملة بوجه واحد .. انما هى عمل متكامل .. يجرى التعاون على إنجازه بين منزل ومدرسة ، بين والد ومعلم .. بين أم ومعلمة ..

ثم لماذا يتعاون الاباء والمعلمون على الطالب ؟ ولماذا لا يتعاونون من أجل الطالب ؟

وقد يجرنا الحديث عن التربية فى وجهى العملة التربوية الواحدة .. عن أسلوب التربية والهدف منها ..

أما الهدف فقد تعارف عليه الاقدمون والمحدثون على اختلاف الآراء والاساليب ولعل الهدف الأسمى يكمن فى تربية الابناء من اجل مواجهة الحياة وفهمها والاسهام فى الحضارة الانسانية ..

فالبيت الذى يوفر الطعام والماء والرداء ... ويتوقف عند حاجات الجسد دون حاجات الروح والعقل .. إنما هو راع يسمن الخراف فقط ، بينما الانسان اعظم من ذلك ..

والمدرسة التى تحشو العقول بالمعلومات وتنسى او تتجاهل حاجات النفس والروح والعقل .. فهى إنما تصنع جهاز كمبيوتر .. لا إنسانا أسمى وأعظم .. تلك خطوط رسالة اليوم .. وهى ألفباء التربية ..

وسلام على المنزل ... وسلام على المدرسة ...

إلى سمكة ..

عزيزتى السمكة ، اسعد الله اوقاتك وملأ البحر بأمثالك .. وبعد ، فمنذ أن غنى المطرب الراحل ، عبد الحليم حافظ قصيدة نزار قباني « رسالة من تحت الماء » .. وانا افكر أن أخط اليك رسالة عتاب ، فربما رددت على بجواب ، أو بعلامة اندهاش واستغراب وأكاد اسمعك تتحدثين من خياشيمك الحمراء ، وبأسلوب يحمل فى طياته بعض الكبرياء .. ماذا تريد منى ؟ ماذا تريد وقد ضحيت بكثير من بنات جنسي على موائدكم ؟ ولكنكم أيها الناس ، أهملتم أماكن إقامتي وما حافظتم على سلامتي ، فأنا أختنق من زيوتكم وشحومكم ، تلك التى تملأ البحار وليس من يلومكم .. ثم إنكم لا تحسنون مواسم الصيد .. مع ان علوم البحار منتشرة فى جامعاتكم ومجلاتكم .. ومع ذلك ، تلقون على عاتقى سبب غلائى وارتفاع اسعارى فى السوق ، وتعيدون وتكررون كلام الشاعر عبد الرحمن رفيع .. الذى قال فى عام ٧٣ .. (والله زمان .. الشعرى صار بثمان) ..

أيتها السمكة يا رفيعة المقام .. لقد أسمعت وأوضحت .. فما انت الا حيوان بحري مسخر لنا .. نصطادك ونشويك ، ونطبخك أو نقليك .. ومع ذلك .. فقد انشغل الناس عن صيدك بمختلف الاعمال .. لأنها تدر عليهم مزيدا من الأموال .. وتركوك لبضعة من التجار .. يعرضون علينا ما يحلو لهم من أسعار .. حتى صرت طعام الاكابر دون الاصاغر .. ولولا أن المولى عز وجل .. خلق المزيد من الانواع ... كالشعرى والكنعد والهامور .. لكان الزبيدى والربيب والصافى ، يباع فى الصيدليات .. فضلا عن البقالات ..

سبحان الذى أبدع اللحم وأبدع الفول .. وكلاهما يحتوى على البروتين المطلوب .. سبحانه تعالى .. لم يترك عباده للاطماع .. والا كان معظم الناس فى عداد الجياع .. ولكنه وهو العليم الحكيم ، قد جعل الكون فى أحسن تصميم ، فكانت القناعة كابحا للمطامع ، وكانت الرحمة كابحا للقسوة والجبروت .. وكانت أجسامنا عرضة للتلف بسبب التخمة ، كما هى عرضة للتلف بسبب الجوع والمخمصة ..

إيه أيتها السمكة ..

اكتب اليك واعلم انك تهربين من كل حركة ، مخافة ان تقعى فى الشبكة .. اطمئني ... لا شبكة عندى ولا زورق .. فاذا نزلت الماء كدت أغرق .. فداومى على مراسلتى .. ولسوف اذكرك كلما رأيتك على المائدة .. قبل ان تصبحى فى عداد الاسماك البائدة .



زكى طليمات علم من أعلام المسرح العربى، ورائد كبير من رواده. لمع اسمه فى الحركة المسرحية فى اواخر الحرب العالمية الأولى . ومنذ ذلك التاريخ وهو يؤدى دورا ريادياً فى مسار الحركة المسرحية مخرجا، وممثلا، ومديرا فنيا لكبرى الفرق، وناقدا فنيا، وعميدا لمعهد الفنون المسرحية، وأستاذاً لفنون المسرح ، كما امتد نشاطه الى الدول العربية مشاركا بخبراته فى تاسيس مسارحها القومية . وإليه يدين المسرح العربى بما استطاع ان يحققه من مستوى رفيع ، فقد كان الفنان دائما صاحب رؤية علمية متكاملة فى الارتقاء بالمسرح العربى والنهوض به من الارتجال والاجتهادات الفردية الى مرحلة التوظيف العلمى لفنون المنصة ، وكانت عدته فى ذلك دراسته الاكاديمية بفرنسا وخبرته العميقة الطويلة وموهبته الفنية وشخصيته الجبارة الصلبة التى لم تهادن ابدا فى سبيل الفن الصحيح .

ذكريات ووجوه



تأليف : زكي طليمات
عرض وتحليل : سمير عوض

اثرى زكى طليمات المكتبة العربية بمؤلفات ثمينة فى تاريخ المسرح العربى وفن الممثل ، ومنذ اسابيع ظهر كتابه الاخير بعنوان «ذكريات ووجوه» تناول فيه طائفة من الشخصيات الفنية المؤثرة فى الحركة الفنية خلال نصف قرن وكان لها دور بارز فى صنع تاريخ الفن فى مصر ، هى روز اليوسف ، جورج ابيض ، سلامة حجازى ، سيد درويش ، يوسف وهبى ، طلعت حرب عزيزة امير ، ام كلثوم ، حلمى عيسى ، نجيب الريحانى ، علي الكسار ، فاتن حمامة ، احمد فهيم ، منسي فهمى ، خليل مطران ، د. حسين هيكل ، وعلي أيوب .

هذه الشخصيات لم يعالجها المؤلف من خلال النقد او التاريخ او السرد لحصادها الفنى والادبى ، لتخرج فى النهاية مجموعة من السير او عرضا نقديا لتلك الشخصيات ، بل نراه يكتب عنهم من واقع لقاءاته المباشرة والحية بهم ، دون أن يعتمد اساسا على روايات استقاها عنهم ، ذلك انه عايش هؤلاء كما كان يعايش شخصياته المسرحية اثناء اخراجها وتمثيلها وتابع سلوكها عن قرب ونفذ الى اعماقها ليجلو خباياها ويكشف الدوافع المحركة لتصرفاتها ، الخالقة لابداعها .

إن الخبرة المباشرة هى المعين الذى استمد منه المؤلف مادة كتابه ، لكنه لم يقدم كل ما لديه ، فهو يملك قطعا مادة وفيرة ، اضعاف ما جاء فى الكتاب من الذكريات والخواطر والاحداث والتاملات



روز اليوسف



جورج ابيض



سلامة حجازى

والسير والطرائف ، لكنه اكتفى بتصوير جوانب معينة من الشخصيات . وان كان يخرج احيانا على هذا المنهج بان يقدم لنا عرضا تحليليا ونقديا لفن تلك الشخصية كما فعل مع سلامة حجازى وعلي الكسار ومحمد عبد الوهاب .

فالكتاب فى الحقيقة اعمق من الذكريات او هى ذكريات منتقاة بحرص من خزانة الذاكرة وخبرات الماضى يقدمها كعناصر تتالف منها صور شخصيات ، يوظفها كمداخل لفهم ابعادها النفسية والفنية ، ولا يهم أن تكون الصورة كاملة الملامح والتفاصيل ، انما ما يرمى اليه هو أن تبرز جانبا اساسيا من حياة الشخص او ملمحا بارزا من فنه كما لو كانت «كاريكاتور» يضخم ميزة او سمة ، واحيانا تبدو الصورة كلوحة لا تظهر منها سوى القسمات دون الدقائق ، واحيانا اخرى يستطرد فى وصف بعض التفاصيل وظلالها .

هناك من الشخصيات التى خصها بالكشف عن الزوايا المجهولة فى حياتها او التى كان لا يعرفها سوى الخاصة ، واخرى اطلعنا على المواقف الحاسمة فى تاريخها ، واحيانا يعري لنا عيبا جسميا او خلقيا ، ليس ليفضح صاحبه بل ليبنى عليه عصاميته وقدرته على التسامى الى مرتبة التفوق الفنى الفريد .

الدرس الذى تعلمه

الدرس الذى تعلمه طليمات من الممثلة روز اليوسف .. كانت امنية زكى طليمات ان تتاح له فرصة اللقاء بالممثلة العظيمة الحسناء ، روز اليوسف ، كان انذاك فى شبابه المبكر ، وذهب ذات يوم بصحبة احد الكتاب المعروفين الى بيتها ، كانت الفنانة تعد طعامها واستفسرت منه عن معنى اسم «طليمات» ، لكنه لم يدر جوابا ، وعندما عبر لها عن شوقه للتمثيل ، بادرته قائلة : تعرف تطبخ .. ؟ .. تعرف ترقص كويس ؟! فاجابها بالنفى . واستجمع الفتى شجاعته وسالها مـا علاقة الطبخ والرقص بهواية المسرح واجادة التمثيل ، ويومها احس انها تحدثه بالالغاز ، فانصرف متبرمــا . فاجابت : لما تعرف العلاقة دى تبقى ممثل صحيح .

لكن طليمات أدرك بعد اعوام امضاها فى حرفة التمثيل والاخراج أن روز اليوسف لم تكن تهزل بل كانت جادة لان الدور التمثيلى بين يدى الممثل يجتاز عملية حاذقة ليخرج ناضجا فوق المسرح . وبين الرقص والتمثيل علاقة وثيقة فهما يقومان على أسس واحدة من الايقاع والانسجام والرشاقة فى التعبير ، وبعد سنوات قليله تزوج الفنان زكى طليمات من الفنانة القديرة روز اليوسف .

الشيخ سلامة حجازى

ولقد عشق زكى طليمات فى صباه صوت الشيخ سلامة حجازى . وكان يتسقط اخباره على مقهى مجاور لمسرح دار التمثيل العربى من عجوز صاحب الشيخ فى مختلف مراحل حياته . وكان سلامة حجازى صاحب صوت مجلجل جبار . كان إذا ارتفع بالغناء تجاوز الى ما وراء جدران المسرح حيث احتشد جمهور من المارة يستمعون اليه بالمجان . صوت رخيم نفاذ يعلو ويهبط يشتد ويلين فى مدارج التعبير عن الكلام . يقفز فى يسر وتناسق فوق درجات السلم الموسيقى صعودا وهبوطا ، يعتصر النغمات والتراكيب الموسيقية ، يستقطر كل ما تعود عليه من قوة التعبير ، وكانه يحس فى وعيه الباطن بان هذه التراكيب لا تؤدى ما يريده من التعبير ، ومرد ذلك فى تقدير طليمات ان الشيخ كان يعانى صراعا داخليا لان الموسيقى العربية تحرص فى ذلك الوقت على التطريب أكثر من عنايتها بالتعبير ، فكان يحاول أن يحقق هذه الثورة دون ان تفقد الموسيقى العربية عطرها وطربها .

وإذا كان ما يؤخذ على الشيخ جهله بدقائق الفن فى الالقاء والتمثيل إلا أنه كان على موهبة اصيلة ، مرهف الحس صادق الانفعال مؤثرا فى تعبيره ، وكان حرف







فاتن حمامة

القاف يجرى على لسانه «كافا» «فحبيبة قلبى» تتحول على لسانه الى «حبيبة كلبى» دون أن تثير ضحك المتفرجين لأن انشاده الفريد كان يغفر اخطاء الممثل .

وذكريات المؤلف وان كانت تلح عليه فى المواقف الكبيرة من الحركة المسرحية . وتتضافر فى رسم صور لكبار الفنانين ، إلا انها تلاحقه أيضاً فيجلو لنا صوراً لرجال ارتبط اسمهم بالمسرح دون أن يكونوا من رجاله العاملين .

من هؤلاء الاقتصادى الكبير طلعت حرب مؤسس بنك مصر وشركاته ، والذى ساند مشروع بناء مسرح حديقة الأزبكية ، واضفى الطابع العربى على معماره ، كما شجع تقديم مسرحيات محلية مؤلفة وملحنة تلحيناً عربياً لفرقة عكاشة ، وكان ذلك بحافز من الوعى القومى كما فعل فى عالم الاقتصاد .

وزير التقاليد

اما الرجل الثانى فهو الوزير حلمى عيسى الذى كان اسمه مقروناً «بوزير التقاليد» ، فهو الذى اغلق عام ١٩٣١ اول معهد حكومى للتمثيل بحجة مخالفته للتقاليد ، وطليمات فى كتابه يبرىء الوزير من هذه التهمة التى الصقت به ، لأن الحقيقة التى تكشفت بعد سنوات تشير الى الفاعل الأصلى وهو فؤاد الأول ملك مصر فى ذلك الوقت الذى أمر باغلاق المعهد خوفاً على عرشه ، ذلك ان انقلاباً وقع فى افغانستان عام ١٩٣١ أطاح بالملك أمان الله لخروجه على تقاليد الاسلاف وفتح النوافذ للتيارات الغربية ، فخشى الملك فؤاد أن يلقى نفس المصير ، فأخذ يراجع كل جديد فى الحياة المصرية وكان على راس القائمة معهد التمثيل الذى أمر بغلقه .

راء فاتن حمامة

ومن ذكرياته الطريفة يروى لنا زكى طليمات قصة لقائه الاول مع التلميذة فاتن حمامة وكان ذلك فى المحاضرة الأولى من افتتاح معهد فن التمثيل فى منتصف الاربعينات فقد لفتت الطالبة انتباهه كجسم صغير الحجم ينمو بحساب دقيق ، فتاة وسيمة ذات وجه صغير بالغ الوسامة كوجه العرائس الغالية ، هذه الطالبة الجميلة يتحول حرف الراء على لسانها الى غين ، انها لدغاء تخرج بقية الحروف على لسانها سليمة المخرج فصيحة المنطق .

وعلى الفور شرع الأستاذ يعالج هذا العيب ، وكل العلاج انه جعل الطالبة تتعرض للاستثارة والانفعال العنيف ، ثم تتلو عبارة حول طالبسمين هى : «انحشر حشراً فى الدرج ولم يقدر أن يخرج» . وأمر الطالبة أن تقرأ هذه العبارة بسرعة لمرات متتابعة .

ويحكى طليمات أن الطالبة اندفعت غاضبة تنفذ ما أمرها به ، ووقعت الأعجوبة إذ بدأت اللدغة تفقد حدتها تدريجياً ، وكانت هذه الطالبة هى فاتن حمامة التى اصبحت سيدة الشاشة العربية .

خليل مطران الشاعر

وفى الصورة التى رسمها الفنان للشاعر الكبير خليل مطران لا يقف طويلاً عند شاعريته ، بل يلقى الضوء على شخصية رجل الادارة فى مواجهة الشاعر . ذلك أن مطران عمل مديراً للفرقة القومية المصرية وهى أول فرقة مسرحية انشاتها الدولة عام ١٩٣٥ ، وظل مطران على مقعد الادارة سبع سنوات . غير أن العلاقة بينه وبين طليمات مخرج الفرقة لم تلبث أن تعثرت لأن أصحاب الوشاية أوهموا مطراناً بأن طليمات يسعى الى اخذ مكانه فى إدارة الفرقة ، فتوجه اليه طليمات فى مكتبه بالجمعية الزراعية بالجزيرة وكان يعمل سكرتيراً عاماً لها الى جانب عمله مديراً للفرقة ، ليدافع عن نفسه وينفى ما اشاعه عنه الوشاة .

وكان من عادة مطران انه يقيم حاجزاً بينه وبين اعضاء الفرقة حتى لا يتجراون عليه ومع ذلك كان أعضاء الفرقة يلاحقونه حتى فى مكتبه بالجمعية الزراعية بل ويقترضون منه دون أن يردوا له الدين .

ويقول طليمات ، إن الشاعر الرقيق الحانى الكريم الذى يكمن وراء تجهم مدير الفرقة هو الأصل ، اما المدير الخشن فطارىء ودخيل عليه . وفى مكتبه اخذ الشاعر يروى له حادثة تركت أثراً فى أنفه واشار الى قصيدته «تذكارات الطفولة» :

هل تذكرين ونحن طفلان
عهداً بزحلة ذكره غنم
إذ يلتقى فى الكرم ظلان
يتضاحكان وتأنس الكرم

لقد تظاهر أمام صديقه بأنه يجيد ركوب الخيل مثلها فجمح به الجواد والقى به أرضاً وركله فى أنفه .. وعلق مطران على هذه الحادثة «هذا عقاب الحب ، لأننى كذبت على من أحب ، وإن لم اكذب فى حبى» .

ابن الباشا

من بين الشخصيات التى تناولها المؤلف طائفة اخذ يبحث عن مفتاح يفسر به مسلكها وانجازاتها الفنية وغير الفنية ، وليس هذا المفتاح سوى مركباتها النفسية او عقد النقص فيها . فهذا عزيز عيد المخرج والممثل المشهور صانع النجوم والمدير الفنى لمعظم الفرق الكبرى فى الثلث الأول



طلعت حرب



عزيزة امير





محمد عبد الوهاب

خليل مطران

من هذا القرن كان قصير القامة ، اصلع طويل الانف ، كان فنانا غاضبا ، دائم القلق يبحث عن الأفضل والأجود ، دائم الصدام مع مديرى الفرقة ، يشكو تسلطهم واستبدادهم بالفنانين . هنا يحاول المؤلف أن يقيم رابطة بين نبوغ وعبقرية عبد ، وبين بنيته الجسمية ، وإذا كانت هذه البنية بعيوبها لا تصنع الموهبة ، إلا انها الشرارة التى تشعل وهجها .

ويوسف وهبي ، صاحب واحدة من اشهر واكبر الفرق المسرحية لم ينشيء فرقته عام ١٩٢٣ ولم يغامر بثروته التى ورثها من اجل الفن كما يقول زكي طليمات ، بل هناك حافز يكمن وراء هذه المغامرة وهو ان يوسف وهبي ابن احد الباشوات ، احس بالأرض تهتز تحت قدميه حينما احترف صناعة التمثيل وخرج من حياة القصر إلى حياة الفنادق المتواضعة في إيطاليا ليكسب عيشه ، كان يوسف يحس هذا ويؤلمه رغم عشقه للمسرح ، فاخذ يبحث عن فرصة ليفجر عملا مدويا .

وجاءته الفرصة حين ورث اكثر من عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية ، فانشا مسرح رمسيس واصبح على راس فرقة تضم ألمع الممثلين بقيادة عزيز عيد ، وبذلك يبني مجداعصاميا جديدا يحقق له شهرة ابن الباشا .

عبد الوهاب .. وحرارة الروح

والتقى طليمات بالفنان محمد عبد عبد الوهاب لأول مرة عام ١٩١٨ ، كان الموسيقار فتى نحيل الجسم ، وفى وجهه شحوب وهزال وفى عينيه قوة وبريق وفى نظرته حلم وصفاء ، يطرب الجمهور فى فترات الاستراحة بفرقة عبد الرحمن رشدي باغاني الشيخ سلامة حجازي وسيد درويش .

ومن صورة عبد الوهاب فى صباه يمضي المؤلف فى تحليل فنه الموسيقى ، فيصف موسيقاه بانها موسيقى تؤرخ عصرها وتعبر عن روح ذلك العصر وتعكس مزاجه فى بلبلته الذهنية وفى قلقه الاجتماعي وتارجحه بين القديم الذى سئمه والجديد الذى ياخذ منه ، لكنها موسيقى رغم تفاوت الآراء بشانها ، يترنم بها المعجبون ، ويهمس بها غير المعجبين . وترجع هذه الحالة العجيبة الى أن الالحان تصدر عن فطرة سليمة وتمر فى طبع خصب ، اداء لايقوم على جهارة الصوت وجلجلته ولا على التشدق باللفظ وإنما يقوم على حرارة الروح ووهج الشعور وامتلاء النفس بالمعنى .

وعن صداقة عبد الوهاب الحميمة بالشاعر احمد شوقى يقول طليمات انه ورث عنه مجافاة النقد ومحاذرة الناقدين وحبه لجمع المال بمهارة .

ويفتح طليمات صفحة جديدة من ذكرياته الشيقة التى يكشف فيها عن لقاءاته العاصفة بنجم المسرح الكوميدي نجيب الريحاني . وكان طليمات من الد خصوم المسرح الهزلي الذى ازدهر ابتداء من الحرب العالمية الأولى ، وطغى على المسرح الجاد وانتزع منه جمهوره . ويقصد بالمسرح الجاد المسرحيات المكتوبة بالفصحى سواء كانت مقتبسة او مؤلفة ، لكنها لا تتناول واقع الحياة .



سيد درويش

الريحاني يتالم والجمهور يضحك

وفى عام ١٩٢٢ التقى طليمات بالريحاني فى مقهى بشارع عماد الدين ، شارع الفن وقتذاك ، وكانت المواجهة ساخنة اشبه بمناظرة فنية بين ممثل المسرح الجاد وممثل المسرح الهزلي . وجاء فيها :

طليمات : انت بتشتغل فى التمثيل علشان تعمل فلوس .

الريحاني : وعايزني اشتغل فى التمثيل والحس صوابعي ؟ !

ـ وانت بتضحك على الناس ومن الناس

ـ طيب ما تعملوا زيي ..

ـ مانقدرش نعمل التهجيص بتاعك ..

وكان ردا قاسيا ، لكن الريحاني تلقاه بضحكة مدوية يخالطها الكثير من الاشفاق

ـ انتم لسه بتقدموا فى رواياتكم نابليون ولويس ، وانا اقدم دقدق ، وسيد وحلويات وشلبية .. الجمهور المصرى يريد أن يكون غذاؤه الذى يتناوله من المسرح مثل غذائه الذى يملأ به بطنه .

ـ الجمهور بيحب الطعمية والفسيخ والمش .. معدته هزيلة وذوقه مريض والمسرح اداة إصلاح وارتقاء .

فاجاب الريحاني بان الاصلاح والارتقاء لا ياتيان دفعة واحدة ، وانه يحاول بمسرحياته الفكهة أن يدخل اللحم الدسم فى سائر الوان الطعام الذى يتقبله الذهن المصري ، فلا يمكن تقديم المسلوقات بدون زبد او دسم ، وكذلك لايمكن تقديم اللحم بدون توابل .



ذكريات ووجوه



واستمر الريحاني فى الحديث وانتقد الأسلوب البياني الرصين الذى يلتزم به حوار معظم ما كان يقدمه المسرح الادبي فى ذلك الوقت ووصفه بالحذلقة والتكلف . واحس طليمات بالهزيمة أمام منطق الريحاني .

وفى عام ١٩٣٠ سعى طليمات لمقابلة الريحاني ليثار منه ، لكن الفنان كان يعاني عذابات واوجاع غرام لم يشف ابداً منها . وغادر غرفته الى المنصة وما ان اندمج فى دوره حتى استغرق الجمهور فى الضحك ، فالريحاني يضحكه ويبدد همومه بينما قلبه يدمى ولا يستطيع هو ان يمسح دموع حبه الجريح .

الكسار المضحك العصامي

ويأتي دور الكسار فى حديث الذكريات ، كان الكسار فنانا موهوبا متميز الاداء واحد قطبي الفكاهة فى مصر بين الحربين ، وكان صاحب فرقة كبيرة للتمثيل الفكاهي ظلت تعمل نحو ثلاثين عاما ، وكان هو بطل الفرقة وممثلها الاول الذى اشتهر بدور البربري عبد الباسط ، وانتهى به المطاف ، بعد رحلة الصعود الى ذرى المجد ، أن يصبح ممثلا بالمسرح الشعبي باجر شهري قدره ٣٠ جنيها ، يجول الاقاليم بعد ان كانت الجماهير تسعى إليه .

لقد التقى طليمات الذى كان مؤسسا للمسرح الشعبي (عام ١٩٤٦) بالكسار فى لحظة انكساره وافول نجمه وزوال مجده ، واخذ يروى كيف انه كان يربح فى بعض الاعوام نحو ١٦ الف جنيه ، كذلك كان يربح شريكه المؤلف المترجم امين صدقى . وذهب المال هباء على الممثلين والمزاج والاسراف . كان الكسار فنانا عصاميا ، عمل فى مطلع شبابه طاهيا فى بيوت السراة ، ورغم اميته ، إلا انه لم يكن يشكو امية الذهن والقلب بما وهبته الفطرة من ذكاء وإدراك وتخيل وسرعة البديهة وخفة الظل ومرونة الحركة . كان جمهوره من الفئات الشعبية التى تضحكها النكتة المليحة والقافية والحركات المرتجلة .

قال عنه الاستاذ دني دينيس عميد الكوميدي فرانسيز ، اثناء مشاهدته لفرقة الكسار بمسرح الماجيستيك بالقاهرة فى عام ١٩٣٧ : هذا الممثل وإن كان لا يحذق صناعة التمثيل إلا ان الفطرة اودعت فيه موهبة الحضور المسرحي . إن صاحب هذه الموهبة إذا ظهر فوق المسرح بين زملائه الممثلين ، فان الجمهور لا يعود يصغى إلى صوت غير صوته ، بل لايعود يرى احداً سواه ، ويستطرد دينيس بقوله :

إننى على جهلي باللغة التى يمثل بها الكسار ، أراني منجذباً إليه بقوة مغناطيسية .

أم كلثوم والطريق المسدود

ويروي المؤلف ذكرياته مع ام كلثوم سيدة الغناء العربي ، والجهود التى بذلها لاستدراجها الى المسرح الغنائي ، ففى عام ١٩٤٢ تولى طليمات الادارة الفنية للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى وبنى خطته على العناية بتقديم الاوبريتات للنهوض بالمسرح الغنائي . وهذا اللون يحتاج إلى أصوات جميلة مدربة ، وهكذا وجد نفسه أمام مهمة عسيرة وهي اجتذاب ام كلثوم من التخت إلى المسرح ، واخذ يثير فضولها الى معرفة هذا الفن عن طريق تعريفها بالاوبريت والاوبراكوميك ، وحدثها عن شخصية « كارمن » و « غادة الكاميليا » ، وارتاحت الفنانة الى أوبرا « حـــلاق أشبيليه » فشرع فى ترجمتها تمهيداً لتلحينها ، ومع ذلك لم تفض محاولات


نجيب الريحاني


علي الكسار



د . محمد حسين هيكل

ام كلثوم

يوسف وهبي

طليمات مع ام كلثوم إلى اي نتيجة واحس بان مهمته تمضي فى طريق مسدود .

وفى سياق هذه الرواية يقوم المؤلف برحلة فى اعماق الفنانة ليفسر لنا الجانب الساخر فى شخصيتها ، ويرجع ذلك إلى نشاتها الريفية ، وتجوالها الدائم فى صغرها وشبابها المبكر فى القرى والموالد والاعراس ، مما جعلها تبالغ فى خشيتها وحذرها من الرجال ، وكان عليها ان تبحث عن مخرج لهذا المظهر الجاد الذى تتستر وراءه ، فلم يكن امامها غير السخرية والتعليق بالنكتة اللاذعة وبعبارات تبعث على الابتسام .

هيكل .. وروسو

وتتسع دائرة الذكريات فى كتـــاب «ذكريات ووجوه» لتتناول شخصيات من عالم الادب والسياسة ، ففى عام ١٩٢١ ، تعرف طليمات على الدكتور محمد حسين هيكل فى مقهى بشارع عماد الدين بالقاهرة وهيكل اديب كبير وسياسي مشهور ومفكر لمع اسمه لأكثر من ثلث قرن قبل عام ١٩٥٢. ترك مهنة المحاماة بالمنصورة وجاء إلى القاهرة ليقف فى الصف مع مجاهدى ثورة ١٩١٩ . فى ذلك الوقت تهامس عنه البعض بانه مشاغب ، لكن طليمات ايقن من عدم صدق الشائعة وتعلم انه لايجب ان يحكم على شخص بما سمعه يجري على الألسنة وادرك ان هيكل كاتب جريء يهز الوعي العام بارائه فى ضرورة الانتقال بالحياة المصرية من ظلام الماضي وجموده الى الحاضر الذى يضج بالحركة ، والتطلع الى أوربا فى حضارتها وعلومها وادابها . وبنفس الحماس إلى الاصلاح ، اخذ هيكل يعالج مشكلات الحياة المصريـــة .

مرة أخرى يلتقى الشاب طليمات فى عام ١٩٢٢ بالدكتور هيكل الذى أصبح رئيسا لتحرير جريدة السياسة ، ذهب إليه شاكيا من اهمال المحرر لمقالاته فى المسرح والأدب، بل وزاد عليه المحرر تهجمه على طليمات ، فهدأ هيكل من روعه قائلا :

« إن النقد ـ يقصد نقد المحرر لطليمات ـ سواء كان مدحا او ذما ، انما هو انفعال نفسي امام حالة ما ، والنفس لا تنفعل إلا إذا كانت لهذه الحالة اهمية تلفت النظر .. وإذا كان المحرر ينكر وجوده كعامل يجاهد فى سبيل المسرح ، فان انكسار الشيء هو الدليــــل على وجوده» واهداه هيكل كتابه عن المفكر الفرنسى جان جاك روسو ، وهو احد فلاسفة القرن ١٨ الذين مهدوا لقيام الثورة الفرنسية ، فقد نادى بالديموقراطية وثار على نظم التعليم والتربية ، كما ارهص لظهور الرومانتيكية فى الأدب .





وما إن فرغ طليمات من قراءة كتاب روسو حتى عرف لماذا سمى هيكل مشاغبا إذا صح أن المشاغب هو من ينادي بجديد وينكر ما هو قائم .

كتب د. هيكل عام ١٩١١ قصة « زينب » التى تؤرخ المحاولات الأولى الموفقة فى كتابة القصة المصرية الحديثة . وهي قصة رومانتيكية عن فتاة ريفية احبت حبا نقيا ثم زوجوها بمن لاتحب وعاشت حياتها بقلبين دون ان تخون الزوج او تتنكر لعهد الحب ، غير أن العلة تمكنت من صدرها وقضى نحبها .

ونشر هيكل القصة تحت اسم مستعار « فلاح مصري » خوفــا من المتزمتيـــن . وتساءل طليمات . هل خان هيكل استاذه روسو فى جراته التى لم تعرف يوما الحذر والخوف ؟ لكنه لا يلبث ان يلتمس له العذر ربما فعل ذلك مكرها فى مواجهة مجتمع محافظ متخلف لم يالف بعد التجديد . وإذا كانت قصة زينب تعد علامة مميزة فى نشاة الرواية المصرية فان السينما تدين لهيكل باول انتاج كبير وهو فيلم « زينب » الذى استمد احداثه من قصة محلية ذات شان فى تصوير ملامح الريف المصري فى مطلع هذا القرن .

• •

لقد استطاع زكي طليمات فى كتاب «ذكريات ووجوه » ان يكشف النقاب عن خبايا نفسية وملامح انسانية فى حياة نماذجه كانت مجهولة او لايعرفها سوى القليلين فاضاف بذلك ابعادا جديدة يمكن ان يفيد منها الباحث فى تاريخ المسرح العربي . وإذا كان كل فصل يبدو وكانه وحدة مستقلة إلا انها عند التامل تبدو شريحة من صورة كاملة هي الحركة المسرحية خلال النصف الاول من هذا القـــرن .

وكم كان المؤلف حاذقا فى عرض مادته ، فلم يلجا الى الصياغة الجافة المجردة ، بل استخدم اسلوبا شبه قصصي ، يتخلله حوار شيق حي مع ابطاله .

وكنا نود ان يثري الاستاذ زكي طليمات كتابه بفصول عن كتاب المسرح الذين ارتبط بهم واخرج اعمالهم بالفرقة القومية وغيرها من الفرق ، امثال : محمد تيمور ، ابراهيم رمزي ، توفيق الحكيم ، عباس علام ، محمود تيمور ، بيرم التونسى . فلاشك فى ان التقاء المخرج المسرحي بالمؤلف فى عمل مشترك يحفل دائما بالمناقشات المثمرة ، التى تتفق فيها الاراء كما تتصادم وجهات النظر حول تفسير النص . وفي ظني ان الفنان طليمات قد ارجا هذه المهمة لكتاب مستقل يحوي ذكرياته ولقاءاته وانطباعاته العميقة عن اشهر المؤلفين الذين التقى بهم خلال رحلة عمره العامرة بالكفاح الفني .

سمير عوض



قف هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

ماذا تعرف عن الحركة الدائمة؟

المقصود بالحركة الدائمة الحركة التي تستمر إلى الأبد ... ولكنها هنا تعني شيئاً خاصاً جداً. لقد ظل الناس مئات السنين يحلمون بصنع آلة ما أن تتحرك حتى تتابع هذه الحركة إلى الأبد، تسهم في إيجاد أشياء نافعة بدون حاجة إلى مصدر طاقة خارجي. فالآلات ذات الحركة المستديمة ينبغي أن تخلق طاقتها الخاصة في شكل حركة ... ففي كل وقت تكمل فيه دورة عملية تعطي طاقة أكبر مما امتصت واستهلكت.

كان معظم الناس الذين فكروا في ابتكار هذه الآلة ذات الحركة المستديمة لديهم أهداف عملية في اذهانهم ... فقد كانوا يريدون أن يمتلكوا هذه الآلة المدهشة التي ترفع لهم الماء من الآبار وتطحن لهم الحبوب بدون حاجة إلى مدد من اية طاقة.

هل من الممكن صناعة ماكينة دائمة الحركة ؟.

سوف يجيب اي عالم : لا .. والسبب يرجع إلى واحد من اعظم قوانين العلم اهمية ... مبدأ بقاء الطاقة. فبناء على هذا المبدأ لا يمكن خلق الطاقة ولا إفناؤها في الطبيعة .. يمكن نقل الطاقة من مكان إلى اخر، ويمكن أن تكون الطاقة أو يمكن إطلاقها .. ولكن الطاقة لا تخلق ... فكل ماكينة تقوم باي عمل يجب أن يكون لها مصدر للطاقة. ولذلك فقد باءت كل المحاولات التي بذلت لصناعة ماكينة دائمة الحركة بالفشل .. لأن قانون بقاء الطاقة كان لا يزال مجهولا.

ماذا تعرف عن القارة المفقودة؟

تروي الأساطير اليونانية القديمة قصة جزيرة أو قارة مفقودة تسمى قارة اطلانطس .. من المعتقد انها كانت تقع في المحيط الأطلنطي غربي جبل طارق ... وتروي الأساطير انها قارة بلغت الغاية في الجمال ... وانها كانت جنة حقيقية ... وكانت مملكة قوية دانت لها شعوب جنوب اوربا الغربية كما فرضت سيطرتها على شاطيء افريقية الشمالي كله ... ثم هزمها الأثينيون ... فانقلب شعبها إلى شعب شرير عابث فاسد ... فكان أن ابتلعهم المحيط عقابا لهم على ما يقترفونه من آثام ويرتكبونه من شر وفساد ... روى افلاطون الفيلسوف اليوناني المشهور هذه القصة منذ ٣٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام رغم أن الأساطير تروي ان هذه القارة قد فقدت قبل افلاطون بتسعة آلاف سنة !!!.

وفي خلال القرون الوسطى تناقل الناس أسطورة هذه القارة وشاعت حتى اعتقد البعض انها قصة حقيقية ... فقامت رحلات كثيرة في القرن الخامس عشر بحثا عن هذه القارة ... وقارة اطلانطس ... وعاد البعض بحكايات متنوعة عن حوادث ربما قد وقعت فعلا ... وربما عاد بعض المغامرين بقصص عن اراضي جديدة اكتشفوها ثم صارت هذه القصص جزءا من اسطورة اطلانطس العجيبة. ولم يزل هناك حتى اليوم من يعتقدون اعتقادا راسخا بأن هذه القارة كانت موجودة بالفعل ... وانها كانت الموطن الأول للحضارة الانسانية ... وان كثيرا من الآلهة التي كانت تعبدها الدول القديمة كانوا ملوكا وملكات في هذه القارة ... وان سكان هذه القارة هم اول من عرف الكتابة واخترع الحروف الأبجدية ...

ماذا تعرف عن الضوء ؟



الضوء أحد اسرار هذا العالم الذي نعيش فيه .. مازلنا لا نعرف على وجه التحديد ما هو ؟ نعرف انه شكل من اشكال الطاقة مثل الحرارة، امواج الراديو، ويمكن قياس سرعته وذبذباته وطول موجاته .. كما ان سلوكه يجعله شبيها بالطاقات الأخرى في جوانب كثيرة .. فنحن مثلا نعرف ان سرعة الضوء هي ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية وذلك يعني ان شعاع الشمس ينتقل ٥/٨٨٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠ ميل في السنة وهي المسافة التي يسميها الفلكيون بالسنة الضوئية .. وهي ايضا الوحدة التي تقاس بها المسافات في الفضاء .. وقد ظهرت نظريات كثيرة تحاول معرفة الضوء والكيفية التي ينتقل بها .. ففي القرن السابع عشر كان اسحق نيوتن يرى ان الضوء مكون من جسيمات تشبه كرات دقيقة جدا يطلقها مصدر الضوء، ولكن هذه النظرية لم تستطع تفسير انواع عديدة من سلوك الضوء .. اما هيجنز الذي عاش في نفس العصر تقريبا فكانت له نظرية اخرى هي نظرية موجات الضوء .. فالذرات المضيئة في رايه تبدأ على شكل ذبذبات أو موجات شبيهة بالتي يحدثها حجر صغير القي في الماء وقد ظل الجدل بين النظرتين ١٥٠ سنة .. وقد تلاشت فكرة الجسيمات المضيئة بعد ان عرفت آثار الضوء معرفة يقينية .. ولكن العلماء يعتقدون اليوم ان الضوء يعمل كالجسيمات والموج في وقت واحد .. وتؤكد تجاربهم الفكرتين كلتيهما .. ولهذا فاننا لا نستطيع حتى الآن ان نجيب اجابة كاملة عن سؤال ما هو الضوء ؟.

● قصة غرام فاطمية
●● الزواج ●●● ألغام الدكتور ماغنس

من أدب التاريخ



قصة غرام فاطمية

موضوع مسرحية بديعة

بقلم : محمد عبدالله عنان

تقدم إلينا صحف القصور الاسلامية طائفة من القصص الغرامية الشائقة التى امتزجت بسير الخلفاء او السلاطين ، بيد ان هذه القصص المشرقية بالرغم من الوانها المشجية المؤسية أحياناً لا تحمل دائماً ذلك الطابع الروائى العنيف الذى يبدو فى قصص الحب فى القصور الغربية ، ويرجع ذلك اولا إلى روح العصور ، وثانيا إلى تباين الخلال والنظم الاجتماعية ، ففى القصور الاسلامية كان يغلب دائما ذلك التحفظ الذى سبغ ستار الصمت والكتمان على حوادث وسير لا تحمد إذاعتها وتتقى آثارها بين الكافة ، وكان نظام التسرى الذى يعمر قصور الخلفاء والسلاطين بأسراب الجوارى الحسان من مختلف الأمم والاجناس يحول دون اضطرام هذه العواطف والنزعات العنيفة التى كثيراً ما تضطرم فى قصور الغرب ، وتحمل فى طريقها عروشاً او تؤثر فى مصاير امم ومجتمعات ، ومن النادر أن نرى فى التاريخ الاسلامى جارية ..

تسيطر على أقدار الدولة ومصايرها بمثل ما كانت تسيطر غانية مثل بومبادور أو دوبارى على اقدار فرنسا فى عهد لويس الخامس عشر ، أو نرى ملكا وامبراطورا عظيما كادوارد الثامن

يهجر أعظم عروش الارض واجلها قدرا فى سبيل حب ليس فيه من الروعة والجمال ما يتناسب مع روعة التضحية التى اقدم عليها .

بيد أننا نظفر فى بعض صحف القصور الاسلامية مع ذلك ببعض السير الغرامية العجيبة التى تطبعها الوان روائية تذكى الخيال إلى الذروة ، ولولا أن الرواية الاسلامية تحجم فى كثير من الاحيان عن الافاضة فى تلك السير الشائقة ، وتكتفى بايراد الروايات الموجزة عنها لكان منها تراث روائى ساحر لا يقل فى روعته وجماله وتباينه عما تقدمه إلينا قصص الحب الغربية الشائقة .

مثال ذلك قصة الخليفة الفاطمى الأمر باحكام الله وحبيبته البدوية فهى فى الواقع نموذج ساحر من ذلك القصص الغرامى الذى يصلح بموضوعه ومناظره والوانه موضوعا لمسرحيات من الطراز الاول فى سحرها وروعتها .



ولى الأمر باحكام الله الخلافة وهو طفل فى نحو السادسة من عمره سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) رفعه إليها أمير الجيوش الافضل شاهنشاه وزير ابيه الخليفة المستعلى ، وجده المستنصر من قبل ، والمتغلب على الدولة ، والمستاثر بسلطانها ، ونشا الآمر فى كنف هذا الوزير الطاغية ، كما ينشا جميع الأمراء الذين ليس لهم من الملك غير رسومه ومظاهره ، محجوبا فى قصره ، مغمورا بانواع الملاهى والمسرات ، بيد انه نشا مع ذلك طموحا ينزع إلى السلطان والبطش فلما بلغ اشده ، وشعر بوطاة المتغلب عليه اخذ يتربص به حتى استطاع أن يدبر مصرعه ، وقتل الافضل سنة ٥١٥ هـ ، وتولى مكانه المامون البطائحى ، وقبض مثل سلفه على السلطة بقوة وحزم ، فلم يلبث أن لقى نفس مصيره ، فقتل فى سنة ٥١٩ هـ ، واستاثر الآمر عندئذ بكل سلطة ، واطلق العنان لأهوائه وإسرافه وبذخه ، وكان الآمر اميرا مرحا ، مضطرم النفس والاهواء ، مشغوفا بحياة اللهو والطرب ، وافر السخاء والبذل ، يعشق البذخ الطائل ، وكان يهيم بالجوارى والحسان ، لا يطيق الحياة دون حب وهوى ، وكان يشغف بفتيات البادية بنوع خاص ، وله مع إحداهن قصة غرام مؤثرة ، نقلها إلينا الـرواة فى الوان ساحرة ، فكانما تقرا فيها كما تذكر الرواية ذاتها فصلا من فصول الف ليلة وليلة ، او ما يشابهها من القصص العجيب المغرق .

كان الآمر يهيم كما قلنا بفتيات البادية ، ويرسل فى اثرهن رسله وعيونه ، يجوبون البوادى والنجوع ، ويبحثون عن روائع الجمال الساذج فى ثنايا الخيام وفى مهاد البداوة النقية ، فنقل إليه بعضهم انه عثر ببعض أحياء الصعيد بجارية عربية هى مثال رائع للجمال العربى اية فى الحسن والرشاقة والظرف ، اديبة شاعرة ، وافرة الذكاء والسحر ، وإلى هنا تبقى القصة عادية ليس فيها ما يثير الدهشة بيد ان الرواية تجنح بعدئذ إلى نوع من القصص الرائع ، فتقول لنا إن الخليفة الآمر لما سمع بخبر هذه الفتاة البارعة فى الحسن وفى الجمال ، اراد ان يراها بنفسه قبل ان يتخذ فى شانها اى إجراء ، فتزيا بزى الاعراب وغادر قصره بالقاهرة ، وسار إلى الصعيد ، واخذ يتجول بين الأحياء حتى وقف على حيها واستطاع ان يتصل باهلها دون ان يعرفوه وان يظفر برؤيتها وتامل محاسنها ، فما ان رآها حتى اضطرمت جوانحه بحبها ، واسرع بالعودة إلى القاهرة وقرر فى الحال ان يخطب هذه الفتاة التى تيمته حبا ، وان يتزوج بها ، وبعث الآمر إلى اهل الفتاة برغبته ، فبادروا إلى تحقيقها فرحين مغتبطين ، وارسلوا بالفتاة إلى القاهرة ، حيث حملت إلى القصر ، وغدت فى الحال زوجة للخليفة ، وسيدة البـــلاط الفاطمى .

وإلى هنا ينتهى اول فصل فى القصة وهو فصل لا تنقصه عناصر الخيال الممتع ، ثم إن فتاة البادية العالية — وكان هذا اسمها — بعد ان سكنت إلى حياة القصر الباذخة حينا ، وافاقت من دهشتها الاولى ، اخذت تشعر بثقل هذه الحياة الناعمة على ما فيها من متــاع ونعماء وترف مستمرة ، وتبدو لهـــا جدران القصر العالية ، وابهاؤه الفخمة كانها ظلام السجن ، واخذت تحن إلى فضاء القفر الشاسع وهوائه النقى الساذج كما تحن الطيور فى اقفاصها إلى فضاء السماء ، او كما تحن الأسود المعتقلة إلى احراجها وادغالها ، رغم ما تتمتع به فى سجنها من وافر العناية فلما راى الخليفة الآمر ، ما اصاب حبيبته من الاكتئاب والوحشة ، دفعه الخيال إلى ان يلتمس لها متعة الفضاء التى تنشد على طريقته الملوكية ، فامر ان تقام لها على النيل فى جزيرة الفسطاط (الروضة) منتزها عظيما يضم بستانا ساحرا واجنحة ملوكيـة بديعة ، وسمى هذا المنتزه الرائع الذى لبث مدى حين من محاسن الـــدولة الفاطمية « بالهودج » فكان للتسمية مغزاها فى التشبيه بالهودج الذى هو خباء السفر فى البادية ، وانس روح البدوية الهائم مدى حين إلى الرياضة فى « الهودج » والتمتع بمناظره الرائعة ونسماته العليلة بيد انها لم تنس قط وهج القفر وسحر الفلاة .

واليك فصلا ممتعا اخر من تلك القصة الغرامية الرفيعة . لقد ظفرت « العالية » بغزو قلب صاحب الخلافة والعرش ، وغدت سيدة القصر والبلاط ولكن ذلك لم يكن منتهى امالهـــا وسعادتها ، ذلك لان قلبها البـــدوى المضطرم كان يخفق منذ أيام البادية بهوى فتى من بنى عمومتها يدعى ابن مياح ، ربيت معه فى الحى منذ الطفولة وكان فتى رقيق الخلال وافر السحر ، فلما حملت الى قصر الخليفة لم تخمد فى قلبها جذوة حبه ، ولبثت فى قصرها تتجه بخيالها اليه ، وفى ذات يوم هزها الشوق اليه ، فبعثت اليه من قصر الخليفة بهذه الأبيات .

يا ابن ميـــاح اليك المشـــتكى
مـــالك من بعـــدكم قـــد ملكا
كنت فى حبى مطاعـــــا آمرا
نائلا ما شـــئت منـــكم مدركا
فانا الان بقصر موصـــــــد
لا ارى إلا حبيبـــــا ممســـكا
كم تثنينـــــا باغصـــان اللوا
حيث لا نخشى علينـــــا دركا
وتلاعبنـــــا برمـــلات الحمى
حيثما شـــــاء طليق ســـلكا

تقول الرواية فاجابها ابن مياح بهذه الابيات .

بنت عمي والتى غذيتهـــــا
بالهـــوى حتى عـلا واحتبـكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفهـا
لو غـــدا ينفع فيهــا المشتكى
مالك الأمر اليــــه يشــــتكى
هالك وهـــو الذى قــد هلـكا
شان داود غـــدا فى عصرنـا
مبديا بالتيه ما قـــد مــلكا

ثم تقول الرواية : ووقف الخليفة الامر على سر هذه المراسلة وقرا ابيات ابن مياح ، فقال لو انه لم يسىء اليه فى البيت الرابع لرد الجارية الى حبه وزوجها منه .

واثارت هذه القصة نفس شاعر معاصر من بنى طـيء يدعى طراد بن مهلهل . فنظم ابياتا ينحى فيها على الامر باللائمة ويخاطبه بما ياتى :

الا بلغـــوا الامــــر المصطفى
مقــال طراد ونعم المقـــال
قطعت الاليفين عن الفـــة
بهـــا سـحر الحى بين الرجال
كذا كان اباؤك الاقدمـــون ؟
سالت فقل لى جواب الســؤال

فغضب الامر حينما وقف على هذا الشعر ، وقال جواب السائل قطع لسانه على فضوله ، وبعث فى طلب طراد فى احياء العرب ، ففر منه واختفى .

ولبث الامر بعد ذلك اعواما : يطلق العنان لاهوائه ، وينعم إلى جانب حبيبته العالية ، ويتردد معها إلى منتزه الهودج . وكان الامر يثير سخط فريق من الزعماء ورجال الدولة بما جنح إليه من تمكين النصارى من مناصب الثقة والنفوذ . وما كان يمعن فيه من اللهو والبذخ والاستهتار بالرســوم والتقاليد ، ففى ذات يوم من ايام ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ركب من القصر كعادته إلى الهودج للتنزه ، فلما وصل إلى راس الجسر الموصل إلى الهودج وثب عليه قوم قد كمنوا له ، واثخنوه طعنا بخناجرهم ، فحمل جريحا إلى قصر اللؤلؤة على مقربة من مكان الجريمة ، ولكنه لم يلبث ان توفى ولم يجاوز الخامسة والثلاثين .

وكان الامر باحكام الله شاعرا مجيدا ، وله نظم قوى مؤثر فمن نظمه قوله :

دع اللوم عنى لســت منى بموثق
فلابد لى من صـــدمة المتحقق
واسقى جيادى من فرات ودجلة
واجمــع شـمل الدين بعد التفرق

تلك هى قصة الامر باحكام الله مع حبيبته العالية ، وهى قصة تجمع بين حقائق التاريخ ومتاع القصة ، ولا ريب ان الرواية قد اسبغت عليها حواشى والوانا خلابة مصدرها الخيال الشائق ، بيد انها تحتفظ مع ذلك بطابعها التاريخى ، ولقد عرج كثير من كتاب المسرح عندنا على بعض الوقائع والمآسى التاريخية واتخذوها موضوعا لمسرحياتهم ، بيد انها قلما تتمتع بذلك الطابع الروائى الخلاب الذى تتمتع به قصة الأمر باحكام الله مع حبيبته العالية ، الم يقف أحدهم بتلك القصة الفاطمية الشائقة التى وقعت بمصر فى ظل خلافة تنثر من حولها أيات الفخامة والبذخ الرائع ؟ إن صحف التاريخ الاسلامى تقدم الينا كثيرا من هذا القصص الرقيق المؤثر ، فهلا فكر كتاب المسرح فى ورود هذا المنهل الغزير والاقتباس من طرائفه ، وإن المسرح المصرى ليبدو اروع وابدع ، واوفر سحرا وفتنة اذا استطاع كتابنا ان يتحفوه ببعض هذه المناظر القومية الشائقة التى تبذ فى الوانها ، وفى روعتها وبهائها كثيرا مما ينقلون الينا من تراث المسرح الغربى .

محمد عبد الله عنان ١٩٣٧



الـزواج ..



بقلم
إبراهيم عبد القادر المازني

لادرى ماذا دها الناس ، فانه يندر ان اسمع فى هذه الايام بزواج موفق فهل صار نظام الزواج غير صالح لهذا الزمن ؟ أم العيب فى الناس لا فى النظام ولا فى الزمن ؟ ولا شبهة فى ان للزواج عيوبه ، فما يخلو شىء فى دنيانا هذه من عيب ، وإن له لمتاعب ، وإن مسئولياته لعديدة وثقيلة ، ولكن النجاة من المتاعب عسيرة فى الحياة ، وإنه ليظن حمقا من يتوهم انه يستطيع ان يحيا ويخلو مع ذلك من المتعبات سواء اتزوج ام اثر الوحدة والاستفراد . واحسب ان كثيرين من الرجال والنساء ايضا يقدمون على الزواج وهم يعتقدون انه صفو لاكدرة فيه . ومتعة لا تنقص ولا ينغصها او يفسدها شىء وحلاوة لاتشوبها مرارة ، فتخيب امالهم كما لابد ان يحدث ، ويضجرون ويتافقون ويشكون وتتلف أعصابهم فلا تعود تقوى على احتمال ما كان ظنهم الا يكون ، وهذا شان كل من يتناول الحياة بخفة ، وواجهها بغير ما ينبغى من التهيؤ للاحتمال ، ومن الاستعداد للتشدد والجلد والمقاومة .

وقد كنت اتكلم فى هذا وما إليه مع صديق فقال : « الحقيقة ان الزواج نظام ثبت اخفاقه وقلة صلاحه فى هذا الزمن » فعذرته لانه ممن جر عليهم الزمن نكبات كثيرة يشق احتمالها ، ولكنى لم ادر رايه ، فقلت له : « لا تغلط ياصاحبى فان كل زمن ككل زمن ، وهذه الاختراعات الكثيرة لم تغير شيئا من حياة الناس وفطرهم ، ولم تقلب الحقائق الاجتماعية وما خلا زمن قط ممن يسعدهم الزواج وممن يشقون به ولا من الراضين والساخطين على هذا وغيره من احوال الحياة ، وما زال الرجل كما كان ، والمراة كما عهدها اباؤنا واجدادنا عفا الله عنهم ورحمهم ، ومع ذلك قل لى ماذا تطلب من الزواج وانا اقول لك ماذا ينبغى ان تبلغ به ، او ما لابد ان يصيبك من خيره او شره » .

قال : « اطلب الراحة والاستقرار ... ماذا اطلب غير ذلك ؟ » .

قلت : « إن الراحة مطلب لا سبيل إليه فى الحياة ، وهى لا تكون إلا بالموت على أن هذه لا تعد راحة ما دام المرء لا يحسها ولا يدرك انه مرتاح ، ولا يعرف حتى ما صار إليه ، والاستقرار كذلك عسير لان حياتك كلها قوامهـــا التحول والتغير ، وجسمك ونفسك وخواطرك وامالك وشهواتك وكل ما فيك او لك يتغير ، فكيف بالله يكون هـــذا الاستقرار ؟ واين السبيل إليه ؟ » .

قال : « إنما اعنى الراحة النسبية والاستقرار بالقياس إلى حياة العزوبة والوحـــدة » .

قلت : « ولا هذه ايضا . إن الزواج ليس اداة لراحة ولا وسيلة لاستقرار او غير ذلك مما تتوهم ، وإنما هو نظام . فاذا كان يوافقك أن تحيا فى ظل هذا النظام فتفضل واهلا بك وسهلا ، ولكن يجب حينئذ ، ان تعرف ان له مقتضيات وان توطن نفسك على الاذعان لها واحتمالها ، كما يخضع الجند للنظام العسكرى ، ولم يقل احد ان الجندية سبيل لراحة او استقرار او لذة ، او غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وإنما هى نظام تقتضيه حياة الجماعة . وكل جندى يقول لنا إنه نظام شاق عسير ثقيل الوطاة ، ولكنه لازم ولابد منه . والفرق بين الزواج والجندية ان الجندى يعلم انه داخل فى نظام لالذة فيه ولا متعة له منه ، وانه سيلقى عناء ويكابد متاعب ، وانه معرض للجلد له والسجن ، بل للموت حتى من غير حرب ولكن طالب الزواج يمنى نفسه الامانى المستحيلة فيلقى خلاف ما كان يقدر ،

ولو انه وطن نفسه ـ كما يفعل الجندى ـ على التعب والنصب ووجع القلب ومعاناة المنغصات إلى آخر ذلك لسعد بالزواج ، ولفاز منه بلذات كثيرة ونعم جزيلة ومتع يضن بها على النسيان . وقد ذكرت الجندية على سبيل التمثيل ، ولكن للجندية علاقة وثيقة بالزواج ، لان الزواج غايته تنظيم امور النسل اللازم للجماعة ، أى مد الجماعة بالعدد الكافى من الافراد للقيام باعباء حياتها ، فهو نظام تمهيدى للجندية . وانا استعمل الجندية هنا بالمعنى الأعم الاشمل ، واعنى كل فرد لا الذين يحملون السلاح ويسيرون إلى القتال حين يدعون إلى ذلك ـ لا أعنى هؤلاء وحدهم ، فان كل جندى للجماعة وإن لم يحمل سيفا ولم يتقلد رمحا ، إذا كان قد بقى فى عصرنا هذا من يتقلد رماحا . والواجب على كل حال أن يدرك المرء انه بالزواج يكون كالذى يعمل فى شركة ، وللعمل نظامه . والعمل لا تطلب منه اللذة بل الثمرة ،والعمل لا يفيد الراحة بل التعب ، ولا آخر للتعب ما دامت الشركة قائمة تعمل وتؤدى ما هو منتظر منها . نعم يستطيع المرء أن يفوز باجازة ، ولكن هذا ميسور فى نظام الزواج : خذ إجازة كلما شعرت انك تعبت ، وامنح زوجتك مثل ذلك كلما بدا لك ان اعصابها كلت » .

فعجب وسالنى : « كيف ذلك .. ؟ إن هذا مزاح » .

فاكدت له انى جاد ، وقلت : « إنى اعيش مع زوجتى كأنا صديقان ، وليس يسعنى أن افعل غير ذلك ، لانها إنسان مثلى ولها حياتها المستقلة عن حياتى وإن كنا متعايشين تحت سقف واحد . وانا احرص فى حياتى ومعها على الاعتراف بهذا الوجود المستقل فلا احاول ان افنى وجودها هذا واجعله يغيب فى وجودى ، ولو تيسر لى هذا لما كان لى فيه اى لذة لانى خليق أن اشعر حينئذ انى اعايش آلة لا إنسانا محسا مدركا يبادلنى ما يسرنى أن اراه يبادلنى إياه من العواطف والاحساسات والخوالج . ولو افنيت شخصيتها فى شخصيتى لانحطت فى نظرى إلى منزلة الخدم الذين تطعمهم وتنقدهم اجرهم على أن يفعلوا ما تريد ولا يجاوزوا مشيئتك . وليست زوجتى خادما ولا آلة وانما هى رفيق حياة ، اى صديق معين ولست اقول هذا تملقا او نفاقا بل اقوله لانى لا افهم معنى للزواج غير ذلك . كلا لست احاول أن اغلب إرادتى على إرادتها لانى لا احس حاجة إلى ذلك . وسبيلى التفاهم لا الاكراه ، وارادتى تبلغ بهذا ما لا ابلغ بالقوة والضغط . ومطلبى ما هو اوفق لكلينا ، لا ما هو اوفق لي وحدى ، فان الشركة لا تصلح بهذا الاستئثار ، والزواج شركة على التحقيق . ولا يحسب احد أن الرجل يضع فى هذه الشركة اكثر مما تضع المراة ، وانه لهذا مغبون فيها ، فان هذا خطا ، فليس السعى للرزق كل ما تقتضيه هذه الشركة ، وإن المراة لتبذل حياتها كلها لا جهدها لانجاح الشركة ، وحسبها الحمل والوضع . ولو امكن ان يحمل الرجل لامكن ان يدرك هو ما تتحمل المراة فى سبيل هذه الشركة : ولكنه لا يحمل مع الاسف ، فهو فى الغالب لا يستطيع ان يقدر نصيب المراة وما يكلفها الزواج وما يعرضها له ولا كيف تضحى بها الحياة لتملأ الدنيا بمثلى ومثله ممن لا يستحقون هـــذه التضحية » .



فترك هذا وقال : « ولكن الا يجب ان يكون للبيت سيد ... إن المركب يغرق إذا كان له رئيسان » .

فقلت : « اه .. حكاية التركى الذى



جرد سيفه ليلة الزفاف واطار به عنق القطة ليرهب الزوجة المســـــكينة .. لا ياسيدى .. ليس الامر امر سيد او سيدة ، فما ثم محل لذلك . واين محل هذا ولكل من الرجل والمراة عمل ؟ واصدقك فاقول إنى لا ادرى كيف يمكن ان تجور المراة على الرجل او يجور الرجل على المراة . اخل ذهنك من كل فكرة عن السيادة واخل لها ذهنها ايضا .. تفاهما معا .. هى لها عملها وواجباتها التى لا تستطيع ــ حتى اذا ارادت ــ ان تشاركها فيها ، وانت لك عملك وواجباتك التى يعيبها ان تشاركك فيها ، وكل منكما يمضى بعد ذلك فى طريقه لينهض باعبائه الموكولة إليه . فاين يكون الاختلاط والاحتكاك والخلاف ؟ وإذا حدث خلاف فلماذا لا يكون بالحسنى .. » .

قال : « والغـيـرة .. اليســـــت بلاء ؟ » .

قلت : طبعا .. والرجل ايضا يغار .. اليس هذا بلاء ؟ .. فلماذا لا تضع نفسك فى موضع المراة وتنظر إلى الأمور من ناحيتها هى ايضا .. ؟ صحيح ان المراة اسرع إلى الغيرة من الرجل وان غيرتها احمى ، فبلاؤها لهذا اعظم ، ولكن هذه طبيعتها ولا حيلة لها فى ذلك لأن الغريزة الجنسية فى المراة اقوى منها فى الرجل إذ كانت هى مدار حياتها ثم إن الواحد منا يتقبل اصدقاءه على علاتهم ويحتمل امزجتهم التى تخالف مزاجه ، ويوفق بين رغباته ورغبـــاتهم ــ وما اكثر ما تتباين ــ ويظل مع ذلك صديقهم ويظلون هم أصدقاؤه فلمـــاذا لا يكون هذا حال الزوجين .. ؟ لمـــاذا لا يحتمل منهما الآخر على العلات وهما بذلك أولى من الصديقين .. ؟ المسالة يا اخى ان الرجل يريد ان يسود ، وان المراة تريد ان تتحكم ، لان هـــذا هو « المودة » الجديدة . ولو تركا هذا واهملاه فنزل الرجل عن الراى الموروث فيما ينبغى ان تكون عليه علاقة الرجل بالمراة ، وتركت هى ما تشير به «المودة» الحديثة من ان الست هى السيدة المطاعة والرجل هو التابع والخادم الذليل ــ لو تركا هذا وسارا فى الحياة سيرة شريكين متعاونين على إنجاح الشركة واحتمال متاعبها والصبر على بلاياها فى سبيل مزاياها وفائدتهـــا لارتاحا جدا ونعما بالحياة الزوجية » .

فسالنى : « هل انت سعيد ؟ » .

قلت : « إنى سعيد لأنى لا اطلب من الزواج سعادة ، ولو كنت اطلبها لشقيت على التحقيق ، وقد تزوجت وانا موطن نفسى على ان هذا واجب اؤديه كما اؤدى واجبى بالعمل فى الصـــحافة وبالاشتغال بالادب ــ واجب والسلام . فاذا فزت بمتعة فهذا فضل من الله . وإذا فاتنى ذلك فما كنت اطمع فيه او ارجوه . وقد ادخلت هذا فى راس زوجتى فهى تفهمه حق الفهم ، وقد كان على ان افهمها هذا فى اول الامر لانى اردت من البداية ان اجنب سبيل الاخفاق . وقد افلحت ولله الحمد والشكر ، فاذا حدثتك نفسك بالزواج مرة اخرى فاصنع هذا » .

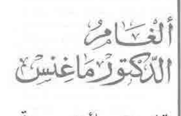
فصاح : « انا ... اعوذ بالله ياشيخ! » .

فقلت : « ارانى لم اوفق إلى إقناعك .. لا باس .. المسالة فى الحقيقة مرجعها إلى الاستعداد ، ولو شئت لقلت إلى العقل والحكمة وسعة الصدر ورحابة افق النفس » .

فقال : « متشكر يا سيدى » .

فعلمت انه غضب . ومع ذلك ماذا قلت .. إنى لم ازد على إبداء راى ، فاذا كان لا يحتمل هذا بل يعده تعريضا شخصيا به فلا غرابة إذا كان قد اخفق فى زواجه .

ابراهيم عبد القادر المازنى
١٩٣٧



بقلم : نجائي صدقي

كان سكان حى وادى الجوز فى القدس مستسلمين إلى نوم عميق بعد يوم من العمل الشاق فى سبيل المعاش ، وكانت الساعة تشير وقتئذ إلى الثانية بعد منتصف الليل .. فاذا وقفت فى غرفتى فى تلك الساعة وتطلعت من نافذتها الشرقية مخترقا بنظرك ظلام الليل الحالك ، ارتسم امامك جبل الزيتون ، وقد قامت عليه اشباح عمارات الجامعة العبرية ، ومستشفى هداسا ، وهى تغتسل بالفحم السائل ..

ثم إذا لقيت بنظرك إلى يمين الجبل رايت هناك قسما من بيوت قرية الطور وهى ايضا تغط فى نوم عميق هادىء ، لكنها اثرت ان تبقى بعض الأضواء هنا وهناك تحسبا للمفاجات ، وكم تحمل هذه المفاجات فى طياتها من جرائم مشبعة بالخسة والنذالة . وكنت انا ساعتئذ فى جملة الناس المستغرقين فى نومهم ، اودع يوما مضى واستقبل يوما اتيا ، وإذا بى استيقظ فجاءة على ازيز الرصاص ينطلق من جميع الأسلحة الآلية ، من (بون) و (ســــتن) و (طومسون) وبنادق انكليزية وكندية وفرنسية والمانية ، يتخللها انفجارات مروعة تهتز لها اركان البيوت ، تمتزج مع اصوات نساء ورجال وصفارات ، فيتجاوب صداها فى الوادى الممتد من

محلة الشيخ جراح حتى ضريح العذراء مريم فتخيلت نفسى فى مدريد سنة ١٩٣٧ ! ..

كان المهاجمون جماعات من منظمة (الهاجانا) اليهود المرابطين فى الجامعة العبرية وهم خليط من التلامذة والعمال ، وبينهم عدد من الفتيات .. وقد اقتحموا اطراف الحى من ناحية الجبل مغتنمين فرصة خلو هذه الناحية من الحرس الوطنى تقريباً لأن السكان كانوا يعتقدون بأن الجامعة العبرية هى معهد علم وتربية وثقافة ، ويستحيل أن تصدر منها طلقة واحدة .

ومما يدل على قوة اعتقاد العرب هذا حوار جرى بينى وبين صاحب حانوت من أهل الحى ، وهو رجل امى ، سليم الطوية ، قلت له : أتظن أن الجامعة العبرية ستكون مصدر خطر على وادى الجوز والاحياء العربية المجاورة ؟

فقال : كلا يا ابا سعيد ، هذه دار علم ونحن لا نخشاها ، كما اننا لا نعتدى عليها .. وهى على الجملة فى حمى قوانين العالم !

وحدث ايضا ان اعتقل الحرس الوطنى صحفيا يهوديا امريكيا واقتاده إلى مقر قيادة مدينة القدس ، حيث اخذوا يحققون معه فقال فى دفاعه إننى من انصار الدكتور ما غنس عميد الجامعة العبرية .. وحزبنا يريد سلما مع العرب . فافرجوا عنه مصحوبا بحرس ليوصله إلى الأحياء اليهودية .

وبلغ مسمعى حوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل اصوات اتية من وسط الوادى تقول بالعبرية : مهير . مهير كاديما (*) !

واعقب تلك النداءات انفجار هائل شعرت معه ان دارنا قد تزحزحت عن مكانها ، ثم استمر تبادل إطلاق النار حاميا ، وكانت تصدر عن الاسلحة السريعة الطلقات انغام غريبة تشبه الخبط على الأبواب ، او النقر على الزجاج ، او الضرب على طبلة المسحر ... ثم تتفجر الغام الدكتور ماغنس وكأنها قرع طبول تشترك فى هذا العزف الاثم .

وحين بلغت المعركة الليلة اوجها اقترب احد المعتدين من كوخ منعزل تركه صاحبه ليساهم فى الدفاع عن الحى ، ولم يبقَ فيه سوى زوجة وستة اطفال ... ولما سمعت المرأة حركة عند كوخها ظنت ان زوجها عاد ليتفقد اسرته فصرخت قائلة : من بالباب ؟ .. فاجابها المعتدى : يهوديم ، ثم سألها : اين زوجك ؟

قالت : خرج ، ولا ادرى إلى اين ، وليس فى البيت سواى واطفالى ..

لعل القارىء يتصور ان المعتدى ابتعد عن الكوخ وسكانه الأبرياء الآمنين ، غير ان الواقع كان على العكس من ذلك ، فانه وضع لغما عند باب الكوخ ، واشعل فتيله ، واطلق ساقيه للريح ، ملبياً صوت قائده الذى يقول له من بعيد : بوهينا اتسحاق .. مهير (١) ! ... وبعد لحظات انفجر اللغم ، وقتلت المرأة مع اربعة من اطفالها ، واستحال الكوخ إلى رماد .

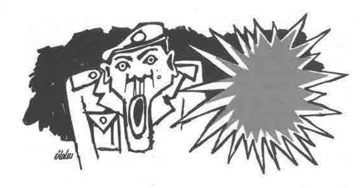
اما الدكتور ماغنس فهو عميد الجامعة العبرية بالقدس ، فى حدود الخامسة والخمسين ، امريكى الجنسية ، مديد القامة ، نحيف الجسم ، غائر العينين ، ذاهل النظرات ، وصاحب مائة مشروع ومشروع من اجل التقارب بين العرب واليهود .

استمرت المعركة حتى السادسة صباحاً ، فتطلعت إلى جهة الجامعة فرايت احد المعتدين يقذف النار من مدفع (برن) ، وقد نصبه فى صومعة الدكتور ماغنس ، وتقع هذه الصومعة فوق سطح فرع الانسانية التابع لكلية الآداب ! ..

وحوالى الساعة السابعة صباحاً هدأت المعركة ، وهرع السكان إلى حيث يقع الكوخ المنسوف ، والأشلاء المبعثرة ، وكان بود المعتدين ان يغتنموا هذه الفترة الملائمة ، ويمطروا الحشد بوابل من الرصاص ، لو لم تتدخل السماء وتسدل ستاراً كثيفا من الضباب على الجامعة العبرية لمدة نصف ساعة من الزمن .

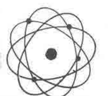
ثم انقشع الضباب .. وانتشر الضياء .. وعرف العرب امراً جديداً ، هو ان فى وسع العلم والجريمة ان يعيشا فى الجامعة العبرية تحت سقف واحد ! ..

نجاتي صدقى ـ ١٩٤٨



(*) السرعة .. السرعة .. وإلى الامام .

(١) تعالى يا إسحاق على عجل .



العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

جهاز تسجيل ذو ذاكرة



جهاز التسجيل ... والذاكرة

قد يبدو جهاز التسجيل والراديو الذي يظهر في الصورة جهازاً عاديا كل ما يميزه انه اكبر حجما من المعتاد . ولكن بالتدقيق فيه يتضح انه ليس كذلك ، فهو مزود بلوحة مفاتيح منفصلة اشبه بمفاتيح البيانو كما يضم خانتين لتشغيل اشرطة التسجيل بدلا من خانة واحدة .

إلا ان هناك ابتكارات لا تظهر في شكله وإن كانت تميزه عن غيره من اجهزة الهاي فاي . إذ يضم ذاكـــرة كمبيوتر ودوائر لتسجيل الصوت بشكل رقمي وهو ما يجعله اقرب ما يكون لاستوديو موسيقي متحرك . حيث يستطيع الموسيقار تاليف وتسجيل الموسيقى باحدى طريقتين : اولا الطريقة التقليدية وهي ان يعزف اللحن مستخدما مفاتيح البيانو وعددها ١٦ . بينما يتم تسجيل اللحن على الشريط .

كما يستطيع بواسطة هذه المفاتيح برمجة عدد كبير من الأوامر الموسيقية يصل إلى ٣٤٠ نغمة موسيقية .

وتختزن هذه الالحان فى ذاكرة الكمبيوتر الموجود داخل الجهاز او تسجل فى شكل اشارات رقمية مثل تلك المستخدمة فى اجهزة الكمبيوتر على شريط تسجيل عادي .

ويتميز التسجيل الرقمي للصوت بانه يختزل وقت التسجيل ، بمعنى ان الاغنية التى يتم تسجيلها في خمس دقائق لا تستغرق سوى عشرين ثانية .

كما يمكن بواسطة هذا الجهاز إضافة صدى كخلفية صوتية لبعض الاغنيات وإذا احتاج الأمر إلى الحصول على نسخة ثانية من الشريط يتم تشغيل الشريطين في ان واحد حيث يتم التسجيل فى نصف الوقت الحقيقي للشريط .

عيادة اسنان متنقلة



عيادة الاسنان المتنقلة

ابتكرت صناعة الأجهزة الطبية حقيبة تضم كل المعدات اللازمة لعيادة اسنان بحيث يمكن اصطحابها فى الطائرة او وضعها فى حقيبة السيارة .

فهي وحدة متنقلة للعناية بالاسنان ، إذ لا يزيد وزنها عن ١٥ كيلوجراما . وهو وزن ضئيل جدا بالمقارنة باجهزة عيادة طبيب الاسنان الضخمة مثل اجهزة الحفر والحشو الخ ..

وتتميز هذه الحقيبة الطبية بانها تعمل بالتيار العادي او بالبطارية مما يجعلها مثالية بالنسبة للعمل فى الريف فى البلدان النامية . كما انها مفيدة للغاية بالنسبة لمن لا تسمح لهم صحتهم بالذهاب إلى طبيب الأسنان .

النوافذ الشمسية



منظر الشرفة من الخارج حيث يبدو الشيش مغطى بالالواح الشمسية.

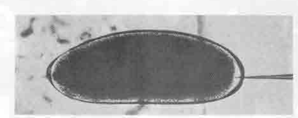
هناك إعلان يقول « افتحوا النوافذ لتحصلوا على مياه ساخنة طوال اليوم» وقد يبدو هذا الاعلان للوهلة الاولى غير منطقي ، فما هي العلاقة بين النافذة والمياه الساخنة ؟ .

إلا أن هناك علاقة وثيقة ، فان شيش هذه النوافذ مغطى بخلايا شمسية تمتص الاشعة الحرارية للشمس طوال النهار لتستخدمها فى تسخين مياه المنزل . ولقد جهزت هذه الخلايا بحيث تناسب كافة اشكال النوافذ والابواب ، إذ تبلغ مساحة هذه الالواح الشمسية مترا ونصف المتر في مترين وربع المتر .

ويفضل بالطبع تركيبها على النوافذ المطلة على الجهة الجنوبية لتكون معرضة لاطول فترة ممكنة للشمس . ويبلغ سمك كل مصراع ١١ سنتيمترا ، ويضم خلايا شمسية مساحتها واحد متر مربع في حين يبلغ ثقلها ٤٠ كيلوجراما لكل متر مربع . وترتبط هذه النوافذ الشمسية بشبكة المياه الساخنة فى المنزل .

ولا تتعرض الخلايا الشمسية للجو الخارجي إلا نهارا ، اي عندما يكون الشيش مفتوحا ، إذ يقلل من الفقد الحراري .

أول عملية زرع للعوامل الوراثية



حقن جنين الذبابة بواسطة الابر الميكروسكوبية لزرع الجينات فى موضع تكوين الخلايا الجنينية .

نجحت اول عملية زرع للجينات فى الكائنات الحية . وهي حقيقة اقرب للخيال ، إذ يعني ذلك تغيير الصفات الوراثية للكائن الحي لأجيال مقبلة . فمن المعروف ان الجينات هي العوامل الوراثية التى تنتقل من جيل الى اخر .

ولا يقلل من اهمية هذا الحدث ان العملية اجريت لذبابة بهدف تغيير لون عينيها . فان نجاح مثل هذه العملية لزرع الجينات الموجودة داخل نواة الخلية ، تفتح باب التجربة على مصراعيه من اجل تكرار العملية نفسها على حيوانات ارقى . ولا غرابـــــة إذا طالعتنا الصحف خلال سنوات قلائل بخبر نجاح أول عملية زرع للجينات فى الانسان .

وتعتمد التجربة على استخدام اجزاء من الحامض النووي اي اجزاء من المعلومات الوراثية التى تتضمنها الكروموسومات .

ولقد اجريت العملية بواسطة إبر ميكروسكوبية كما يتضح من الصورة بحيث ادخلت هذه الجينات إلى اجنة الذباب التى لا يزيد طولها عن نصف ملليمتر . والتحمت هذه الجينات المزروعة بكروموسومات الجنين ، وغيرت بالفعل من الصفات الوراثية لجيل الذباب الجديد . ويرجع السبب فى اختيار العلماء الامريكيين ـ الذين اجروا هذه العملية الفريدة ـ للذبابة إلى سرعة توالدها مما يتيح متابعة التغييرات فى الصفات الوراثية .

وتوالى مراكز البحث تجاربها من اجل الانتقال إلى حيوانات اكثر تطورا فى انتظار دور الانسان .

صور فوتوغرافية مجسمة



هـذه الكاميرا تلتقط صورة مجسمة !

يشهد مجال التصوير الفوتوغرافي تطورا جديدا . فبعد الصور الفورية ، تأتي الصور المجسمة . فهذه الكاميرا بالرغم من مظهرها العادي ، تلتقط صورا مجسمة ، إذ تضم اربع عدسات تكون كل منها صورة على فيلم عادي مقاس ٣٥ ملليمتر ولا تختلف خطوات التقاط الصورة عن اية كاميرا اتوماتيكية . كما ان عمليات معالجة الفيلم بعد التصوير ليس فيها أي تجديد . اما فى مرحلة طبع الصورة السلبية ، فالأمر يختلف . إذ يوجد جهاز خاص يقوم بتقسيم الصور الأربع إلى شرائح ثم يمزجها ثم يطبعها لكي تعطي صورة سلبية ملونة . ثم تلصق على الصورة شبكة من العدسات الشفافة بحيث لا ترى كل عين إلا الأجزاء الموجهة إليها ، ومن ثم ليكونان معـا الصورة المجسمة .

الابصار فى الظلام

لم يعد الظلام عائقا للرؤية . ففى الامكان من الآن فصاعدا الابصار في الظلام ، بل والتصوير ايضا . وذلك بفضل مكبرات للضوء تعمل على تكبير اية طاقة ضوئية مهما كانت ضعيفة ٢٠ الف مرة .

ويكفي لذلك شعاع القمر او اضواء المدينة الآتية من بعد بل أن ضوء عود الثقاب او وهج سيجارة مشتعلة كاف لذلك . وبالتالي فان سائقي السيارات يستطيعون القيادة ليلا بيسر وأمان شريطة ارتداء نظارة مكبرة للطاقة الضوئية ولا يزيد وزن هذه النظارة عن ٧٠٠ جرام .

ولا خوف من الانطلاق بسرعة مائة كيلومتر فى الساعة فى الظلام الدامس ، إذ يبدو الطريق امام قائد السيارة وكانه مضاء بكشافات .

اما إذا استخدم مريض بالعشا الليلي نظارة مماثلة ، فان ذلك كفيل بمعالجة هذا العيب ليرى بوضوح ليلا .

ويعتمد عمل هذه النظارة على تحويل الضوء الضعيف المنبعث من الجسم إلى اليكترونات ، وبما ان الاليكترونات عبارة عن جسيمات مشحونة يمكن العمل على زيادة سرعتها باستخدام مجال كهربي . وعندما تمر هذه الاليكترونات المتسارعة خلال قنوات زجاجية دقيقة داخل النظارة ، تولد نتيجة لتصادمها بجدار هذه القنـوات عددا متزايـدا مـــــن الاليكترونات التى يتم تحويلها مرة اخرى إلى ضوء ، وذلك بواسطة شاشة مثل المستخدمة فى اجهزة التليفزيون ، إلا ان الصورة المتكونة تكون درجة إضاءتها مكبرة عشرين الف مرة .



غاندي.. على الشاشة

وقصة عشرين عاما مع الانتظار والاعتراضات

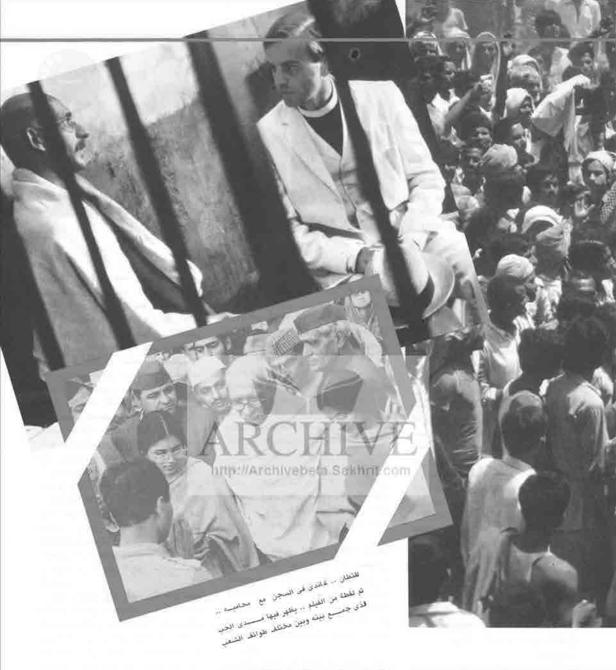
غاندي بين ابناء شعبه .. يهتفون له .. لقطة من الفيلم

بقلم: رؤوف توفيق

بعد عشرين عاما من الانتظار ، والمحاولات المستميتة ، والاصرار .. خرج إلى العالم أخيرا فيلم « غاندى » ليصبح من اهم الأحداث الفنية فى الشهرين الاخيرين .

ومفاجاة فيلم « غاندى » انه من خلال مستوى فنى متميز .. يعيد الى الأذهان . معانى القوة بلا عنف .. والكرامة بلا تنازلات .. واكتشاف الذات ، وتوحيد الصفوف فى مقاومة لا تعرف التخاذل ولا يدركها الوهن .. تلك المعانى التى كانت صلب رسالة غاندى ، وسحره الخاص .

والمفاجاة هنا .. فى جمهور السينما هذه الأيام .. واغلبه فى سن الشباب .. انهم اكتشفوا غاندى .. او عرفوه اكثر .. فالتفوا حول الفيلم وكانهم وجدوا فيه التعبير عن حلمهم بعالم مختلف .. وزعيم مختلف .. غَيَّرَ ما يعيشون فيه ، ويعانون منه كل يوم .. بين سباق رهيب للتسلح .. وعنف مدمر .. وسيطرة الآلة .. وفقدان الذات والاحساس المتزايد باللاقيمة .. حتى اصبح العقل الاليكترونى هو اهم شخصية لعام ٨٢ .. كما قدمته احدى المجلات الامريكية الكبرى !



لقطتان .. غاندى فى السجن مع محاميه .. ثم لقطة من الفيلم .. يظهر فيها مدى الحب الذى جمع بينه وبين مختلف طوائف الشعب

ومن هنا .. يجيء فيلم غاندى .. ليعزف على الوتر المفقود .. وليحقق صدى جماهيرى غير متوقع .. حتى ان الفيلم غطى تكاليفه التى تجاوزت ٢٢ مليون دولار ، فى ظرف ثلاثة اسابيع فقط من عرضه فى امريكا وانجلترا .. وقبل ان يعرض فى اليابان والهند وبقية الدول الأوربية . !

ماذا يقدم الفيلم ؟

ويتعرض فيلم غاندى ـ على مدى ثلاث ساعات هى مدة عرضه ـ لحياة غاندى ، منذ ان كان يعمل بالمحاماة فى جنوب افريقيا ـ وكانت جزءا من الامبراطورية البريطانية ـ وبدايات التفتح لخطر الاستعمار على امته .. ومحاولات الانجليز لسحق الشخصية الهندية ، والثقافة الهندية ، واثارة التفرقة بين ابناء الشعب باستخدام سلاح الدين والتعصب .. بدا غاندى يوجه رسائله الى الشعب الهندى من خلال المؤتمرات التى كان يخطب فيها .. وأيضا من خلال اصراره على عدم التعامل مع الانجليز .. حتى وصل الى قناعة بعدم ارتداء الملابس الأوربية ، واختيار قطعة من القماش الأبيض يتدثر بها ، والتى اصبحت رمزا له فيما بعد .



غاندي.. على الشاشة

وقصة عشرين عاما.. مع الانتظار والاعتراضات



الممثل « بن كنجسلي » .. صورة قبل الفيلم

المخرج « سير ريتشارد اتينبورو »

ويركز الفيلم في هذه البدايات على الحادثة التى اثرت فيه .. حينما القوا به من القطار في جنوب افريقيا ، عندما اصر على ان يستخدم حقه بالتذكرة التى دفع ثمنها بالجلوس فى عربة الدرجة الاولى بالقطار .. ولكنهم اجبروه على ان يجلس فى عربات الفقراء المخصصة للهنود والزنوج .. وحاول الاحتجاج مستخدما منطقه كرجل قانون ، وايضا كانسان له حقوق .. ولكنه اكتشف انه منطق مهزوم امام تسلط الانجليز .. فبدأ يفكر فى وسائل تجميع الطبقات الفقيرة لاعلان صوتها ..

وتعرض للسجن عدة مرات .. وفى كل مرة يخرج من السجن تزداد شعبيته .

وبعد عشرين عاما .. يعود الى الهند .. بلده وشعبه .. ليجد نفسه يستقبل كبطل .

كان هذا عام ١٩١٥ .. وفى هذه المرحلة يقدم الفيلم ، الواقع السياسى والاقتصادى للهند .. والدور الذى لعبه ، غاندى فى المقاومة السلمية .. ورفع شعار عدم التعاون مع الانجليز ومقاطعة بضائعهم .. ودعوته لأن يصنع الهنود ملابسهم بانفسهم .

ويبرز الفيلم هذه الجاذبية التى كانت لكلمات غاندى وتصرفاته .. وتأثيرها القوى فى جميع انحاء الهند .. وكيف كانت ثورته السلمية لها قدرة فائقة على تحريك الجماهير الى العمل ، وتخليصهم من الخوف .. مما شكل فى النهاية من ابناء الهند ، قوة ضاربة بسياسة عدم التعاون .. قت الى إلحاق أكبر الضرر بالاقتصاد الانجليزى ، الذى كان يعتبر الهند مزرعة خاصة به ، وسوقا تجاريا هائلا !!

ومن اجمل مشاهد الفيلم .. تلك المسيرة التى قادها غاندى مع ابناء شعبه لمسافة ٢٤٠ ميلا لجمع الملح من على شواطىء البحر .. مما اثار غضب الانجليز الذين كانوا يحتكرون محصول الملح !

مشهد الوداع المهيب

ويمضى الفيلم فى رحلته مع غاندى .. ليصور الصدام الذى وقع بين البوليس والفلاحين فى مدينة « شورا شورى » والذى انتهى باحراق الجماهير لمركز البوليس بما فيه من جنود .. وكيف تطورت الاحداث بعد ذلك ليقدم غاندى الى المحاكمة ، ويصدر الحكم بسجنه سبع سنوات .. حتى تنتهى حياته باغتياله بثلاث رصاصات ، صوبها احد الشبان الهندوس المتعصبين .. بينما كان غاندى يسير فى طريقه الى اجتماع الصلاة المسائى !

تم الاغتيال فى يناير ٤٨ .. بعد ان حصلت الهند على استقلالها قبل شهور قليلة .. وكان غاندى بمثابة روح الامة وبطلها .. ومن هنا جاءت جنازته حدثا فريدا .

حتى ان مخرج الفيلم عندما استعد لتصوير مشهد الجنازة .. كان قد خطط بان يتحرك فى حدود مائة الف كومبارس .. ولكنه فوجىء بمجاميع هائلة من الشعب الهندى ، تندفع لتشارك من جديد فى جنازة غاندى .. حتى وصل عدد المشاركين الى اكثر من ربع مليون مواطن يذرفون الدموع الحقيقية !

وكان مشهدا لم يحلم به المخرج .. ولن يتكرر على الشاشة .

المذبحة الهندية .. والمذبحة الاسرائيلية

وقد استقبلت الصحافة العربية هذا الفيلم استقبالا حافلا .. حتى أن صحيفة « التايمز » اللندنية اطلقت على المخرج تعبير « المخرج الذى استطاع ان يتسلق قمة افرست » .

وقد اثار كثير من النقاد العالميين .. مشهد المذبحة التى صورها الفيلم ، والتى كان قد قام بها الجنرال الانجليزى « ديار » ضد ١٥٠٠ رجل وامراة وطفل فى منطقة « جابنا نوالا باج » الهندية .. وربط النقاد بين وحشية هذه المذبحة .. ووحشية المذبحة الاسرائيلية التى قاموا بها على ارض لبنان .. فكلاهما نقطة سوداء فى تاريخنا المعاصر .

وهكذا يفجر الفيلم اكثر من قضية . !

سرهذا الاصرار

ولم يكن احد يتوقع ان يلاقى فيلم « غاندى » مثل هذا النجاح والاهتمام .. حتى ان مخرج الفيلم الذى قضى عشرين عاما من حياته يحلم ويفكر ويخطط لهذا الفيلم .. قال فى مؤتمر صحفى قبل ان يبدا التصوير ..

« هناك جهل شنيع بشخصية غاندى .. خصوصا بين الشباب الذين يمثلون الكتلة الكبرى من مشاهدى السينما هذه الايام .. انهم حتى لايعرفون انه من الهند .. وبعضا منهم يظن انه والد انديرا غاندى .. إن هذا لشىء مرعب » !

وعندما سالوه وقتها « لماذا هذا الاصرار على اخراج فيلم غاندى رغم كل العقبات التى صادفتها خلال عشرين عاما » ؟

قال بلهجة الواثق من نفسه : « كل ما فعلته فى حياتى من تمثيل او انتاج او اخراج كان بهدف ان اخرج فيلم غاندى » .

هذا الفنان .. هو المخرج الانجليزى « سير ريتشارد ايتنبورو » الذى يخطو الآن الى عامه الستين .. والذى يعتبر من اعمدة السينما الانجليزية .

موافقة نهرو وانديرا غاندى

وفيلم « غاندى » اشتركت فى انتاجه كل من انجلترا والهند .. وقد ساهمت الهند بمبلغ ٦،٥ مليون دولار ، قدمتها الشركة القومية للانتاج السينمائى الهندى ، على اساس ان تسترد هذا المبلغ من حصيلة ايرادات الفيلم .. وذلك لتدعيم صندوق الشركة ومساعدة المخرجين الهنود الشبان

ولولا موافقة السلطات الهندية على مشروع الفيلم .. ولولا المساهمة المالية

التى قدمتها الهند .. ما كان هذا الفيلم قد ظهر للوجود .. !

ذلك لان تقديم شخصية غاندى على الشاشة .. كان ومازال أمرا محفوفا بالمشاكل والعقبات ..

وبالرغم من ان المخرج الانجليزى « ريتشارد اتينبورو » فى رحلته الطويلة لتنفيذ هذا الفيلم .. قد حصل على موافقة « نهرو » على مشروع الفيلم ، واعلن وقتها نهرو أمام البرلمان الهندى « ان هذا المخرج الانجليزى ، صالح تماما للقيام بهذا العمل » ..

ورغم ان « انديرا غاندى » قد قرات بالتفصيل سيناريو الفيلم .. حتى انها بكت امام بعض المشاهد المكتوبة على الورق — كما اعلن المخرج فى مؤتمر صحفى اخيرا — واقترحت انديرا غاندى بعض الملاحظات الهامة على السيناريو .. كما اعلن المخرج أيضا .. ومنها ان تكون زوجة غاندى كما يقدمها الفيلم ، اقل همسا فى حوارها ، واكثر تحفظا ووقارا (وهى الزوجة التى تزوجها غاندى وكان عمر كل منهما وقت الزواج ، ثلاثة عشر عاما ، واستمر هذا الزواج ستون عاما ، انتهى باغتيال غاندى وكان قد انجب هذا الزواج اربعة ابناء) .

يقول المخرج : « بفضل اقتراحات انديرا غاندى ، امكننا التقدم باحداث الفيلم .. فنحن لا نقدم فيلما تسجيليا يغطى خمسين عاما من حياة غاندى .. بل ان نكون صادقين مع انفسنا ، فى أن يكون هدفنا من الفيلم هو تقديم فلسفة وروح غاندى » .

رغم كل هذه الموافقات الرسمية على مشروع الفيلم .. فان العديد من الصحف الهندية ، اثارت حملة من التشكيك والهجوم والانتقادات اللاذعة قبل تصـوير الفيلم .

اعتراضات الصحافة الهندية

بعض الاعتراضات أثارت قضية ان شخصية غاندى يجب الا تظهـــر على الشاشة أبدا .. من الممكن ان يكون فقط مجـرد صــوت .. واقترح احـدهم ان يستعاض عن تجسيد شخصية غاندى ، ببقعة ضوء ! .

اعتراضات اخرى فجرت مسالة كيف ان مخرجا انجليزيا اجنبيا عن الهند .. يتناول شخصية هندية عظيمة .. ولجات هذه الاعتراضات على استعداء الراى العام ضد هذا المشروع ، ومطالبة الحكومــة الهندية بالتدخل لمنع تنفيذ الفيلم .

وقد علق المخرج على هذه الاعتراضات قائلا : « أشعر بالحزن الشديد ، لان كثيرا من المخرجين الهنود انتابهم القلق لقيامى باخراج هذا الفيلم .. ولكن لنتكلم بصراحة .. لقد انقضى زمن طويل بعد وفاة غاندى .. ولم يتقدم احد منهم ليصنع عنه فيلما بجانب اننى لم اطلب نقودا من الدولة الهندية كاعانة او هبة .. وانما قدمت كنوع من الاستثمار .. واعتقد ان هذا الفيلم خطوة نحو الانتاج المشترك ، وتدعيم هذه السياسة السينمائية فى الهند .. وفى هذا فائدة للهند » .

واثارت الاعتراضات فى الصحافة ، مسالة الاستعانة بممثلين من انجلترا وامريكا ، لتعلب الادوار الرئيسية فى فيلم غاندى .. بالرغم من ان السينما الهندية التى تنتج سبعمائة فيلم فى العام ، مليئة بالمواهب الفنية والوجوه القادرة على التمثيل .

وكان قد تردد فى المراحل الاولى لتحضير الفيلم .. ان الاسماء المرشحة لتلعب دور غاندى .. كلها من النجـــوم الامريكية والانجليزية مثل البرت فينى — داستين هوفمان — انتونى هوبكنز — جون هيرت — روبرت دى نيرو .. حتى يستطيع الفيلم أن يجد سوقا للعرض فى امريكا ! .

بل ان احدى شركات التوزيع الامريكية .. أشترطت للمساهمة فى تمويل الفيلم ان يلعب « ريتشارد بيرتون » دور غاندى !!

ولكن المخرج — على حد اعترافه — لم يتخيل احدا من هذه النجوم صالحا للدور ، خصوصا عندما يتصوره فى الملابس الفقيرة ، والعظام البارزة ، وهى الســمات الظاهرية المعروفة عن غاندى .. واقتنع تماما بانه لابد من اسناد الدور الى ممثل غير معروف .

وبعد بحث طويل .. القى به الحظ ، لكى يعثر على الممثل المسرحى الانجليزى « بن كنجسلى » والذى عمل لسنوات طويلة مع مسرحيات شكسبير .. ولكنه لم يصل الى مرتبة النجومية .. وان كان من اهم اسباب ترشيحه للدور ، انه من أصل هندى .. فجده الأكبر كان هندى الجنسية ، ولا يزال الممثل يحمل لقبه الهندى .

وقد كان اختيار « بن كنجسلى » لدور غاندى .. اختيارا فيه كثير من الاحساس الفنى وايضا الذكاء والدبلوماسية لارضاء الجمهور الهندى وتقليل حدة المعارضة التى قامت ضد فكرة الفيلم ..

صعوبات تمثيل شخصية غاندى

ونجح تماما الممثل « بن كنجسلى » فى تقمص شخصية غاندى واعطائه كل اللمسات الخارجية الدالة على الشخصية .. وعرف كيف يدرب صوته على الكلام كما كان يتكلم غاندى ..

واعطى النقاد كل تقديراتهم العاليـة لهذا الممثل .. واعتبروا ان نجاحه فى هذا الدور الصعب ، دفع بمجموع الفيلم الى النجاح .

غاندى فى شبابه .. لقطة من الفيلم

مشهد من المذبحة الوحشية التى قـام بهـا الانجليز وراح ضحيتها ١٥٠٠ هندى



غـانـدي .. على الشاشة

وقصة عشرين عاما .. مع الانتظار والاعتراضات

ولكن كيف تقمص هذا الممثل ، شخصية غاندى ..

يقول : « من الســــهل التعبير عن شخصيات شكسبير على المسرح .. وهناك اكثر من طريقة لذلك .. لكن ليس هناك غير طريقة واحدة للتعبير عن غاندى .. خصوصا ان هناك ناسا كثيرين يعرفونه .. وهناك ايضا الصور والافلام التسجيلية التى تعرض كيف كان يتكلم ويضحك ويصمت .. انه من اصعب الشخصيات التى مثلتها فى حياتى ..انه يملك قدرة هائلة على النشاط والحركة ، وايضا عنده قدرة هائلة على الصمت والسكون » !

وعن كيفية استعداده لتمثيل الدور .. قال: انه بدأ بقراءة خمسة كتب مؤلفة عن غاندى .. ثم بدأ يتعمق فى كل ما كتبه غاندى بنفسه ، ويستمع الى تسجيلات بصوته .. وملأ جدران منزلة بصور غاندى .. وايضا اخذ يمارس « اليوجا » كل مساء وبنفس اسلوب غاندى .

وقد كانت اول مرة يزور فيها الهند ، مع بداية تصوير الفيلم .. يقول : « لقد احببت الهند .. واكتشفت انه كانت لدى الكثير من الاعتقادات الخاطئة عنها .. خاصة هذا الاعتقاد بانها بلد صوفية غامضة كالالغاز .. فمثلا اليوجا ليست صوفية .. بل انها وسيلة عملية للحياة فى مجتمع التضخم السكانى .. ولقد كانت اليوجا هى وسيلتى الوحيدة للمقاومة والحياة امام قوة الضغط الهائلة والتركيز الشديد اثناء قيامى بتمثيل هذا الدور .. ومازلت مستمرا فى ممارسة اليوجا ، ربما تساعدنى على ان احافظ على نفس المستوى فى المرحلة القادمة » .

التحية التى تدير الرأس

وهذا الكلام للممثل « بن كنجسلى » يؤكد على علم بما ينتظره فى المرحلة القادمة .. حيث انتقل الى امريكا فى اكبر حملة دعاية وتناقلت وكالات الانباء احاديثه وتصريحاته .. وعلى حد تعبير صحيفة « الجارديان » الانجليزية : « ان حجم التحية والاعجاب الذى انهمر على الممثل « بن كنجسلى » كاف لان يدير راس قديس » !!

ولكنها بلاشك تحية لمن اتقن عمله ..

فقد قال « بن كنجسلى » اثناء تصوير الفيلم انه شعر بانه يتخلى عن شخصيته تماما ويدخل شخصية غاندى بكل ابعادها حتى انه شعر وكانه داخل طبقة من الجلد لا يتحرك فيها سوى حدقتى العين ..

كيف فهم غاندى . ؟ يقول الممثـــــل : « غاندى .. عبقرى منح نعمة القدرة على الممارسة العملية .. مما جعله يعرف كيف يحول هذه العبقرية الى شيء مادي وملموس ونافع بشكل مباشر لكل من الفقراء والضائعين والجهلاء ، بنفس القدر لطبقة المثقفين والحكماء والعلماء .. وقد افادتنى دراستى لشخصية غاندى فيما هو اكثر من مجرد تقديم شخصية فى فيلم .. فقـــــد ساعدتنى فى توضيح وتحديد اهدافى »

كيف خرج الفيلم الى النور ؟

وقد استغرق تصوير الفيلم فى الهند ،

غاندي في اخر ايامه .. صامتا متاملا ..



الفلاحون الهنود ، يحرقون مركز البوليس الانجليزي بما فيه من جنود

غاندى فى مسيرته الطويلة .. لجمع الملح على شواطىء البحر .. والاستقبال الحافل فى كل قرية يمر بهـا

ما يقرب من ٢١ اسبوعا بلا توقف .

ومن الطريف انه فى اول يوم تصوير ، وكان فى نوفمبر ٨٠ .. أقيم احتفال صغير قام فيه احد رجال الدين فى الهند بالصلاة ليبارك تصوير الفيلم .

فقد كان المخرج « سير ريتشـــــارد اتينبورو » لا يصدق ان حلمه أصبح حقيقة .. وانه فى موقع التصوير على الاراضى الهندية وبموافقة السلطات الهندية .. وامامه طاقم الممثلين والفنيين .. وتسانده ميزانية تسمح له بالعمل اللائق ..

انه عمر طويل .. منذ بدا يفكر فى الفيلم عام ١٩٦٢ ، حينما قابل الكاتب الهندى « موتيلال كوتهارى » الذى قدم له ٤٨ صفحة مكتوبة عن غاندى .. قراها .. واتخذ قرارا بان يخرج فيلما عن غاندى ..

ولكن كيف يحصل على موافقة الهند ؟ . استعان بصديقه اللورد الانجليزى « لويس مونتباتن » ليلعب دور الوسيط بينه وبين « نهرو » رئيس وزراء الهند وقتها .

وعندما سمع الوسط الفنى بهذه الفكرة .. اعتبروها نكته .. واطلقوا على المخرج « اتينبورو » لقب المجنون !

ولكنه كان مصمما على هدفه .. وبالفعل التقى بالرئيس نهرو وحضرت اللقاء ابنته انديرا غاندى .. وتمت الموافقة على المشروع المبدئى للفيلم ..

ومع وفاة نهرو فى ربيع ٦٤ .. تغيرت السلطة الحاكمة فى الهند .. وتوقف مشروع الفيلم .. وكان على المخرج ان يبحث عن عمل ، بعد ان وضع كل ما يملك رهنا للمشروع الذى يحلم به ..

فى هذه الفترة اشـــــترك المخـــرج « اتينبورو » فى تمثيل ثلاثة افلام امريكية .. منها فيلم « دكتور دوليتل » وعاد الى لندن ليجد ان صديقه الهنـــــدى كاتب السيناريو « كوتهارى » مريضا جدا بقلبه ، ولا يعتقد انه سيعيش ليرى الفيلم .. وبالفعل مات عام ٧١ ..

وفى هذه الاثناء اخرج « اتينبورو » فيلم « يالها من حرب رائعة » واستقبل الفيلم استقبالا رائعا ، وحصل على ١٦ جائزة دولية منها جائزة الاكاديمية البريطانية .. ثم اخرج فيلم « ونستون الصغير » عن ونستون تشرشل ..

ولم يغب فيلم غاندى عن باله ..

وبدا الكاتب الانجليزى الشهير « روبرت بولت » يكتب له سيناريو الفيلم من جديد .. (وهو الكاتب الذى كتب سيناريو أفلام : لورانس العرب ـ دكتور زيفاجو ـ رجل لكل العصور ـ ابنة رايان) .

ويقول المخرج «اتينبورو» عن هذه الفترة « ان احلامي حلقت الى السماء وتهشمت على الأرض عشرات المرات » .. فقد اعتذر روبرت بولت بعد فترة طويلة عن الاستمرار فى كتابة السيناريو ، بسبب مرضه ..

وهكذا جاء كاتب السيناريو « جـــون بريلى » الذى وافق على الكتابة بشرط عدم الرجوع الى ما سبق وكتبه زملاؤه وان يبدا من جديد .. واقترح ان يكون اسم الفيلم « غاندى » بعد ان كان الاسم الســابق « الفقير العارى » وهو الاسم الذى اطلقه تشرشل على غاندى !!

وتنقل المخرج وكاتب السيناريو ما بين الهند ولندن بحثا عن الموافقة والمساهمة فى التمويل .. حتى عادت انديرا غاندى للحكم فى ابريل عام ٨٠ .. وتمت الموافقة النهائية على مشروع الفيلم .

وبدا اختيار الممثلين ومواقع التصوير .. وطاقم الفنيين ..

واستقر الراى على اختيار « ادوارد فوكس » فى دور الجنرال الانجليزى داير .. والممثلة الامريكية « كانديس بيرجن » فى دور الصحفية المصورة التى رافقت غاندى فى بعض تنقلاته داخل الهند ..

واشترك فى التمثيل « ترفور هوارد » ـ « جون ميلز » ـ « مارتن شين » .. مع عدد من الممثلين الهنود منهم الممثلة « روهينى هتا نجادى » التى لعبت دور زوجـــــة غاندى .

وقام بالتصوير المصور الانجليزى الشهير « بيلى ويليامز » ـ وشارك فى التصوير المصـــــور الانجليزى « رونى تايلور » .

المخرج يؤلف كتبا عن غاندى

وربما كان لرحلة هـذا المخرج مع فيلم غاندى دافع لان تستغله دور النشر الامريكية ... فقد تعاقدت معه على نشر كتاب « فى البحث عن غاندى » يروى فيه قصة عشرين عاما من الصراع لاخراج هذا الفيلم ..

وايضا اشترك المخرج فى كتاب اخر بعنوان « حياة غاندى بالصور » سيصدر خلال هذا العام ، متضمنا ١٥٠ صورة من ارشيف غاندى بالمقارنة مع صور من فيلم غاندى .!

وكان المخرج قد اصدر كتابا فى العام الماضى بعنوان « كلمات من غاندى » عبارة عن مختارات من كتابات غاندى اختارها وقدم لها المخرج .

● ●

وهكذا يعود غاندى فى عام ٨٣ وسط احتفال فنى وثقافى .. ومهما كانت براعـة الفيلم فى تقديم حياة غاندى .. الا ان الضجة المثارة حوله حاليا .. تؤكد بلاشك مدى الشوق والتعطش العالمى للبحث عن قائد ومعلم صادق وبسيط .. يعيد التوازن بين العقل والقوة .. وينتصر للانسان فى سباق الالة الرهيب !

« رءوف توفيق »

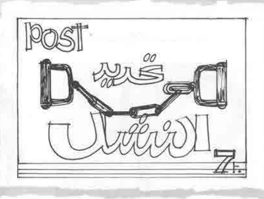

ضحكات الشهر
طوابع البريد


Post
2 F.
بريد


1 F.
Post
مستقبل

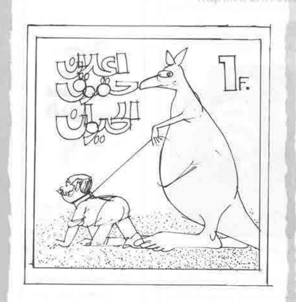

7 F.
Post

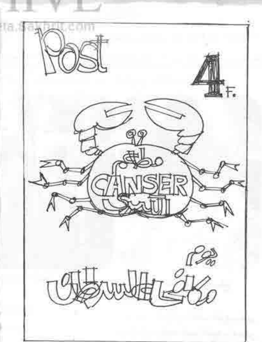

Post
J
4F.
يوم
التشهير العالمي


POST
تحرير
الانسان
7F.


5F.
عام الرجل




اعلان
حقوق
الحيوان
1F.


Post
4F.
CANSER
يوم
مكافحة السرطان

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

رؤوف





أصل وصورة





● بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ الجائزة (٦٠ ريالا) .

لوحة لم تتم!



● هذه اللوحة لاحد رواد المسرح العربى .. مشكلة اللوحة انها لم تتم . هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية هذا الفنان ؟ . الجائزة (٦٠ ريالا) .

المثل يقول



● ان هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عنه مثل شعبي عربي شائع هل يمكنك معرفته (الجائزة ٦٠ ريالا) .





استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووو

أصل وصورة





● بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ الجائزة (٦٠ ريالا) .

لوحة لم تتم !



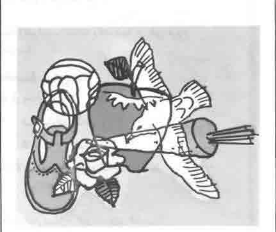
● هذه اللوحة لاحد رواد المسرح العربى .. مشكلة اللوحة انها لم تتم . هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية هذا الفنان ؟ . الجائزة (٦٠ ريالا) .

المثل يقول



● ان هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عنه مثل شعبي عربي شائع هل يمكنك معرفته (الجائزة ٦٠ ريالا) .

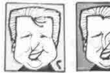
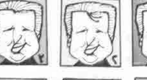
لأقوياء الملاحظة فقط!



● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصـــل على جائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين






● الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الاديب إحسان عبد القدوس .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفي البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



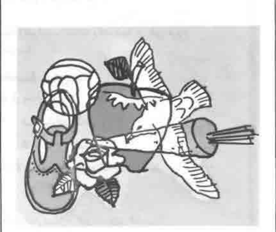
● حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرســـم الكاريكاتيري . وارسله الينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

لعبــة الظــلال



● هل تستطيع ان تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا استطعت ذلك ، أرسل الحل الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

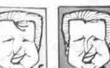
لأقوياء الملاحظة فقط!

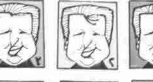


● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين










● الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الاديب إحسان عبد القدوس .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفي البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



● حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري . وارسله الينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



● هل تستطيع ان تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا استطعت ذلك ، أرسل الحل الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارئ، والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :–

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة) الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القارىء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
  اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
  البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة) الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣